دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية

«الجيش الجديد»

أماني بنت جعفر بن صالح الغازي



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٣٩١٢٣٥٤

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

المغازي ، أماني بنت جعفر بن صالح
دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية
والجيش الجديد، / أماني بنت جعفر بن صالح المغازي
. – القاهرة : دار القاهرة ، ٢٠٠٧
٤٥٥ ص ؛ سم
X ٤٨ ٦٠٤٨ ٩٧٧
١- الإمبراطورية العثمانية – عصر الضعف ٩٥٣,٠٩
٢- العنوان

اسم الكتاب : دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية
تأليف : أ . أماني بنت جعفر بن صالح المغازي
رقم الطبعة : الأولى
السنة : ٢٠٠٧
رقم الإيداع : ٢٠٨٦٣
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977-6048-48-X
اسم الناشر : دار القاهرة
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩
فاكس : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤
المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠


بسم الله الرحمن الرحيم



إهـــــداء

إلى المثل الأعلى

أمي .. وأبي

إلى إخوتـي وزهرة قلبي محمد

أهدي هذا الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ...

الكتاب بعنوان «دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية» تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، إضافة إلى عدد من الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

تضمنت المقدمة على بيان بأهمية الدراسة ومصادرها وتوضيح مراحل إنجازها، واختص التمهيد بتعريف مصطلح الإنكشارية وأصل الكلمة مع توضيح لمعنى كل مقطع فيها.

أما الفصل الأول فقد ركز على نشأة الإنكشارية في ثلاث مباحث، الأول منها: خصص لمعالجة الأوضاع العسكرية في أوائل العهد العثماني، بينما خُصص المبحث الثاني لموضوع تأسيس الإنكشارية، أما المبحث الثالث فقد ركز على مناقشة آراء المستشرقين الذين هاجموا الإنكشارية والرد عليهم بالأدلة والبراهين.

وعالج الكتاب في الفصل الثاني موضوع «تسلط الإنكشارية وجبروتهم» وفيه ثلاث مباحث، الأول منها ناقش أسباب تمرد الإنكشارية وزيادة ثوراتها مع مرور الزمن، وعالج المبحث الثاني موضوع نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني وعزلهم للسلاطين والوزراء بل وقتلهم للبعض منهم، بينما ركز المبحث الثالث على تدخل الإنكشارية في مسائل السياسة العليا.

وفي الفصل الثالث ركز الكتاب على موضوع «تفاقم خطر الإنكشارية» وأفرد

لذلك مبحثين الأول منها يتعلق بموقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة، والثاني خاص بإلغاء فيالق الإنكشارية كما ناقش وجهات النظر حول إلغاء الإنكشارية ومدى مصداقية ذلك. وفي الخاتمة ركز الكتاب على تقديم أهم النتائج التي تمثل خلاصة محتويات فصوله.

وذيل الكتاب في الأخير ببعض الملاحق وقائمة المصادر والمراجع والله الموفق.

المؤلفة

أماني جعفر الغازي

تقديم

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا المصطفى محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

هذا الكتاب المعنون بـ «دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية» يحتوي على موضوعات في غاية الأهمية. لم يسبق ان جمعت وعولجت في دراسة مستقلة، وهذا ما يضفي على الكتاب صفة الجدة والإبتكار، أضف الى ذلك ان معالجة الباحثة لموضوعات الكتاب زادت من أهميته لأنها إتبعت منهج التعمق في معالجة الأحداث مما يحقق الفائدة العلمية للقاريء المتخصص والقاريء العام على حد سواء.

الجيش الجديد هو الرديف العربي لمصطلح الإنكشارية باللغة العثمانية، كان له الدور الفاعل في نجلح الفتوحات العثمانية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ولكن مع مرور الوقت تغيرت الأوضاع وبرزت عوامل مؤثرة في أضواع الدولة العثمانية في الداخل والخارج، وبدأ الأعداء في الغرب الأوربي وروسيا يتخذون المواقف المختلفة لكسر شوكة وطموحات الدولة العثمانية التي وصلت الى عقر دارهم في الوسط الأوربي، واستخدموا في ذلك وسائل متعددة للإطاحة بالدولة بدأوها بالمؤامرات والمؤتمرات ثم تبع ذلك المجابهات العسكرية، ووجدوا في الجيش العثماني فرصتهم الضالة للتأثير عهليه بطريق غير مباشر فيعلن العصيان مرة ويثور على السلطان مرة أخرى، ليصل في النهاية الى التحكم في شؤون الدولة الداخلية والخارجية ومن ثم المساعدة على إضعافها.

هذا الكتاب الذي أتحفتنا الباحثة أماني الغازي به يحمل بين طياته معلومات فريدة، جمعتها الباحثة من المصادر والمراجع المتخصصة، وأضفت عليه طابع التحليل للأحداث والمقارنة والاستنتاج لتصل في النهاية الى التوضيح بأن الدولة

العثمانية تآلبت عليها القوى المجاورة لها واستخدمت في آخــر الأمــر جيشــها الجديد الإنكشارية كسلاحاً فتاك ساعد على تثبيط مضاجع الدولة العثمانية لتقع في آخر المطاف فريسة سائغة لأعدائها.

أرجو للباحثة التوفيق والسداد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ. يوسف بن علي الثقفي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية
بكلية الشريعة بجامعة أم القرى

المقدمـــــة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأشرف خلق العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [سورة المائدة آية ٣٥]

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة آية ٤١]

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [سورة الحج آية ٧٨]

ومن هذا المنطلق التشريعي في نشر الإسلام، قامت الدولة العثمانية بفتوحات عظيمة وصلت بها في التاريخ الحديث إلى أن أصبحت من أعظم الدول وأكثرها اتساعاً.

وكان لفرقة الإنكشارية «الجيش الجديد» الدور الفاعل في الفتوحات الإسلامية العثمانية، ثم تداخلت عليها عدة أسباب أدت إلى أن يكون لهذا الجيش دوره في إضعاف الدولة وسقوطها في النهاية، ولهذا كانت الإنكشارية في نظر معظم المؤرخين من العوامل الرئيسة التي أدت إلى سقوط الدولة العثمانية.

ونظراً لأن الجيش الجديد من أهم المؤسسات التي لعبت دوراً مهماً في تأسيس الدولة العثمانية وارتفاع نجمها إلى عنان السماء بالانتصارات التي حققتها في كثير من الحروب. فقد كانت هذه المؤسسة العسكرية على رأس العناصر المستهدفة في هدم الدولة العثمانية، فلا نستغرب إذا وجدنا أن كثيراً من

الأوردة الخارجية غذت هذه الفرقة لإفسادها.

ومن هنا جاءت أهمية الكتاب(*) حيث يجمع خيوط وجذور الصراع ما بين الإنكشارية والسلاطين مع التعمق في أسباب هذا الصراع الذي تخللته كثير من صور الصدام العنيف الدامي، حتى انتهى المطاف بالقضاء على هذه الفرقة بطريقة عنيفة فيما سمي بالوقعة الخيرية.

والكتاب يُلقي الضوء على خلفيات وآفاق هذا الصراع بحيث تكشف حقائق جديدة في الكتابة عن تاريخ الدولة العثمانية وأسباب سقوطها.

وقد حرصت على استقاء المادة العلمية لهذا الكتاب من مصادرها الأصلية، حيث تمكنت بفضل من الله وتوفيقه من القيام برحلتين علميتين الأولى إلى القاهرة، حيث تمكنت من الحصول على بعض المصادر والمراجع من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، والتي كونت قاعدة معلومات البحث، أما الرحلة الثانية فكانت إلى إستانبول حيث زرت أرشيف رئاسة الوزراء وقمت باستخراج الوثائق ذات الصلة الوثيقة بالموضوع، كما زرت أرشيف توب قابي سراي، وأستفدت من الوثائق والفرمانات الموجودة في الأرشيف ونقلت من هذه الوثائق المعلومات التي تخص موضوع الدراسة.

كما قمُت بجمع بعض الكتب القديمة التي كُتبت بالخط العثماني من المكتبات العامة. والتي أفادت في إثراء معلومات البحث. وكانت رحلة إستانبول مفيدة جداً في جمع المادة العلمية للدراسة.

على أن أهم الصعوبات التي واجهتني هي عدم اتقاني للغة التركية. مما أثر على عدم الحصول على الوثائق المطلوبة بسهولة، واستلزم الأمر الانتظار وقتاً

(*) هذا الكتاب في الأصل هو رسالة ماجستير تقدمت بها إلى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة بجامعة أم القرى تحت إشراف أ. د. يوسف بن علي الثقفي وحصلت فيها على تقدير ممتاز.

طويلاً حتى يتم ترجمتها في مركز للترجمة في إستانبول، ثم يتم إرسالها عن طريق البريد.

كذلك عانيت الأمرين لكي أتمكن من الدخول للإرشيف العثماني نفسه فالأمر يتطلب إجراءات طويلة تمتد إلى عدة شهور حتى يتم استخراج إذن الدخول، فبداية الإجراءات في القنصلية التركية في جدة، وينتهي المطاف باستخراج الإذن من أنقرة لدخول الأرشيف واستخدام الوثائق في نطاق زمن محدد يوضع مسبقاً، كما أن طلب أرشيف طوب قابي سراي له إجراءات أخرى ويحتاج إلى أذن خاص به وهذا ما زاد الأمر تعقيداً.

ومن الأمور التي لاحظتها أثناء جمع المعلومات هو ندرة المراجع الدقيقة الحيادية، فعلى الرغم من أن كثيراً من المؤرخين والمفكرين السياسيين كتبوا عن الدولة العثمانية إلا أن كتاباتهم جاءت مكررة لما سبق تدوينه وينقصها الدقة، في أغلب الأحيان. ويرجع ذلك إلى أن كثيراً من الكتب طبعت منذ فترة طويلة ونفذت من الأسواق ولم يعاد طبعها وبالتالي يصعب الحصول عليها.

أما عن أهم المنابع التي استقيت منها المادة العلمية للدراسة، فقد اعتمدت على وثائق غير منشورة من أرشيف رئاسة الوزراء وأرشيف توب قابي سراي، وقد ترجمت خصيصاً للدراسة، كما رجعت إلى مخطوطات تركية تحدثت وعاصرت الوقعة الخيرية وإلغاء فيالق الإنكشارية. ومن أهمها مخطوط أس ظفر لمحمد أسعد.

أما عن المصادر والمراجع التي استعنت بها فقد كانت في الأغلب تركية غير مترجمة مثل علي رشاد، عبد الرحمن شرف، كامل باشا، تاريخ أبسي الفاروق، إسماعيل حقي أوزن جارشيل.

أما المصادر العربية فأهمها محمد فريد المحامي ويلمازا وزتونا، أحمد جودت، إسماعيل سرهنك.

وهناك بعض المراجع التي أفادت البحث ولا يمكن إنكار فضلها على الدراسة. وبالنسبة للكتب التي أخرجها المستشرقون عن الدولة العثمانية، ومن سار على نهجهم، فقد أخذت بعين الاعتبار وهي بلا شك تمثل وجهة نظر معينة، كما أن معلوماتها في أغلب الأحيان لا تتصف بالصدق والحيادية والموضوعية، إلا أنها على أي حال حملت في طيات صفحاتها الكثير من المعلومات المفيدة والتي أخضعتها للتحليل والاستنتاج والخروج بكثير من المعلومات التي تخدم موضوع الرسالة.

أما فيما يتعلق بالخطة التي سار عليها الكتاب فهي تتضمن تمهيداً وثلاثة فصول إضافة إلى الخاتمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

تضمن التمهيد تعريف وشرح لمصطلح الإنكشارية وأصل الكلمة مع توضيح لمعنى كل مقطع فيها، إضافة إلى تعريف لكلمة دوشرمة.

أما الفصل الأول فقد اشتمل في البداية على التشكيل العسكري السائد في أوائل العهد العثماني قبيل تأسيس الإنكشارية، وحيث اعتمدت الدولة العثمانية في فترة مبكرة من تاريخها على المجاهدين الذين يجتمعون وقت الجهاد، ثم اعتمدت على فرقة المشاة، ولكن تطور الحركة الجهادية في الدولة العثمانية أوجب تأسيس فرقة مشاة دائمة مهمتها الجهاد في سبيل الله أطلق عليها فيما بعد " الإنكشارية ".

ثم تطرق الفصل إلى إنشاء وتأسيس هذه الفرقة وأهم الأنظمة التي وضعت لها، مع مناقشة أهم آراء المستشرقين، الذين هاجموا الإنكشارية ووصموا فرقتها بالعار عن طريق ما أسموه بضريبة الغلمان، والرد عليهم بالأدلة والبراهين لإثبات أنها مجرد ترهات وتشويه لهذه الفرقة المجاهدة في سبيل الله.

أما الفصل الثاني فقد اختص بشرح أسباب تمرد الإنكشارية وزيادة ثوراتهم مع مرور الزمن، مع دراسة لأهم الأسباب سواءً كانت اقتصادية أو سياسية أو

اجتماعية ونفسية. كما تضمن هذا الفصل ثورات الإنكشارية داخل القصر السلطاني، وعزلهم للسلاطين والوزراء بل وقتلهم للبعض منهم وذلك من منطلق سيطرتهم وتحكمهم في سياسة القصر الداخلية، حتى تم القضاء عليهم.

كما عالج هذا الفصل دورهم الواضح في إيقاف بعض الفتوحات والمعارك، وتعديهم على حرمة أهالي البلاد المفتوحة، ونهبهم وسلبهم للأموال والأعراض، ونقضهم لكثير من المعاهدات، إضافة إلى تبرمهم الواضح والدائم من الحرب.

أما الفصل الثالث فقد تناول محاولات الإصلاح الحثيثة التي قام بها السلاطين وجاءت ضد رغبات الإنكشارية فوقفت منها موقفاً عدائياً، واعتبرت التعلم على الأسلحة الحديثة ضلالاً وكفراً ورفضتهُ تماماً، وينتهي الفصل بمناقشة الآراء التي دارت حول القضاء على الإنكشارية، ومدى صحة هذه الخطوة الجريئة التي قام بها محمود الثاني.

وفي الخاتمة يعُالج الكتاب أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج وحقائق تاريخية تثبت دورهم الفعال في إضعاف الدولة العثمانية.

وأخيراً: أود الإشارة إلى أن ما قمت به من عمل فهو محاولة علمية لطالبة علم مبتدئة في مشوار البحث العلمي فإن أصبت فيما قمت به فهو توفيق من الله تعالى وإن أخطأت فأستغفر الله تعالى من الخطأ وجلّ من لا يخطئ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلفة

أماني جعفر الغازي



التمهيد

تعريف مصطلح الإنكشارية



التمهيد

تعريف مصطلح الإنكشارية:

لقد اعتمد العثمانيون منذ نشأتهم على القوة العسكرية وذلك على إعتبار أنها القوة المؤثرة، والعامل الرئيسي في نشر الإسلام وبهذا أصبح الجيش في الدولة العثمانية شرياناً رئيسياً، أولى كل الإهتمام والرعاية حتى غدا اليد الأولى في نشر الإسلام والمحافظة على الدولة وكيانها، وهكذا تمكنت الدولة العثمانية من تنشئة جيش قوي فتح البلاد، وضرب بيد من حديد على الخارجين والطامعين، وكان له دوره المميز في الفتوحات العثمانية وإتساعها في ثلاث قارات عالمية في أوروبا وأسيا وأفريقيا.

وكان العنصر الرئيسي في الجيش العثماني هو ما عرف بالانكشارية، وهي هيئة عسكرية فريدة حظيت من الدولة العثمانية بإهتمام بالغ لم تحظ به أي هيئة حكومية أخرى.(١)

والإنكشارية هي كلمة عربية وقد حرفت عن الكلمة التركية عند ترجمتها وهي " يني تشاري" وترسم بالتركية "يكيجري" وهنا نرى أن الكاف في اللغة التركية تنطق نوناً وتكتب يكجري ولكن تنطق "يني تشري"(٢).

وهكذا نجد أن الكلمة مكونة من مقطعين الأول يكي yeni بالنون الخيشوميه بمعنى جديد، جري cery بالجيم المشوبة بمعنى العسكر، فيأتي المعنى الكامل

---

(١) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، د.ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ج١، ص ٤٧٠.

(٢) محمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة السابعة، بيروت: دار النفائس، ١٤١٤هـ / ١٩٩٧م، ص ١٢٣.

العسكر الجديد أي الجيش الجديد[١]، وتأتي أيضاً بمعنى الجند الجدد.[2]

وإذا كان حرف الكاف في اللغة التركية ينطق نوناً فإنه في اللغة الفارسية يلفظ تاء وشيناً، وكذلك كلمة يكي تأتي بمعنى حديث لهذا يطلق عليهم أيضاً العسكر الحديث[٣].

وهكذا نجد أن "يكجري " حسب النطق التركي، و " يني جري" حسب النطق العربي [٤]." جري" تعني جندي، ولكن هناك كلمة أخرى في اللغة التركية القديمة وهي صو su، لكن "جري" أصدق في المعنى وكذلك كلمة "أوردوه" تعني جيش، ولكن كلتا الكلمتين لا تستعملان في اللغة التركية منذ عدة عصور[٥].

وقد أكد حليم بك أن العثمانيين أنشأوا جيشاً من المسلمين يدعى "يكي جري" وهم العسكر الجدد.[6]

---

(١) زين العابدين شمس الدين نجم: الوظائف العسكرية والتشكيلات القتالية في العهد المملوكي والعهد العثماني، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد ٣٩، السنة العاشرة، ١٤١٣هـ، ص٢٩.

(٢) فون هامر: التاريخ العثماني الكبير، م١، د.ط، استانبول: دار نشر مج دال، ١٩٨٩م، ص٩٩.

(٣) عبد العزيز محمد عوض: بحوث في تاريخ العرب الحديث، الطبعة الأولى، عمان: مكتبة المحتسب، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص ٦٤.

(٤) الصفصافي أحمد المرسي: إستانبول عبق التاريخ روعة الحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، ص ٥٥.

(٥) يلمازا وزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، استانبول، مؤسسة فيصل للتمويل، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ج٢، ص٣٨٩.

(٦) إبراهيم حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمة، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص٣٦. راجع عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج١، ص٤٧٤.

وعليه فإن كلمة الإنكشارية هي يكي جري بالتركية ولكنها حرفت عندما ترجمت للعربية، وقد يكون هذا التحريف جاء نتيجة إختلاف نطق الحروف العربية في اللغة التركية عنها في اللغة العربية.

ونجد أن كلمة الإنكشارية أطلقت على نوع من الجنود الجديدة، أي مجموعة من فرق المشاة النظاميين والتي كونها السلطان أورخان العثماني في القرن الرابع عشر الميلادي[١]، وهم مجموعة من الجنود المدربين تدريب على أعلى مستوى من التقدم - بالنسبة لزمنهم - وقد دربوا على أسلحة ووسائل حربية حديثة، كما تعلموا اللغة التركية، إضافة إلى أنهم جنود محترفين،[٢] أي متفرغين للحرب متفانين في فتح البلاد ونشر الإسلام. وكانوا من أكبر عوامل نجاحهم في الفتوحات التي قاموا بها في القرن الرابع عشر الميلادي والقرون التي تليه.[٣]

وقد جاء لفظ الإنكشارية yeniceri في بعض المصادر بمعنى مصطلح عسكري، أطلق على الجنود الموظفين في الدولة العثمانية، فيما قبل سنة ١٢٤١هـ /١٨٢٦م. وكانوا يتبعون السلطان مباشرةً ومرتبطون به شخصياً يأتمرون بأمره ولا يعرفون أب سواه و من هذا المنطلق جاء لقب عبيد الباب[٤] أي باب السلطان.

---

(١) شمس الدين سامي: قاموس تركي، إقدام مطبعة سي: إستانبول ١٣١٧هـ مادة " يكيجري ": ص ١٥٥١ - ١٥٥٢. سليمان صالح الخراشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الرياض: دار القاسم، ١٤٢٠هـ، ص١٤.

(٢) Mehmet Zeki Pakalin Osmanli Deyimliri ve Terimleri Sozlugu, Istanbul 1977, cilt III., S, 617 – 634 الموسوعة العربية العالمية: ج٣، الطبعة الأولى، مؤسسة أعمال الموسوعة، مادة الانكشارية،ص٢٨١.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: مكتبة الشعب، المجلد الخامس، مادة الإنكشارية، ص١١١.

(٤) جاءت مثلاً في تاريخ الإسقافي، تاريخ إبن زنبل، وزيني دحلان. الصفصافي أحمد المرسي: مرجع سابق، ص٥٥.

أما عن معنى لفظ الجيش الجديد، فإن القدم والجده في شيء معين مسألة نسبية، فعندما أطلق على يكي جري جيشاً جديداً، فهذا يعني أن هناك نظاماً حربياً كان سائداً قبله وأقدم منه، وهذا هو التجمع الاختياري، وقد تغير هذا المفهوم بعد أن قام السلطان محمود الثاني بإنشاء العساكر المنصورة المحمدية والتي أطلق عليها مسمى "الجيش الجديد" أو "النظام الجديد".[١] وكذلك فقد حدث في عهد السلطان سليم الثالث أثناء محاولات إصلاح الهيكل العسكري للدولة العثمانية، أن قام بإنشاء فرقة جيش مدربة على الطريقة الحديثة وأطلق عليها النظام الجديد، وهكذا أطلقت الكلمة حتى بوجود الإنكشارية لأنه لم يكن قد قضي عليها.

هناك مصطلح آخر له علاقة بالإنكشارية وهو "دوشرمه" وهي كلمة تركية تكتب هكذا Dos,orme، وفيما سبق كانت تكتب دوفشرمه بزيادة الفاء، ولكن الأصح أنها تكتب بدون الفاء.[٢] وقد أطلق عليها المستشرقون وأعداء الدولة العثمانية هذا المسمى وذلك بهدف تشويه هذا النظام كما سيتضح بعد ذلك.

Dersime هي أيضاً مصطلح عسكري، وقد أطلق على أبناء المسيحيين المشردين في الشوارع، وكانوا يجمعون من شوارع البلدان المسيحية التي تم فتحها حديثاً، وخاصة من بلاد البلقان وذلك بهدف الالتحاق بالإنكشارية أو للعمل في السراي.[٣]

وفسر زياد أبو غنيمه مصطلح الدوشرمه بأنها تعني الإسقاط أو السقوط، وهي كلمتان فالأولى تعني عندما تسقط الأم جنينها قبل إتمام شهور الحمل

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة ١٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص٢٠٤.

(٢) زياد أبو غنيمه: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، الطبعة الثانية، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص١٢٦.

(٣) الصفصافي أحمد المرسي: المرجع السابق، ص٥٥.

التسعة وهي لا تطلق على المواليد الذين تكتب لهم الحياة وإنما الذين يموتون في الشهور الأولى من الحمل. (١) أما السقوط فهو يعني سقوط شيء من علي علو سواء كان إنسان أو جماد، وتطلق على الشيء المعنوي كالسقوط في هاوية الرذيلة أو ما شابه ذلك من تعبيرات. (٢)

كذلك تطلق على الأطفال اللقطاء والذين تلدهم أمهاتهم في السر، فيصبحوا مشردين في الشوارع، أو يوضعوا في الطرقات أو على أبواب المساجد وأبواب الملاجئ، ثم أصبحت تطلق على كل طفل لقيط أو حتى مشرد في الشارع لأي سبب آخر. وقد ساد في بلاد العرب إطلاق كلمة داشر على الرجل الذي لا يعرف له ولي أمر يرجع إليه في شؤونه، كذلك الحال في المرأة فيقال عليها "إمرأة داشرة" أي لا يعرف لها ولي أمر ترجع له في شؤونها. (٣)

وكلمة داشر لا تزال متعارف عليها في المجتمعات العربية حتى اليوم على أساس أنها تعني ذلك النوع من البشر ممن لا يلتزم بالمسؤولية وانجرف عن جادة الطريق دون الإلتزام بالتقاليد والعادات الإيجابية في مجتمعه وهذا النوع ينطبق على الجنسين من الذكور والإناث.

كما تأتي كلمة ديوشر بمعنى جمع الثمار والتقاطها في اللغة الفارسية. (٤)

---

(١) زياد أبو غنيمه: المرجع السابق، ص١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٦ – ١٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٤) محمد الأرناؤوط: دراسات ووثائق حول الدوشرمة، الطبعة الأولى، الاردن:دار قدسية،١٩٩١م، ص٣٥



الفصل الأول

نشأة الإنكشارية

المبحث الأول:

الأوضاع العسكرية في أوائل العهد العثماني

المبحث الثاني:

تأسيس الإنكشارية.

المبحث الثالث:

آراء المستشرقين ومن شايعهم حول الإنكشارية والرد على هذه الآراء.



المبحث الأول

الأوضاع العسكرية في أوائل العهد العثماني

منذ ظهور الدولة العثمانية وفكرة بعث الحركة الجهادية من جديد كانت أولى إهتماماتهم وبالتالي كانت القوة الحربية وتطوير الجيش من أولى اهتمامات السلاطين العثمانيين خاصة وأنها تمثل الركيزة الأولى لإنطلاق الفتوحات العثمانية.

ومنذ بداية الدولة العثمانية إعتمد السلاطين على المتطوعين للحرب والجهاد، و لم ينتظروا حتى يُنشئوا جيشا خاصا بهم، لأنه لم يكن هناك أي شكل للقوة العسكرية إلا المجاهدين والذين أسهموا في تثبيت أركان الدولة وإرساء قواعدها لذلك إعتمدوا على المتطوعين للحرب.

وكان لظهور العثمانيين أثر في تجديد فكرة الجهاد الإسلامي بعد أن انطفأت وتقوقعت فترة طويلة من الزمن، وتراجعت على أثر تلك الفتوحات الإسلامية، ومرت بحالة ركود، فقيض الله الدولة العثمانية لحمل راية الجهاد، ضد أعداء الإسلام وعلى رأسهم الدولة البيزنطية، التي كانت حدودها متاخمة للعثمانيين في أسيا الصغرى، ثم ظهرت الدول الأوربية وأعلنت عداءها للدولة العثمانية، كما كان لظهور البرتغاليين في البحر الأحمر ومحاولتهم إحتلال الأماكن المقدسة الإسلامية ومحاولة الدولة الصفوية نشر المذهب الشيعي دور في ظهور حركة الجهاد العثمانية.

هذا الوضع حتم عليهم الجهاد ضد أعداء الإسلام والمسلمين، وهنا تظهر على الساحة حقيقة مهمة فرضت نفسها عليهم إذ كانوا يندفعون بكل قوة في سبيل الجهاد الإسلامي، ولم تكن حياة الدعة والرفاهية والقصور قد نالت منهم

بعد، فحماسهم الديني كان مشتعلاً وضوءه وهاج لم يخبو بعد.(١)

ولقد تمكن العثمانيون من تحقيق هذا الهدف بفضل الله ثم بفضل تطبيقهم للنظرة الإسلامية والتي تجعل بلاد الكفر هي دار الحرب وبلاد المسلمين هي دار السلام، وبهذه النظرة خاضوا حروب كثيرة لنشر الإسلام، وعلى هذا فإننا نجد ان الدولة العثمانية بقيت على الدوام دولة محاربة وجهادية.(٢)

وهكذا تبرز أهمية القوة العسكرية ودورها البارز في الفتوحات، فقد حظي الجيش بمكانة عالية الأهمية في حياة الدولة العثمانية، كانت وسيلتهم في الحرب والحكم معاً، ويرى أحد المؤرخين أن الدولة العثمانية كانت عبارة عن جيش قبل أي شيء آخر، وأعتمد في رأيه هذا على أن كبار موظفين الدولة أنفسهم كانوا قادة الجيش (٣).

وحقيقة الأمر أن الدولة العثمانية كانت دولة إسلامية قبل كل شيء، ولكنها استخدمت القوة العسكرية لمقاومة أعداء الإسلام من البيزنطيين المجاورين لها في الفترة المبكرة، من جهة الحدود الغربية وأستمرت فتوحاتها في مناطق أوروبا على مر السنين.

ولا يمكن أن يفسر أحداً أن الدولة العثمانية أعتمدت على القوة العسكرية

---

(١) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ١٩٩١م، ص٢٣.

(٢) سيد مصطفى: الإصلاح العثماني في ق ١٨م نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية، تحقيق خالد زيادة، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م، ص١٠.

(٣) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩ هـ / ١٩٨٩م، ص٢٣.

كمحرك أول للفتوحات وإقامة الدولة، ولاسيما وأن الجيش العثماني كان على مستوى من الكفاءة الحربية والمقدرة كفرسان بارعين يمتلكون الجرأة والشجاعة التي قد تصل بهم في بعض الأحيان إلى حد التهور، ولكن كان المحرك الأول للفتوحات هو الجهاد الإسلامي ونشر الإسلام في أصقاع جديدة.

والعثمانيون عندما قدموا إلى أسيا الصغرى كانت سمات البداوة من أصالة وشجاعة تظهر عليهم، يجاهدون تحت راية واحدة وهي راية أميرهم، وعند إنتهاء المعركة يدخلون ساحة القتال ويجمعون الغنائم ويقتسمونها، وإذا انتهت الحرب عادوا إلى شؤونهم.(١)

ويصف أحد مؤرخي الدولة العثمانية أنها نشأت في بادئ أمرها كإمارة غزاة، وشغلها الشاغل هو الغزو العسكري و ذلك للتوسع الإقليمي، وكان الطابع العسكري من خصائصها الرئيسية.(٢)

ولكن يبدو من الواضح أن الدولة العثمانية في نشأتها كانت إمارة إسلامية عملت على نشر الإسلام في البلاد المفتوحة وبناء المساجد، وإتخذت سياسة التسامح الديني حتى لا تفرض إعتناق الإسلام على الأهالي، من الجائز أن يكون التوسع هو أحد أهداف الدولة ولكنه لم يكن الشغل الشاغل أو أولى أهدافها، ومن المعروف أن الدولة إذا غلب عليها الطابع العسكري، أنتهت بسرعة، لأن العقلية العسكرية تفشل في حكم دولة واسعة الأطراف. وهذا ما حدث للدولة العثمانية في نهاية عهدها وليس منذ نشأتها.

---

(١) خلف دبلان الوذيناني: الدولة العثمانية والغزو الفكري، د.ط، رسالة دكتوراه مطبوعة،مكة المكرمة: مكتبة أم القرى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٩٠.انظر جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، مجلة الهلال، العدد الثامن، السنة السابعة عشر، ١٩٠٩م / ١٣٢٦هـ، ص ٤٥٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧١،٤٧٢.

وكانت الفتوحات العثمانية نتيجة طبيعية، لأنها أمتلكت مجاهدين فرسان في وقت أفتقدت فيه الدول المعاصرة للجيوش المنظمة[١]. لقد اتخذت الدولة العثمانية أسلوب الفتوحات معتمدة على قوتها العسكرية مثل أي دولة إسلامية مرت في التاريخ فلم تأت بنظام أو عرف جديد وإنما سارت على نفس خطوات الدولة الأموية في الفتوحات الإسلامية.

وقد أضاف مؤرخ آخر، أن الدولة العثمانية دولة غزاة، وأن الغزو والفتح هما دستورها،، وأضاف أن الجيش كان الأساس والدولة كانت قاعدة له، والبلاد تسخر لخدمته وحدد أن الجيش كان يقوم بمهمتين: الحرب والحكم، فإن رجال الدولة في نظره يقومون بمناصب الدولة ماعدا القضاء والوظائف الدينية إضافة إلى خوض الحروب. [٢]

وحقيقة الأمر أن الدين الإسلامي كان الأساس والمحرك الأول للفتوحات، وليس الجيش، صحيح أنه لا يمكن إنكار أهمية الجيش في الدولة العثمانية، ولكن هذه الأهمية جاءت لتحقيق الأساس الأول وهو نشر الإسلام.

كما أن البلاد المفتوحة والتي أصبحت تحت الحكم العثماني لم تكن مسخرة للجيش، وإنما كان حكم العثمانيين لها حكماً عادياً مثل حكم الدولة الأموية والدولة والعباسية وغيرها من الدول الإسلامية، وإذا حدثت بعض التجاوزات في الفترات المتأخرة من عهد الدولة العثمانية، فقد كانت من الولاة المحليين ودون علم السلاطين.

أما عن بدايتهم الحقيقية في التاريخ الحديث، فقد ذكر أحد المؤرخين أنه منذ

---

(١) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج١، ص٤٧١.

(٢) عبد الوهاب بكر:الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من ق ١٨م، الطبعة الاولى، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢، ص٥٧.

نيف وستة قرون هاجرت جماعة من حوض نهر الفرات العليا ووجهتهم الجهات الغربية وكان يرافقهم قوة مسلحة قوامها مالا يزيد عن ٤٤٤فارساً بقيادة زعيمهم أرطغرل(*).

وقد قيل بأن هذه القوة كانت عبارة عن جموع مسلحة من المتطوعين الذين كانوا يهرعون على ظهور خيولهم لتلبية دعوة زعـيمهم وإذا أنتهـت الحـرب ووضعت أوزارها تفرقوا أو أنفرط عقد إجتماعهم وأنصرفوا إلى حيث أتوا.[١]

وعندما وضع عثمان الأول (٦٩٩ هـــ - ٧٢٦ هـــ / ١٢٩٩م- ١٣٢٥م) الأساس لدولته الناشئة كانت على أنقاض دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وكان لابد له أن يبحث على من يعاونه في المحاربة والجهاد لبناء دولة إســلامية كبرى، تكون بمثابة حصن يدافع عن الإسلام والمسلمين، وقد جاءت فكرة تجميع المتطوعين الذين يرغبون في الفتح والجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام، جـاءت تلقائية نتيجة لحياة البداوة والتنقل التي كانوا يعيشونها[٢].

وكانت هذه فكرة جديدة فعند ظهور الدولة العثمانية كان أكثر الجند في الدول الأخرى، على شكل مرتزقة ومماليك يباعون ويشترون بالمـال أو المقايضـة أو جنود من أسرى الحروب[٣]، وبما أن السلطان العثماني عثمان الأول كان لا يفضل الإعتماد على الجنود المرتزقة لنشر الإسلام، فقد اعتمد على أبناء قبيلة آل عثمان الذين يتجمعون للحرب ثم ينصرفون لقضاء شؤونهم مثل سائر القبائل كما أشـير

(*) معناه الرجل السليم القلب. لمزيد من المعلومات مؤلف مجهول: تاريخ الأتراك العثمـانيين، ترجمة حسين لبيب، د. ط، القاهرة: مطبعة الواعظ، د. ت، ج١، ص٣-١٠.

(١) مرجع سابق، ص ٣-١٠.

(٢) خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص٩٠.

(٣) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص٤٥٧.

إلى ذلك سابقاً.

وقد كانت أكثر العساكر في عهد السلطان عثمان الأول من فرسان التركمان، الذين كانوا من البدو ليس لهم خبرة في الضبط والربط العسكري ولا الإنتظام في القتال[١]، ولم يكونوا جنوداً منتظمة تحمل السلاح بشكل مستمر وإنما كانوا يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم[٢].

وكان الرجال من أبناء قبيلة آل عثمان "قابي خان" كلهم قادرون على الحرب وحمل السلاح حتى أن النساء كن يساعدن الرجال في المعارك كجميع القبائل البدوية الآخرى[٣]، وكان السلطان عثمان يحارب على رأس الفرسان التركمان والذين يمتشقون حسام المعركة فإذا انتصروا تفرقوا بعد أخذ الغنيمة وعادوا لأشغالهم المعتادة[٤]. كما أنهم لم يلتزموا برداء معين أو لباس خاص ذا طراز محدد لهم ولكنهم يرتدون ما يرغبون به. [٥]

وعلى هذا النحو فالجيش الذي كونه عثمان لم يأخذ صفة الجيش النظامي الذي تعتمد عليه الدول وقت الحاجة، وإنما كان أفراده يتجمعون وقت الإعلان عن الحرب عند إنتشار المنادين بين قوات العشائر الأخرى[٦]، فيجتمع آلاف

---

(١) أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، د.ط، طرابلس: مكتبة الفرجاني، د.ت، ص٣٣٣.

(٢) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص٤٥٧.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني – أسباب إنحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، د.ط، د.م، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م، ص ١٢٤،١٢٥.

(٤) حبيب السيوفي: الإنكشارية في الدولة العثمانية، د.ط، بيروت: صيدا مطبعة الرحابنية، ١٩٤٠م، ص١٣.

(٥) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص٤٥٧.

(٦) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تعريب صالح السعداوي، د.ط، إستانبول، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٨١.

المجاهدين من مختلف المناطق المجاورة ومن القبائل التركية راغبين في المشاركة في الجهاد متلهفين عليه(١).

وقد أطلق عليها اسم المرابطين في الحدود " مجاهدي النفير"(*) وكان يطلق عليهم أهل النفرة وهم الذين يستجيبون لنداء الجهاد إمتثالاً لقوله تعالى ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾(**) وهم في حقيقتهم ليسوا جيشاً نظامياً وإنما مئات من فرسان عشيرته ومن المجاهدين وأمراء الروم وجنودهم الذين دخلوا الإسلام بعد الفتوحات العثمانية، وعندما يطُلق النفير بقوله "حي على الجهاد". تتوافد عليه الأعداد الكثيرة من كل حدبٍ وصوب، فإذا وضعت الحرب أوزارها عاد المجاهدون إلى قراهم ومن حيث أتوا في إنتظار دعوة أخرى.(٢)

هؤلاء أتبعوا عثمان كظله في الغزوات طمعاً في الأجر والثواب وفي الأجرة أي الغنيمة(٣).

لقد كانوا فرساناً مجاهدين رحل قضوا عمرهم على ظهور الخيل متنقلين من معركة إلى أخرى، وطالما أن العمر يمضي بالمجاهد وهو ممتطي خيله، فإن أغلب إجتماعاتهم كانت تعقد وهم على ظهور الخيل يتبادلون خلالها الآراء والقرارات الشفهية، وهم على ظهور الخيل فرقة مدججة بالسلاح، وكان بنو عثمان يشكلون

---

(١) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: قيام الدولة العثمانية، الطبعة الأول، مكة المكرمة: النهضة الحديثة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، ص ٢٨،٢٩.

(*) ويطلق عليهم بالتركية Akincilar أي المندفعون. أنظر خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص٩٠.

(**) سورة التوبة آية ٤١.

(٢) خلف الوذيناني:مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٢٥.

أمة عسكرية يطلق على الواحد منهم " الألبي" الفارس المجاهـد" وكـان يحمـل السيف (*) معه دائماً. هم بهذه الصفات ساروا على خطى العرب في حب الخيل وإعزازه(١). وإستخدامه كوسيلة أولى للتنقل والمجاهدة.

وكان هؤلاء المجاهدون يطلق عليهم أكنجي (**) و كـانوا يتـدربون علـى الحركات العسكرية تدريباً جيدا، كما أنهم اشتهروا بحسن إنتظامهم في الصفوف، وكانوا إذا سار فرسانهم كونوا صفاً واحداً مثل الحائط، وإذا أراد عثمان الحـرب بعث المنادين في القرى والبلاد ليجتمع شمل المجاهدين في معسكر الأميـر، وإذا أراد عثمان الحرب سراً بعث للمنادي سراً لـدعوة مـن يريـد الإشـتراك فـي الجهاد(٢).

وكان المجاهدون يبدأون خططهم العسكرية بفتح الأراضي المستوية بسرعة، ثم فتح القرى، التي تليها ثم ينشـؤون الأبـراج الصـغيرة حـول القـلاع ثـم يحاصرونها حتى تضطر إلى الإستسلام، وبهذا نجحوا في فتح كثير من المدن مثل إزنيق وإزميد، وبورصة تلك المدينة التي استغرق فتحها عشر سنوات(٣).

وفاجأ العثمانيون البيزنطيين بهذا الأسلوب البارع وأثبتوا تفوقهم على القوات البيزنطية لأنهم وقفوا مدافعين عن أراضيهم مجاهدين في سبيل الله، وكانوا فـي

(*) كانوا يحملون السيوف التي يعتزون بها، ولا تستطيع تمييز واحد على الآخر لأنهم جميعـاً أطلق إسم السيفية على نفسه. أنظرعلى سلطان: مرجع سابق، ص٢٤.

(١) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٤.

(**) في بعض الكتب والمصادر أطلق عليها أقنجي بالقاف، معناها "الفرسان الخفاف" دائـرة المعارف الإسلامية، ج٥، ص١١١.

(٢) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص٤٥٧. أنظر خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص٩٠.

(٣) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص٣٨١.

هجومهم لا يستغرقون وقتاً في تحضير الهجوم، مما أربك الجيش البيزنطي، الذي كان يستخدم أسلوبه المعتاد في ممارسة خطة عسكرية منظمة يسير عليها القائد والجند من بعده، وكانوا فرساناً يحاربون على ظهور خيولهم بخفة وسرعة كالبرق، وإذا انتصروا ربحوا كل الغنيمة، وإذا أنهزموا لم يخسروا شيئاً لأنهم لا يحملون معهم شيء،، ولا يمتلكون في أرض المعركة إلا الخيل، وكان شعارهم "ليس هناك خط دفاعي بل سطح دفاعي" وهذا يدل على أنهم كانوا يهجمون بشكل أفقي، وكانت هجماتهم متواصلة صيفاً وشتاءً، مما أربك أعدائهم البيزنطيين. وكانوا يأخذون الأسرى ويضمون البلاد والممتلكات(١).

وبهذا التنظيم الفني الجيد بالنسبة للإمكانيات المتوفرة لديهم فإن هذه القوة الإسلامية الناشئة استطاعت الوصول إلى أهدافها وتمكنت من إرباك البيزنطيين وإدخال الفزع على قلوبهم من هذه القوة الإسلامية الناشئة.

وهذا يدحض أراء المستشرقين القائلة بأن هذه القوة الأولى كانت تفتقر لمعنى التنظيم الفني وأن العثمانيين لا يفقهون فيه شيء، فهذا يثبت أنهم استطاعوا التفوق على البيزنطيين الذين يدعون العراقة في فن الحرب ولكن جيشهم في الواقع يتألف من جنود منحلين متفسخين، معروف عنهم الهروب من أرض المعركة(٢). ويدحض أيضاً من يقول بأن كل عثماني مُجنّد في الجيش العثماني كان يُنسب إلى أحد شيوخ الطرق الصوفية وإلى أحد التكايا(*)(٣) . بهدف

---

(١) علي سلطان: المرجع السابق، ص٢٧.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون وحضارتهم، الطبعة ١٢، بيروت: دار العلم، ١٩٩٣، ص٤١٠.

(*) لم يرد ذكر هذا الرأي في كثير من المراجع ولكن إن ذكرت في بعضها فهذا يدل على تغلغل الفكر الصوفي في المنطقة وليس هم من ابتدعه كما يصور بعض المؤرخين.

(٣) يلمازاوزتونا، مصدر سابق، ج١، ص٨٨.

التقليل من شأن الجنود العثمانيين وحماسهم وشجاعتهم الإسـلامية. ويـدحض أيضاً من يقول بأن الدولة العثمانية استعانت في فتوحاتها بجماعات الدراويش.[١] إذ أن الدولة العثمانية حرصت على أخذ مشورة العلماء وشيوخ الإسلام في كـل أمورها.

ومع هذه الإنتصارات وهذه النجاحات المتتالية ومع استمرار حركـة الفـتح الإسلامي ومجابهة العثمانيين مع البيزنطيين، فقد طفت على السطح فكرة ضرورة وجود قوة مشاة قادرة على حرب الحصون. وذلك لأن حرب الحصـون المنيعـة كانت تتطلب مقدرة عسكرية غير التي كانت تتمتع بها هذه القوة البدوية، وظهرت الحاجة أمس ما تكون إلى إنشاء جيش مشاة[٢].

ومع مرور الزمن أصبح إنشاء "قوة المشاة" أمـراً ضـرورياً لأن القـوات المؤقتة لا تأتي إلى الحروب إلا في وقت محدد ولا تتحمل القيام بعمليات حصـار طويلة، فأصبح تأسيس قوة المشاة أمر لابد منه.[٣] وعلى سـبيل المثـال فقـد استغرق حصار "بورصة" عشر سنوات لعدم وجود قوة المشاة بينما لو كانت هذه القوة الدائمة متوفرة لما استغرق فتحها تلك المدة الطويلة.[٤] أضف إلـى هـذا وذاك أن استمرار القتال بهذه الفئة القليلة قد يؤدي إلى فنائها وتضاءلها، وهـي أصلها من قبيلة الأتراك العثمانية.[٥]

---

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص٣٨١.

(٢) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤١٤.

(٣) أكمل الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص٣٨١.

(٤) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولة عثمانية، الطبعة الأولى، إستانبول: معارف نظارات جليلة، مطبعة سي، ١٣٠٩هـ، مجلد ١، ص ٦٥. علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٧.

(٥) أميرة مداح: نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف: دار الحارثي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص١٩.

كما أن الإحتكاك بالأوربيين قد أوجد هذه الضرورة، إذ أن الأوروبيين قد تعلموا من حروبهم الطويلة في العصور الوسطى ألواناً من التنظيمات التي أوجدتها تجاربهم العسكرية. (١)

وأخيراً فإن هناك نقطة مهمة وهي أن الوقت الذي تتجمع فيه هذه القوة يستغرق مدة طويلة مما يؤدي إلى ضياع الفرصة في فتح المدن، ويُمكِّن العدو من تنظيم صفوفه وتعزيز مواقعه. كما أن بقاء المحاربين مع قبائلهم يجعلهم أكثر إرتباطاً بها مما يؤدي إلى إنفصام عرى الوحدة العثمانية بين الجند، والتي تسعى الدولة العثمانية جاهدة لتحقيقها.(٢) وبما أن الهدف من الفتوحات العثمانية كان الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام، خاصة وأن تهديد الدولة البيزنطية للمسلمين قد زاد، فكان لابد من اتخاذ موقف صارم، وإذا ما أضيف صعوبة تجميع المحاربين، كل هذه الأمور شغلت بال السلطان أورخان وجعلته يفكر ملياً في طرح الحلول، (٣) هذا بالإضافة إلى أن أورخان كان يعرف أنه لا يمكن لدولة إسلامية تطبق النظم الإسلامية، أن يكون جيشها من المرتزقة (*)، لأن هذا لا يحقق معنى الجهاد، ولهذا فكر في التجميع الإختياري (**). فهذا يدل على أنه نظام موجود قديماً أو على الأقل نظام أتبعته أي دولة سابقاً. (٤)

---

(١) أحمد شلبي: موسوعة ا لتاريخ الإسلامي، الطبعة الثامنة، القاهرة: مكتبة دار النهضة المصرية، ١٩٩٠م، ج٥، ص٨٤٩.

(٢) خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) مرجع السابق، ص ٩١.

(*) المرتزقة: جنود بالأجرة، يقاتلون لمن يدفع أكثر، ولا يقاتلون لمبدأ أو عقيدة دينية.

(**) فكرة الجهاد الإسلامي السائدة منذ بدء الدولة العثمانية كانت تتم عن طريق المناداة للجهاد الإسلامي وينضم كل من يكون قادر على حمل السلاح.

(٤) أميرة مداح: مرجع سابق، ص ١٩.

ومن خلال هذا العرض يتضح أن الجهاد الإسلامي أوجد الحاجة إلى تكــوين جيش من قبائل التركمان للفتح و نشر الإسلام.

هذه الأسباب جميعاً اجتمعت لتخرج للسلطان أورخان وأخيه علاء الـدين(*) فكرة ضرورة إنشاء قوة مشاة، لأن أورخان عندما ورث السلطنةعن والده عثمان كان يعتمد على الفرسان التركمان الذين كونوا نواة الجندية أي فرقــة الخيالــة، ولكن بحس أورخان الحربي أدرك ضرورة إنشاء قوة المشاة لكي يستطيع مــن خلالها فتح القلاع والحصون والأسوار المنيعة التي أشتهرت بــها بلاد البلقــان بشكل خاص.[١]

ولأن أورخان وقع على عاتقه مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين ونشر الإسلام، فقد حفل عهده بعدة تنظيمات، خاصة في الجيش حيث وضع نظاماً خاصاً لــه [٢] ساعده على ذلك أخوه علاء الدين الذي وضع نظاماً خاصاً للجيــوش العثمانيــة، حيث جعــلها بشكل دائم[٣] وقد رأى هذا الأخير أن يؤكد إنتصــارات العثمــانيين القادمة بإنشاء فرقة مشاة مأجورة أطلق عليها اسم (بيــادة) وكــانوا يســكنون

(*) إن الأمير علاء الدين هو الأخ الأكبر للسلطان أورخان، ولكنه تنازل عــن الحكــم لأخيــه الأصغر، وهذا يعتبر ظاهرة نادرة وفريدة في التاريخ، ليس على المستوى الإسلامي بــل على المستوي العالمي، لأن هذا يدل على أنه فضل مصــلحة الســلطنة الناشــئة علــى مصلحته الشخصية، لقد وجد أن أخيه أفضل في قيادة الدولة فتنازل عــن طيــب خــاطر لأخية، بل وأعانه على الحكم.

(١) محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، الطبعة الأولى، بيروت: دار بيروت المحروسة، ١٤١٥هــ / ١٩٩٥م، ص٢٥.

(٢) عاصم تاريخي: عاصم باشا، ص٣٤. أميرة مداح: ص١٩.

(٣) مخطوط باضيه حاصر ليان: مبدأ قانون يكيجري أو جاغي تــاريخي، ترجمــة أيــدن أوك سوزي، ورقة أ ٥، محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٢٢.

الثكنات العسكرية في إستعداد دائم للحرب، وقسمت إلى عشرات ومئات وألوف، وعلى رأس كل فرقة من فئة الألف ضابط عظيم الشأن ومن فئة المائة ضابط أقل منه شاناً وللفرقة العشرة زعيم صغير وأصبحت فرقة عظيمة الشأن(١) وفي بعض الأحيان تكون الوحدة أصغر من عشرة أشخاص(٢)، وأطلقوا على ضباطهم أسماء تركية، حيث أنه في الدولة العباسية أطلق عليهم اسم "عريف" في حين أنه في الدولة العثمانية سمي "أونباشي" أي رئيس العشرة، ورئيس المئة سمي "يوزباشي" وكان عند العباسيين" نقيب" أما رئيس الألف فسمي "بكباشي" وكان إسمه "قائد"(٣). وكان جيش المشاة في بادئ الامر من الأتراك أنفسهم، ثم بدأت تدخل عناصر أخرى، أدت إلى تحزب كل عنصر لأخيه مما أدى إلى فشل هذا النظام كما سنرى(٤) ومن الواضح هنا أنهم اعتمدوا في جيشهم على القبيلة التركية نفسها وتنظيمه حسب الطريقة السائدة في الجيوش الإسلامية. كما أنه أصبح لهم زي عسكري خاص بهم(*) تعلوه زركشة استمدوا طريقة حياكته من زي القبيلة الأصلي. (٥)

وقد خصصت لهؤلاء أماكن خاصة بهم، يقيمون فيها على استعداد تام

---

(١) حسين لبيب:تاريخ الأتراك العثمانيين، ص١٠، انظر أميره مداح: مرجع سابق، ص١٩.

(٢) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، د.ط، القاهرة، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م، ص١٧.

(٣) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص٤٦٥.

(٤) محمد كمال الدسوقي: مرجع سابق، ص١٧.

(*) كان الجيش الوحيد المنظم الذي له زي مميز هو جيش الرومان، حيث يرتدي ملابس حمراء، أثناء الحرب. انظر محمود شوكت: التشيكلات و الأزياء العسكرية العثمانية، ترجمة يوسف نعيسه، محمود عامر، الطبعة الأولى، دمشق: دار طلاس، ١٩٨٨، ص٦٧.

(٥) مرجع سابق، ص٦٨.

للحرب، وخصص لكل فرد منهم راتباً يومياً قدره ربع درهم من الفضة، ويعتبر مثل هذا المبلغ في ذلك الزمن الغابر كبير جداً بالنسبة لرخص الأسعار وقتها[١]. وهو ما يعادل أقجة يومياً طوال أيام الحملة حتى يؤمنوا من الإقطاعات جنود المشاه[٢]، كما أنهم كانوا يعفون من ضريبة الزراعة عند عودتهم إلى أراضيهم، ويحصلون على أجور أيام الحرب، وقد سميت فرقة المشاة هذه بـ "اليايا" [*][٣] وهذه الوحدة كانت مقصورة على الأناضول فقط[٤].

وقد خصص خُمس الغنائم للإنفاق على هذا الجيش، وكان لا يجتمع إلا وقت إعلان الحرب. [٥] ويتصف هؤلاء بالخشونة، وكانوا رجالاً أشداء، ولهم إحساس غريب بعيداً عن الإحساس بالجندية، حيث كانوا يرون لأنفسهم الحق في أن يصبحوا سادة[٦]، وبدأوا إظهار أنهم لا يستطيعون البقاء مشاة. وأخذوا في التمرد[٧]، كما أنهم لا ينقادون بسهولة وكان صعباً إبعاده في فتوحات بعيده عن إقطاعاتهم، خوفاً من تمردهم على السلطان، فكان طبيعي أن يفكر السلاطين في

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣، راجع أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م، ص٧٥.

(٢) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص١٧.

(*)بالتركية بيادة. انظر دائرة المعارف الاسلامية، ص٤٦٥.

(٣) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٧.

(٤) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠م، ص٧٧.

(٥) أميره مداح: مرجع سابق، ص١٩.

(٦) أحمد شلبي: مرجع سابق، ص٨٤٩.

(٧) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٧.

استبدالهم متى سنحت الفرصة لذلك.[١] وبهذا قوي شأنها وزاد طغيانها وأصبحت موضع قلق السلطان أورخان وخـوفه[٢].

وهذا لا يدل على فشل العثمانيين في تكوين جيش مشاة نظامي، وإنما يـدل على قلة خبرة العثمانيين في مجال المشاة، حيث كانت خبـرتهم منصـبة علـى الخيالة، وفشلت تجربة أورخان في تحويل الفارس التركي إلى جندي مشاة، أضف إلى ذلك أن تكتل كل فرقة في الجند لقبائلها أدى إلى إنفراط عقد التحـالف الـذي كان يسعى إليه أورخان دائماً، كما أدى إلى وجود تناحر بين الجند وتحزبت كـل فئة إلى قبيلتها التي تنتسب لها فتجزأ الجيش، كما أن الحرب ضـد البيـزنطيين كانت تتطلب وجود جيش دائم وجاهز[٣]، مما جعل فكرة القضاء علـيهم يشـكل خطراً ونقصاً في عدد المحاربين[٤].

كما أنهم تمادوا في مطالبهم المالية، وغالوا في مزاعمهم مما جعل أورخـان يفكر جدياً في الاستغناء عنهم وإحلال غيرهم ممن يسهل قيادتهم، و لهـم فائـدة أكثر[٥] خاصة وأن هذا التنظيم لم يصمد للتجارب[٦].

وبدأت فرقة المشاة في التراجع، وأثبتوا مع مرور الزمن عـدم جـدارتهم، فكان لابد من التحول إلى فكرة جديدة وهي إنشاء الإنكشارية.

ولا شك أن القبائل التركمانية وهم البدو الرحل الذين جاءوا من أقصى شرق

---

(١) ساطع الحصري:مرجع سابق، ص٧٧.

(٢) حسين لبيب: مرجع سابق، ج١، ص١٠، ١١.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥. انظر محمد فريد المحـامي: مصـدر سـابق، ص١٢٢.

(٤) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٧.

(٥) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٣.

(٦) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤١.

أسيا الوسطى إلى أسيا الصغرى والأناضول هم من قام بالفتوحات الأولى ونشر بذور الإسلام هناك، وأكملوا ما كان يقوم به السلاجقة قبلهم، وقد علمتهم حياة البداوة والترحال والشدة فنون القتال، ولم يكن جل غايتهم من الفتوحات السلب والنهب، كما ذكر المستشرقون المغرضون(١)، لأن السلب والنهب من دون سبب هو صفة قطاع الطرق والعصابات، ولكن الجدير بالذكر أن هؤلاء المحاربون كانوا يطبقون ما نصت عليه الشريعة الإسلامية في توزيع الغنائم بعد إنتصارهم، وبذلك يختلفون عن الأوربيين الذين تجاهلتهم أقلام المستشرقين إذ كانوا يحرقون المدن تماماً بعد إحتلالها ويقومون بسرقة أهلها ويستبيحوا نساءها.(٢)

أما عن كلمة "إقطاع" فقد تحدث المؤرخون عن ذلك وأولوه إهتمامهم فهاهو المستشرق هاملتون جب يورد قوله " أن نظام الإقطاع قد أصطنعه العثمانيون منذ ظهورهم على ساحة التاريخ، وذلك لتأمين مورد ثابت للجيوش يغنيهم عن إنشاء جيش نظامي دائم، ويوفر لهم النفقات، وجاء بشكل مطابق لما في أوروبا" (*)،

---

(١) هاملتون جب هارولد بون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة عبد المجيد حسين القيسي، الطبعة الأولى، دمشق: دار المدني، ١٩٩٧م، ج١، القسم الأول، ص١٠٢.

(٢) مرجع السابق، ص١٠٢.

(*) في أوربا نظام الإقطاع منح المحاربين جزءً من المقاطعات الزراعية مقابل الإلتزام بأن يكونوا دوماً على إستعداد للسير إلى الحرب متى يدعون إليها، لا بأشخاصهم فحسب بل وأن يتولوا أيضاً إعداد عدد من الفرسان والمحاربين من أتباعهم يتناسب عددهم ومساحة الإقطاع الممنوح لكل منهم وأن يجهزوهم بكل ما يحتاجون إليه من خيل وسلاح وكان هذا النظام الإقطاعي يقوم في أساسه على الملتزم أي صاحب الإقطاع والفلاحين الساكنين في الأرض يقوم الفلاحون بزراعة الأرض وحصادها ويدفعون لأصحاب الإقطاع ما يكفل لهم مورداً من العيش على شكل حصص عينية من المحاصيل الزراعية أو على شكل رسوم وأعشار. للاستزادة عن النظام الإقطاعي في الدولة العثمانية الرجوع إلى محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، مرجع سابق: ص٩.

كما صنفه إلى ثلاثة أصناف " الخاص- الزعامة- التيمار ". وأن العثمانيين سمحوا في وقت متأخر بأن لا يذهب أصحاب الإقطاع للحروب ويكتفوا بدفع المال ولكنه عاد فأوضح أن شروط الخدمة لم تكن واحدة للجميع بل كان بعضهم مفروض عليه الإلتحاق بالجيش(١).

ولكن الفتوحات الأولى تمت على يد المجاهدين المتحمسين لنشر الإسلام، ولقد سبق التنويه إلى أن القبائل التركمانية أخذت على عاتقها أمر الفتوحات الإسلاميةلكنهم فئة قليلة ستفنى مع إستمرار القتال، مما اضطر السلاطين إلى إنشاء جيش المشاه، وبعد فترة من الزمن بدأوا في إقطاعهم جزء من الأراضي في مقابل الخدمة العسكرية، وهذا يدل على أن جيش "المشاه" جاء بعد فترة من نشوء الدولة وليس من بداية ظهورها كما أدعى هاملتون، كما أنه لم يكن يشبه في محتواه إقطاع أوروبا المليء بالعبيد الذين يعملون بالسخرة، إذ أن صاحب الإقطاع يخرج بنفسه للحرب، وكان هذا أحد أسباب ضعفهم وتقاعسهم عن الخروج للحروب في فترة متأخرة من إنشاء جيش المشاه في عهد أورخان، لذا لا يمكن مقارنة نظام الإقطاع في الدولة العثمانية بالإقطاع الأوروبي، لأن الإقطاع في الدولة العثمانية كان يخضع للدين الإسلامي وأحكامه وليس لتسلط صاحب الإقطاع وجبروته وهذا يناقض آراء المستشرقين، فإذا كان أصحاب الإقطاع يدربوا فرساناً ليرسلوهم إلى الحرب بدلاً عنهم، فلما يريدوا الرجوع من المعارك بسرعة من أجل أراضيهم(٢).

وهكذا نجد أن الجهاد الإسلامي للدولة العثمانية كان يتطلب أفكار متطورة بالنسبة للجيش، والدولة العثمانية أخذت على عاتقها مسئولية نشر الإسلام، مما يجعل الدولة في أمس الحاجة إلى جيش حاضر ومستعد للحرب، وفتح المدن،

---

(١) هاملتون جب: مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٢) مرجع سابق، ص ٩٢.

فكانت بداية الجيوش في الفترة المتقدمة من تاريخ الدولة العثمانية هي الأرضية الصلبة التي مهدت لظهور جيش فريد غريب من نوعه في التكوين وهو جـيش الإنكشاريه، الذي حول العثمانيين إلى دولة قوية، وحول الجيش من النظام القبلي، إلى النظام الحربي المنظم.

المبحث الثاني
تأسيس الإنكشارية

لقد وقع على عاتق الدولة العثمانية منذ نشأتها، نشر الإسلام والقيام بالفتوحات الإسلامية، وحمل راية الجهاد، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، بدأ العثمانيون ممارسة سياسة عسكرية قائمة على الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام، والقيام بفتوحات أدت إلى جذب القبائل التركمانية للإشتراك في الفتوحات والحصول على الغنائم، ولكن بعد مرور فترة من الزمن، أثبتت القبائل التركمانية عدم جدواها في الحروب والفتوحات التي كانت آخذتٌ في التزايد، وعلى هذا كان لابد من التفكير في إنشاء فرقة قوية تستطع خوض غمار المعارك.

لقد كان الطابع العسكري من خصائص الدولة العثمانية [(١)]، حيث أشتهر الأتراك بأنهم فرسان بارعون جريئون إلى حد التهور، على الرغم من أنهم أثبتوا قوتهم على المرتزقة البيزنطيه في ميدان القتال، إلا أن حرب الحصون والمراكز المنيعة تتطلب مقدرات عسكرية أخرى، والحق أن الحاجة كانت أمس ما تكون إلى إنشاء جيش من المشاة، ولقد عمل السلطان أورخان بادئ الأمر على تأليف ذلك الجيش من الأتراك أنفسهم، على غرار الجيوش الفارسية في ذلك الوقت، وقد كانوا من أصحاب الإقطاعات العسكرية أصلاً، فكانت الدولة تدفع للمنتخبين منهم أقجة[(*)] واحدة كل يوم طوال

---

(١) عبد الوهاب بكر: المرجع السابق،ص٥٧- ٥٨.

(*) أقجة: تعني لغةً الضارب إلى البياض، وأصلها مغولية معناها نقد أبيض وهي قطعة صغيرة من الفضة ضربت لأول مرة في عهد أورخان عام ٧٢٩هـ وتزن أربعة جرامات=

أيام الحملة.[١]

كما لاحظ الأمير علاء الدين أخو السلطان أورخان الأول وساعده الأيمن في إدارة السلطنة، لاحظ تحزب كل فئة من هذا الجيش للقبيلة التي ينسب إليها، ولذلك تم حل هذه القوة بعد وقت قصير وبدأ التفكير في تنظيم جند أخر لا خوف من تحزبه لعشيرته على أن يكون غريباً عن الرعية لا يمت لهم بصله.[٢] ويكون الهدف الرئيسي من وراء تشكيل هذا الجيش هو مواصلة الجهاد ضد البيزنطين، وفتح المزيد من أراضيهم، والفتح في البلقان لنشر الإسلام في تلك البقاع، والإستفادة من البيزنطيين الذين يدخلون في الإسلام، وذلك لنشر الدين الإسلامي في مجتمعهم بعد أن يكونوا قد تلقوا تربية إسلامية خاصة.

وباشر أورخان إنشاء هذا الجيش في عام ٧٣١ هـ /١٣٣٠م إلا أن تنظيمه لم يكتمل إلا في عهد السلطان محمد الثاني ثم في عهد السلطان سليمان القانوني. [٣]ومن ثم كانت الدولة العثمانية أول دوله عرفها التاريخ الحديث أقامت جيشاً عظيما [٤] منظماً حسن التدريب ميسور النفقة من المشاه والخياله، [٥] في فترة كانت الدولة في طور النشأة، وفي عهد الفتوحات التي هيئات حصول هذه الفرقة الجديدة على خير الغذاء والملبس والهدايا

= تقريبا، ولم تضرب بعد عام ١٢٣٤هـ. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د.ط، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص٢٠.

(١) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤١٠. أنظر دائراة المعارف الإسلامية: ج ٥، ص١١١

(٢) مخطوط متن باضيه حاصرليان: مبدأ قانون يكبجري أوجاغي تاريخي، ورقة أ ٥. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٢٥- ١٢٦.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٦.

(٤) حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، د. ط، القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٢١م، ص٢١-٢٢

(٥) المرجع السابق، ص١٠

والعطايا،[1] وقد سبقت بذلك الدولة العثمانية بقرن من الزمان شارل السابع ملك فرنسا الذي أنشأ أول فرقة من الجنود المنظمة عرفتها أوروبا في التاريخ الحديث.[2] وقبل إنشاء فرقة الرماة بالسهام ببريطانيا، والذين سادوا بطريقة ونظام في جمع أفراد هذه الفرقة بشكل مختلف عن سابقيه، حتى جاء نظام الجنود الإنكشارية بشكل لا نظير له في التاريخ [3].

وعلى آية حال فقد أستطاع العثمانيون عن طريق هذا الجيش أن يحققوا الفتوحات الواسعة التي قاموا بها، في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وفي القرون التي تلته.[4] حيث اعتمدوا عليه في تلك الفتوحات وفي الصمود أمام التحالفات الأوروبية التي واجهتهم.[5] وبفضل الله ثم هؤلاء انتصرت الدولة العثمانية على فرسان أوروبا وأحرزت أعظم إنتصاراتها وخطت أمجادها التاريخية[6] وبذلك احتلت الإنكشارية مركزاً ممتازاً بين فرق الجيش العثماني.

وحقيقة الأمر أن السلطان أورخان الغازي ورث عن والده دولة ليست لها قوانين أو عملة، أو حدود واضحة ويحيط بها جيران أقوي منها. وكان عليه أن يقيم دولة راسخة الأقدام، والتوسع على حساب جيرانه، وتحويل اتباعه إلى أمة، فألتفت أورخان في بداية حكمه إلى سن القوانين، وإحداث التنظيمات الضرورية لحماية إمارته وأدرك أن الأعباء الملقاه على إمارتهُ الصغيرة أكبر من إمكانياتها خاصة بعد أن أضحت الدولة البيزنطية تنظر إليها بعين الخوف، ولهذا عني أولاً

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٥٠.

(٢) حسين لبيب: تاريخ المسأله الشرقية، ص١٠

(٣) دائرة المعارف الإسلامية:ج ٥، ص١١١

(٤) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج إ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

(٥) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٤٨– ٢٤٩

(٦) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص١٥.

بإعادة تنظيم الجيش.[١]

وكان أورخان قد قرأ كتاب لنظام الملك الوزير السلجوقي وهو سفر نامه وهو كتاب في فن الحكم، وتجاربه، والأنظمة والدواوين، وقد وضع نظام الملك تفصيلاً عن الطريقة المثالية لإيجاد قوة محاربة، إذ أشار إلى اختيار عدد من الأولاد في سن مبكرة، وتقوم الدولة بتعليمهم والعناية بهم، وتعليمهم الإسلام وفنون الحرب واللغات والتاريخ والمنطق، وهكذا بدأ أورخان في البحث عن مصادر جديدة للقوة المحاربة [٢].

وقد استحسن هو وأخيه علاء الدين [*] هذا النظام وشرعوا في إنشاء جيش نظامي من المشاة يسمى الإنكشارية.[٣]

وقد رأى أورخان أن يستفيد من أسرى الحرب في المعارك الدائرة على حدود العالم المسيحي، ثم تطور الأمر وصارت تقدم الأسر المسيحية أبنائها لإلحاقهم بهذه القوة الجديدة مستفيداً من خمس الغنائم التي يحصل عليها السلطان كحق شرعي له في الإنفاق على هذا الجيش.

وبدأ أورخان منذ عام ٧٣١ هـ/ ١٣٣٠م في تكوين الجيش النظامي الجديد

---

(١) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولة عثمانية، ج١، ص ٧٠، محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٤، ٢٥. خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص٨٢. أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مرجع سابق، ص٣٨.

(٢) عبد الرحمن شرف: المصدر السابق، ج١، ص٧٢، أميرة مداح: مرجع سابق، ص٢٠.

(*) تعزو الروايات المتداولة أن التشريع العثماني الأول، وتنظيم الجيش إلى الأمير علاء الدين. الذي كان رجل سلام، أعتزل العالم، وهو في سن الصبا، ولم يشترك في قتال قط،رفض إقتسام أراضي عثمان، ثم عينه أورخان صدراً أعظم، ولقبه بالباشا، وقام بسن القوانين، وتنظيم الجيش، أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق، ص٣٨.

(٣) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٤٧م، ص٣٥.

" يني جري أو يكي جري " الذي عرف محرفاً بالإنكشارية.(١)

ولأن الدولة العثمانية دولة إسلامية منذ نشـأتها فقـد ارتبطـت بـالطرف الصوفيه(*) كمظهر إسلامي، لذلك صحب أورخان الأطفال في نفـس اليـوم إلـى الشيخ بكتاش(**) صاحب الطريقة المشهورة البكتاشية التي كانت منتشـره فـي المنطقة أنذاك وطلب منه أن يبارك الجيش الجديد، فأعطى كل واحد منهم قطعـة من طرف عباءته فعلقها الضابط على روؤسهم تبركاً بها، فكانوا ينسـبوا قطـع اللباد الموجودة في أغطية روؤسهم إلى القصة السابقة. (٢)

---

(١) على سلطان: مرجع سابق، ص٢٧- ٢٨.

(*) يؤخذ على الدولة العثمانية أنها آزرت الطرق الصوفية منذ نشأتها، فقد أولـتهم برعايـة وبالمال وجعلت فرقة في الجيش تابعه لهـم، وأنتسـب السـلاطين للطـرق الصـوفية. وانتشرت في البلقان مثل المولويه والنقشبندية والبكتاشيه والرفاعية. أنظر الصفصـافي أحمد المرسي: الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الداره، العدد ٤، السنه ٨، رجب ١٤٠٣ هـ إبريل ١٩٨٣م، ص٧٢.

(**) ولد الحاج بكتاش في نيسابور سنة ٦٤٥ هـ، وفي سنه ٦٨٠ هـ، أشار عليه الشـيخ أحمد يسوي بالتوجة إلى الأناضول، وسـافر إليها واستقر بمكـان بالـقرب مـن قبـر شهـير وتـوفي في ٧٣٨ هـ في حين تشير الرواية الأخرى أنه كان رجلاً مـن خرسان في بلاد فارس عاش في منتصف ق ١٤ م وكان لديه كرامات، كما أنه كان ولـي من أولياء الله، أغدق بركاته على الإنكشارية. أنظر الصفصافي أحمـد مرسـي: مرجـع سابق، ص٥٦. انظر إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحـار، د.ط، القـاهرة، ١٩٤٦م، ج٢، ص٦٧٩.انظر دائرة المعارف الإسلامية: ج٢٧، ص٤٦٧، ٤٦٨. كما أن حاجي بكتاش عُرف بإسم سيد محمد أفندي في زمن السلطان أورخان ولكن خلفاء الحـاج بكتاش أدخلوا في الشريعة ما ليس منها. مـحمد عبد اللطيـف البحـراوي: مرجـع سابق، ص٥١.

(٢) عاشق زاده: تواريخ آل عثمان، إستانبول، د. ط، ١٣٣٢هـ، ص٢٠٤ – ٢٠٦، محمـد عبد اللطيف البحراوي، من خصائص تاريخ العثمانين، مجلة الداره، العدد ٤ السنة ١٣ =

وقال " سيدعى هؤلاء الجنود يني شري فيكون وجههم أبيض بهياً، وساعدهم مريعاً قوياً، وسيوفهم مؤسلة ماضية. فالنصر يلازمهم في الحروب التي يخوضونها، ولا يرجعون أبداً من ساحة القتال إلا وراية الظفر معقودة لهم ".(١) وبعد هذه المقابلة بدأوا يلبسون قلنوسة من اللباد الأبيض كالتي كان يلبسها الشيخ بكتاش، مضافاً إليها من الخلف قطعة قماش تدلى خلفهم، تذكاراً من الشيخ، وكانوا يعلقون بطرفها ملعقة خشب، ومنذ تلك الزيارة أتبعوا الطريقة البكتاشه حتى أن قائدهم الأعلى كان شيخ تلك الطريقة.(٢) وعلى عكس تلك الرواية هناك فريق من المؤرخين والباحثين يتشككون في صحتها، بل ينفونها نفياً باتاً تأسياً على أن الحاج بكتاش كان قد جاز إلى ربه قبل إنشاء أو جاق الإنكشارية بقرن من الزمان. (٣)

على أية حال ترى الدراسة أن الإنكشارية أرتبطت إرتباطاً ويثقاً منذ نشأتها بالطريقة البكتاشيه سواء كانت قصة مقابلة الشيخ بكتاش بهولاء الأطفال صحيحة أم لا، فإن إرتباطهم جاء مبكراً جداً، والدليل على ذلك أن جميع حركات العصيان

= رجب ١٤٠٨هـ فبراير ١٩٨٨م، ص٢٠٤، محمد عبداللطيف البحراوي: مرجع سابق، ص٥١.، زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص٣٤، عرفان كوندوز: الدولة العثمانية والتصوف، د. ط، إستانبول، ١٩٨٤م، ص١٣٣، أحمد جودت: تاريخ جودت: بيروت، ١٣٠٨هـ، ج١، ص ٣٩. أنظر أحمد زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الصادر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج٢، ص١٢٠.

(١) محمد جميل بيهم، فلسفه التاريخ العثماني، ص١٢٥- ١٢٦. أنظر حبيب السيوفي، مرجع سابق ص٤، ٥. حسين لبيب: تاريخ الأتراك العثمانيين، ج١، ص١١، ١٢.

(٢) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج٢، ص٤٨٨، ٤٩١. أنظر ايضاً محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٦، ٢٧

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٦، ٢٧

التي كانت تقوم بها الإنكشارية نجد أن شيوخ البكتاشية كانوا يساندونهم فيها، وفي بعض الأحيان يشتركوا معهم، كما أننا نجد أنه في أعقاب القضاء على الإنكشارية، يأمر السلطان محمود الثاني بإلغاء هذه الطريقة وإغلاق تكاياها.

وقد كان الإنكشاريون ملتصقون إلتصاقاً قوياً بالطريقة البكتاشية وعلى اتصال وثيق بهم، ويظهرون نحو شيوخها طاعة تامة وصلت إلى حد الولاء العميق، ولذلك كان يطلق على الإنكشارية أحياناً "عسكري بكتاشية " أي أبناء الحاج بكتاش، والواقع أن الأهمية السياسة التي اكتسبتها الطريقة البكتاشية إنما يرجع إلى أرتباطها الوثيق بالإنكشارية الذين كانوا ينظرون إلى شيوخ هذه الطريقة بمثابة أئمة لهم(١).

ومن ثم نجد أن الإنكشارية قد انضموا تحت الطريقة البكتاشية، ويقال أن الأورطة العثمانية قد أعترف بإرتباطها بالبكتاشية رسمياً عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م، وكان عدد الشيوخ ثمانية ممن سكنوا ثكنات الإنكشارية. وارتبط الطرفان بعلاقات شخصية حميمة متبادلة. (٢)

نظام الدوشرمة:

بعد أن أنتقل الأتراك إلى الأراضي الأوروبية، وتضاعفت فتوحاتهم في منطقة الروملي زادت حاجتهم إلى الجنود، فاتجهوا لأجل هذا إلى الإستفادة من أسرى الحرب بموجب قانون عرف بإسم " ينجيك قانوني " أي قانون الخُمس الذي يحتمل أنه صدر عام ٧٦٥هـ /١٣٦٣م. فكان ينص على أن تحصل الدولة على خُمس أسرى الحرب حسب الشريعة الإسلامية. وكان يجري في البداية إلحاقهم بأوجاق

---

(١) عاشق باشا زاده: مصدر سابق، ص٢٠٤، ٢٥٠. عبد العزيز الشاوي: ج ١، مرجع سابق، ص٤٨٠، ٤٨١ :أنظر دائرة المعارف الإسلامية:ج٧، ص٤٧٠.

(٢) على سلطان: مرجع سابق، ١٦٧.

الإنكشارية بعد مرحلة تدريب قصيرة، فلما رأوا بعض المحاذير في ذلك قرروا أن يسلم هؤلاء الفتيان من أسرى الحرب للأسر التركية في الأناضول، بذلك يمكن للأسرى أن يعملوا بالزراعة لقاء أجر زهيد، ويتعلموا في الوقت ذاته العادات والتقاليد الإسلامية والتركية، وكانوا يتلقون التعليم العسكري الأساسي في أوجاق العجمية الذي ينتقلون له حيث يتم تحويلهم إلى أوجاق الإنكشارية - وهو ما سأتحدث عنه فيما بعد - الذي تشكل في غاليبولي على أيام السلطان مراد الأول. [١]

وهذه كانت أول وسيلة للحصول على الأطفال المسيحيين، كما كانت هناك وسائل أخرى منها الهدايا أو شرائهم من النخاسين وهم تجار الرقيق والجواري[٢] غير أنه كانت أهم وسيلة هي جمع الأطفال الذين فقدوا أهلهم في الحروب وتعليمهم الدين الإسلامي.

بعد أن ينتهوا من جمع الأطفال يجري تنظيمهم في قوافل يتراوح عدد أفرادها بين مائه إلى مائتي غلام، ثم يتم فحصهم لأخر مره، قبل إرسالهم إلى المركز، وبعد ذلك تُجري لهم عملية الختان - على إعتبار أنهم أصلاً من المسيحيين ثم يؤُخذ البعض منهم لأجل السراي. [٣] ثم يربوا تربية إسلامية عسكرية وفكرية، ويعتنقوا الإسلام، ويتعلموا اللغة التركية، ويعيشون في ثكنات خاصة بهم، لا يختلطوا بالمجتمع، وإنما وهبوا أنفسهم للدفاع عن الدين الإسلامي والسلطان. [٤]

---

(١) تاريخ أبو الفاروق: تاريخ عثمانيد ٥، ج١، ص٧١، أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ج١، ص٨٢ .

(٢) عمر عبد العزيز عمر: محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، د.ط، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص٣٧، ٣٨.

(٣) أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ج١، ص٣٨٣.

(٤) عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث، د. ط، القاهرة: دار الفكر =

كذلك يتم تدريبهم على الفنون الحربية فهم ليس لديهم عملاً غير الجندية، ولا دين غير الإسلام، كانوا في غاية الطاعة والثبات في المعارك. [١] وهكذا نجد أن أورخان أنشأ جيشاً أعتمد فيه على أبناء النصارى الذين لا أهل لهم، وتنشئتهم على الإسلام. [٢] وقد أخذ أورخان يشجع تحويل الرعايا المسيحيين إلى رعايا عثمانيين مسلمين. [٣]

وقد إتبع أورخان في ذلك المبدأ الإسلامي " لا إكراه في الدين ". وقد دُرّبوا هؤلاء الغلمان تدريباً جسمانياً وعقلياً حتى تظهر مواهبهم، ثم قسموا إلى قسمين:

القسم الأول:

يختارون من تظهر عليه علامات الذكاء والفطنة، ويطلق عليهم " أوج أوغلان " وهؤلاء يرحلوا[٤] لينشأوا في دور الحجاب الأربع، في أدرنه، وفي بيره. وكانوا يصنفون أصنافاً خمسة.[٥] ومن الصنف الخامس كان يؤخذ المرشحون إلى سراي القصر، ويدُربون في مدرسة يتخرج منهم مرشحون يتولون أعلى مناصب الدولة، فيصلون إلى مناصب الوزراء والصدور العظام،

= العربي، ١٤١٩ هـ /١٩٩٨م ص٦٣. أحمد جودت، ورقه ٩.

(١) جورجي زيدان: مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الهلال، إبريل ١٩٩٧م، ص٦٥.

(٢) زين العابدين شمس الدين نجم: الوظائف العسكرية والتشكيلات القتالية في العهد المملوكي والعهد العثماني، ص٢٩.

(٣) محمد عبداللطيف البحراوي: من خصائص تاريخ العثمانين، ص٢٠٤.

(٤) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م، ص٧٧. أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص٥٨.

(٥) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤٦٥.

وكانوا جميعاً يدربون تدريباً إنسانياً رغم صرامتهِ، وكانت الغاية من تلك الصرامة خلق رجال شجعانا أكفاء، وكان سليمان القانوني ٩٢٦هـ - ٩٧٤هـ / ١٥٢٠م - ١٥٦٦م نفسه يتفقد أطفال مدرسة القصر ليلاً ليطمئن على أحوالهم.(١)

القسم الثاني:

إرسال باقي الأطفال لينضموا إلى أوجاق العجمية لمدة سبعة أو ثمانية أعوام كخطوة مبدئية لينتقلوا بعدها إلى أوجاق الإنكشارية، أو إلى أحد الفرق الأخرى، حيث يتم تسجيل أسماء وأوصاف الأطفال الداخلين إليه في دفتر يقال له كوتوك أي "السجل" وهي عملية يطلقون عليها اصطلاح " قيويه جيقمه " أو " نذركاه " أي الخروج إلى الباب أو التخرج. وعندئذ تزاد لهم الرواتب، وأستمر أوجاق العجمية يقوم بهذه الوظيفة حتى عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م(٢) وهنا يجدر الحديث عن الغلمان الأعاجم.

ويراد بالغلمان الأعاجم الصبيان الذين يقيمون في الثكنات للتمرن على الحركات العسكرية استعدادا للدخول في الوجاقات وكانوا على زمن أورخان ألف غلام من النصارى، ثم أخذ السلاطين يستكثرون منهم، ويبنون لهم الثكنات، أو القلاع لإقامتهم. وكان لهم في إختيارهم شروط من جملتها أن يكونوا صحاح الأبدان والعقول فلا عجب إذ تألف منهم جند كاد يفتح أوروبا، ويكتسح العالم المسيحي.

---

(١) محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، الطبعة الأولى، جده: مؤسسة شباب الجامعه، ١٩٩٩م، ص١٩٩.

(٢) أكمل الدين إحسان الدين أوغلي: مصدر سابق،ج١، ص٣٨٤. أنظر أحمد جودت: تاريخ جودت، تحقيق:عبد اللطيف محمد الحميد، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص١٧١، ١٧٢. أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول "BOA" تصنيف مهمة دفتري رقم ٧/ص٣١٢.

ويجمع أولئك الغلمان من خمُس السلطان في الغنائم، ولهم ديوان تقيد فيه أسماؤهم، ومدارس يتعلمون فيها الحركات العسكرية، وأساتذة يعلمونهم كل ما يلزم للجنديه، وهؤلاء غير الذين كانوا ينتظمون في الجندية الإنكشارية. كانوا يقومون أيضاً بأعمال أخرى مثل الإشتغال بالنجاره لإصطناع السفن، ولهم ثكنات خاصه بذلك. ومنهم فئة قليلة يلحقون بأغا(*) الإنكشارية لخدمته في الحلاقة وغيرها، ويسيرون وراءه إذا مشى في المدينة، والذين يعرفون التركية منهم كانوا يلحقونهم بالقصر السلطاني للخدمة في المطابخ.

هذا يدل على مدى القوة التي وصل إليها أغا الإنكشارية، والمكانه التي أحتلها في الدولة العثمانية، حتى أنه كان يجعل الجند الصغار يسرون خلفه.

وكانت أول ثكنة للإنكشارية في أدرنه، ثم زاد هذا العدد في إستانبول وكان أكبر ضباط في أوجاق العجمية يسمى غاليبولي وكان ينقسم الأوجاق إلى ثمانية بلوكات " المشاة – يايا " يترأس كل واحد منها ضابط يعرف بإسم " بلوكباشي"، ويضم الأوجاق أربعمائة جندي، ولم تلبث أهمية هذه الأوجاق أن تضاءلت بعد فتح القسطنطينية أواسط القرن الخامس عشر الميلادي وتحويلها إلى إستانبول،إذ جرى فيها تشكيل أوجاق جديد للعجمية أكبر وأكثر نظاماً. أما المشاة الذين يُعرفون باسم"جماعت" الجماعة،وينقسمون إلى مئة وواحد بلوك. (١)

(*) عند مازاد الإعتماد على الإنكشارية، زاد نفوذ الأغا وتمركز في العاصمة، وصار مسؤولاً عن تعيين أغا حامية الإنكشارية في مركز كل ولاية. وهذه الحامية تقيم في القلعة ووظيفتها حراسة أبواب المدينة وأسوارها، وفي بعض الأحيان الإشتراك في حملات الوالي المحلية أو حملات السلطان على الجهات الرئيسية. أنظر الصفصافي أحمد المرسي: الدولة العثمانية والولايات العربية، ص٨١.

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول (BOA) تصنيف مهمة دفتري رقم ٧/ ص ٣١٢ رقم ٢٦/ ص ٩١ . أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ص٣٨٣، عاشق زادة: تواريخ آل عثمان، ص١٢٠-١٦٠.

هذا عن الغلمان الأعاجم، أما الإنكشارية فكانت تدريباتهم تختلف ونظـامهم مختلف:

فعلي النسق المتبع في الجيوش العثمانية، فإن جنود الإنكشارية كانوا يدربون على الولاء والإنضباط الكامل، وكانت قواتهم تسكن في ثكنات خاصة بهم، وحسب نظام دقيق فيما بينهم، ويجري الحفاظ على الحماس الديني لديهم. (١)

وحسب الأنظمة التي وضعها السلطان سليمان القانوني كانت هذه الثكنـات، في العاصمة وهى مما كانت تضم فيلقاً مكوناً من مائة ألف إنكشـاري يعملـون بشكل دائم على التدريب وعلى الفنون العسكرية. (٢)

وقد كان قائد الفوج رقم أربعة وخمسون هو الذي يترأس هـذه التـدريبات بصفته رئيس التدريب العسكري، وفي أوقات التدريب، فإن رئيس كتاب الفوج مع ستة مأمورين يحضرون التدريبات، التي تشارك فيها أربعة طوابير دفعة واحـدة، والمكان المخصص لذلك يعرف بإسم ساغرديم محله، ومكانه خارج طوب قـابي التي هي إحدى بوابات المدينة القديمة. ويتدربوا في كل سنة من الرابع من مايو إلى أول نوفمبر، حيث يتدربوا على استخدام البنادق مرتين في الأسبوع، مره في سعد آباد " حقل المياه العذبة " ومرة في ساغرديم محله. وفي الشتاء أيضاً يجب أن يستغلوا كل الأيام المشرقة ليكونوا في أماكن التدريب، وهكذا يكونـوا دائمـاً عاكفين على العمل والدولة هي التي تؤمن البارود والرصاص لهم.

هذه القوانين المتعلقة بالتدريب تسري على كل الإنكشاريين الموجودين فـي المقاطعات أيضا، ولـيس في العاصمة فـقط، فجميـع الإنكشـارية خاضـعون

---

(١) الصفصافي أحمد المرسي: إستانبول عبق التاريخ، ص٥٦

(٢) محمود رئيف أفندي: التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تعريب خالد زياده، د.ط.د.م، ص٤٠

للتجنيد.[١]وكانوا على ثلاثة أنواع:

النوع الأول:

جـــنود الخدمة الفعلية أو الإشكندجي (Eschkindjis)

النوع الثاني:

الأفراد المسجلون للإنخراط بهذا الجيش، ليملأوا الفراغ فيه عند الضــرورة، أي في زمن الحرب، بينما يتابعون في الاوقات العاديـــة أعمـــالهم ومهـــنهم، ولا يقبضوا أجرهم إلا عن الفترة التي ينخرطون خلالها في الجيش، وكان عدد هؤلاء يربو عن المائة والخمسين ألف رجل.

النوع الثالث :

هم العثمانيون، على إختلافهم، وكان عددهم كبيراً، وكان هؤلاء يفتخرون بأن ينتسبوا إلى هذا الجيش العريق في دولتهم، فيحملون إسم الإنكشاري ويلبســون زيه، ويسمون المرشحون" Tessracdjis ".[٢]

أما عن قوانين الإنكشارية، فهي تتلخص في الآتي:

١) الطاعة العمياء لقوادهم، وضباطهم، أو من ينوب عنهم.

٢) تبادل الإتحاد بين الفرق، كأنها فرقة واحده، وتكون مساكنها متقاربه.

٣) التجافي عن كل ما لا يليق بالجندي الباسل من الإسراف، أو الانغماس فــي الملذات مع التعود على روح البساطة في كل شئ.

---

(١) محمود رئيف أفندي: مرجع سابق، ص ٤١، ٤٢.

(٢) ياسين سويد: التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين الإمارة المعنينيــه ١٥١٦م – ١٦٩٧م، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسســه العربيــة للدراســات، ١٩٨٠م، ص٩٣.

٤) الإخلاص في الإنتماء إلى الحاج بكتاش، من حيث الطريقة مع القيام بفروض الإسلام.
٥) إن الحكم عليهم بالإعدام ينفذ بشكل خاص – سيأتي الحديث عنه فيما بعد.
٦) يكون الترقي في المراتب حسب الأقدمية.
٧) لا يجوز أن يوبخ الإنكشارية، ولا يعاقبهم غير ضباطهم.
٨) إذا عجز أحدهم عن العمل يحال على المعاش.
٩) لا يجوز لهم أن يتزوجوا.
١٠) لا يجوز لهم إطالة لحاهم.
١١) لا يجوز لهم الابتعاد عن ثكناتهم.
١٢) لا يجوز لهم أن يتعاطوا عملاً غير الجنديه.
١٣) يقضون أوقاتهم بالرياضة البدنية والتمرين على الحركات العسكرية.[١]

وإذا تدبرنا هذه القوانين وعلمنا مدى الأعمال العظيمة التي قام بها هؤلاء الجند من فتوح عظيمه لمصلحة الدولة العثمانية.[٢] [*]

---

(١) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٥٩.
(٢) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٦٠.
(*) يروي أن السلطان سليم أحتاج في اثناء فتوحه بين حلب ومصر إلى المال، فأقترض دفتر داره مبلغ ٦٠,٠٠٠ ريال من أحد التجار اليهود ريثما تصل الحملة ومعها النقود. فلما وصلت بعث الدفتردار إلى التاجر أن يأتي لقبض المال فأتي الرجل، وقال له أنه يريد أن يتخلى عن المال مقابل ادخال إبنه في جند الإنكشارية فرفع الدفتر دار الأمر إلى السلطان سليم. فأكبر السلطان ذلك وبالغ في توبيخ الدفتردار حتى أنه قال له " لو لا أن يقول الناس أن السلطان سليماً قتل تاجراً طمعاً في ماله لأمرت بقتلك وقتل كل اليهود حفاظاً على قدسية وخصوصية الإنكشارية وأمر بدفع المال إلى صاحبه، على أن لا يعود لهذا مرة أخرى، فلا يتجاسر غريباً على الدخول في الإنكشارية إلا ونصيبه القتل ". أنظر =

أما عن تقسيمات الإنكشارية: كان الجيش الإنكشاري يسمى أوجاق وكانت الترقية تحدث بحصول الإنكشارية على الرتبة الأعلى بعد رتبتهُ بشكل عام [١] وأوجاق معناها موقد النار [٢]، وكان مؤلفا من أربعة أنواع من الفرق تتألف كل منها من عدد من الوحدات التي تدعى أورطة، وهي الوحدة الأساسية في هذه الفرق جميعها، ويتراوح عددها بين مائة وخمسمائة رجل، أي بين سرية وكتيبة من خمسمائة رجل، ولم يكن عدد الأورطة موحداً بين مختلف الفرق في الجيش الإنكشاري كما كانت هذه الوحدات موزعة بين العاصمه إستابنول، والأقاليم، ومواقع الحدود.[٣]

وقد كان يوجد في عصر السلطان سليمان القانوني مائة وخمسة وستين أورطة، وكل أورطة من تلك الأورط تتولى تربية الغلمان وتنشأهم حتى يتخرج منهم الضباط، وكان هؤلاء الضباط تحت مسئولية أو إشراف أحد أغوات الإنكشارية، أو أحد القادة الباشوات.[٤]

ويلي الأورطة من حيث الأهمية ما يلي:

= جورجي زيدان، تاريخ الجند العثماني، ص٤٥٩ وقد أكد هذا الأخير أن سليم قتل اليهودي برغم أنه في الرواية أكد سليم أنه لن يقتل اليهودي وأنه أعاد له المال. راجع سليمان قوجسه باش: التدخل الأجنبي في الثورات العثمانية، د. ط، إستانبول، ١٩٩٣م، ص١٢.

(١) Abdulkadir Rzcan: fatin'in Tes kilat kanunnamesi ve Nizam –1 Alem icin kade s Katli meselesi , istanul 1973. TD. s, 33.31

(٢) على سلطان: مرجع سابق، ص١٦٩.

(٣) ياسين سويد: مرجع سابق ج ١، ص٩١-٩٢. أنظر عبد الكريم رافق، مرجع سابق، ص٤٨.

(٤) ألبرت هويرلبير: إدارة الإمبراطورية العثمانية في عهد القانوني، الطبعة الأولى، إستانبول: دار نشر سورج، ١٩٨٧م، ص٩٥. أنظر محمد أنيس: مرجع سابق، ص٧٧.

١) السكمان أو السكبات وهي تعني خادم الكلاب، أو حارسها، وسموا كذلك لأنهم كانوا يقودون الكلاب أمام أمرائهم عند مسيرهم للصيد، وقد كانت بلوكات السكبانية مستقلة في البداية، ثم ألحقت بأوجاق الإنكشارية في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي – سوف يتم الحديث عنها فيما بعد –

٢) أبناء الأعاجم، وهم الذين سبق الحديث عنهم.[١]

٣) المشاة "يايا"وكانوا يعرفون بإسم "الجماعة" وكانت موزعة بين العاصمة أستانبول،ومواقع الحدود.[٢]

أهم الرتب والوظائف في الجيش الإنكشاري:

١ - أغا(*) الإنكشارية:

"يني جري أغاسي"هو القائد الأعلى للجيش الإنكشاري بإعتباره أعلى ضباط هذا الجيش رتبه. [٣] وكان للواء الإنكشارية ضباط آخرين ذوي رتب عالية، مثل السكبان باشي وكتخدا العبيد ورئيس فرقة الألغام، وكاتب الإنكشارية وكان يطلق على هؤلاء الضباط قديماً أغوات القطار ثم أطلُق عليهم بعد ذلك أغوات الإنكشارية.[٤]

وأغا الإنكشارية يعد شخصية بارزه في الدولة العثمانية والقصر السلطاني،

---

(١) مخطوط متن باضيه حاصر ليان: مبدأ قانون بكيجري، ورقة ٢٥، ٢٦، انظر ص٤١.
ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩١، ٩٢.

(٢) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص٣٨٤.

(*) الأغا:– صار معناها الرجل الذي تم إخصاءه بعملية جراحية وهو طفل صغير.

(٣) مخطوط متن باضيه حاصرليان: ورقة ٢٥، ٢٦. شمس الدين سامي: قاموس مادة يكجري، ص ١٥٥١، ١٥٥٢ ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٤٨٢.

(٤) عبد الرحمن شرف، مصدر سابق، ج١، ص ٣٠٠.

وكانت القوات التي تحت قيادته تعد من أهم الفرق فهي سلاح المشاة ودائماً تحت تصرف السلطان، كما أنه بحكم منصبه ومكانته شغل وظيفتين أخرتيين، هما: رئيس قوات الشرطة في العاصمة أستانبول، وعضوية مجلس الدولة وإن كانت مثل هذه العضوية لا تعد وظيفة بالمعنى العام[١]

وأغا الإنكشارية هو الشخص الوحيد الأمر الناهي لجنود الإنكشارية وهو يعد بمثابة قائد القوات البرية، وللأغا مكانة خاصة في القصر السلطاني، حيث له محلاً مخصوص وباب وديوان يجتمع فيه وينظر في كل الأمور العسكرية، ومن هنا جاءت خطورة هذا المنصب، فقد كان يمتلك إمتيازات خاصة وصلاحيات جسيمة منها تحديد مقدار وعدد الجنود الموجودين في القلاع والأماكن الإستراتيجية. [٢].

وعلى هذا الأساس كان لهم تأثير مباشر على الإنكشارية، فقد حرضوهم في اغلب تمرداتهم، مستندين على صلاحياتهم الواسعة على الإنكشارية خاصة وعلى السلطان والدولة عامة وبعد فساد الإنكشارية، أصبحوا المتحكمين في كل الأمور.

وكان يجري إختيار أغا الإنكشارية للتعين في هذا المنصب من قبل السلطان مباشرة ويختاروا من ضباط الأوجاق حتى القرن العاشر الهجري، أوائل القرن السادس عشر الميلادي ويجري تنصيبه في القصر السلطاني ويكسى خلعة الأغا[٣]، أما بعد عودة السلطان سليم الأول من حملة إيران، فقد تغير نظام إختيار أغوات الإنكشارية فكان يجري إختياره من بين رؤساء السكبانية بوجه عام، ولما بدأ يشارك رؤساء السكبانية في بعض التمردات شرعت الدولة في تعيين أغا الإنكشارية من بين ضباط السراي أي الجنود السلطانية، وذلك في عهد السلطان

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص ٤٨٢.

(٢) عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج١، ص٣٠٠.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول: وثيقة رقم ١٧٢٣٧ HAT.H.

سليمان القانوني حتى يحد من طغيانهم وجبروتهم،وابتداء من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي حدث تغيير في تعيين أغوات الإنكشارية حيث رُؤى أن يختار من بين الضباط أصحاب رتب وكيل الأغا " قوكتخداسي " والزغارجية، بل ومن بعض السعاة المعروفين بإسم " جوخه دار "، كما كان أغا الإنكشارية في الوقت نفسه كبير ضباط أوجاق العجمية.[١]

والأغاوات أعضاء في ديوان همايوني " مجلس الوزراء " برتبة بكلربك " فريق أول " أي على رتبة وزير، ويمكنهم التكلم والتصويت في الديوان حول الموضوعات التي تهم حاميهم، الجيش والحرب فقط فلا يمكنهم التصويت كالوزراء في كل الموضوعات، كما أنه ينتظر حتى نهاية الاجتماع ليدخل غرفة العرض " عرض أوطه سي " ويعرض على السلطان أمور الأوجاق. أي أن الأغا ناظر من الدرجة الثانية، وأكثر هؤلاء الأغاوات متخرجون من الأندرون[*] مقربون إلى السراي، سياسيون أكثر مما هم عسكريون.[٢] وأغا الإنكشارية فضلاً عن مهامه العسكرية، كان مسؤلاً عن الأمن في قسم كبير من استانبول، وحفظ النظام وحماية الأملاك، ولذلك يبدو وكأن أعماله بعيدة عن اهتمامات القصر السلطاني إلا أنه بصفته الرئيس الأعلى للإنكشارية فقد كان دائم التحريض لأتباعه داخل القصر وكان أتباعه سريعي الإستجابة له. كما كان مسؤلاً أيضاً عن إطفاء الحرائق التي تشب في العاصمة بجانب الصدر الأعظم. وله ديوان يعقد تحت رئاستهِ يشكل مع قادة الإنكشارية، ويعرف بإسم " ديوان الأغا "

---

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق ج ١، ص٣٨٤، أنظر عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق ج ١، ص٤٨٢. أنظر أيضاً عبد الرحمن شرف، مرجع سابق، ج١ ص٣٠١.
أرشيف رئاسة مجلس الوزراء: خط همايوني H.H. وثيقة رقمها ١٥٨٣٧.

(*) الأندرون:- مدرسة القصر السلطاني. عبد العزيز الشناوي: ج١، ص٤٨٢

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢ ، ص٣٩٠.
Eyyub Efendi: Kanunnamesi. I. u. Ktp. Ty. 734. s, 14 a – b.

" أغا ديواني " يناقش فيه أمور الأوجاق ويستمع إلى القضايا المتعلقة به، وإصدار القرارات الخاصة بالحامية مثل أمور العزل والتعيين داخل الأوجاق، أما القضايا التي تختص بكاتب الإنكشارية تتم بعرض طلب منه، والمسائل التي تتجاوز صلاحياته، فكان الأغا يحولها إلى الديوان الهمايوني، وكان له مهمة التجول مرتين أو ثلاثة مرات في الأسبوع صباحاً ومساء ليتفقد حالة الأهالي والطرق، وله حق معاقبة المخالف.(١) وكان الأغاوات يسكنون في قصور كبيرة تسمى " أغا شراي " ويوجهون الحامية من هناك. (٢)

وفي بعض الأحيان يحصل الأغا على رتبة وزير حيث يتم تعيينه على هذه الرتبة من قبل السلطان مباشرة، ويمنح الوزارة ويكسى الخلعة من الباب العالي، ويطلق على الآغا في هذه الحالة إسم " أغاباشي " وكان يقيم في الحي المعروف بإسم " باب الأغا" " أغاقا بيسى " في إستابنول.(٣)

وطبقاً للمراسم السلطانية العثمانية فقد كان الأغا الذي بدرجة وزير يتقدم من تقل رتبته عن وزير، يتقدم أيضاً جميع القادة العسكريين(*) مهما كانت رتبهم خصوصاً في أيام الأعياد، والإحتفالات الرسمية، وكان له مقر خاص في عاصمة الدولة ومكاتب في المناطق التي تتواجد فيها الفرقة، وكان لا يتقدم الآغا القائد للإنكشارية في ميدان القتال. (٤)

---

(١) عبد الرحمن شرف: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠١. يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩١.

(٢) Eyyub Efendi: Kanunnamesi. i. u. ktp. Ty. 734. s, 14 a -b.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة ١٦٤٠٤. أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص٣٨٦.

(*) وكانت الأسبقيه عليه لقادة فرق السباهية وبولوكات السلحدار، لأن هذين السلاحين أقدم عهداً من سلاح الإنكشارية. أنظر عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج١، ص٤٨٢.

(٤) مرجع سابق، ج١، ص٤٨٢.

وأول أغا للإنكشارية مُنح رتبة وزير هو سليمان كنعان أغا باشا في عام ١٠٦٤ هـ/ ١٦٥٣م وبعض الأغاوات أعتلى هذا المقام مرتين، وأعتلاه الواحد منهم عدة مرات، وحصل تسعة وعشرون أغا على مرتبة وزير، ثلاثة منهم ظلّوا في هذا المقام أطول مدة، ما يقارب من ست إلى تسع سنوات، ووصل خمسة وعشرون من الأغوات إلى مراتب الصدور العظام. بعضهم توفي بعضهم أثناء الخدمة، والبعض الآخر استشهد، وأولهم شجاع الدين أغا الذي استشهد في فتح المجر. (١)

وفرض القانون على الشخص الذي يعين أغا للإنكشارية أن يقدم للصدر الأعظم هدايا أو تعرف بإسم " جائزة " كان يتلقاها هو الأخر من ضباط الأوجاق الأخرين، وإذا تدنت مكانة أغا الإنكشارية أو عزل وأخرج من الأوجاق كانت العادة أن يعُين في الغالب أميراً على سنجق قسطموني، أما إذا أستحق الترقية، فهو يتحول إلى " بكلر بكي " أمير الأمراء أو يصبح قائداً للأسطول العثماني " قبطان دريا " وكان عزل الأغا بيد السلطان واستمر ذلك حتى، عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م. ثم اصبح من صلاحيات الصدر الأعظم بعد هذا التاريخ. (٢)

حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي بالتحديد عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م كان أغا الإنكشارية يخرج إلى الحملة مع السلطان " البادشاه " فقط، وإذا كانت قيادة الجيش لدى الصدر الأعظم، يشترك الإنكشارية في الحملة بقيادة سكبانباشي. ويبقى أغا الإنكشارية برفقة السلطان في إستانبول. وبسبب قلة خروج السلاطين إلى الحملات بعد القرن السادس عشر الميلادي أصبح أغاوات

---

(١) يلماز اوزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩١.

(2) Eyyub Efendi: kanunnamisi i.u. ktp. Ty. 734. S,14 a-b . أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق،ج١، ص٣٨٦.

الإنكشارية يشتركون في الحملات مع الصدور العظام.[١]

مما زاد في نفوذ الأغوات بدرجة كبيرة في أعقاب القـرن الحـادي عشـر الهجري على إعتبار أنهم صاروا يختارون من بين رجال القصر وكبار ضـباطة خاصة بعدما زاد نفوذهم داخل القصر بحكم وضعهم.

وفي وقت الحرب كان يلتف حول أغا الإنكشارية مجموعة من الجنود يطلـق على الواحد منهم لفظ شاطر ولهم علماً مخصوصاً بهم ابيض اللـون ويمتطـون جياداً ويتعقبون أغا الإنكشارية بالموسيقى العسكرية، ويصاحبونه عند ذهابه إلى الديوان. [٢]

أما عن لباس أغا الإنكشارية فقد تميز بزي خاص حيث كان زيه الرسمي من المخمل، أو الستان الموشى، ويضع على رأسه غطاء رأس يعرف بإسم " مُجوّزة " أثناء توجهه إلى الديوان، أما في الأيام المعتادة فكان يرتدي معطفاً من الفراء " الشمور" مكسواً بالمخمل الأحمر، ويضع علـى رأسـة عمامـة حمـراء اللـون وبيضاوية الشكل. [٣]

٢ - سكبان باشي:

كان يساعد الأغا في قيادة فرقة السكمان، ويدعى " سكبان باشي " أو سكمان باشي الذي كان بالإضافة إلى وظيفته كمساعد أول للأغا، وكقائد لفرقة السكمان، كان ينوب عن الأغا في قيادة الجيش أثناء الحرب، وفي قيادة العاصمة. [٤]

---

(١) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ٣٩١.

(٢) عبد الرحمن شرف: مرجع سابق،ج١، ص٣٠١.

(٣) Islam Ansiklopea Cilt 14, Ankara 1990 " Yeni Ceri" maddesi. أكمـل الدين إحـسان أوغـلي: مرجع سابق،ج١، ص٣٨٦. لمزيد من المعلومات عن لباس أغا الإنكشارية الرجوع إلى محمود شوكت: مرجع سابق، ص٨٩ - ٩٠.

(٤) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ج١، ص٨٢.

ورئيس السكبانية هو قائد بلوكات السكبان، أي القائمة على تربيـة الكـلاب التي تشكلت في البداية لأجل رحلات الصيد، وهو تابع لأغا الإنكشارية، وصـارت فرقة السكبان تحت إدارة أغا الإنكشارية وصار موقعة الضابط الثاني في أوجـاق الإنكشارية بعد أن جرى إلحاق تلك البلوكات به على ايام السلطان محمد الثـاني الفاتح وكان يصبح السكبان عند الترقية أغا للإنكشارية في الغالب،

أما في حالة خروجه من الأوجاق، فكان يعين أميراً علـى أحـد السـناجق، أوضابطاً من ضباط الفرق. [١]

ويقوم السكبان باشي مقام أغوات الإنكشارية في حالة واحدة فقـط، وهـي الحرب وذلك عندما يكون أغوات الإنكشارية مع الجيش، فيبقوا رؤساء السـكبان في إستانبول قائمون مقام الأغا. [٢]

كان السكبان باشي بدرجة سنجق بل " لواء " وفي حالة ترقيتة يصبح بك على لواء كبير، وبعد القرن السابع عشر الميلادي رقي إلى بكلربك. لقد ظهر من بين السكبان باشي قادة حرب مقتدرين بعضهم شغل فيما بعد منصب الصدارة العظمى، والسكبان باشي يدير الحامية من الناحية العسكرية بصورة مباشرة بسبب كون " أغا الإنكشارية" و " قـول كتخداسـي" - الـذي سـيأتي ذكـره - شخصـيتين سياسيتين[٣].

وقد بدأ يفقد أهميته إبتداءاً من القرن الحادي عشر الهجري السـابع عشـر الميلادي حتى حلّ محله وكيل الأغا. أو وكيل الجند " قول كتخداسي ".[٤]

---

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق،ج١، ص٣٨٦.

(٢) عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج١، ص٣٠٢

(٣) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢ ص٣٩٢.

(٤) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج١، ص٣٨٧

٣ - قول كخيا أو كخيابك نائب الأغا. [(١)]

وهو الرجل الثالث للحامية، ووكيل الجنود أو وكيل الأغا ومعاون لأغا الإنكشارية وخلال بعض الفترات تقدم على سكبان باشي، وأصبح الشخص الثاني، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وهو برتبة لواء، وفي حالة علو شأنه يصبح بكلربك، وكان مسؤلاً عن ثكنات الإنكشارية الموجودة في إستابنول وعن حاميتها، وكذلك عن أمن المدينة. [(٢)]

٤ - يني جري كاتبي "كاتب الإنكشارية": [(٣)]

يطلق عليه بلغة الشعب يني جرى أفند يسى " أفندي الإنكشارية "وهو الرجل الرابع للحامية، لكنه ليس إنكشارياً، وليس عسكرياً " وهو لواء مالي يعينه الصدر الأعظم ويختار عادة من أمناء المخازن السابقين. وميزانية الحامية العظمي والمصروفات والرواتب كلها في عهدة هذا اللواء المالي، أصبح عمله خطيراً بعد أن صارت حامية الإنكشارية وكراً لسوء التصرفات إعتباراً من أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وقد كان تحت إشرافه مائة من الكتبة. [(٤)]

٥- قورنا جيباشي:

هو الرجل الخامس للحامية، وكان في الحقيقة قائد الأورطة " سرية

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول " BOA": تصنيف مهمة دفتري رقم ٢٦/ص٩١. جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٥٨. أنظر جوزجي زيدان: مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٧م، ص٦٦، ٦٧.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق ج٢، ٣٩٢ لمزيد من المعلومات الرجوع محمد شوكت، مرجع سابق، ص٩٥.

(٣) جوزجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٥٩.

(٤) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٢.أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول، تصنيف HAT.H ٤٢٣٨.

الإنكشارية " الثامنه والستين، إلا أن هذه السرية يديرها أحد الرواد نيابة عنه، ويعمل القورنا جيباشى في المقر.[١]

٦- صولا قباشي:

هو الرجل السادس في الحامية، وأحد قواد الخاصة التابعين لشخص السلطان، والصولا قباشي هو قائد سرايا الإنكشارية رقم ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، وكان حملة ألقاب صولاق يرتدون الملابس المزينة بالجواهر، ويرافقون السلطان، ويشتركون في القتال بصورة فعلية، وهؤلاء يجب أن يكونوا ذوي مظهر خارجي أنيق، ومهرة في إستعمال الأسلحة، ومن مهامهم الأساسية في الحروب حماية السلطان والحفاظ على حياته،إذ لم يكن بإمكان أي شخص الإقتراب من السلطان قبل أن يقتل جميع هؤلاء الصولاق،وكان هؤلاء يضعون على رؤوسهم " صور غوج " وهي شارات مزينة بالرياش النادرة، وكان لباس راس الصولاق كذلك مزيناً بهذه الشارات " صول " يسار، " صولات " معنى أعسر، وقد سُمّوا بهذا الاسم لتمكنهم من إستعمال السلاح بأيديهم اليسرى.[٢]

٧- سمونجي باشي: هو قائد الأورطة نمرة ٧١.[٣]

٨- زغرجي باشي: قائد الأورطة نمرة ٦٤. [٤] ضمن أورطات [*] الجماعة، وتأتي

---

(١) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٢.

(٢) مصدر سابق: ج٢ ص٣٩٣.

(٣) جوزجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٦٠. أنظر هاملتون جب: مرجع سابق، ص٣٨٧

(٤) زغار: هو كلب الصيد الخفيف الحركة، وكان هؤلاء الزغارجية، مكلفين بتربية هذا النوع من الكلاب والحفاظ عليها، لمزيد من التفاصيل شمس الدين سامي: قاموس تركي، د.ط، إستانبول مطبعة سي، ١٣١٧هـ، ٦٦٨. جورجي زيدان: مصر العثمانية، ص٦٧.

(*) لمزيد من التفاصيل: أنظر شمس الدين سامي: المصدر السابق، ص٦٨٥.

درجته بعد وكيل الجند، وقد تشكلت تلك الأورطة لتربية كلاب الصيد، واستمر وجودها حتى بعد أن تترك السلاطين هذه الرياضة.[١] كما وجد رئيس الصكسونجيه. [*][٢]

٩- **محضر أغا:** وهو المقدم الثالث للحامية، ويعمل في الخدمة المباشرة للصدر الأعظم مع ٦٠ إنكشاري يسمون " محضر" وهو العسكري الحارس "حرس" له، وفي الوقت نفسه ينفذ أوامره[٣] وكانت وظيفة المحضر الأساسية هي تولي عملية الإرتباط بين الباب العالي والأوجاق. [٤]

١٠- **خصكي أوبا شخاصكي:** وهو قائد الوحدات الرابعة عشرة والتاسعة والأربعين المؤلفة من جنود الحرس السلطاني الذين يسمون "خاصكي"[٥] وكان ينوب عن الأغا في القيادة على الحدود[٦].

١١- **باشجاويش «الباش تشاووش»:** وهو قائد الأورطة الخامسة، ورئيس مجموع التشاووشات المكلفين بنقل الأوامر، والذي يحل في نهاية الأمر محل الكيتخدابك والمهزر أغا، الذي هو أيضاً قائد إحدى وحدات الأغا، كما أنه الوسيط ما بين الأغا والديوان السلطاني [٧].

---

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج ١، ص٣٨٧.

(*) هكسون نوع من الكلاب المستخدمة في القبض على المجرمين، وهؤلاء الصكسونجية كانوا يقومون على تربيتها ورعايتها.

(٢) شمس الدين سامي: المصدر السابق، ص٨٢٩.

(٣) يلمازا وزتونا: مصدر سابق ج٢، ص٣٩٣، ٣٩٤.

(٤) أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ص٣٨٨

(٥) شمس الدين سامي: مصدر سابق، ص٥٦٨ هاملتون جب: مرجع سابق، ص٢٨٩.

(٦) جورجي زيدان: تاريخ الجندالعثماني، ص٤٩٩.

(٧) هاملتون جب: مرجع سابق، ص٢٨٩.

١٢- **كخيابري**:وهو ينوب عن الأوجاق لدى الإغا. [١] وهو معاون قول كتخـدا، وعندما يعلو شأنه يصبح محـــضر باشي [٢]

١٣- **ديوه جيباشي**:ويسمى كذلك " باشا ديـوه جـي " أي الجمـال الأول. [٣] ويسمى بالفارسية " سرشتربان " وقد كان رئيساً ل ٢٥ أورطة يقومـون بنقـل حاجيات الإنكشارية من أسلحة وذخيرة ومؤنة بالجمال إلى المناطق التي سيتوجه لها الإنكشارية. [4]

١٤- **باشيا ياجي**:وهو قائد السرية ١٠١، وكان يشرف علـى معامـل البنـادق الخاصة بالحامية.

١٥- **عسى باشي**: قائد الانضباط للحامية، ورئيس الشرطة العسكرية.

١٦- **بيك باشي**:قائد جماعة " البيـك " وهـم جنـود الخاصـة للبادشـاه أي السلطان.

١٧- **باشبولوكباشي**:قائد سرايا الإنكشارية الخيالة.

١٨- **زميركجيباشي: أوزنيركجي باشي**:وهو قائد سـرية الزمبركجـي ال ٨٢، والزمبرك عبارة عن مدفع هاون صغير يحمل على البغال. [٥] وأفراد هذه السرية جميعاً من ضباط الأوجاق من الدرجة الثانية، وكان يعين أمام الأوجاق مـن بين

---

(١) جورجي زيدان: مصر العثمانية، ص٦٧.

(٢)يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٤.

(٣) أكمل الدين إحسان: أو غلي: مرجع سابق، ص٣٨٨.

(٤) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٤. أرشيف توب قابي سراي: وثيقة رقم ٩٢٩٨ /١٣ E.

(٥) يلمازا وزتونا: مصدر سابق،ج٢، ص٣٩٤.

جنوده الذين حصلوا على العلم في المدارس الدينية.[1]

١٩- **تعليمخانه خافة جيباشي**:وهو المسؤول عند تدريب الأسلحة لأفراد الحامية.

٢٠- **أوجيباشي**:وهو ضابط للتدريب على الأسلحة النارية فقط.[2]

٢١- **تفنكجيباشي**:وهو رئيس مصلحي البنادق، حيث يقوم بفحص بنادق الإنكشارية التي أعطيت لهم. [3]

٢٢- **باشفنكجي**:وهو المهندس المسؤول عن صناعة البنادق للحامية.

٢٣- **يني جري أمامي**:وهو رجل دين وليس عسكرياً.

كما كان يوجد بالجيش الإنكشاري ما يسمي بالشوربجي، لقواد الأورطة " السرية " وفي بعض السرايا يا باشي وباشبولو كباشي، أخذ مكان هذه الالفاظ كلمة "بكباشي" اعتباراً من النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي.[4]

وإلي جانب ذلك كان يوجد لكل أورطة ضباط يقتسمون قيادتها، وإدارة شؤونها على هذه الصورة:-

١) الجورجي وهو رئيس الأورطة.

٢) أوده باشي وهو نائب الجور بجي في المناورات العسكرية.

٣) وكيل الخرج وهو الذي يتولى أمر الطعام والشراب.

٤) بيرقدار وهو الذي يتولى الأعلام والبيارق.

---

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق،ج١، ص٣٨٨.

(٢) يلمازا ورتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٤.

(٣) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص٣٨٨.

(٤) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٤ –٣٩٥.

٥) باشي أسكي وهو الذي يتولى قيادة فرقة القراقولات.

٦) اشجى وهو الطاهي. [١]

أعداد جند الإنكشارية :

كان الإنكشارية يتألفون من أبناء النصاري الأيتام، وهؤلاء لم يكن عددهم في أول الأمر يتجاوز الف جندي. [٢] وأخذ يتزايد مع مرور الوقت، فقد كان عدد فرقة الإنكشارية أثناء فتح إستانبول ثلاثة آلاف، وأرتفع هذا العدد عند وفاة السلطان الفاتح إلى عشرة ألاف، ثم أنخفض إلى ثمانية ألاف، وأستمر هذا العدد في عهد السلطان سليم الأول. [3]

وعندما تولى السلطان مراد الثالث لم يكن عدد الإنكشارية يتجاوز عشرين ألفاً، لم يكن الاعتماد الرئيسي عليها في حروب الدولة العثمانية، وإنما كان على فرق أخرى من الجنود التي كان الأمراء والعمال يأتون بها من الولايات، وتعرف كل منها بإسم خاص كالتمرجية والعزب وغيرهم، ويسمون " يرلي قولي " أي الجند المحلي. [4]

وقد ازدادت أهمية الإنكشارية، وتزايد عددهم، حتى بلغ في عهد مراد الثالث ٢٧ ألف. [٥]على أن بعض السلاطين اهتموا بتنقية الإنكشارية، والتدقيق في طرق الدخول، فقل عددهم، ثم عادوا للتكاثر. ومن إحصاء أعداد الإنكشارية نستنتج ما يلي:[*]

---

(١) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٩٩، مصر العثمانية، ص٦٧.

(٢) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ص ٤٧٥.

(٤) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٦٢.

(٥) أحمد جودت باشا: ورقة ١١٠.انظر روبيرما نتران: مرجع سابق، ج١، ص ٢٨٨.

(*) أنظر الجدول في الملاحق.

النمو المطرد لأعداد الإنكشارية عبر فترات السلاطين العثمانية ويبدو أن السبب في ذلك هو اعتماد الدولة العثمانية إعتماداً كبيراً على الإنكشارية في الفتوحات التي قامت بها، ويؤيد هذا الرأي المؤرخ الإنجليزي الأستاذ جرانت حيث يقول " إن المشاة الإنكشارية كانوا أكثر أهمية من سلاح الفرسان. وكان مصير أو مستقبل الدولة العثمانية يعتمد إلى حد كبير جداً على الإنكشارية " ويقول أيضاً " أن الدولة العثمانية أحرزت انتصاراتها في ساحات القتال بفضل الإنكشارية.[١]

وقد صدق هذا المؤرخ في قوله إلى حد بعيد إذ أنه بمجرد تمرد الإنكشارية وفساد نظامها تراجعت فتوحات الدولة العثمانية، بل وبدأت تخسر أراضيها تباعاً، ووقفت موقف المدافع عنها. وهذا يثبت أن الدولة العثمانية لم تعتمد عليها في الفتوحات فقط بل في الدفاع عن البلاد المفتوحة أيضاً.

يُمثل عهد السلطان مراد الثالث ٩٥٣هـ - ١٠٠٣هـ/ ١٥٤٦م - ١٥٩٦م عهد ازدهار للجند الإنكشارية، فقد ازدادت أهميتهم وكثرت أعدادهم حتى وصلت إلى سبعة وعشرين ألف جندي.[٢]

وبنهاية القرن الثامن عشر الميلادي قُدر عدد الإنكشارية ما بين مائة وخمسين ألفاً، ومائة ألف، منهم ثمانية عشر ألف في العاصمة فقط أما المؤرخ جوشرو فقد وصل بعددهم إلى أربعمائة ألف منهم ستين ألفاً يأخذ أجراً بينما لم تستطع الدولة أن تجمع منهم في حروب تلك الفترة أكثر من خمسة وعشرين ألف رجل، ومعنى ذلك أن قادة الإنكشارية كانوا يسجلون أسماء وهمية للحصول على أجورهم.[٣] وكان ذلك من أسباب الخلل وتوقف الفتوحات.

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٩٢، ٩٤٣.

(٢) أحمد جودت: ورقه ١١٠.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٥٣.

أسلحة الإنكشارية:

لقد تنوعت الأسلحة والألات الحربية التي استخدمتها الإنكشارية، في أوقات السلم والحرب، واختلفت بمرور الزمن في الدفاع والهجوم.

ففي أوقات السلم لم تكن الدولة العثمانية تسمح بحمل السلاح لجند الإنكشارية، فكان الإنكشارية الموجودين في العاصمة يحملون النبابيت(*) " massues " فقط، ولم يكن يسمح لهم بحمل السلاح في أوقات السلم، ويسمح لهم فقط بحمل سكين يضعونها في أحزمتهم أما العسكريون المتمركزون في الحدود، والبحرية في الموانئ، فقد كان مسموحاً لهم أن يحملوا السلاح، وهو السيوف، أما في أوقات الحرب، فكان على العسكري أن يجهز نفسه بالسلاح الذي يريده ويختاره على حسابة الخاص، وله مطلق الحرية في ذلك.(١) فكان المقلاع والقوس والسهام، هي الأسلحة الأولى لهم، وقد ظلت تستخدم إلى جانب الأسلحة النارية حتى عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، ومن أسلحتهم التي أستخدموها أيضاً الخنجر والمخرطة والمزراق ورجل المها، والبندقية ذات الفتيل والبندقية ذات الزناد والبندقية القصيرة والطبنجة والسجة، وقد أدخلت هذه الآلة عام ١١٥١ هـ/ ١٧٣٨م وتركت، واستعملت ثانية عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م.(2) كما كان لديهم الأرقبوز البندقية القداحة " arquebuse " " massedarmes " والدبوس الحديدي. والصفيحة " cimeterre " الفأس وهي الأسلحة التي استخدمها جند المشاة، أما أسلحة الخياله، فهي السيف والرمح، والغدارة، والقوس، والسهم، والمزراق " الرمح القصير " أو الحربة بأطوالها المختلفة

(*) مفردها نبوت وهو العصى الخشبية الغليظة.

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٢.

(٢) دائراة المعارف الإسلامية: ج٥، ص١١٤.

والأسلحة النارية وأحياناً " بنادق الفتيل، والصوان ".(١)

كما كانت هناك (*) أسلحة عامة مثل الصولجان والسياط ومدقة الحرب والبلط والمنجل، والرمح الذي في رأسة بلطة، والرمح المتعدد الأسنان والسيوف المستقيمة ذات الحد أو الحدين والحسام، والخناجر، والرمح والتروس ولباس الزرد، كما كان للجند الإنكشارية خوذ نحاسية أو مصنوعة من الصلب والتي تشبه قمتها الطربوش وتنتهي بطرف مدبب. (٢) وقد أجاد الجند الإنكشارية في استخدام كل هذه الأسلحة.(*) (٣)

وكان العسكري يعتني بأناقة سلاحه، وبتزينه إلى حد المبالغة، فكانت هناك السيوف المفضضة أي المطلية بالفضة، كذلك المسدسات التي زينوها وزركشوها برموز، وأسماء، وآيات قرانية رسمت كلها بخط بديع مذهب، وكانت الدولة تتعهد بوجود مخازن للأسلحة والذخيرة سواء في داخل العاصمة، أو في عدة مواقع خارج حدود الدولة العثمانية. وكان جيش السلاحية " أو القرداحية " " Djebedjis au armutiers " هو المسؤول الوحيد عن تعهد هذه المخازن، وهو الذي كان ينقلها إلى ميدان الحرب، حيث يقوم القادة بتوزيع الأسلحة و الذخيرة على الجند الذين يستطيعون الحصول على السلاح أو الذخيرة، وكان كل سلاح يخرج من مخازن الدولة يعتبر مفقوداً ولا يعود إليها. (٤)

---

(١) ياسين سويد: ج١، مرجع سابق، ج١، ٩٢.

(*) انظر جدول المصطلحات في الملاحق.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ج٥، ص١١٤-١١٥.

(*) لمزيد من المعلومات عن أسلحة الإنكشارية الرجوع محمود شوكت: مصدر سابق،ص٧٦ -٧٨.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٥٢.

(٤) ياسين سويد: ج١، مرجع سابق، ص٩٧.

وفي ساحة المعركة يقاتل الإنكشارية في وسط التشكيل القتالي أمام السلطان على تسع صفوف، حيث كان كل صف يخلي مكانه للصف الذي يليه بعد قيامة بالرمي، وذلك عن طريق حركة تناوبية وعند الزحف كانوا يلتفوا حول السلطان، ويحموة نهاراً وليلاً.(١)

الراية:- Banniere

كان للجيش الإنكشاري راية كبيرة " بيرقاً " يسمى " الإمام الأعظم" وذلك تيمناً بإسم الإمام أبي حنيفة صاحب المذهب الحنفي في الإسلام، وهو مذهب الدولة الرسمي، وكانت هذه الراية من قماش الحرير الأبيض، وقد طرز عليها بخط كبير آيات قرآنية تناسب وظروف حملها، كتلك التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله، والتي تدعو لأولى الأمر بالنصر المبين،مثل قوله تعالي ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (*) ومثل ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾(**)، وكانت هذه الراية توضع في ميدان الحرب أمام خيمة الأغا، قائد الجيش مع أعلام الفرق الأربع مطوية ضمن أغماد حمراء، ومع التوغل " toyg " ذي الثلاثة أذناب، وهو العلم الخاص بالأغا علم المواكب " الجنرال قائد الجيش " كما كان لكل أورطة علمه أوبيرقها نصفه أحمر، والنصف الثاني أصفر، وكان ينصب أمام خيمة قائد الأورطة. وتحمل تلك الرايات والأعلام عند مراسم الخروج إلى الحرب أو الاستعراضات في المواكب حملة الأعلام "بيراق دار " من الجنود. (٢)

---

(١) هاملتون جب: مرجع سابق، ص٢٩٠.

(*) سورة الفتح آية ١.

(**) سورة آل عمران آية ١٦٠.

(٢) Osmanli " Tarih ve medeniyet" Ircica , istanbal 1999. CiH I , s, 384 – 391 ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٧.

وقد خصصت الدولة لكل أورطة من الإنكشارية شارة توضع على ابواب ثكنتها وعلى أعلامها، وعلى خيامها التي كانت تقام في ساحة القتال. وكانت خياماً مستديرة واسعة، وهذه الشارات إما على شكل مفتاح أو سمكة أو خطافاً " هلبا"، وإما هراوة (*) ذات طرف مدبب، وجرت عادة الوشم عند الإنكشارية عن طريق نقش شارة لهم مميزة على أذرعهم وسيقانهم.(1)

رواتب الإنكشارية «العلوفة»:

جميع رواتب الإنكشارية كانت تثبت في دفاتر خاصة بهذا الأمر، حيث يتم رفعها للسلطان لإصدار الموافقة عليها، كما احتوت هذه الدفاتر على أسماء المتقاعدين والفرسان وأمناء الأسلحة (٢)من المفترض على الجندي الإنكشاري في زمن السلم، أن يخدم ثلاث سنوات حتى يصبح له الحق بالمعاش، وكان يبدأ بـ " أقجة " في اليوم، إلا أن الجندي الشجاع كان يتميز عن أقرانه فينال زيادة تتراوح بين أقجتين وثلاث بعد المعركة، وظل هذا النظام معمولاً به حتى عهد سليمان القانوني ٩٢٦هـ- ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠م- ١٥٦٦م الذي أعاد تنظيم رواتب الجند، فوضع ثلاثة أصناف من الرواتب، الأول: للجنود " كوجك Koetschek من ثلاثة إلى سبعة أقجه يومياً "ويعرفون بأنهم أصحاب الخدمة الفعلية".

الثاني: الجنود القدماء الذين يتميزون بشجاعتهم أثناء القتال ويحملون على أجسادهم اثار أفعالهم المجيدة في الحروب من جراحات وغيرها، ويعطون من ثمانية إلى تسعة أقجة يومياً.

(*) عصى غليظة.

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٩٧. أنظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٨.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: وثيقة رقم ١٦١٢٢ HAT.H.

الثالث: للضباط والجنود مشوهي الحرب، أو المتقاعدين " من ثلاثين إلى مئة وعشرين أقجة يومياً. [1]

ويبدو أن إعطاء الجندي الشجاع أكثر من غيره كان من الأسباب التي خلقت بين الجنود جو المنافسة الشريف، ولكن مع مرور الوقت أصبحوا يتسابقون على القتل وتشويه أجسادهم حتى ينالوا أكثر، ولم يعد يهمهم الجهاد أو الإنتصار في المعركة.

أما عن كلمة العلوفه [*] فالأصل في ترتيبها أن تدفع يومياً، لكنها لم تدفع إلا مرة كل ثلاثة أشهر، تخفيفاً للثقلة، فكانوا يؤدونها أربع مرات في السنة، وتعرف في كل مرة بإسم مُؤلَّف من أول الأحرف الثلاثة للشهور، فالربع الأول من السنة مؤلف من محرم وصفر وربيع فيصبح الإسم " مصر " وعلى هذا المنوال كانوا يسمون الربع الثاني " رجج"، وقد يأخذون الحرف الثاني من إسم الشهر مراعاة للفظ، فالربع الثالث والذي يأتي فيه رجب وشعبان ورمضان يسمونه "رشن" بإقطاع النون من رمضان بدل الراء. كما كانت لهم رسوم في تفريق العلوفة خاصة بهم. [2]

كان السلاطين يزيدون رواتب بعض الأورط دون البعض الأخر، لاسباب مؤقتة كأن تكون أورطة في حرب، تفتح حصن، أو بلد، أو تقوم بعمل عظيم فيزيد السلطان علوفتها إلى الضعف، أو أكثر أو أقل، وربما يقترح السلطان على جنده،

---

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٣.لمزيد من المعلومات الرجوع، محمود شوكت: مصدر سابق، ص٦٤، ٦٥.

(*) العلوفة: الراتب الموسمي الذي يدفع للإنكشارية وبعض موظفي الدولة العثمانية ويدفع مرة كل ثلاثة أشهر، ومصدر الكلمة من علف الحيوانات. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص ١٥٥.

(٢) جورجي زيدان: مصر العثمانية، ص٧٠

أثناء الحصار أن الأورطة التي تفتح هذا الحصن تزيد علوفتها إلى كذا، فينتج عن ذلك تفاوت الرواتب بين الأورط المختلفة. (١) وكان يتم صرف مواجب للإنكشارية الذين يقومون بحراسة القلاع والحصون المختلفة.(٢)

وكان للإنكشارية هدايا ينالونها في الأعياد، أو عند تولية السلاطين، فقد كان على السلطان عند تسلمه الحكم أن يغدق عليهم العطايا، يقال عنها " بقشيش الجلوس " وقد يزيد راتب الإنكشارية إكراماً لذلك الجلوس فضلاً عن البخشيش. ولهم أعطيات أخرى يحصلون عليها في مواضع أخرى. ولكي نعرف قيمة النقود التي كان الإنكشارية يحصلون عليها مقارنة بنقود هذه الأيام، نجد مثلاً أن أقة اللحم الضاني سنة ١٠٠٠ هـ/ ١٥٩١ م كانت تباع بثلاثة دراهم، وكل أربع اقات من الخبز بثلاثة دراهم، وكلما زادت العلوفة زادت الأسعار. كما وأن بخاشيش أغاوات الإنكشارية تختلف بإختلاف مناصبهم، فالإغا بخشيشة ١٠,٠٠٠ درهم، وأغا الأستانة ٦,٠٠٠درهم، ومثله أغا غاليبولي وأغا الأناضول والروملي ٥,٠٠٠ درهم، وهكذا حتى الجندي الإنكشاري البسيط فكان بخشيشه ٣,٠٠٠ درهم، وبعد جمع هذه الأموال نجد أن الخزينة تدفع مالاً طائلاً قد يزيد على ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم تتكلفها الدولة نتيجة لأعطيات الإنكشارية. (٣)

ونجد أنه في فترة حروب الدولة العثمانية كانت هذه الأعطيات مرهقة بالنسبة للدولة والخزنية، فكانت تضطر إلى دفعها وإلا فإن الإنكشارية ستقوم بثورة وتمرد، وهكذا تسببت في تعطيل سياسة الدولة العثمانية كثيراً.

وقد أصبحت هذه الاعطيات تقليداً راسخاً لا يستطيع سلطان مهما أوتي من قوة أن يتجاهل ذلك، وإلا تعرض للمهانة على أيدي الإنكشارية. ثم ألغيت هذه

---

(١) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٦١.

(٢) أرشيف توب قابي سراي: وثيقة رقم ٩٢٩٧ E.

(٣) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ٤٦١

العطايا منذ عام ١١٨٨هـ /١٧٧٤م، بعد تولي السلطان عبد الحميد الاول عرش الدولة العثمانية في عام ١١٨٧ هـ/ ١٧٧٣م وكان السبب في الإلغاء سبباً قوياً، وهو أن الدولة العثمانية كانت تعايش أزمة ماليه عصيبة بسبب ضخامة الإنفاق العسكري على القوات العثمانية إبان الحرب التي أشتعل فتيلها بين الدولة العثمانية وبين روسيا، وهي الحرب التي طال أمدها ست سنوات، وتحطم فيها الجيش والأسطول العثمانيان. (١)

أما عن راتب أغا الإنكشارية فقد كان يتسلم راتباً يومياً قدره ٤٠٠ اقجة، والسكبا نباشى كان يتقاضى ٧٠ اقجة يومياً. (٢)

أما الضباط العاملون في الخدمة الفعلية، فكانت رواتبهم اليومية تتراوح في عهد السلطان سليمان الأول بين ١٢٠ أقجة " وهو الحد الأدنى لراتب أمير السرية، أو قائد الأورطة، ويشكل في الوقت ذاته، الحد الأعلى لراتب الضابط أو الجندي المشوه أو المتقاعد " و ٢٤ ألف قرش (*)، أو ١٥٠٠ اقجة " وهو الحد الأعلى لراتب الأغا قائد الجيش "، وكان هؤلاء يقبضون رواتبهم مع الجند.

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان للأغا وكبار قادته امتيازات مادية إضافية يستفيدون منها على حساب الجند الصغار، فقد كان للأغا مثلاً، الحق في ترقية أي

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩١-٣٩٢.

وذكر أيضاً أن الراتب ٥٠٠ اقجة إضافة إلى منحة سنوية تقدر بثمانين ألف أقجة. أنظر عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج١، ص٣١.

(*) قرش: إسم أطلق على المسكوكات الأجنبية المتداولة في الدولة العثمانية بوجه عام، وإذا كان القرش ذهباً أطلق عليه القرش الأحمر وإذا جاءت مجردة قصد بها السكة الفضة. ثم ظهر القرش العثماني في نهايات القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري وكان من الذهب ويزن ستة دراهم. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص ١٧٨،١٧٩.

ضابط إلى رتب مختلفة في الجـيش، ويقبض على ذلك مكافأة مالية من الضـابط المرقى، كما يقبض مكافأة من الضابط الذي يظل في منصبه سنة بعد أخرى على اعتبار أن التجديد للضباط في مناصبهم يتم سنة بعد سنة وهذا يتم بعد موافقـة الصدر الأعظم، ونتيجة لحصوله على هذه الأموال يجتمع لديه سنوياً نحو مـائتي ألف قرش، يتوزعهم مع مساعده الأول، وهو " القول كيخيا " والثلثان له والثلث الباقي للقول كيخيا، كما كان الأغا، وقادة الوحدات ينالون من رواتب الجند نسبة ١٢% تقريباً لهم. وإذا ما غاب أحد الجنود عن إستلام راتبة لسبب مـا، فقائـد الأورطة له الحق بالإحتفاظ بالراتب اليومي لهذا الجندي حتى تصـبح عشـرون أقجة يعطي قسماً منها للأغا الذي يعطي بدوره قسماً منه لمكتب الكتبة " أي أمانة سر الجيش ". [١]

حدث ذات مرة أن مات أحد رجال الإنكشارية وترك أربع بنات أيتام، وكـان يصرف لهن من خزينة معسكر الإنكشارية مبلغاً من المال ونظراً لمشاركة الأغـا لهم في هذا المبلغ أرسلوا إلى السلطان العثماني يلتمسن زيادة إحسان السـلطان عليهن. وصدر أمر سـلطاني بزيادة الراتـب بل وصرف مبلغ معين لكـل بنـت منهن. [2]

كذلك كان للأغا، وقادة الوحدات الحق بأن يرثوا ضباط الجيش وجنوده، وكان ذلك يتم على يد بيت المالجي " أي ضابط الخزانه في الجـيش " الـذي عليـه أن يحمي تركة الموروث، ويحصر إرثه، فإن كان له ورثة شرعيون يؤخذ من تركته العشر فقط ويوزع على الأغا، وبيت المالجي، وقائد أورطة الموروث، وإن لم يكن له ورثه تذهب كل تركته إلى الأغا، وهذا الأخير يعطي العشر إلى بيت المـالجي، وقائد الأورطة، هذا إذا كانت التركة تزيد عن عشرة ألاف قرش، أمـا إذا كانـت

---

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١ ص٩٤.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: خط همايوني وثيقة رقم ٢١٢٦٥.

عشرة آلاف قرش أو أقل فإنها تصادر وتعود إلى خزانة الدولة هذا الحال في داخل إستانبول، أما في الأقاليم، فإن قادة الأقاليم أو المقاطعات " السردار serder " يتمتعون بنسبة في تركات الجند في أقاليهم بحق الإرث الذي يتمتع به الأغا نفسه في العاصمة، مع فارق أن يتركوا للأغا كل إرث يزيد عن ألف وخمسمائة قرش. (1)

وهنا يتضح لنا ضخامة ثروة أغا الإنكشارية، وما يتبع ذلك من نفوذ في القصر وخارجه وفي الدولة نفسها مما اثر سلباً على الدولة العثمانية، وأكبر فائدة مادية كان يجنيها الضباط هي المبالغ الطائلة التي كانوا يحصلون عليها من جراء حاصل الفرق بين مجموع رواتب الجند والتي كانوا يقبضونها حسب العدد النظري للجنود الأورطة، وبين ما كانوا يدفعونه من رواتب للعدد المحقق من الجند في هذه الوحدات، إذا أن العدد النظري للوحدة كان يزيد بصورة دائمة عن العدد الحقيقي، وفي عهد السلطان مصطفي الثالث جرى تعديل على هذه الرواتب بسبب المبالغ الباهظة التي تنفقها الدولة على الإنكشارية، وبسبب الترف الزائد الذي كان يصيب الضباط من جراء كثرة الأموال في أيديهم، قد تم تخفيض رواتب الضباط حتى أصبحت رواتب أمر السرية، أو قائد الأورطة لا يتعدى المائة وعشرون اقجة يومياً " وهو اعلى حد لراتب الجندي" كما أصبح الحد الأعلى لراتب الضابط العام ١٥٠ اقجة يومياً، وراتب الأغا قائد الجيش ثلاثمائة اقجة يومياً.(٢)

ويظهر أن هذا التعديل لم يفيد الدولة إذا أنه كانت لاتزال الأسعار مرتفعة، مما سبب العصيان والتمرد.كما يبدو أن أغا الإنكشارية، وكبار قادته كان لهم امتيازات مالية كبيرة، كانت على حساب الجند سواء في مرتباتهم أو إرثهم.

---

(١) ياسين سويد: مر جع سابق،ج١ ص٩٤.

(٢) مرجع سابق ج١، ص٩٤-٩٥.

ملابس الإنكشارية:

كان الأساس في التفريق بين الرتب في الإنكشارية، وتميز أصحابها بعضهم عن بعض بأشكال " القلانس " القاووق، أو " الأقبية " وهو القفطان " أو الأحزمة وهي " الكمر " أما ألوانها فكان لكل طائفة من رجال الدولة قلنسوة شكلها خاص بهم وألوان خاصة بها، وكذلك الأقبية والأحزمة وغيرها اختصت كل طائفة بشكل في أزاريرها فضلاً عن اختلاف أعلامها. وقد أختلف المؤرخون في وصف هذه الألبسة، كما أختلفوا في أسمائها، وأشكالها،(١) فالبعض سمى القباء أو الرداء قفطان، أو تنورة والحزام الكمر، ونجد أن إختلاف هذه الملابس على وجه الخصوص جاء عند ضباط الإنكشارية، ورؤسائهم، بإختلاف السلاطين، والفترات الزمنية، والرتب، فأغا (*)الإنكشارية عمامته كبيرة منفوخة، وعليه القفطان، والجبه، وحول وسطه الحزام، وفيه الخنجر، ويرتدي في قدميه نعال مكشوفة، أما نائبة قول كخيا فرداءه يختلف عن ذاك إختلافاً كبيراً، وفي قمتة يضع شبه مروحة من الريش.(٢)

لقد تميزت البسة الإنكشارية بالبورك " القلنسوة " التي كان يلبسها الحاج بكتاش عندما باركهم، وهي أساساً غطاء لرأس على طريقة الأخيان. كانت تتدلى على الكتفين بمساحة ٤٥سم٢، وموشاة حول الجزء المتدلي بالرأس بالذهب والفضة، ومقدمتها مزينة بالأحجار الكريمة، أما عن الجزء المتدلي من فوق الكتف فقد كان رمزاً أسطورياً لكم جبه الحاج بكتاس الذي بارك رووس

---

(١) جورجي زيدان: مصر العثمانية، ص٧١.

(*) مراجعة الصور في الملاحق.

(٢) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٦٣.

الإنكشارية.[١] كما أشرت إلى ذلك في بداية المبحث.

لقد أعطى العثمانيون لغطاء الرأس أهمية خاصة، والذي كان يميزهم عن أعدائهم، كما أن سكان الولايات العثمانية أولوه هذه الأهمية، سواء كان ذلك زمن السلم، أو أثناء الحرب. وقد حاز اللون الأبيض في قماش غطاء الرأس على الأهمية الأولى، حيث أستحسنه المؤرخون وأعتبروه أفضل الألوان، واستندوا في ذلك إلى إتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم اللون الأبيض رمزا لدولتهم، كما أعتبر بعض المؤرخين العثمانيين أن اللون الأبيض علامة الإستقلال الذي أرسى دعائمه السلطان عثمان الأول، والذي أعتبره عنوان السلام الذي أقرته الأجيال المتعاقبة العثمانية[٢].

لم تكن الدولة تتكفل بألبسة أكثر من اثنى عشر ألف إنكشاري في العاصمة وذلك لأن النظام الذي وضعه السلطان محمد الثاني، قد حدد عدد الجيش الإنكشاري باثني عشر ألف رجل، وعندما زاد عدد الإنكشارية بعد عهده لم يتغير النظام الذي وضعه رغم كل الضغوط التي مارستها الإنكشارية في سبيل ذلك، وكانت الدولة تقدم لهؤلاء الجند كل سنة، كمية من الجوخ السالونيكي " Drap de salonique " وتقسم هذه الكمية إلى إثني عشر ألف قطعة كل قطعة منها مقاسها سبعة أذرع. [٣]

وهذا القماش من النوع الثمين جداً وهو مغزول من صوف احمر قرمزي اللون. [٤] وعندما بدأت تتعسر الدولة في تزويد الإنكشارية بالقدر الكافي من الجوخ إبتداءاً من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي صارت الدولة

---

(١) على سلطان: مرجع سابق، ص١٦٨- ١٦٩.

(٢) محمود شركت: مرجع سابق، ص٦٨.

(٣) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٦.

(٤) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٨١.

تمنحهم ما يقابله من البدل النقدي.

إضافة إلى ذلك كانت الدولة تخصص لكل جندي سبعة أذرع من القماش الأبيض المشبوب بالصفرة للعمامات، وسبعة أذرع أخرى للقمصان، وقد كانت هذه البضاعة تسلم إلى قائد الأورطة الذي كان يوزعها حسب هواه الشخصي على جند وحدته، وكان يفضل عادة أن يعطيها لأقدم الرتب والجنود في الخدمة. (١) وهذا بالتالي قد يؤدي إلى أحقاد وفتن داخل الأورطة الواحده فكان هناك من يأخذ قماش والأخر لا يأخذ مما ولد الحقد في نفوس أولئك الذين لا يحصلون على شيء.

وكانت معظم الصناعات اللازمة متوفرة في الجيش الإنكشاري بما يشبه الإكتفاء الذاتي، فكانت بعض الوحدات متفرغة لأعمال التزجيج " الزجاج " والسلاحية " أي تصليح الأسلاحة " وقيادة الزوارق، وصنع الصناديق. (٢)

أما عن الزي العسكري: ففي مطلع عهد الدولة العثمانية، أي في عهد السلطان عثمان الأول، لم تكن البزة العسكرية تختلف كثيراً عن لباس العثمانين العادي، لأنه لم يكن في ذلك الجيش سوى العسكريين من متطوعي الأقاليم، وعندما أنشأ أورخان فرقة الإنكشارية لم يغير كثيراً في الزي العسكري لهذا الفرقة بإستثناء لون القلنسوة، والتي أعطاها اللون الأبيض تميزاً لها عن ألوان القلانس التي كان العامة يلبسونها في العادة، إلا أنه في عهد السلطان مراد الأول بدأ ضباط الإنكشارية يلبسون القلنسوة الحمراء مقلدين بذلك الأمير سليمان باشا إبن أورخان.

ثم أصبح للإنكشارية بعد ذلك بزة عسكرية موحدة" jmiforme" فكان الجند والرتباء أي أصحاب الرتب العسكرية لا تتميز قبعاتهم " casque " أو العمائم "

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٦.

(٢) مرجع السابق،ج١، ص٩٦.

التي يرتدونها " turban " أو القلنسوة الخاصة بالحفلات " ketche " بشكل معين أو لون معين. (١)

أما الضباط قادة الوحدات في مختلف الفرق، كان لا يميز زيهم إلا بلون الحذاء، إذ كان ضباط " البلك " ينتعلون أحذية حمراء، أما ضباط باقي الفرق فكانوا ينتعلون أحذية صفراء. والرتباء أحذيتهم سوداء. ولم يكن الضباط يرتدون الملابس الرسمية التي فقدت رونقها ولمعتها، كما كان للضباط ملابس خاصة للمراسم، ولكل فرقة أو سرية رمزها الخاص بها. (١)

مسكن الإنكشارية :

كانت أولى الثكنات التي اقيمت للإنكشارية توجد في أدرنه، وعندما تولى السلطان محمد الفاتح أقام لهم اثنتين أخريين في أستابنول، كانت إحداهما بجوار جامع " شهر زاده "، والأخرى في " اقسراي". فكانت الثكنات الأولى تعرف بإسم الفرق القديمة " أسكي أوطه لر " بينما تعرف الأخرى بإسم الغرف الجديدة " يكي أوطه لر " وكان لهذه الغرف عدة أبواب للدخول إليها، والخروج منها بشكل محكم منظم، والغرف الجديدة كانت مسرحاً لحركات عديدة من التمرد والعصيان. وكانت هذه الثكنات تنقسم من الداخل إلى أقسام، أو غرف مخصصة لكل أورطة بلوك. كما كانت الغرف الجديدة تضم عدة أماكن مختلفة مثل التعليمخانة، وساحة تعرف باسم " أت ميدان "، ومسجداً يعرف بإسم " أورطة جامعي " ومطبخاً، وتكية، ومعملاً، وغير ذلك(٣) وكانت ثكنات الإنكشارية في استانبول تحتوي على تسعين

---

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ٩٦.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٦، لمزيد من المعلومات عن ملابس الإنكشارية الرجوع إلى محمود شوكت: مصدر سابق، ص٧١ – ٧٦.

(٣) Osmanli “Tarin ve medeniyet” Ircica, istanbal 1999 cilt I, S, 384-391
أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج١، ص٣٨٨

ساحة، و عشرين قصراً، ومئة وأربعة وثمانون إسطبلاً، و ستمائة وتسعة وثمانين صالة مجهزة بوسائل الراحة، وعدد كبير من المساجد، وجدران الثكنات مكسوة بالحجر الخزفي " الضي "، وكل غرفة تحتوي على فوانيس عديدة، وقد صرف السلطان محمود الأول مبالغ طائلة لتجديد إنشاء أكبر ثكنة للإنكشارية في ميدان أقراي، فقد كان السلاطين يرصدون المبالغ الطائلة لبناء هذه الثكنات وتزيينها بالأبواب الرخام المطعمة بالذهب، وعادة ما يصرف من تجارة الحرير على بناء الثكنات لإتمام العمل بسرعة. أما غرفة الإطفاء الخاصة الإنكشارية تحتوي على خمسمئة وواحد وثلاثين طلمبة جي " أي افراد الإطفاء الذين يحملون ويستعملون الة ضخ الماء "(١)

وقد شبت الحرائق مرات كثيرة في غرف الإنكشارية، وكان يعاد إصلاحها، أما في عام ١٢٤٢ هـ/ ١٨٢٦ م فقد جرى تدمير تلك الغرف في حادثة الوقعة الخيرية ولم يعاد بناءها بعد ذلك. (٢)

ولم تكن ثكنات الإنكشارية تحتوي فقط على أماكن النوم للضباط والجنود، بل كانت تحتوي على كافة الحاجيات المدنية لهم مثل المطابخ، ومخازن للأسلحة الذخائروغير ذلك. (٣)

طعام الإنكشارية:

كانت الدولة تقدم للجيش الإنكشاري بعض المواد الغذائية الأساسية مثل اللحوم والرز والخبز، وكانت تزود الوحدة " الأورطة " بكمية من لحم الغنم،

---

(١) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٦.أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: وثيقة رقم HAT.H ٣٦٦٤.

(٢) Iilam Ansiklo pedesi, cilt 14, Ankafa 1990 yeni Ceril maddesi أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص٣٨٨.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٧٨- ٤٧٩.

والخبز يومياً. وخلال القرن العاشر الهجري – الحادي عشر الهجري كان يصرف لكل جندي ليلة الجمعة بمئة درهم خبز وبستين درهم لحم وبخمسين درهم برغل وزيت وبخمسين درهم أرز وحلويات. أما عن التعيينات السنوية فيصرف بمبلغ ٩,٣٠٤,١٧٠ أقجه لحوم وخبز بمبلغ ١٥,٠٠٠,٠٠٠ أقجه ومن بقية المواد ١,٢٠٣,٠٠٠ أقجه. أما في الأعياد كعيد الأضحى، كان يقدم خروف لكل أورطة، وهذا كل ما كانت تتسلمه الأورطة من الدولة كمواد غذائية طبيعية، إلا أن قائد الأورطة كان يزود الأورطة بالكمية اللازمة من الرز، والزبدة، والخضار، وهكذا نجد أن توفير الكميات اللازمة من الطعام كانت تقع على عاتق ضابط الأورطة بالدرجة الأولى. أما في أوقات الحرب فقد كانت الدولة تزيد من الكميات لكل أورطة من اللحم والخبز، أما باقي المواد اللازمة للتغذية فكانت أيضاً من قائد الأورطة نفسه، وهذا هو حال باقي جيوش المشاة: مثل السلاحية،المدفعية والنقل أما الخيالة فلم تكن تزود بشيء من هذه المواد على حساب الدولة[1]. كما كان لكل أورطة، أو بلوك خزان خاص للطعام " وهو ما يطبخ فيه حساء الجند " كما كانوا يأخذون حاجتهم من اللحم من أماكن معينة، وبأسعار ثابتة، وإذا زادت الأسعار كانت الدولة هي التي تسدد عنهم فارق السعر. وكانت الدولة في بعض الأحيان تقدم لبعض جنود الإنكشارية قدراً من الخبز كل يوم يعرف بإسم. " فود له"[2].

وكانت أسماء رؤساء الإنكشارية كأسماء خدم المطابخ، والموائد، ولذا أطلق على رئيس الفرقة الأكبر " تشوربجي باشي" أي رئيس طباخي الحساء، والذي

---

(١) أحمد راسم: عثمانلي تاريخي، ج١، إستانبول، د. ط، ١٣٢٨هـ، ص٨٧. ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٥.ولمزيد من المعلومات الرجوع إلى محمود شوكت: مصدر سابق، ص٦٥، ٦٦.

(٢) Iilam Ansiklo pedesi, cilt 14, Ankara 1990 yeni Ceril maddesi. Osmanli Ciarin ve medeniyet Ircica , Istanbul 1999 cilt I , S, 384 – 397.

يليه رتبة "سقاباشي" أي رئيس السقاة، وهذه الأسماء التي لا علاقة لها بمناصبهم العسكرية، كانوا ينتحلونها ليدلوا بها على مقدار حرصهم على غذائهم، وغذاء جنودهم.

ولا شك أنهم كانوا مصيبين في ذلك إذ أنهم كانوا يقضون جانباً لا يستهان به من وقتهم في الحروب، ولاسيما في أول عهدهم. فمن كانت هذه عيشته لابد له من أن يكون ذا صحة تامة. والمحافظة على الصحة تتطلب الغذاء الجيد.(١)

وقد كان للإنكشارية عادات خاصة نشأت فيهم من إختلاف عناصرهم، ومن طبيعة نظامهم، ومن أغربها عاداتهم في الطعام، وأدواته، وكيفية توزيعه. وأهم أصنافه الشورباء التي تصنع في قدور خاصة ثم ترسل إلى الأجناد في قدور أكبر من الأولى يحملونها معلقة بأعواد مستعرضة، ويحمل القدر إثنان من الجند يقال لهما "قراقول أقجي" يتقدمهما ضابط إسمه "باش قراقول أقجي " يحمل على كتفه ملعقة كبيرة من الحديد. ويمر بالأماكن التي فيها عساكر من نفس أورطته، وهم في إنتظار وصوله، ويضع القدر على الأرض، ويفرق لمن يأتي بطبقه على قدر حاجته بالملعقة الحديدية. وللطعام شأن كبير عند الإنكشارية، وفي مطبخ كل أورطة قدراً كبيره، اهتم بها الإنكشارية واحترموها. (٢)

كما كان للقدور عندهم رمزاً إعلامياً يعبرون به عن مسلكهم، فكانوا لا يجتمعون حول القدور لتناول الطعام فحسب، بل وللتشاور في أمورهم الخطيرة أو المهمة، فإذا ما قرروا القيام بحركة تمرد أو عصيان عسكري جماعي قلبوا القدور " القزانات" على أفواهها بعد تناول الطعام الموجود بها، ووضعوها صفوفاً متراصة أمامهم في ساحة " أت ميدان" أي ميدان الخيل، والموجود في ثكناتهم، ويمكثوا أمام القزانات بعض الوقت، وهم في هرج ومرج شديدين. فإذا أقبل

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٤.

(٢) جورجي زيدان: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٦٧.

رؤسائهم ساد جو من الصمت والهدوء المطبق، حتى يعلن أحد الرؤساء تفاصيل التمرد العسكري وأهدافه سواء قتل شخصية كبيرة، أو عدة شخصيات، أو حتى تنظيم مظاهرات عسكرية تتعرض لمواكب السلطان في أثناء مروره، أو الهجوم على القصر السلطاني والمناداة بخلع السلطان، وتنصيب غيره وبعدها ينطلق الإنكشارية وحوشاً ضارية لتنفيذ مخطط العصيان. وإذا ما قتلوا شخصاً أو أكثر حملوا رؤوس قتلاهم معهم ووضعوا هذه الرؤوس أمام كل قزان مقلوب. وعند إنتهاء ونجاح مخططهم تصدر لهم الأوامر من الرؤساء بإعادة القزانات إلى ثكناتهم تعبيراً عن إنتهاء التمرد العسكري.[١] ومن الطرافة في هذا الأمر أن قزانات الأورطة الواحدة متساوية في الكرامة مع شعارها وعلمها. فقد كانت كل أورطة مجهزة بثلاث طناجر كبيرة تستعمل لإطعام الجند. حتى أنهم كانوا يغيرون عليها بمقادر معادل لغيرتهم على علمهم أو شعارهم. نظراً لأهميتها وقدسيتها عندهم. وإذا ما انتزع العدو هذه القزانات من أورطة في أثناء القتال، فإن جميع ضباط هذه الأورطة يعاقبون بتخفيض الرتبة العسكرية لهم، وإذا عاد إعتبارهم، فلا يمكن أن يعودوا لنفس الأورطة. ولا يحق لهذه الأورطة إطلاقاً بعد ذلك أن تحمل قزاناتها في عرض عام، وهذه إهانة تلحق بالوحدة، ولا تزول عنها أبداً.[٢] كما مثلت هذه القزانات ملجأً للمجرمين والعصاة، فمن أتى إليها مستنجداً، وجب على الإنكشارية حمايته، والدفاع عنه كما كان يفعل العربي في حماية من يستجير بهم.[٣]

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٩٦-٤٩٧.

(٢) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص١١٦. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٢٣، ١٢٤.

(٣) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص٤٦٧.

قواعد وأنظمة خاصة بالإنكشارية:

لقد قام علاء الدين أخو أورخان بتنظيم الجيش العثماني بعد ما انتهى من تنظيم صفوف الإنكشارية. وقرر علاء الدين أن يوزع الأراضي التي يتم فتحها على الجنود، والقادة بدلاً من الأموال، كما كان يعطي هذه الأراضي للجنود النظاميين، والإنكشارية، وقد أخذت هذه العادة شكل التيمار بعد ذلك، وقد كان القائمين على تلك الأراضي مضطرين إلى تمهيد الطرق وإصلاحها للجيوش في حالة الحرب، حتى أنه تم اختيار وحدة من الإنكشارية تستخدم في أعمال الحفر، وإصلاح الطرق، وكان عدد تلك الوحدة في البداية ألف شخص.(١)

فقد منح الجنود المستحقون مكافأة لهم إقطاع صغير، ويقوم بزراعته(*)، وعليه أن يقدم الجندي عدداً من الفرسان من اثنين إلى أربعة، أو عدد من البحارة لخدمة الأسطول، كما يمكن منحه إقطاع أكبر مساحة يطلق عليها "زعامت" ويطلق عليه " الزعيم" الذي يبلغ دخله مائة ألف "أقجة" وهذا الأخير يقدم عن كل خمسة آلاف أقجة رجلاً والأقجة الفضية تعادل ربع وزن الدرهم. ولكن نجد أن قيمة الأقجة اختلفت من عهد سلطان لآخر ما بين ارتفاعاً وانخفاضاً على أن النظام الإقطاعي لم يلاقِ نجاحاً في الولايات العثمانية بقدر ما لاقاه في الموطن الأصلي للعثمانيين، حيث ثبت فشله بعد الاتساع الذي حققته الدولة العثمانية، ويعود

---

(١) جوزيف فون هامر، ج١، مرجع سابق، ص١٠٠.

(*) لقد حاول المؤرخ هاملتون جب تشويه نظام الإقطاع حيث ذكر أن الأراضي كانت تنزع من المزارعين وتعطى للجنود، ويبقى المزارعون أصحابها أصلاً، عبداً أجير فيها، ثم يقدموهم للخدمة العسكرية. وهنا يحاول تشبيه هذا النظام بالإقطاع في أوروبا، مع العلم أنه يختلف فالجنود يمنحوا الأراضي الجديدة، كما وأن المزارعين ليسوا عبيداً، وإنما أصحاب الإقطاع، وإذا حدث هذا الأمر فإن ذلك وقت ضعف الدولة العثمانية وليس طوال عهدها.

السبب في ذلك إلى أن البكلربك – الباشا– قد عمد إلى تفتيت إقطاعه وتوزيعه بين غير مستحقيه ممن يعملون معه من الأتباع. بينما أنشأته الدولة لينالـه من يقدم للدولة خدمة عسكرية ممتازة في ميادين القتال. ولذلك عمد السلطان سليمان القانوني إلى إيجاد "قانون نامه" حيث حرم على البكلربك حق التحكم في إقطاعه، إلا بعد الرجوع إلى السلطة المختصة، كذلك صار أبناء أصحاب الإقطاع عليهم أن يثبتوا مقدرتهم العسكرية قبل أن يمنحوا حق إقطاع خاص لهم، فإذا بلغ أحدهم التاسعة عشر ولم يقدم عملاً عسكرياً، فإنه يحرم من قطعة أرض، إلا أنه غالباً ما تمت مخالفة هذا القانون بعد تطبيقه، وذلك للتهرب من الضرائب التي أخذت تزداد قيمتها يوماً بعد الآخر.(١)

ولكن بعد مرور الوقت تم حصر أراضي التيمار على ضباط الإنكشارية المتقاعدين كمعاش لهم، أما الجنود غير النظاميين فقد خصص لهم أراضي ليست كمعاش الإنكشارية المتقاعدين، وليست بمقدار الأراضي التي يطلق عليها التيمار(٢).

أما عن الزواج: لم يكن يسمح للإنكشارية بالزواج، فكان الفرد يعيش منهم دون الأمل في أن تكون له زوجة، أو أبناء، و لكن حب الجهاد في سبيل الله ملأ قلبهُ وحياته والقرآن هو منهجه ودستوره، والسلطان العثماني والده، والثكنة العسكرية مأواه.(3)

وعندما سمح لأفراد هذه الفرقة بالزواج في نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، تحولت الإنكشارية إلى وظيفة وراثية فقد صار الإلتحاق

---

(١) هاملتون جب: مرجع سابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) فون جوزيف هامر: مرجع سابق، ص١٠٠، ١٠١.

(٣) Osmanli “ Tarin ve medeniyet” s, 384-391 عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص ٤٧٩.

بها بالوراثة دون العناية بالمقدرة على أداء الخدمة العسكرية، ثم ضعف أمر الإنكشارية بعد ذلك، كما أن زيادة الأسعار وتأخر رواتبهم، جعلهم يضطروا إلى الإشتغال ببعض الصناعات اليدوية، أو الإلتحاق بخدمة السفراء الأجانب، كما فعل بعض من ضباط الإنكشارية [١] قد حرم على الإنكشارية الإساءة في معاملة الفلاحين، أو عمل أي شيء بدون إذنهم، أو تعويضهم، كما أن الإنكشارية كانت تعتمد على نفسها في المؤن دون الأخذ من الأهالي، و كانت تحافظ على صلاتها وخاصة صلاة الجمعة في أثناء الحرب.[٢]

كان للإنكشارية أعمال أخرى غير الحرب والقتال، فقد كانت الدولة تعزز جيوشها بها في الأقاليم المفتوحة حديثاً، وكان لهذه القوات الصدارة على سائر جيوش الدولة العثمانية في الولايات العثمانية في أوروبا، وفرق الحاميات العثمانية في الولايات العربية، ونذكر على سبيل المثال بلاد الشام بتقسيماتها الإدارية، ومصر، والعراق. فقد كان الإنكشارية في هذه الممتلكات يخضعون لإمرة الولاة المحليين، ويتقاضون مرتباتهم من الحكومة المحلية في الولاية.[٣]

كما كان للإنكشارية الحق في تولي إمارة قافلة "حج دمشق" وكان ولاة دمشق يعينون أحد كبار الإنكشارية أمراء للجيش، كما أنهم شاركوا في جمع الضرائب من دمشق، حيث استمرت الدولة العثمانية في إرسال عدد من الإنكشارية لمساعدة دفتر دار دمشق في جمع الضرائب من دمشق بشكل دائم، وأصبحوا يجمعوا الضرائب من الأهالي مضاعفة عن المحدد من قبل الدولة،

---

(١) محمود السيد: مرجع سابق، ص٢٠٠. وقد أكد على ذلك كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤٦٧.

(٢) من شبكة المعلومات العالمية "الإنترنت"

http:/ www. Geocities. Com/ The Tropics/ Paradise/ 5831 ottoman 2. Httm.

(٣) عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٤٩٤.

ويتعسفوا في جمعها ويظلموا الأهالي، وكانوا يرسلون المقدار المطلوب للسلطان، والباقي يحتفظوا به لأنفسهم.(١)

وهذا يفسر كره أهالي الشام للحكم العثماني والجند العثماني على حدٍ سواء نظراً لإثقال كاهلهم بالضرائب من قبل الإنكشارية والتعسف في جمعها.

أما عن العقوبات العسكرية المفروضة على الإنكشارية فكان يجب توخي الحذر والحيطة قبل تنفيذ الأحكام حيث يتم استجوابهم ومعرفة مدى تورطهم في أي قضية (٢) فقد خصتهم الدولة بعدة امتيازات،منها منحهم حصانة تمنع القبض عليهم، أو فرض العقوبات عليهم من قبل السلطات المدنية، فكان ضباط الإنكشارية دون غيرهم يقومون بتنفيذ العقوبات العسكرية التي يحكم عليهم بها،(٣) ولقد تعددت، أو تفاوتت تلك العقوبات بين الجلد، والسجن، والحبس وغيرها، حيث كان يوجد في أنظمة الجيش الإنكشاري خمسة أنواع من العقوبات العسكرية هي:

١- الحبس المؤقت، وكان الحكم به من صلاحية الضباط الأعوان.
٢- الجلد البسيط، وكان الحكم به من صلاحية الأوذاباشي "رئيس الفرقة" الذي ينفذه بيده وبالسوط ويجلده تسعوة وثلاثين جلدة على ظهر المحكوم عليه.
٣- الجلد الكبير، وكان الحكم به من صلاحية قائد الأورطة الذي كان يأمر بجلد المحكوم عليه تسعة وسبعين جلدة بالسوط ينفذها شاويش القطعة. ويتطلب حكم الجلد بنوعيه، لتفنيذه موافقة الأغا قائد الجيش، والصدر الاعظم.
٤- الحبس المؤبد، وكان المحكوم عليه ينفذه في إحدى قلاع الدردنيل، أو

(١) نوفان رجا الحمود: العسكر في بلاد الشام في القرنين ١٦ و ١٧م، د.ط، بيروت: دار الآفاق العربية، ١٤١٠هـ -١٩٨١م، ص١٠٤، ١٠٧، ١٠٨.
(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: وثيقة رقم ١٧٣٥٧ HAT.H.
(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٨.

البوسفور.

٥- الموت، وكان المحكوم عليه ينتظره في إحدى قلاع الدردنيل، أو البوسفور، حيث ينفذ فيه الحكم ليلاً، خنقاً بالأنشوطة، ثم ترمى جثته في المحيط.[١] فقد كانت تصدر الأوامر إلى سلاح الطوبجية "المدفعية" بإطلاق طلقة واحدة من المدفع إيذاناً بتنفيذ الحكم، فإذا تم التنفيذ رميت جثة الإنكشاري بعد أن تشد إلى القدمين قلة من الحديد.

كما كانت توقع على الإنكشاري عقوبة الخصاء، إذا اعتاد الإجرام، أو تعددت حوادث خروجه عن قواعد الإنضباط العسكري، فيأمر "يني شـــرية أغاســـي" أي رئيس الإنكشارية بإجراء عملية الخصاء الجزئي، أو عملية الخصاء الكلية لـــه، ويفقد الإنكشاري رجولته، ويلحق بالخدمة الداخلية في القصر السلطاني. [٢]

أما الضباط العامون، فيعاقبون عادة بالتجريد من الاموال والممتلكـــات، ثـــم النفي.

لم تكن هذه العقوبات تنفذ علانية على الإنكشارية إلا في الضرورة إذا كانـــت الجريمة واقعة على شخص ما، و لا يتم تنفيذها إلا بأمر من السلطان مباشرة [*]، وكان المتهم يمثل أمام محكمة مؤلفة من ستة ضباط كبار، يرأسها الصدر الأعظم، ويشترك فيها الأغا قائد الجيش، ويتم تجريد المحكوم عليه قبل تنفيذ الحكم بـــه، بأن تنتزع عمامته عن رأسه، ويمزق طوق سترته علامة تجريده، وذلك كي ينزل برتبته إلى مســـتوى العامة، ثم ينـــفـــذ الحكم به.

---

(١) ياسين سويد: ج١، مرجع سابق، ص٩٧-٩٨.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٧٩.

(*) حيث حدث ذات مرة أن محافظ قنديه أعدم أكثر من جندي إنكشاري دون أمر من السلطان، نتج عنه عزل هذا المحافظ نتيجة لسوء تصرفهُ وإقدامه علـــى أعمـــال مخالفـــة لعـــادات الأوجاقات العسكرية.

وكانت عقوبة الفرار في زمن السلم الحبس أو الجلد، أما في زمن الحرب، فبالإضافة إلى العقوبات السابقة كان يشهر بالعسكري الفار، ويعتبر منبوذاً، ومرذولاً، وجباناً لا يستحق شرف الذود عن حماية الدين والدولة، وكثيراً ماكان رؤساء هؤلاء العسكريين يغالون في معاقبة مرووسيهم الفارين بأن يقطعوا أنوفهم، أو آذانهم أو يحكموا عليهم بالموت خنقاً، ويتم تنفيذ الحكم الأخير في الميدان في جناح خاص بالجلادين يسمى "ليلك – تشادري" "Leilek- Tochadir"[١].

ومن هذا الإستعراض لتأسيس الإنكشارية وأنظمتها ورتبها نجد أن الدولة العثمانية قد أسست جيشاً على أسس سليمة، عملت هذه الأسس بمنتهى الكفاءة، عندما سارت عليها الإنكشارية، ولكن عندما انحرفت عن طريق الجادة، وتركت قوانينها وأسسها الأصلية، فقدت المعنى الذي وجدت من أجله وهو الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام، واصابها الخلل والفساد، وجيش الإنكشارية أنشأته الدولة العثمانية في وقت كانت أوروبا تعاني الأمرين من جيوش المرتزقة، التي لا يضمن ولائها.

وفكرة جيش الإنكشارية وأنظمته لم تكن غريبة في ذلك الزمان فقد كانت عدة جيوش اعتمد تكوينها على الأطفال المشردين، ومع ذلك تركت هذه الجيوش، ولم يتعرض لها المستشرقين بالجرح أو التشويه، وتعرضوا للجيش الإنكشاري المسلم بالتشويه وطمس الحقائق وهذا موضوع المبحث القادم.

---

(١) ياسين سويد: ج١، مرجع سابق، ص٩٨-٩٩.أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: خط همايوني H.H رقم الوثيقة ١٩٣٠٤.

المبحث الثالث
آراء المستشرقين ومن شايعهم حول الإنكشارية
والرد على هذه الآراء

إذا كان ظهور الدولة العثمانية على مسرح الأحداث السياسية، غير وجه التاريخ في منطقة آسيا الصغرى والبلقان والبلاد العربية بل وشرق أوروبا ذاتها، فإن الجيش الذي حقق هذا التغير كان له إسهامات فاعلة في تنظيم الجيوش السائدة في ذلك الوقت.

وإذا كان ذهن السلاطين العثمانيين قد تفتق عن فكرة تدريب الغلمان المشردين لإعدادهم عسكرياً، فإن هذه الفكرة لم تكن جديدة على الشعوب في ذلك الوقت، فقد وجدت منذ زمن بعيد، في الوقت الذي لم تكن لأوروبا في تلك الأوقات، عساكر متفرغة مهيئة دائماً للحرب، وإنما كانوا يجمعون العساكر من أطراف البلاد عند إعلان الحرب. (١)

لقد عاش الجندي العثماني حياة الحرب مئات السنين، احتفظ خلالها بكافة الفضائل الحربية الرائعة في كل الظروف، والتي جعلته نموذجاً مثالياً للرجل المحارب. على أن هذا الجندي تعرض لمحن كثيرة أثناء مسيرته الشاقة، كما ظهرت عليه أعراض الفساد والإنحراف، مثل جندي الإنكشارية. ومع هذا بقي في داخلهُ عاملاً ثابتاً لم يتغير عبر الزمن وهو " الإيمان " بعدالة قضيتهُ وبحقهِ في حماية دينهُ والدفاع عنه. وكان هذا الإيمان هو الذي حشد كل أبناء الدولة العثمانية، وجعلها تحمل على عاتقها حماية

---

(١) أحمد جودت: مصدر سابق، ورقة ١٧١.

ونشر الإسلام.[١]

للأسف إن الأقلام الحاقدة على الإسلام قد اتجهت إلى تشويه تـاريخ الدولـة العثمانية الإسلامية، وذلك لأن العثمانيين أخذوا على عاتقهم الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام في أصقاع أوروبا طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية وحماية الإسلام، ومن قام بهذه الحركة الجهادية، هو الجيش العثماني الـذي قوامـه المشـاة أي الإنكشارية، وبالتالي أتجه التجريح والتشويه لهذه الفرقة المجاهدة في سبيل الله.

يكاد يجمع جميع المستشرقين على نص واحد في تشويه الإنكشارية وأصلهم وطريقة جمعهم، وافتراض وجود ضريبة الغلمان وما صاحب ذلك من تعديات على الأسر المسيحية.

وقد جزم جميع المستشرقين بصحة ضريبة الغلمان، وأن الدولـة مارسـتها لمدة طويلة من الزمن، ولم يورد أحد المستشرقين دليلاً واحداً أو مرجعاً موثوقـاً ذكر هذه الضريبة التي تعتبر من أخبث الافتراءات التي ألصـقها المستشـرقون بتاريخ الدولة العثمانية، والتي تزعم أن العثمانيين كانوا ينتزعون الأطفال الصغار من أحضان أسرهم، فيما يسمى " بضريبة الغلمان أو " ضريبة اللحم البشري" ثـم يكرهوهم على اعتناق الإسلام لأن الإسلام لا يبيح لغير المسلمين حـمل السلاح، بـمـوجب نظام أو قانـون يدعى نظام " الدوشرمة" ومن ثم الالتحاق بـالجيش العثماني. وقد أدعى المستشرقون أن هذه الضريبة فرضتها الدولة العثمانية على رعايا المسيحيين الذين اعتنقوا المذهب الأرثوذكسي، مثل الجزية حيث يتم أخـذ أطفال في سن صغيرة من أسر الفلاحين المسيحية، وبعد تربيتهم في الدوشرمة، يتم إلحاقهم بالإنكشارية، حتى يحاربوا مع الدولة العثمانية.

وقد حاول هؤلاء المستشرقون أن يسرفوا في استثارة المشاعر الإنسانية في المبالغة بتصوير المعاناة والآلام النفسية القاسية التي يلقاها هؤلاء الأطفال عنـد

---

(١) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي في العهد العـثماني، د. ط، دار الفكر، د. ت، ج٥، ص٥١٩.

انتزاعهم من أسرهم، وحال الأبويين عند انتزاع أطفالهم. كما أدخلوا هذا الأمـر في أن السلطان كان له الحق في انتزاع خمس الغنائم لـه شخصـياً. (١) وهـذه الحصة تكون في الأطفال بمعدل خمسة أطفال من كل مدينة، حيث يرسل السلطان وكيلاً إلى كل مدينة وقرية مسيحية، يطلع على كشف يقدمه له قسيس الكنيسـة بأسماء الأطفال الذين تم تعميدهم في الكنيسة فيختار الوكيل عدداً من الأطفال مـا يعادل خمس مجموعهم، تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والعاشرة وقد يصلوا إلى العشرين، وينقل هؤلاء الأطفال التعساء إلى العاصمة، حيث تنقطع الصلة بيـنهم وبين أسرهم نهائياً. وفي العاصمة تجرى لهم عملية الختان، ثم يلتحقوا بأربعـة مدارس في إستانبول مع أنها لم تكن فتحت في عهد أورخان أو السلطان مـراد الأول، وهما اللذان تزعم الفرية أن أحدهما ابتدع هذه الضريبة، ويتعلموا في هذه المدارس مبادئ الإسلام، واللغة التركية، والتاريخ الإسلامي بشكل عام، والتاريخ العثماني بشكل خاص، إضافة إلى النظم العثمانية، وذلك كله وفق مناهج وضعت خصيصاً لمحو كل أثر للنصرانية. (٢)

ويدعي البعض أن صاحب هذه الفكرة هو هابيل الأسـود، وزيـر السـلطان أورخان، والذي زين الفكرة للسلطان وحببها إلى قلبه، فأخذ بها أورخان، وكانـت هذه الضريبة عوناً كبيراً للدولة على إيجاد مورد آدمي لا ينضب، لإيجـاد فـرق عسكرية كاملة من المشاة. يضعون عقولهم وأجسامهم وخبـراتهم فـي خدمـة السلطان، لإحراز انتصارات عسكرية في ميادين القتال، بهدف تحقيق مزيداً مـن الفتوحات في أوروبا، وتلتها أفريقيا في أوائل القرن السادس عشر.(٣) ولم يكـن

---

(١) زياد أبو غنيمة: مرجع سابق، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) مرجع سابق، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٧٤، ٤٧٥.

جميع أفراد الإنكشارية حصيلة ضريبة الغلمان من البلاد الأوروبية المفتوحة،[١] بل ضمت بين صفوفها أطفالاً اشتروا بالمال أو أسروا في الحرب.[٢]

وإذا نظرنا إلى أقوال المستشرقين كلاً على حده، نلاحظ أنهم اتفقوا تماماً فيما سبق ووجدت بعض الزيادات عند بعضهم أو اختلافات، لكنها لا تخل بمضمون الفرية الأساسي.

فالمؤرخ الألماني المستشرق كارل بروكلمان، جاء كلامهِ مطابقاً تماماً لما سبق، وإن كان زاد عليه أن سبب إنشاء هذا الجيش، مغالاة الناس في المطالب مقابل الخدمة في تنظيم هذا الجيش مما أثار مخاوف السلطان أورخان، فقرر الاستغناء عن استخدام الإقطاعيين، واختلف أيضاً أنه نسبها إلى نصيحة جاندرلي بإحياء العرف الإسلامي القديم بالاحتفاظ بخمس الغنائم، وكانت النواة ألف غلام نصراني. كما زاد على ذلك بروكلمان، أنه تحدث عن كيفية تدريبهم ومعاملتهم، والتي وصفها بأنها التزمت بالمبادئ الإنسانية لأبعد الحدود، ثم يقسموا إلى خمسة أصناف، ثم نسب الضريبة إلى سليم الأول، ثم حدد مدة لجمع هؤلاء الغلمان إذ أنها كانت تجمع كل خمس سنوات ثم تقاصرت المدة حتى صارت تجمع كل سنة. (*)

وقد تمادى في غيه إذ قال أن الدولة صارت تنتزع جميع الأطفال السليمي البنية في وقت متأخر ممن تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والخامسة عشر.

---

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٧٦.

(*) ذكر أن هذه الضريبة فرضت على جميع البلدان البلقانية واليونانية، وبعد ذلك المجر ولم يعف من هذه الضريبة إلا قليل من المناطق المتمتعة بمعاهدات مثل غلطه ورودس وإستانبول. كيف تتمتع العاصمة بمعاهدة، وهذا يدل على عدم صدق إدعاءه. كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤٦٥

ووصف أن هذا الأمر لم يخلوا من التلاعب والعبث بالقانون، إذ أن الموظفين العثمانيين كانوا يأخذون الرشاوي من أباء الغلمان الأثرياء ثمناً لحرية أبناءهم، ثم يعود مرة أخرى إلى الحديث المتناقض فيقول مهما يكن من شيء فإن المستقبل اللامع الذي ينتظرهم يخفف كثيراً من صرامة هذه الضريبة، الأمر الذي أدى إلى استثارة حسد الأتراك أنفسهم فكانوا يسعون كثيراً إلى دس أبنائهم في صفوف الغلمان النصارى.(١)

أما برنارد لويس فلم يضِف على الفرية الكثير، ولكن ظهر التناقض واضح عندما ذكر أن المجاهدين كانوا من الأتراك أنفسهم ولقرون عديدة، ثم استخدموا المسيحيين اليونانيين الذين أسلموا وصاروا مجاهدين بارزين، أما عن الأطفال فقد ذكر أنهم كانوا يعملون خدم في القصر السلطاني، أو يوضعون تحت رعاية السباهية الإقطاعية(٢) ومع مرور الزمن صار نظام الإنكشارية المشكوك في شرعيته نظاماً عثمانياً مقبولاً على القرى المسيحية.(٣) وأتفق مع بروكلمان في أن أصل الفكرة يعود إلى جندرلي، ولكنه أوضح أنها لم تكن من بنات أفكاره وإنما لفت نظره إليها عالم مسلم من قرمان اسمه قره رستم، وزعم برنارد أن هذا الأمر بدعة من عمل الفقهاء، وينسب ذلك إلى مؤرخ تركي لا يذكره.(٤)

وقد اتفق معهم المؤرخ الإنجليزي فيشر ولكنه أضاف نقطة مهمة ألا وهي إرجاع الفضل في قيام الدولة العثمانية واستمرارها ليس للعثمانيين فقط بل

---

(١) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤٦٥.

(٢) برنارد لويس: إستانبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية، ترجمة سيد رضوان، الطبعة الأولى، جامعة بني غازي، د. ت، ص٦٥-٦٦.

(٣) برنارد لويس: إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة سيد رضوان، الطبعة الثانية، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص٤٦.

(٤) برنارد لويس: مرجع سابق، الطبعة الأولى، ص٦٥، ٦٦.

للصقالبة النصارى من أمهات مسيحيات. [١]

المستشرق الفرنسي جيبون وضع سبباً لقيام الجيش الإنكشاري، وهو فشل مراد الأول في إدخال نصارى البلقان في الإسلام عن طريق العتق من الأسر، فأنشأ هذا الجيش ونظام الدوشرمه، لإكراه الأطفال على الإسلام، حتى أن كثير من الصقالبة اليونانيين فضلوا الدخول في الإسلام على أن تسلم أبنائها للعثمانيين، ثم يتحدث على أن السلوك الحسن والمثل الجادة، وترك الحرية الدينية مع إقامة الشعائر من صفات الإنكشارية. [٢]

وقد وضع بيري أندرسون فلسفة جديدة لنظام الإنكشارية إذ وصفهُ بأنه التوفيق بين التقليد الغزوي في تغيير الدين والتوسع العسكري من جهة، والتقليد الإسلامي القديم في التسامح وأخذ الجزية من غير المسلمين من جهة أخرى، ويقصد بكلمة الغزوي أي مبادئ الغزو وأخذ الأسرى. [٣]

ولكن أحداً لم يصل إلى حد إفتراء وتشويه بول كولنز حيث ربط نظام الدوشرمة، بنظام الرق الذي أقره الإسلام، حيث فسرها من وجهة نظره، إذ أوضح طالما أن هؤلاء ليسوا مسلمين، فمن حق العثمانيين أخذ ضريبة الرأس منهم، ولأن عدد الأسرى لم يكن كافياً لتلبية حاجات القصور من عبيد، فقد وضع العثمانيون سياسة استرقاق [*] الغلمان، وقد زاد جمع الأطفال بمرور الزمن. وقد

---

(١) هـ. أ. ل فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، تعريب محمد زيادة - السيد العرين - إبراهيم العدوي، الطبعة الثانية القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧م، ص ٤٤٨.

(٢) محمد فؤاد كويريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، د. ط، دار الكتاب العربي، د. ت، ص١٠، ١١.

(٣) بيري أندرسون: دولة الشرق الاستبدادية، ترجمة بديع عمر نظمي، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣م، ص١٥.

(*) لقد تحدث عن نظام الرق بشكل جارح دون فهم لتعاليم الشريعة الإسلامية فوضح أن الإسلام أقر الرق طالما كانت الشعوب المسترقة غير مسلمة، أو لم تقدم ضريبة الرأس=

اتفق بول كولنز مع بروكلمان في أن هذه الضريبة لم تلق الامتعاض والاستياء الكافيين من الأهالي، إذا ما قورنت حياتهم في الإنكشارية بحياة البؤس والحرمان والفقر في قراهم المسيحية. (١)

أما روبير مانتران فقد أستفاض في الحديث عن ضريبة الغلمان، لدرجة أنه قال أنها ارتكزت بشكل أساسي على أسرى الحروب، والذين جمعوا بطريقة أكثر تحدياً من العشر(*) العائد للسلطان، إضافة إلى شرائهم من أسواق النخاسة، ثم أقل عدد كان يأتي من نظام الدوشرمة، كما أضاف أن أطفال المسلمين خضعوا لهذه الضريبة باستثناء أهل البوسنة والهرسك الذين اعتنقوا الإسلام، وأوضح أنه من شدة قساوة هذه الضريبة على الأسر المسيحية، فقد صورها التراث الشعبي رمزاً لصرامة الحكم العثماني، كما نقل روبيرما نتران عن ستيفان جيرلاش أن عدداً من المسيحيين كانوا يلجأون إلى تزويج أبنائهم وهم في الثامنة أو التاسعة من العمر، حتى يعفوا من التجنيد، لكنه يناقض نفسه إذ يقول أن هناك شهادات تكشف عن تذبذب هذه الظاهرة، لأن هذا التجنيد في نظره يكفل لابن

= وهي ضريبة يراها المسلمون حقاً لهم، أي ضريبة تحدث عنها ربما قصد الجزية ولكن هذه الجزية تقدم مال وليس رقيق. ومن الواضح أنه أخذ نظام الرق في أوروبا ووضعه مكان الجزية في الإسلام. كما تحدث عن نقل العبيد بطريقة سيئة لكنهم ينالوا مكافأة عندما يدخلون عالماً جديداً غنياً، ونسي هذا الكاتب كيف أن أوروبا الغنية استعبدت شعوب إفريقيا بمنتهى الوحشية ثم يناقض الكتاب كلامه حيث يقول أن العبيد يفضلون العيش في قصور الأغنياء على حياة قراهم الفقيرة، وأن المعاملة السيئة المهينة للسيد لا تفرق عن حياة قريته التعيسة !

لقد وضح التناقض في كلامه تارة يتحدث عن المعاملة الوحشية، وتارة يتحدث عن أن العبيد يفضلوا هذه الحياة، وهذا يدل على مدى التلفيق والتشويه.

(١) بول كولنز: العثمانيون في أوروبا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، د. ط، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣م، ص٥٢، ٥٤، ١١٥، ١٦٢.

(*) ليس العشر وإنما سهم من الخُمس هو من حق ولي الأمر.

الأسرة مستقبل مشرق، حتى أن المسلمين كانوا يستبدلون أبنائهم بأبناء المسيحيين حتى يتيحوا لهم هذه الفرصة السعيدة. كما قام بوصف حياتهم إذ قال أنهم يعملون كعبيد عند الفلاحين أو العساكر، وبمجرد وصولهم إلى الإنكشارية، أو وظائف الدولة، فلا ينطبق عليهم معنى مصطلح العبيد إذ لا يجوز بيعهم أو إلحاقهم بخدمات غير خدمات الدولة. (١)

هاملتون جب كرر نفس الكلام دون وعي أو إدراك للحقيقة، بل وأضاف سبباً جديداً لإنشاء الإنكشارية ألا وهو أن المحاربين الأوائل لم يكونوا سوى رجال عصابات وقطاع طرق، لذا لم يكن من السهولة الاستفادة منهم، فسعى السلطان(*) للتخلص منهم، واستبدلهم بالعدد الوفير من الغنائم والأسرى الذين جاءوا إليه من أولى حملاتهِ على أوروبا. (٢) وأضاف أن هذا الأسلوب الجديد الذي ابتكره آل عثمان لم يكن يكلف السلطان شيئاً من المال، ولكن العيب فيه هو مخالفتهِ لأحكام الشريعة كل المخالفة. (٣)

خليل إينالجيك سار على نفس خطاهم، ولم يختلف معهم في الفرية ذاتها، ولكنه قال أن هذه الضريبة استثنت أطفال المدن والوحيد لأبويه. وقد أكد أن الأتراك المسلمين استثنوا من نظام الدوشرمة، وذلك على حد تفسيرهِ حتى لا يسيئوا استخدام الميزة الممنوحة لهم، إذ سيقوم أقاربهم باضطهاد الرعية، وسيرفضوا دفع الضرائب، أما أبناء المسيحيين فحين يعتنقون الإسلام يصبحوا غيورين على الدين ويصبحون أعداء لأقاربهم، وأرجع أقوالهِ إلى مصدر عثماني

---

(١) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ترجمة بشر السباعي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣، ص٢٥٥ – ٢٥٨.

(*) لم يحدد اسم السلطان في هذه الفقرة.

(٢) هاملتون جب: مرجع سابق، ص١٠٣، ١٠٦ – ١٠٧.

(٣) مرجع سابق، ص١٠٨.

من القرن السابع عشر ولم يذكر اسمه أو أي معلومات عنه. وأكد أن العائلات المسلمة في البوسنة كانت تقدم أولادها للدوشرمة. وقد ناقض نفسه مثل باقي المستشرقين حيث أوضح أن الأهالي المسيحيين كانوا يحاولوا تفادي هذه الضريبة في الوقت الذي كان فيه مسيحيوا المناطق الجبلية يقدمون أبنائهم عن طيب خاطر لهذه الضريبة، وقد حدد المواعيد التي يجمع فيها الأطفال على حد زعمه كل ثلاث أو سبع سنوات، حسب الحاجة، مستنداً إلى الوثائق العثمانية، حيث أوضح أن إحدى الوثائق تشير إلى أنه في خلال القرن السادس عشر الميلادي كان يجمع كل سنة ألف ولد، بينما تشير الأخرى إلى أنه كان يجمع كل سنة ثلاث آلاف ولد في نفس القرن السابق. (١)

أما المؤلف الإنجليزي المجهول والذي ترجم كتابةُ حسين لبيب فلم يختلف عن باقي المستشرقين، إلا أنه تحدث عن حياتهم وتربيتهم، وهي متأرجحة ما بين شظف العسكرية، والتعلم على احتمال الفقر، وبين الهبات والعطايا والترقي السريع، وقد شبه الجيش العثماني بالفرق الرومانية، التي تأخذ أسرى الحروب لأنها تجد الربح السريع ببيعهم، وعندما زاد عدد الأسرى ولم يجد العثمانيون من يشتري هذه الأعداد الكثيرة. أخذوا خمس الغنائم من الأسرى ليصبحوا أطفال الدوشرمة، وأضاف أنه يتم إعفاء الأسرى من الفدية وإطلاق سراحهم إذا اعترفت الدول المسيحية، وتم عقد معاهدة بين الطرفين. (٢)

ونضيف آراء محمد الأرناؤوط (*) في هذا الأمر والذي أورد في كتابه

---

(١) خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، الطبعة الأولى، بيروت: دار المدى الإسلامي، ٢٠٠٢م، ص١٢٤، ١٤٢.

(٢) حسين لبيب: مرجع سابق، ج١، ص١٢.

(*) ذكر محمد الأرناوؤط الدراسات السابقة التي تختص بهذا الموضوع:-

١- بحث نشره أحمد رفيق عام ١٩٢٦م بعنوان أصول الدفشرمة وأولاد العجم. أحتوى على=

دراسات ووثائق حول الدفشرمة وثائق تثبت أن الدولة العثمانية قامت بجمع ضريبة الغلمان فيما يسمى" بنظام الديوشرمة " من الأسر المسيحية في بلاد البلقان، معتمداً بالإضافة إلى الوثائق على كتابات الرحالة الغربيين. (١)

في البداية جزم بأن قوات الإكينجي " الخيالة السريعة " مهمتها إرهاب وإثارة فزع أهالي القرى المسيحية وذلك بهدف أسر أولادهم وأخذ الخمس منهم ضمن أولاد الديوشرمة. وأوضح أن الحال تغير بعد معركة أنقرة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م إذ توقفت الفتوحات العثمانية، وبالتالي توقف تدفق الأسرى على السلطان العثماني والذي كان يحصل على خمس أسرى الأطفال منهم، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية في أشد الحاجة إلى شبان للقيام بفتوحات جديدة. ومن هنا جاءت فكرة انتزاع الأبناء من الأسر المسيحية. حيث صدر قانون الدوشرمة عام ٨٢٤هـ / ١٤٥١م في عهد مراد الثاني، والذي أثبت أن هذا النظام عملي أكثر من خمس الأولاد الذي يحصل عليهم السلطان من غنائم المعركة، لأن هذه الضريبة تغذي الإنكشارية بفيض من الشباب الأقوياء، وأكد الارناووط على أن هذا القانون عمل جنباً إلى جنب مع استمرار أخذ خمس أسرى الحرب، وقد

= عدة وثائق مختصرة وفرمان كامل يعود إلى عام ١٦٢١م.

٢- بحث قدمه غ غالابوف الباحث البلغاري نشر فيه كثير من الوثائق الخاصة بالدوشرمة. قدم كثير من المعطيات وأعتمد على وثيقة مأخوذة من قانون نامة قديم.

٣- الباحث أوزنتشار شيلي قدم بحث يعتبر أكبر بحث كتب حول الدوشرمة، حيث أعتمد على الوثائق وقدم من خلالها معلومات ذات صلة وثيقة بالموضوع.

لكن كل هذه الدراسات أعتمدت في الأغلب على وثائق موجودة ضمن مجموعة تاريخ مقدونيا القديمة في أرشيف فيريا. ومعهد التاريخ القومي في سكوبيه وقليلاً من الوثائق الموجودة في إستانبول.

(١) محمد الأرناوؤط: مرجع سابق، ص٢٩-٣٣.

تركزت على شعوب البوسنة وبلاد اليونان والبلغار والأرمن. [١] كما أورد أن أعمار الأولاد كانت متفاوتة وتتراوح ما بين تسع أعوام إلى ثمانية عشر عام.[٢]

واستفاض في الحديث عن مقاومة السكان لهذه الضريبة من تقديم رشوة لجامعي الأولاد، خاصة من الآباء الأغنياء، إضافة إلى لجوء الأسر بأكملها للهرب أو هرب الأولاد فقط، أو لجوء الأهالي إلى الهجوم المسلح على جامعي الأولاد، حيث أورد أنه صدر فرمانيين في عام ١٦٠١م بهما أوامر صريحة مفادها شنق أي أب أو أي شخص من الكافرين يرفض تسليم ابنه، كما توجد عقوبات صارمة لمن يخفي أبناءه عن جامعي الدوشرمه جاءت في فرمان صدر عام ١٦٢٢م. كما أشار الأرناوؤط إلى عدة فرمانات بها أوامر صريحة بالتأكد من عدم هروب الأولاد من القافلة أثناء السير إلى إستانبول أو بعد الوصول إليها، أو حتى بعد تعيين الشبان في إحدى القلاع. [٣]

كان هذا عرض لبعض أهم آراء المستشرقين حول نشأة الإنكشارية، ويوضح العرض السابق مدى الحقد الذي يكنهُ هؤلاء للإسلام والعثمانيين بالتالي، وقد سار على نهجهم للأسف كثير من المؤرخين المسلمين العرب، واقتنعوا بآرائهم وسلموا بها دون مناقشة أو تمحيص للمعلومة لمعرفة مصدر المعلومات.

لقد أكد كثير من المؤرخين [*] العرب هذه الفرية في كتاباتهم والتي سماها

---

(١) محمد الأرناوؤط: مرجع سابق، ص٣٦-٣٩.

(٢) مرجع السابق، ص٤٠.

(٣) مرجع سابق، ص ٤٩-٥٧.

(*) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص٣١، محمد كمال الدسوقي: مرجع سابق، ص١٧. أحمد شلبي: مرجع سابق، ج٥، ص٨٤٩، ٨٥٠. أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق، ص٤٤. حسن الضيقه: الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار المنتخب، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص٩٢. عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق،ص٣٨،٣٧.عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق،ج١، ص١٢٠.

عبد العزيز نوار ضريبة الدم.[١] وأضاف أحمد شلبي أن نظام البدل كان معروفاً، وهو عبارة عن دفع مقدار من المال لإعفاء بعض الغلمان من الضريبة.[٢]

أما عبد الوهاب بكر فقد تفرد بوصف خاص عن الإنكشارية حيث أطلق عليهم جهاز تفريخ القوى البشرية التي تزود الجيش بالرجال منذ عهد أورخان.[٣]

أما عبد السلام عبد العزيز فهمي فقد أشار إلى قضية جديدة وهي أن اختيارهم لم يتم على حسب جنسيات الغلمان، وإنما حسب جمال وجوههم وقوة أجسامهم وبراعة عقولهم.[٤]

أما إسماعيل ياغي فقد جزم بفرض الدولة العثمانية ضريبة الغلمان، لكنه عاد فتحدث عن البلاد المفتوحة، إذ قال أنه ربما تعرضت البلاد للخراب من جراء الحروب، مما أدى إلى هلاك كثير من الأسر جوعاً. وهذا يعني أن الدولة كانت تتبنى الأطفال اليتامى في كثير من الأحيان، ولولا تبني الدولة لهم لتعرضوا للهلاك، ثم أكد أن الدولة العثمانية، تولت المسيحيين بالحماية وإعفائهم من الخدمة العسكرية، وكان على المسيحيين أن يدفعوا في المقابل ضريبة الرأس.[٥]

أما أحمد عبد الرحيم مصطفى فقد جزم أن العثمانيين اختاروا أذكى أبناء المسيحيين وأخذوهم.[٦]

---

(١) عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) أحمد شلبي: مرجع سابق، ج٥، ص٨٥٠.

(٣) عبد الوهاب بكر: مرجع سابق، ص٥٧.

(٤) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ص٢٨، ٢٩.

(٥) إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص٢٥٤.

(٦) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق، ص٢.

أما عبد العزيز الشناوي فقد جزم بصحة الفرية، وأنها كانت تجمع كل سنة لكثرة الحروب والتكتلات الصليبية التي تواجه الدولة العثمانية.[١]

لكن الحصري زعم أن دار الروم " أو الروم إيلي " كانت دار حرب من الوجهة الشرعية فيسوغ فيها الإسترقاق كما يزعم الحصري. ولذلك فقد أبتكر آل عثمان في عهد السلطان أورخان طريقة تضمن لهم تكوين جيش دائم يحسن الحرب والجهاد فأخذوا يقومون من وقت لآخر بغارات إلى ما وراء حدودهم في بلاد النصرانية بقصد استرقاق الأطفال ولقد عرف هذا الجيش فيما بعد بالإنكشارية فكان محور قوتهم واستطاعوا به فتح البلاد في أوروبا التي لم تكن دخلت في حوزة الإسلام من قبل مما أدى إلى زيادة عدد الرقيق مع كثرة الفتوحات والتوسع في أوروبا.[٢]

ذكر عبد الكريم غرايبه في الرواية التالية أن السلطان العثماني(شعر أنه بحاجة إلى " كلاب " لتحرس قطعانه أو رعيته، وتغير على قطعان غيره، فلم يجد أمامه من وسيلة إلا أن "يصادر الإنسان " ويدجنه، ويدربه، كما يفعل مع الحيوان، ودون أن يدع العاطفة تفسد عليه عمله وخططه). ثم يكرر في موضع آخر (وأخيراً ابتدع أحدهم فكرة مصادرة أولاد النصارى وتدجينهم، وتأسيس جيش محترف منهم لا يدين بالولاء إلا للسلطان).[٣]

وقد جاءت هذه الفرية أيضاً في بعض المصادر[*] التي تناولت التاريخ

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص١٦-١٨.

(٣) نقلا عن زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص١٣٨-١٣٩.

(*) محمد كرد: خطط الشام، أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، ص٥٨.إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية د. ط، لبنان: دار الفكر العربي، ١٤٠٨هـ،١٩٩٨م، ص١٥.

العثماني والموثوق فيها، إذ لم يقتصر الأمر على كتب المؤرخين المحدثين.

ومن خلال استعراض أقوال المستشرقين الأجانب والمؤرخين العرب، نجد أنهم انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول:

المستشرقون والذين تناولوا التاريخ الإسلامي بكثير من الحقد وتشويه الحقائق، وقد اعتدنا علىهذا الأسلوب منهم، خاصة الموضوعات التي تختص بالفتوحات الإسلامية والانتصارات العظيمة التي حققها المسلمون في سبيل نشر الإسلام. وقد ساءتهم تلك الانتصارات، فأخذوا يبثون سمومهم فيها، بهدف القدح في إنجازات المسلمين عامة، والعثمانيين خاصة، حيث بحثوا عن ثغرة يدخلون منها إلى أهدافهم فوجدوا أن الطعن في طريقة إعداد الجيش العثماني هو الطريق الأمثل، خاصة وأن فتوحات الدولة العثمانية أعتمدت على الجيش وبالأخص فرقة الإنكشارية، التي كان لها الفضل بعد الله سبحانه في الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية، وبالتالي وجدوا أن هذه الفرقة مناسبة لتحقيق أهدافهم، فصوروا طريقة جمع الأطفال بمنتهى القسوة والبشاعة وكأن ليس للمسلمين قلوب.

ومن ناحية أخرى أوضحوا أن أبناء الإنكشارية كانوا من أفضل الأسر المسيحية وأعرقها، وبالتالي فهم بذلك يرجعون الانتصارات التي حققتها الإنكشارية والشجاعة والقوة التي تمتع بها هؤلاء إلى أبناء جلدتهم، محاولين بذلك التهوين من شأن العثمانيين كقوة إسلامية والحط من قيمة أعمالهم.

القسم الثاني:

هم فئة من المؤرخين العرب الذين رددوا كلام المستشرقين دون أي تمحيص للحقائق أو محاولة كشف المزيف منها، وقد أوقعوا أنفسهم في الخطأ دون أن يشعروا.

ومن خلال ما تقدم من أقوال المؤرخين والمحدثين والباحثين حول قيام فرقة الإنكشارية نخلص إلى عدة أمور رئيسية:

أولاً:

هناك تباين واضح حول سبب تكوين الإنكشارية، فالبعض يرجح أن الرغبة في الجهاد ونشر الإسلام هي السبب الرئيسي لتكوين هذه الفرقة، والبعض الآخر يرجح أن إحياء العرف الإسلامي بأخذ خمس الأسرى والغنائم هو السبب، أو قلة خبرة الأتراك في حروب الحصون والقلاع، أو جلب الرقيق للخدمة في القصور.

ثانياً:

اختلاف أقوال المؤرخين حول كيفية تربية هؤلاء الأطفال بين القسوة والشدة في تعليم اللغة التركية والتدريبات العسكرية، إضافة إلى إكراههم على اعتناق الدين الإسلامي، والتسامح والتزام العثمانيين بالمبادئ الإنسانية في تربيتهم.

ثالثاً:

اختلاف المستشرقين حول صاحب فكرة تكوين فرقة الإنكشارية، فمنهم من رجح كفة أورخان، وأما البعض الآخر فقد رجح أن علاء الدين هو صاحب الفكرة، وآخرين ألصقوها بالعالم قرة رستم، وهناك من أكد أنها فكرة قرة خليل جندرلي.

رابعاً:

تناقضت أقوال المستشرقين بشكل واضح حول موقف الأسر المسيحية، فقد تأرجحت الأقوال ما بين الترحيب بالضريبة، بل وتقديم الأبناء عن طيب خاطر، وبين التذمر والإعراض، ودموع الأمهات وآهات الأطفال.

ومن الملاحظ أن المستشرقين لم يتركوا مجالاً إلا وتمادوا في تشويه

الإنكشارية والافتراء عليها، وقد استطاعوا أن يصوروا الأمر بمنتهى القسوة والبشاعة، معتمدين على ركيزتين الأولى العواطف الإنسانية، فصوروا الآلام النفسية التي تتحملها الأم عند انتزاع طفلها من أحضانها، والدموع التي تذرفها حزناً على فراق الابن الغض، وبذلك صورت ضريبة الغلمان على أنها أبشع أنواع الظلم والقسوة واختفاء الرحمة ورمزاً للتسلط العثماني، ومن سوء حظ الأهالي المسيحيين أن دولتهم تهزم على يد الأتراك العثمانيين، ويدفع الشعب ثمن هذه الهزيمة من أبناءهُ. كما يؤكد المستشرقون أن العثمانيين سلبوا أقوى العناصر من الشعوب المسيحية التي دانت لحكمهم. أما الركيزة الثانية فهي إكراه الغلمان على الإرتداد عن المسيحية واعتناق الإسلام. (١)

وهذا الأمر لا يعني أنه لم يتصدر مؤرخون وباحثون مسلمون للدفاع عن ضريبة الغلمان من حيث المبدأ، وقد استند هؤلاء إلى أن الفتوحات الإسلامية العثمانية تركت كثيراً من الدمار مما أدى إلى هلاك الكثير من العائلات المسيحية جوعاً، أو هروبهم من بلادهم، وترك عدد كبير من الأطفال المشردين دون آباء، فجمعتهم الدولة العثمانية، ووفرت لهم حياة كريمة، وتعليم وجعلتهم نواة لجيشها، ولولا هذا العمل لتعرضوا للهلاك أو الانحراف. (٢)

من الملاحظ أن الغالبية العظمى من المؤرخين والباحثين قد مالوا إلى القول بفرض ضريبة الغلمان وانتزاع الأطفال من ذويهم وإكراههم على اعتناق الإسلام، ولكن في المقابل هناك أدلة وقرائن تدحض هذه الآراء، وتوضح أنها مجرد محض افتراء ومحاولة لتشويه صورة الدولة العثمانية.

وبعض المستشرقين زادوا على الفرية الأساسية، اجتهادات خاصة بهم، والبعض الآخر ردّد الكلام دون وعي، ولكن في مضمونها جاءت بنتيجة واحدة.

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) مرجع سابق، ج١، ص٤٨٦.

منذ البداية وموقف النصارى واليهود معروف من الإسلام فمنذ بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يحاولوا الكيد للإسلام والمسلمين، ولم يرضوا يوماً عن المسلمين، والتاريخ الإسلامي تعرض للتشويه والافتراء على مر العصور، لكن أكثر دولة إسلامية تعرض تاريخها للتشويه كانت الدولة العثمانية. وما إفتراءهم وتشويههم هذا إلا حلقة جديدة في سلسلة كره النصارى واليهود للإسلام والمسلمين.

ولذلك من الأهمية بمكان الرد أولاً على هذه الفرية بشكل عام ثم الرد بعد ذلك على إضافات المستشرقين والمؤرخين العرب.

إذا أردنا الرد على هذه الفرية، فإننا نجد أن هناك بعض الأدلة والبراهين التي تثبت عدم صدق دعوى المستشرقين. إن أول ما يرد في هذه الفرية هو انتزاع الأطفال عنوة من ذويهم كضريبة، لقد نسي هؤلاء المستشرقون مدى ترسخ الإسلام في نفوس العثمانيين، فقد استقروا بعض الوقت في طبرستان وخراسان وجرجان، وبذلك اقتربوا من الأراضي الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة ٢١هـ /٦٤١م وهكذا بدأ اتصالهم بالعالم الإسلامي. وفي عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – تعاون الترك مع المسلمين لمحاربة الأرمن، ولم يقع بينهم قتال أبداً، وإنما سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام بها، وبزوال الدولة الساسانية، ونتيجة للفتوحات الإسلامية، أصبح الباب مفتوحاً أمام تحركات شعوب تلك البلدان، ومنهم الترك للاتصال بالشعوب الإسلامية، وإعتناقهم الإسلام بل والجهاد في سبيل الله، وإزداد دخولهم في الإسلام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأصبحوا من المدافعين عنه والمشاركين في الجهاد لنشر الإسلام. (١)

واعتناقهم للإسلام جاء على المذهب السني، مما هذب أخلاقهم وأوجد فيهم

---

(١) أميره مداح: مرجع سابق، ص ٨، ٩.

حب الجهاد في سبيل الله. وبذلك صارت الدولة العثمانية دولة إسلامية سنية أخذ مؤسسوها وسلاطينها على عاتقهم مهمة حماية الإسلام والجهاد في سبيل الله طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

وعلى هذا فإن المشروع في الإسلام أن أهل الذمة إنما يؤخذ منهم الجزية فقط، وذلك مقابل إقامتهم في ديار الإسلام كل عام لقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ ﴾(*) ومن السنة " أن المغيرة بن شعبه قال لجند كسرى يوم نهاوند أمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية" وإن دفعوا فإنه يحرم قتالهم والاعتداء عليهم وهي تؤخذ من أموال القادرين فقط فلا تجب مثلاً على المرأة والصبي والفقير[1] وإذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى ألا يؤخذ الصبي نفسه من أهل الذمة. فلا يغلب أهل الذمة على صبيانهم ولا نسائهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء بل إن الفقراء يُعفون من أداء المقرر من الجزية تسامحاً معهم ومراعاة لوضعهم وحالتهم الاجتماعية فكيف يسوغ أن يقال إن العثمانيين كانوا يأخذون الصبيان من أهل الذمة. وبالتالي هذا يثبت عدم صدق دعوى من قال أن العثمانيين كانوا يأخذون أطفال النصارى عوضاً عن الجزية، إذ أنه من غير المعقول أن يخالف العثمانيون الإسلام في شيء كالجزية وهم من أعتنق الإسلام منذ فترة مبكرة جداً قبل ظهورهم على مسرح السياسة.

وعلى هذا لم تنتزع الدولة العثمانية أطفالاً من ذويهم بل أعتمدت على ما تقدمه العائلات المسيحية طواعية من أبنائها للإنخراط في الديوشرمة، كما أنه لا توجد وثيقة واحدة تشير أو تؤيد هذا القول أو تدل على أن العثمانيين مارسوا أي وسيلة للضغط على الأسر المسيحية، بل أن هذه الأسر كانت تتنافس في تقديم

(*) سورة التوبة آية ٢٩.

(١) الموفق إبن قدامه: المغني، ج١، د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت، ص٥٦٧.

أبنائها لإعجابها بالإنكشارية، ونظروا له على أنه نوع آخر للفروسية، فاق فروسية أوروبا في العصور الوسطى، إضافة إلى أن نظام أهل الذمة الذي طبقته الدولة العثمانية كجزء من نظمها الإسلامية، بهرت به أوروبا في وقت انعدمت عندهم الحرية الدينية أو كادت بل إن إقبال الأسر المسيحية على تقديم عدد كبير من أبنائها للإنكشارية، دفع بالسلطان أورخان إلى إصدار خط شريف بألا يقبل منهم إلا من الإبن السادس إلى الابن العاشر في الأسرة الواحدة. (١)

كما أن هناك نقطة مهمة وهي أن نظام الفروسية في أوروبا خلال العصور الوسطى، قد عود إحساس الأم والأب على فراق أبنائهم، كما أن كثرة الحروب وما تخلفه وراءها من دمار، إضافة إلى انتشار الأمراض القاتلة وانتشار عادة بيع الأطفال نتيجة للجوع والفقر ساعد على دعم هذا الإحساس في نفوس الأهالي.

وفي هذا الصدد نورد ملاحظة مهمة، وهي إذا كان حقاً يؤخذ الأولاد ما بين العاشرة، والعشرين من أهلهم لإدخالهم في الإنكشارية، فهل من المعقول أن ينسى هؤلاء أهلهم وهم في هذه الأعمار، ولنفترض أنهم أكرهوا على اعتناق الإسلام، ودخلوا فيه، فهل يعقل أن ينسى الشاب الصغير ذو الخمسة عشر عاماً أمه وأباه وقريته ورفاقه ! إذ لا نجد تفسير لهذا، كما أنه صار من هؤلاء الأطفال صدور عظام ووزراء وولاة، وتسلموا رواتب عالية فلم تذكر لنا كتب التاريخ شيئاً عن تقديم هؤلاء خدمات مميزة لقراهم أو أسرهم، ألا يتذكر هؤلاء آبائهم وأمهاتهم بعد أن أنعم الله سبحانه عليهم بكثيراً من النعم. إن السكوت عن هذه الأمور يدل أصلاً على أن عملية الانتزاع هذه لم تكن تجري أصلاً، أو حتى لو صارت لم تكن بتلك القسوة، كما أنه لم يرد أبداً أنه قامت ثورة أو تمرداً أو قدم طلباً للدولة

---

(١) أميرة مداح: مرجع سابق، ص٢٠. خلف الوذياني: مرجع سابق، ص٩٥، ٩٦. محمد عبد اللطيف البحراوي: من خصائص تاريخ العثمانيين، ص٢٠٤، ٢٠٥.

العثمانية من القرى المسيحية، يتضمن احتجاج على انتزاع الأطفال ويطالب بإلغائها. أما إذا كان عمر هؤلاء الأطفال فوق أثنى عشر عاماً فهم يستطيعوا المقاومة بسهولة بل والهرب فالشاب في سن الخامسة عشر أو السادسة عشر يكون رجلاً قادراً على الزواج وإنجاب الأبناء ولا يستطيع أي شخص إرغامه على فعل شيء ضد رغبته.

كما أنه ليس هناك سبب عقلي يجعل دولة قوية تتحمل عناء انتزاع أطفال مسيحيين وتربيتهم والصرف عليهم واستغراق فترة من الزمان حتى يشب هؤلاء الأطفال ويصبحوا قادرين على حمل السلاح، بل والعمل أثناء ذلك على إكراههم على اعتناق الإسلام وتغيير معتقداتهم، فما الذي يجعل الدولة العثمانية تصرف هذا الوقت والجهد والمال، في الوقت الذي يوجد فيه أطفال المسلمين الذين تربوا أصلاً على تعاليم الدين الإسلامي، والجهاد في سبيل الله وإعلاء راية الإسلام.

لقد خاض المستشرقون بعد ذلك في أمراً لا دراية لهم به، وهو مسألة إكراه الأطفال على اعتناق الإسلام، إن حكم الإسلام في هذه المسألة واضح وصريح لا غبار عليه لقوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾(*) وهذه قاعدة شرعية ثابتة، وهي من مبادئ الإسلام وبالتالي من مبادئ العثمانيين المسلمين، إذ لا يجوز إجبار ولا إكراه أحد على الدخول في الإسلام، الذي يرفض هذا الأمر رفضاً تاماً، فالآية الكريمة واضحة إذ وضح الحق من الباطل والهدى من الضلال في أمر الإكراه.[١]

فإذا كان الإسلام يمنع الإكراه في الدين، فكيف يسمح بانتزاع الأطفال من أحضان أسرهم لإرغامهم على الإسلام، إن الإسلام يهتم بتنشئة الطفل في كنف

(*) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الطبعة الثانية، لبنان: دار القرآن الكريم، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ج١، ١٦٣.

أسرته، فليس هناك ذكر في الإسلام لهذه الضريبة العجيبة. (١)

كما أنه لا يمكن أن يتصور إنسان كيفية إكراه آخر على اعتقاد شيء في قلبه الذي يمتلكه بين ضلوعه فلربما تظاهر بالإيمان مثلاً ولكن ظل في قرارة نفسه على معتقداته الأصلية وبذلك ينجو من الأذى والضرر، وفي أول معركة يخوض غمارها ينضم لصفوف الأعداء ويحارب ضد العثمانيين لأنه يحقد عليهم ويكره دينهم، لأنه غصب على إعتناقهُ، ولكن لم يحدث ذلك قط، وإن حدث لكانت أقلام المستشرقين الحاقدة أول ما كتبت هذه الأحداث. بل العكس تماماً كانت الإنكشارية تحلم بالشهادة دائماً، فالإنشكاري يرى جنات ربه وهو يتلوى محترقاً تحت سيل من الزيت المغلي الذي تصبه قوات الأعداء المدافعة عن الأسوار. وإذا انفتحت ثغرة في تلك الأسوار كان التكبير يتردد في المعسكر العثماني وكأنه زلزال الحشر، وبروح فدائية حقه كانت القوات العثمانية تريد كسب الدنيا والآخرة معاً. (٢)

إضافة إلى ما سبق فقد كانت الإنكشارية كتلة واحدة تشعر بواجبها الإسلامي وبالمهمة التي أعدوا من أجلها ألا وهي الجهاد، السيف سلاحهم، ودعوة الحق شعارهم، يذهبون إلى ساحات القتال وهم يقولون في قرارة أنفسهم " إما غازي، وإما شهيد " وقبل خوض المعركة كانوا يستعدون للشهادة، يتطهرون ويصلون لربهم ويطيلون السجود في صلاتهم خشوعاً لبارئهم. فيدخلون المعركة إما أن ينتصروا على الأعداء، أو يستشهدوا في القتال، (٣) لقد أعترف ملوك النصارى بشجاعتهم، لم يخافوا الموت لقولهِ تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص١٢٨.

(٢) عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص ١٣.

(٣) خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص ٩٦. ساطع الحصري: مرجع سابق، ص١٧.

أَمْوَٰتَاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(*) ويتضح هذا الأمر في أثناء حرب الدولة العثمانية ضد الفرس، الذين كانوا يسألون هل بين الجنود من يكثر السجود، وهم بذلك يقصدون الإنكشارية.[1]

كما أن الصبي إذا لم يكن له والدان أو كانا غير معلومين فإن التبعية في الدين تنتقل إلى تبعة الدار، وبما أن كثيراً من الصبيان لم يكن يُعلم أباؤهم فإن التبعية تكون للدولة العثمانية المسلمة صاحبة الدار. وكذلك إن انتقل الصبي من دار أخرى إلى دار الإسلام بسبب الحروب كما كان سائداً في ذلك الزمان بين الأمم فإن الصبي يتبع الإسلام، فهو مسلم بالتبعية التي انتقلت إلى دار الإسلام.[2]ومن هذا يتضح أن كلمة إكراه لا تنطبق مطلقاً على هؤلاء الغلمان على ترك معتقدهم بينما هم أنفسهم يتطلعون إلى تحقيق مستقبل باهر من خلال الإخلاص للسلطان، ولا يتم ذلك الأمر إلا إذا اعتنقوا معتقدات سلطانهم دون إكراه ومن تلقاء أنفسهم. كما أن السلطان أورخان الذي تناولته الفرية كان رجل مسلم متدين، بل أن أخاه علاء الدين الذي استحسن الفكرة كان رجلاً عالماً في الشريعة، فلا يعقل أن يشير على أخيه بأمر تأباه الشريعة.[3]

أما أن الإسلام لا يبيح لغير المسلمين حمل السلاح، فتلك كلمة حق أريد بها باطل، لقد فرض الإسلام القتال على المسلمين باعتبارهم مسلمين يدينون بالولاء للإسلام، وليس من شأن الإسلام أن يفرض الجهاد على أناس لا يدينون به بل

(*) سورة آل عمران آية ١٦٩، ١٧٠.

(١) أحمد جودت: تحقيق عبد اللطيف الحميد، ص١٩٥.

(٢) الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٧، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ، ص ١٠٤.

(٣) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ١٤٤، ١٥٣.

فرض الإسلام على المسلمين حماية لهم وللدفاع عن أرواح وأموال غير المسلمين الذين يعيشون في كنف المسلمين ويؤدون لهم الجزية، دون تحميل هؤلاء عناء الجهاد.

وقد أورد كامل باشا رواية تذكر أن السلطان أورخان أختار عدد من شباب الترك والبيزنطيين وألحقهم بالجيش وركز على تربيتهم وفق التعاليم الإسلامية . ثم لم يلبث أن تزايد عدد المجاهدين الذين انضموا للجيش الجديد. (١)

وكان الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام الدافع وراء انطلاق عثمان ومن بعده إبنه أورخان في جميع المعارك ضد البيزنطيين، وبالتالي هو الدافع في إنشاء الجيش الجديد.

وقد أكد على هذا القول المؤرخ التركي أحمد رفيق في كتابه "بيوك تاريخ عمومي " أن أورخان وعلاء الدين كانا متفقين على أن الهدف الرئيسي لتشكيل الجيش الجديد، هو مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين ونشر الإسلام في أراضيهم، والاستفادة من هؤلاء البيزنطيين الذين أسلموا في الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام. ولعل وجود عدد من المسلمين البيزنطيين، أمراء وعساكر في هذا الجيش هو الذي أوجد للحاقدين ثغرة يدخلون من خلالها ينفثوا سمومهم. (٢)

وهكذا يتضح لنا أن العثمانيين لم يكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام، بل كانت الحرية الدينية مبدأ ثابت في الدولة العثمانية، وكانت أقوال المستشرقين محاولة يائسة لتشويه تاريخ الدولة العثمانية.

لقد أسلم الإنكشارية بمحض إرادتهم وحسن إسلامهم وكانوا أثناء القتال مع الأعداء يتوقون إلى الشهادة، وذلك لأنهم اقتنعوا منذ صغرهم بمبادئ الجهاد

---

(١) نقلاً عن زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٥٢، ١٥٤.

(٢) نقلاً عن زياد أبو غنيمة: مرجع سابق، ص١٥٤، ١٥٥.

الإسلامي، ولم يكرهوا عليه، لقد كانوا يتلقون العدو بصدور وقوة وعزيمة وثقة بالنصر.(١)

أما عن إحياء العرف القديم بأن السلطان كان له الحق في انتزاع خُمس الغنائم للإنفاق منها على الجيش، فهذا كلام غير صحيح من أساسهُ، وذلك أن أخذ خمس الغنائم وليس انتزاعها حق مشروع للحاكم في الإسلام، وهو ليس عرف قديم والدليل قوله تعالى ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(*) إن الآية صريحة وواضحة، وقال المفسرون أن الغنيمة تقسم خمسة أقسام، الخمس الأول يقسم خمسة أسهم الأول للرسول، والسهم الثاني لذي القربى، والثالث لليتامى، والسهم الرابع للمساكين، والسهم الخامس لإبن السبيل، وباقي الغنيمة توزع على الغانمين،(٢) وهذا يعني أن نصيب السلطان قليلاً جداً وليس بالضرورة أن يكون الخمس أطفال، فقد يكون الأموال أو المتاع أو حتى بغال أو أسلحة، مما يؤيد أن هذا الأمر فرية قد ألصقت بأورخان ومراد الأول لتشويه صورتهما وتصويرهما على أنهما حاكمين ظالمين. وفي هذا الجزء يظهر واضحاً تناقض أقوال المستشرقين وعدم اعتمادهم على مصدر موثق، وإنما أعتمدوا على أهوائهم ونزعاتهم الشخصية وذلك لأنهم استرسلوا في الافتراء حيث قالوا أن عملية جمع الأطفال كانت تتم بصفة دورية عن طريق إرسال الوكلاء إلى كل قرية مسيحية للإطلاع على قائمة بأسماء الأطفال الذين تم تعميدهم في الكنيسة، ثم يختار الوكلاء خُمس هؤلاء الأطفال، وقد قالوا في البداية أن الأطفال هم خُمس الغنائم، وهذا يعني بعد انتهاء المعركة يتم جمع الغنائم في وقت الحرب فقط، فما الذي جعلها تتم بهذا الشكل

---

(١) أحمد جودت: تحقيق عبداللطيف الحميد، ص١٧١، ١٧٢.

(*) سورة الأنفال آية: ٤١.

(٢) محمد علي الصابوني: مصدر سابق، ج١، ص٥٠٦.

المنظم وتتكرر كل فترة معينة، بل تحولت إلى ضريبة غلمان تجبى كل خمسة أو ستة أعوام أو أقل، وبهذا المفهوم لا يمكن اعتبار أنها خُمس الغنائم مما يدل بوضوح على أن الأمر مجرد تركيب جمل دون ترابط. ومحض افتراء.

وإذا نظرنا في ظروف الفتح الإسلامي العثماني للمدن البيزنطية، نجد أن عدداً كبيراً من الأطفال فقدوا أبائهم وأمهاتهم وأسرهم لموتهم في المعارك التي صاحبت الفتح، أو أثناء هروب الأسر من مدينة إلى أخرى، وهذا أمر يصاحب كل ضم، وبالتالي بقي أولئك الأطفال مشردين في الطرقات يتامى بلا مأوى أو مكان يسترهم، فسعت الدولة العثمانية لاحتضان هؤلاء الأطفال، وتأمين مستقبل كريم لهم، ولا يتوفر هذا المستقبل إلا في ظل الإسلام. (١)

ففكرة نظام الإنكشارية في أساسها، عبارة عن مؤسسة تقوم بتربية الأطفال، وتدريبهم عسكرياً وتعليمهم الدين الإسلامي، وليس نظام قهري واستبدادي كما صوره المستشرقون وأداة للتحول القهري للإسلام.

أما قولهم بأن المناهج التي كان يدرسها هؤلاء الغلمان وضعت خصيصاً لمحو كل أثر للنصرانية، فلا يعقل أن تستطيع أي مناهج كانت محو أثر ديانة من طفل عمره عشر سنوات أو أكثر، إن الاتجاه إلى الله فطرة في الإنسان بصرف النظر عن ديانته. والدليل على ذلك أن الإنكشاريين حسن إسلامهم وجاهدوا في سبيل الله بكل ما أوتوا من قوة، لأنهم اقتنعوا بالإسلام فلم يتلقنوه كمادة مفروضة عليهم، لقد وضحت الهوية الإسلامية على جندي الإنكشارية، لدرجة أن الأتراك أطلقوا عليه اسم الجندي المحمدي،وذلك تيمناً باسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. (٢)

أما عن نسب فكرة إنشاء الإنكشارية إلى هابيل الأسود وزير أورخان، فإن

---

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) مرجع سابق، ص٢٥.

هذا الاسم لم يرد ذكره في أي أحداث سياسية مهمة، سوى في هذه الفرية المغرضة، وهذا يدل على اختراع هذه الشخصية، علماً بأن وزير أورخان كان أخوه علاء الدين. إن كل ما في الأمر هو أن أورخان قرأ كتاباً ألفه نظام الملك الوزير السلجوقي "سفرنامه " ويتناول هذا الكتاب فن الحكم وخلاصة التجارب والأنظمة والدواوين. وقد ورد تفصيل للطريقة المثالية لإيجاد قوة محاربة، حيث أشار إلى أختيار عدد من الأولاد في سن مبكرة، تتولاهم الدولة بالعناية والتعليم على فنون الحرب، ومن هذا الكتاب جاء تأثر أورخان، وأخذ يبحث عن مصادر جديدة للقوة المحاربة التي أراد إنشاءها، فرأى أن يستفيد من أسرى الحروب الدائرة على حدود العالم المسيحي.(١) لا أن ينتزع الأطفال من أحضان ذويهم.

وزاد المستشرقون في افترائهم حيث أضافوا أن جميع الأطفال ليسوا من ضريبة الغلمان، بل هناك عدد من الأولاد اشتروا بالمال من سوق النخاسة، ونسى هؤلاء إن جيش الدولة العثمانية لم يكن جيش عبيد أو مرتزقة مثل الجيوش الرومانية وغيرها، لقد كانت فكرة أورخان الأساسية هي رغبته في أن يكون جيشه من المسلمين وليس من المرتزقة، وعلى أي حال فإن أسواق النخاسة عموماً نادراً ما تحتوي على أطفال في سن العاشرة، لأن هؤلاء لا يفيدون في العمل أو حتى الحرب، لقد كانت أهم مصادر الإنكشارية الأطفال المشردين في الشوارع، ثم ما يقدمه الأسر المسيحية من أبناء حباً في تعليمهم الإسلام، وطمعاً في المستقبل اللامع الذي ينتظرهم، أما كونهم من أسرى الحرب فهو مصدر ضعيف حيث أنه في الغالب كان يتم تبادل الأسرى بموجب عقد هدنة بين الطرفين، وإذا عدنا قليلاً إلى عهد عثمان ومن بعده أورخان، فإننا سنجد أن المدن البيزنطية التي فتحها الله عليهما، كانت تفتح سلمياً دون قتال، إما سبب تقبل أهلها للإسلام أو بسبب فرار حاكمها وحاميتها، فيدخلها العثمانيون المسلمون

---

(١) أميره مداح: مرجع سابق، ص ٣٠.

ويقيموا العدل بين أهلها، فيجد فيهم الناس مخلصاً لهم من ظلم البيزنطيين، فيُسلم أكثرهم والباقي يدفع الجزية، وبعض المدن ترفض الاستسلام وتختار الحرب، فيفتحها الله على المسلمين بعد قتال. وأياً كان الأمر فقد ترك العثمانيون الحرية الدينية لأهالي البلاد المفتوحة، كما أنه كان من سياسة عثمان وأروخان عدم أخذ أسرى حرب، وإذا وجد هذا الأمر فإن عدد الأسرى يكون قليلاً، ويتعهدهم العلماء بالتربية الإسلامية، أو يتم عقد مصالحة بين الطرفين، يتم على أثرها تبادل الأسرى. (١) كما حدث في عهد السلطان محمد الأول عندما تمرد عليه أمراء الأناضول، وخاصة أمير أزمير ولكن السلطان حل الأزمة وتم تبادل الأسرى بعد مصالحة بين الطرفين.(٢) إضافة إلى أن الفتوحات والجهاد في بلاد الروملي كانت متتابعة فكان يأتي الأسرى بأعداد وفيرة إلى العاصمة.(٣)

إذا لم يتم تبادل الأسرى، فإن هؤلاء يبقوا في أنقره، ومن هنا جاءت فكرة الاستفادة من الأطفال الأسرى في الجيش، كما أن الأسرى يكون بينهم رجالاً ونساءً وشيوخ وأطفال، مما يوحي بأن عدد الأطفال غالباً ما يكون قليلاً أما عن مقولة أن جميع أبناء الجيش الجديد كانوا من أسرى البلاد الأوروبية المفتوحة، فإن دليل بطلانها أن الأمير علاء الدين أخو السلطان أورخان الأكبر، كان الصدر الأعظم، وهو الذي أشار على أخيه بفكرة الجيش الجديد - إلى جانب تأثر أورخان بكتاب نظام الملك السلجوقي - فقد توفى عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م ولم يكن السلطان أورخان فتح أي مدن بيزنطية داخل الحدود الأوروبية بعد، إذ لم يتم فتح غاليبولي وجيمنك وغيرها من المدن والقلاع إلا في عام ٧٥٧ هـ /

---

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) كامل باشا: التاريخ السياسي للدولة العلية العثمانية منذ تأسيسها وحتى الفترة الأخيرة للسلطان عبد الحميد، د. ط، إستانبول: مطبعة إحسان، ١٣٢٧هـ، ج١، ص١٣.

(٣) أحمد زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ، ج٢، ص١٢٠.

١٣٥٦م. ومن هنا تسقط مقولة أن الجيش الجديد كان من أبناء أسـرى الـبلاد الأوروبية المفتوحة، لأنها لم تكن مفتوحة عند تشكيل الجيش الجديد. [١]

ومما يؤكد هذا الأمر أن تأسيس الجيش كان في عام ٧٣١هـ / ١٣٣٣م أي قبل فتح غاليبولي بفترة طويلة، وهذا يهدم أقوال المستشرقين الـذين ينسـبوا لأورخان أنه انتزع أطفال النصارى من المدن الأوروبية، أو أن الأسرى كانوا من أبناء الأسر الأوروبية.

إن جميع المستشرقين تقريباً اتفقوا على جوهر هـذه الفريـة، ولكـن كـل مستشرق أضاف قصة جديدة من خياله، ومن الأفضل تفنيد آراء كـل مستشـرق بمفرده.

وقبل كل ذلك لابد أن نسأل، من أين استقى هؤلاء المستشرقين روايتهم ؟ فلم يذكروا مصدرهم أو حتى الوثائق المخطوطات التي اعتمـدوا عليهـا، كمـا لـم يوضحوا في بعض الأحيان المكان والزمان وحتى اسم السلطان، أليس هـذا مـن مقتضيات البحث العلمي، رواية كهذه تحمل تهمة خطيرة لشعب بأسره بل لأمة بل للإسلام الذي كان العثمانيون يمثلونه آنذاك، أن يورد المؤرخون مصـدرها لقـد افتقدت هذه الفرية أول دليل بطلانها، لأنها لم توثق علميـاً، وافتقـدت للتوثيـق التاريخي، وأفتقد المستشرقون أول سمة للمؤرخ وهي الأمانة العلمية.

كارل بروكلمان كان بطل تشويه الإنكشارية، بشكل كبير حيث أرجـع سـبب انتشار جيش الإنكشارية إلى عدم تعود الأتراك على الخدمة النظامية، وكأنه يقول أن المسلمين عموماً قوم لا يحبون الأنظمة التي تقيدهم وتضبطهم، ثم أن الجيش غير المنظم هنا الذي تحدث عنه قد حقق انتصارات بهرت الروم أنفسهم وزلـزت عروشهم، إذاً فما الداعي لهؤلاء المتطوعة أن يتخلوا عن الاستمرار في القتال ؟

---

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص١٣٧.

وإذا كانت القضية هي التنظيم فلماذا لم تستطع جنود النصارى المنظمة صد هذه الجيوش غير المنتظمة بل والانتصار عليها ؟ ! ولماذا يتخلى هؤلاء المتطوعة عن الاستمرار في القتال وقد حققوا نجاحاً باهراً في فترة وجيزة ؟

وكل ما في الأمر أن السلطان أورخان أثارت مخاوفه مطالبهم فقرر إنشاء جيش من المشاة، ليسهل فتح القلاع والحصون في الوقت نفسه لم يستغن عن الإقطاعيين، فهم ليسوا جيش إقطاعي بالمعنى الذي قصده بروكلمان، وإنما نالوا الأراضي الزراعية مكافأة لهم عن انتصاراتهم التي حققوها، وفي وقت السلم يعملوا بالأراضي الزراعية.

ومن معرض حديث بروكلمان جاء أن السلطان أورخان أراد أن يستعيض عن فرقة الأتراك بفرقة من النصارى الذين كانوا يألفون هذا النوع من الخدمة العسكرية [١]. وكان لسان حاله يقول أن المسلمين عامة والعثمانيين خاصة، لم يألفوا الأنظمة العسكرية، وهذا مخالف تماماً للأحداث التاريخية، فالجيش الذي كونه عثمان ثم أرطغرل قد زلزل عروش طغاة الروم. كما أنه لماذا يشك السلطان أورخان في كفاءة وشجاعة جنوده الذين كانوا يهرعون إلى ميادين القتال طلباً للنصر أو الشهادة، ويستبدلهم بأبناء النصارى الذين ليس بينهم وبين الإسلام صلة، ولا يدركون معاني الجهاد، ثم ينتظرهم أعوام حتى يتعلموا الإسلام ويقتنعوا بمبادئه ويستحوذ حب الجهاد على أفئدتهم مثل المحاربين الأوائل.

كما أنه لو فكر بروكلمان قليلاً وخلع عن عينيه غشاوة الحقد على الإسلام والمسلمين، لأكتشف أنه لم يبرع أحداً في ذلك النوع من الخدمة العسكرية، مثلما برع المسلمون العثمانيون، وتاريخهم خير دليل، وقد أكد كارل بنفسه ذلك في موضع آخر من كتابه حيث قال "الواقع أن الأتراك اشتهروا، منذ خروجهم من

---

(١) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤١٤.

البوادي، بأنهم فرسان بارعون وجريئون إلى حد التهور " [١]

ويبدو تناقض أقوال بروكلمان بشكل أكثر، عندما يقول أن الدولة تنتزع الأطفال من أحضان ذويهم، لتضمهم إلى الجيش الجديد، بينما يؤكد أن هؤلاء الغلمان، كانوا يطمحون في أن يلتحقوا بجيش السلطان ليحققوا مستقبلاً باهراً لهم فكيف يجتمع الضدان في وقت واحد ؟ ومما يدل على عدم صدق هذه المعلومة، أنه ورد في كتب العديد من المؤرخين النصارى الإشارة بأن الآباء البيزنطيين الذين نور الإسلام قلوبهم، كانوا يتشوقون إلى تقديم أبنائهم طواعية للسلطان العثماني ليربيهم تربية إسلامية ويلحقهم بالجيش.

وعلى طول حديث بروكلمان يتضح لنا مدى التخبط والتناقض في معلوماته، فتارة يصور العثمانيين المسلمين في غاية القسوة والوحشية أثناء جمع الأطفال، ثم في غاية الإنسانية والرحمة في التربية، ثم يعود فيهدم الكلام السابق عندما يصور أن ضريبة الغلمان لم تلق أي اعتراض لدى الآباء، بسبب المستقبل الباهر الذي ينتظر الأبناء نتيجة انضمامهم إلى الجيش الجديد، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يدفع الأثريا رشاوي للحيلولة ما بين أبنائهم وبين المستقبل الباهر الذي ينتظرهم لدرجة أن أبناء المسلمين ينظرون إليهم بعين الحسد ؟ ثم أي خمسة أصناف التي تحدث عنها ؟ فهو لم يذكر أي من شروطها أو حدودها، ولم يأت على ذكرها بعد ذلك، وهذا يدل على أنها من خياله. لقد ناقض بروكلمان نفسه، ففي البداية صور الغلمان بصورة المظلومين، ثم راح يجعلهم في موضع المحسودين، وهذا يعني أنهم في نعمة كبيرة.

كما أنه من الثابت تاريخياً أن الأسر المسيحية أصبحت تقدم أبناءها للإنضمام في صفوف الإنكشارية لما ينطوي عليه الأمر من فائدة وخيراً عظيماً لهم. [٢]

---

(١) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤١٣.

(٢) أميرة مداح: مرجع سابق، ص٢٠، محمد السيد: مرجع سابق، ص ٢٠٠.

وقد تمادى بروكلمان في غيه إذ زعم أن لهذه الضريبة مواعيد وأعمار معينة، وسليمي البنية، فهل من المعقول سكوت الأهالي وعدم الدفاع عن أبناءهم، أو القيام بثورة على هذا الظلم، لقد ذكرا أن الآباء الأغنياء كانوا يدفعوا الرشاوي ثمناً لحرية أبنائهم، والفقراء ماذا سيفعلون، فهم لا يمتلكون المال، وبالتأكيد لن يرضخوا وسيقوموا بحركة تمرد ولكنه لم يذكر شيء من هذا القبيل ولم يأت بدليل قاطع على أقواله.

برنارد لويس ذكر معلومات مختلفة، لقد أقر أن المجاهدين الأوائل كانوا من الأتراك أنفسهم ولقرون عديدة كانوا مهيمنون في الفتوحات، ثم أنضم للجيش المسيحيين اليونان الذين أسلموا وصاروا مجاهدين بارزين، حسب قوله، إذا فما الداعي لاستخدام أبناء النصارى وخطفهم من أسرهم ليعملوا في الجيش العثماني؟ ليس هناك سبب عقلي يحتاج دولة قوية بإمكاناتها الذاتية لأن تجلب أعدائها لتستخدمهم في محاربة أعداءهم والذين غالباً ما يكونوا على دين هؤلاء الأبناء المختطفين المكرهين، بل كيف يعقل أن يطمئن العثمانيون إلى إخلاص وتضحية هؤلاء الجند ؟ إن من بديهيات الأمور أن ينقلب هؤلاء الشباب على العثمانيين في أول فرصة سانحة ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. ثم من هم هؤلاء المسيحيين اليونانيين الذين أسلموا وصاروا مجاهدين لماذا لم يذكر مصدر معلوماته، كما لم يأت ذكرها في أي مصدر آخر.

لقد كثر حديث المستشرقين ومن ضمنهم لويس عن المعاملة الحسنة التي يلقاها الأطفال في الدوشرمة، من رعاية واهتمام إلى جانب تعليمهم مبادئ الإسلام واللغة بالإضافة إلى التدريبات العسكرية. وما دام الأمر كذلك، فمن هؤلاء الذين يعملون خدماً في القصر أو في رعاية جنود السباهية هل هي هذه المعاملة الحسنة في نظرهم، أم يدل هذا على أنهم يقولون أي شيء وفي أي وقت.

وفي معرض حديثه يشكك في شرعية نظام الإنكشارية من ناحية الاسم ثم

يؤكد أن هذا النظام صار مقبولاً على القرى المسيحية، كيف مقبول وهو أصلاً يقوم على اختطاف أبنائهم من أحضانهم وغير شرعي بأي منطق يتكلم برنارد، كما أنه مقبول من الأهالي أم الدولة ؟

ثم يذكر أن السلطان لم يقدم على هذه الخطوة إلا بتوجيه من الفقهاء استناداً على ما جاء في الشريعة الإسلامية، وفي بدعة من عمل الفقهاء، فكيف يستند السلطان على بدعة ليس لها أصل في الشريعة الإسلامية.

وفي نهاية الأمر يسند لنا الرواية عن مؤرخ تركي مجهول لديه، يزعم فيها أن عالم مسلم اسمه قره رستم لفت نظر السلطان إلى أخذ خمس الغنائم والأسرى، وكأن السلطان لا يعلم أمور دينهُ، والواقع أن برنارد هو من لا يعرف تعاليم الدين الإسلامي إذ قال أن هذه بدعة من عمل الفقهاء، وهنا يبدو الأمر في غاية الغرابة. فكيف يقوم الباحث الأكاديمي مثله نقل رواية عن مجهول، ثم لا يكلف نفسه عناء البحث عن أصل هذه البدعة حسب قوله في الشريعة الإسلامية ؟ لكن روح التعصب والحقد والكره للإسلام غلبت على أمانتهُ العلمية والتحري والدقة.

أما فيشر فقد أرجع الفضل في قيام الدولة العثمانية ليس إلى إسلامية الدولة، وإنما لأن بعض الصدور العظام وبعض كبار رجال الدولة كانوا من أمهات نصارى، ولكن هؤلاء إن وجدوا فقد كانوا مسلمين بصرف النظر عن أصلهم " لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ".

إن دخول العثمانيين في الإسلام على المذهب السني وجهادهم ضدّ البيزنطيين جعل من دولتهم نصيرة للإسلام، وقد شاء الله تعالى أن تأتي هذه الدولة وتصبح ذات شأن كبير وقوة عظيمة لأن العالم الإسلامي في ذلك الزمن الغابر كان يتطلع إلى وجود دولة إسلامية قوية تجمع شملهم وتؤلف قلوبهم. ولذلك فلاشك أن الإسلام كان له دور فاعل في توجه الدولة العثمانية وبناء مؤسساتها العسكرية،

ولذلك لا نستغرب أن يقوم السلطان أورخان بتأسيس جيش الإنكشارية ليصبح الأداة الفاعلة في انتصارات الدولة.

أما المستشرق الفرنسي جيبون فقد ركز على إكراه العثمانيين لنصارى البلقان على إعتناق الإسلام بعد فشل إغرائهم بالعتق من حياة الرق، فلماذا يرفض نصارى البلقان عرض السلطان مراد الأول بالإسلام ولو ظاهرياً – مقابل التحرر من الرق، ثم إذا رفضوا سيكرههم مراد على الإسلام وسيقبلوه على أن لا يأخذ مراد الأول أولادهم ويحملهم المعاناة النفسية تلك التي تغنوا بها. إن المنطق يقول أن نصارى البلقان كان بإمكانهم التظاهر بالإسلام إذ لا يكلفهم ذلك الكثير أما أن يرفضوا التظاهر لأي سبب كان، ثم يرضخون تحت التهديد بانتزاع أطفالهم فيسلموا، فإن أقل ما يقال حينذاك أنهم دخلوا في الإسلام نفاقاً أو تظاهراً، إذاً فلماذا عرضوا أنفسهم لكل هذا العذاب النفسي طالما أنهم سيسلمون في النهاية ؟

كما يتضح التناقض في حديثه بعد ذلك، إذ يقول أن الإنكشارية كانت قدوة حسنة في الالتزام بتعاليم الإسلام وترك الأهالي في حرية دينية، يناقض أقواله، ففي البداية يتحدث عن إكراه النصارى وأبنائهم على اعتناق الإسلام، ثم يعود فيقول أنهم نشروا الإسلام في أوروبا، كيف يعقل أن ينشر إنسان مبادئ مكره على اعتناقها.

وقد ذكر لإثبات هذا الأمر أن الإنكشارية عبارة عن تداخل المبادئ الغزوية والإسلامية القديمة ويقصد بالغزوية الغزو وأخذ الأسرى والتوسع العسكري، أما التقليد الإسلامي فهو التسامح الديني وأخذ الجزية، إذ كان بيري أطلق على توسعات وفتوحات الدولة العثمانية غزو، فهو يعود إلى قصور معلوماته عن الإسلام، وعن الدولة العثمانية، إن فتوحات الدولة العثمانية كانت لنشر الإسلام ورفع راية الجهاد معتمدة على القوة العسكرية، والأسرى في أغلب الأحيان كانوا يدخلون في الإسلام، وأكثرهم يحسن إسلامهم.

أما وجهة نظر بول كولنز فقد ربط نظام الرق بنظام الدوشرمة [1]، ونسى أن الفرق بينهما كبير، فنظام الرق في الإسلام ليس له هذا المسمى، وإنما هم أسرى الحروب والفتوحات وكان الأسير إذا قدم الفدية سواءً مالية أو عينية يتم فك أسره، كما أنه لم يقر الإسلام والدولة العثمانية خطف ا لأحرار وبيعهم على أنهم عبيد، وإذا حملت الجارية فإن وليدها يعتقها، هذا هو نظام العبيد والجواري في الإسلام، وقد تقول بول كولنز على الإسلام وعلى العثمانيين أنهم يأخذون ضريبة الرأس - لفظ جديد - من الأهالي طالما أنهم ليسوا مسلمين، وقد نسي أن المسيحي إذا دفع الجزية ليس من حق أي حاكم أخذ أطفاله، ثم من أين أحضر معلومة أن الأسرى كانوا يعملون في القصور ؟ ألم يربط هو في البداية الرق بنظام الدوشرمة ! وأطفال الدوشرمة لم يعملوا خدماً في القصور، لأن الخدم غالباً من الرجال الكبار وليس من الأطفال الصغار، أما أن الدولة العثمانية وضعت سياسة لجمع ضريبة الغلمان لتلبية احتياجات القصور، فكم سيستغرق هؤلاء الغلمان من الوقت حتى يصبحوا قادرين على الخدمة في القصور ؟ وهنا يتضح عدم ثبات معلوماته ودقتها فهل الغلمان الذين يجمعوا كانوا يغطون هذه الحاجة مع الأخذ في الاعتبار استغراق حوالي عشرة أو خمسة عشر عاما حتى يكبر هؤلاء الغلمان، والتناقض واضح في حديثه، فهل كان الغلمان للخدمة في القصور أو الإنكشارية. ثم يعود فيناقض نفسه عندما يؤكد أن هذه الضريبة لم تلق الامتعاض من الأسر مقارنة بالبؤس والحرمان الذي يعيشه الأطفال في قراهم بعدما تحدث عن الحملات الشرسة لجمع الغلمان.

أما روبير مانتران فقد أفرد جزءاً كبيراً في كتابه عن تنظيمات الإنكشارية والدوشرمة، ولا شك أن معلوماته كانت صحيحة، لكن هذا لا يمنع من وجود بعض الدس والإفتراء، حيث جعل الإنكشارية ترتكز أساساً على أسرى الحروب،

---

(١) بول كولنز: مرجع سابق، ص ١١٥-١٦٢.

ونسى أن الإنكشارية كان لها شريان آخر يغذيها وهم الأطفال الأيتام المشـردين في الشوارع، كما أنه ذكر أسرى الحروب والذين جمعوا بصورة أكثر تحدياً مـن العشر أي عشر فهل هو عشراً أم خُمس العائد للسلطان، وهذا يعنـي أن جميـع الأسرى كانوا غلمان، يأخذهم السلطان دون أن يترك إلا جزء من الغنائم للجنـد، فهل هذا منطق يتحدث به، كما ذكر أنهم كانوا يشتروا من أسواق النخاسة، ولـم يذكر مصدره في هذه المعلومة، ثم قال أن أقـل عـدد يـأتي مـن الدوشـرمة، والدوشرمة في أساسها هي من يغذي الإنكشارية بجميع جنوده، وزاد في إفترائه أن أطفال المسلمين خضعوا لهذه الضريـبة، وهم لم يخضعوا قسراً وإنما أحـب المسلمين تقديم أبناءهم للإنكشارية لما ينتظرهم من مستقبل باهر كما ذكر سابقاً. وما معنى أن يستثنى أهل البوسنة والهرسك الذين أعتنقوا الإسلام من الضريبة، كما جاءت أقواله متناقضة جداً مثل باقي المستشرقين حول حيـاتهم والمعاملـة الحسنة والمستقبل اللامع الذي ينتظرهم وبين أن الضريبة صارت رمزاً للسيطرة العثمانية في التراث الشعبي. وأكد ذلك بقوله وجود شهادات توضح تذبذب هـذه الظاهرة، وطبق عليهم نظرية أنهم عبيد على الرغم من عدم إيـراد دليـل علـى صدق أقواله.

كما أعترف هو بنفسه بكفاءة هذه الفرقة، حيث أورد أن المراقبين الغـربيين والذين هم من كال الاتهامات للإنكشارية، أوضحوا أن هذا الجيش تميز بانضـباط صارم وقدرة على الانتشار بسرعة ونظام دون إحداث جلبة، كمـا عاشـوا فـي تقشف، ونظافة تامة للمخيمات، في الوقت الذي كانت فيه الجيـوش الأوروبيـة متغطرسة، مشاغبة، مدمنة على الخمر، ومستسلمة للأقدار، ومثقلة بمؤن غيـر مناسبة. (١)

وهذا يدل على اقتناع الإنكشـارية بعقيـدتهم الإسـلامية، ويـدل علـى أن

---

(١) روبير مانتران: مرجع سابق، ج١، ص٣٠٨.

الأوروبيين كانوا يدركوا مدى افترائهم على الإنكشارية.

أما هاملتون جب الذي كرر الفرية مضيفاً هجوماً على المحاربين الأوائل الذي شبههم بقطاع الطرق والعصابات، هؤلاء هم من قاد الفتوحات الأولى وأدخل الرعب في قلوب البيزنطيين، فهؤلاء أول من فتح المدن في الأراضي البيزنطية وعملوا على استقرار الدولة العثمانية لأول مرة في شرق أوروبا، فكيف يريد السلطان أورخان التخلص منهم وهم من قادة الفتوحات، وإنما أراد الاستفادة من الأطفال المشردين في إنشاء جيش، لأنه إذا أستمر القتال بهذه الفئة، ستفنى بعد قليل.

وقد أتهم نظام الإنكشارية بأنه مخالف للشرع الإسلامي، فهل هو يعرف الشرع أكثر من شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية ؟ ثم ما هو دليله على صدق أقواله ؟

أما خليل إينالجيك فقد أتهم المسلمين بالتعصب لأقاربهم، والذين سيطهدوا الرعية إذا ما صار أبنائهم من الإنكشارية، وهذا تلميح خطير إلى سوء أخلاق المسلمين، أما في نظرة أن المسيحيين إذا اعتنقوا الإسلام صاروا غيورين عليها، ويصبحون أعداء لأقاربهم، هذا طبيعي لأنهم مخالفين لهم في العقيدة، أما مسألة الغيرة فهي موجودة في قلب كل مسلم سواء كان مسلم بالولادة أو اعتنقها في إحدى مراحل حياته، فالإسلام دين أخلاق ومثل يهذب أخلاق المسلم، كما أن الغيرة تولد في قلب المؤمن منذ لحظة اعتناقه للإسلام، وقد اعتمد خليل أينالجيك في أقواله على مصدر عثماني لم يذكر اسمه أبداً، فكيف يصدق الباحث روايته، كما أنه بهذا التلميح يريد بذر بذور التفرقة ما بين أبناء النصارى وأبناء المسلمين. ويوضح أن أبناء النصارى في الإنكشارية كانوا الأفضل والأحسن لأن الإنكشارية هي الفرقة التي نسبت إليها أعظم فتوحات الدولة العثمانية. واستند إلى وثائق لم يلحقها بكتابهِ أو يذكر حتى من أين حصل عليها في مواعيد جمع

الغلمان، وهذا يعني أن مصادره مجهولة.

أما المؤلف الإنجليزي المجهول الذي ألف كتاب تاريخ الأتراك العثمانيين. فقد شبه الجيش العثماني بالفرق الرومانية والتي تعتمد على المرتزقة، وأخذ أسرى الحرب وبيعهم، ونحن نتساءل ماذا يقصد بالجيش هل هم الإنكشارية أم الفرق الأخرى ؟ كما أن الجيش يأخذ الأسرى ويبيعهم أو يكون منهم جيش، وحديثه غير مفهوم ولا يمت للواقع بصلة، كما أنه جزم بإعفاء الأسرى من الفدية إذا تم عقد معاهدة بين الدولتين، كان هذا في الغالب ما يحدث، فكيف تجمع عدد كبير من الأسرى مما دعى إلى وضعهم في الدوشرمة ؟!

هذا عن آراء المستشرقين المسيحيين، وليس بمستغرب عليهم مثل هذا التشويه والافتراء أما المؤرخين المسلمين فإنه من المحزن والمؤسف تناقلهم هذه الإفتراءات دون محاولة تنقيتها أو معرفة مدى صحتها.

لقد اعترف البعض بهذه الضريبة وجزموا بها بل وأطلقوا عليها أسماء جديدة مثل ضريبة الدم، أو أعترفوا بنظام البدل أي دفع مال مقابل الإعفاء من الضريبة.

فعبد الوهاب بكر أطلق على الإنكشارية جهاز تفريخ القوى البشرية الذي يزود الجيش بالرجال منذ عهد أورخان، إنه تعبير جارح جداً لفرقة حملت راية الجهاد وسقت الأراضي المفتوحة بدمائها، إنهم بشر آمنوا بالإسلام ومبادئ الجهاد وليسوا لدواجن تسعى في الأرض دون هدف.

عبد السلام عبد العزيز فهمي جاء بقضية جديدة، وهي المقاييس التي يتم بناءً عليها اختيار الغلمان، من جمال الوجوه وقوة الأجسام وبراعة العقول، على الرغم من أن هذا كله لا يظهر وهم أطفال، لأن الجمال يظهر مع أولى سنوات الشباب وقوة الأجسام لا تكون في سن الطفولة، وإذا كانوا يجمعوا الأطفال من أسرهم المسيحية ويرحلوا إلى العاصمة، فمتى يكشف المندوب براعة عقولهم

وتفكيرهم ؟

وهذا يقودنا إلى ما أورده أحمد عبدالرحيم مصطفى أن العثمانيين اختاروا أذكى أبناء المسيحيين وأخذوهم، إذ كيف يعرف المندوب الذي يجمع الأطفال مدى ذكائهم فهو يجمعهم عشوائياً دون إخضاعهم لاختبارات ذكاء أو ما شابه.

أما إسماعيل ياغي فقد ظهر التناقض واضح في حديثه وعدم ثبات معلوماته، كما أنه جزم بضريبة الرأس، والتي كان على المسيحيين أن يدفعوها في مقابل حماية الدولة العثمانية لهم والإعفاء من الخدمة العسكرية والغريب في الأمر أن كلمة ضريبة الرأس هي اختراع من وحي خيال المستشرقين وليس لها مصدر عثماني موثق.

كما أن الشناوي جزم بصحة الفرية، ولم ينتقدها بل تخبطت معلوماته ما بين رفض الأسر المسيحية لهذه الضريبة، وما بين ترحيبهم بها، مثل باقي المستشرقين، وهذه النقطة بالذات تكشف عدم صدق إدعاتهم على الإنكشارية، بل أن الشناوي أتهم الأسر المسلمة بأنها كانت تتسابق لتقديم أبنائها للإنكشارية، وإن صح هذا الأمر فهذا يعني أن أغلب الأطفال كانوا مسلمين أصلاً، فلا يوجد إكراه على الدين الإسلامي. كما أوضح أن الأسر المسيحية تلجأ للخديعة إذ تزوج أولادها بعد بلوغ سن العاشرة مباشرة، لأن القانون يمنع المتزوجين من الأنضمام لصفوف الدوشرمة. أو تقديم رشوة لمندوب (*) الدولة العثمانية حتى يترك أبناء الأسر الميسورة الحال، أليس هذا تناقض في أقواله !

كما يضيف الشناوي أن أبناء اليهود دخل أبنائهم ضمن ضريبة الغلمان على

(*) وقد وجد هؤلاء المندوبين في هذه الرشوات وسيلة للثراء السريع بطرق غير مشروعة، ويحقق مصالح متبادلة بين المندوب والأسرة المسيحية. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٨٤.

أنهم مسيحيون. [١] على الرغم من أنه ذكر في موضع آخر إعفاء اليهود والأرمن والكاثوليك وبعض المناطق كإستنابول وهي العاصمة وأثينا وجزيرة رودوس.[٢] لقد أكد الشناوي أن أبناء اليهود دخلوا في هذه الضريبة ثم يعود فيناقض نفسه، حيث نصطدم مع إعفاء الدولة العثمانية لليهود الأرمن والكاثوليك من هذه الضريبة، إذ أن جلّ سكان أوروبا الشرقية ومسرح العمليات العسكرية العثمانية هم من هذه الطوائف وأن الكاثوليك بالذات يشكلون النسبة العظمى من سكان أوروبا الشرقية بمعنى آخر، من بقي من شعوب الروم إيلي ليكره على الإسلام؟

أما ساطع الحصري زعم أن الإغارة على أوروبا كانت بقصد جلب الرقيق ويسمى هذا ابتكاراً تماما مثل ما فعل برنارد لويس مع الخمس أو الفيء برغم اختلاف الأجناس إلا أن الذي جمعهم هو العداء السافر للإسلام وأهله، فهو يسمي الجهاد إغارة، القصد منها مادي بحت وليس للدين فيه نصيب بينما نجد السلطان عثمان باشر بإرسال الرسل إلى أمراء الروم يدعوهم فيها إلى الإسلام أو الجزية أو القتال.

أما الدكتور الغرايبة نقل لنا هذه الفرية بأسلوب جارح وكأنه أمر لا يمكن الشك فيه، لكننا نجد في موضع آخر من كتابه يوضح أن إمارة عثمان كانت المتنفس الوحيد للحماس الديني في الإسلام، وقد اجتذبت لها أعداداً من المسيحيين لنصرة الإسلام الراغبين في الجهاد في سبيل الله، تحت راية الدولة العثمانية، ومن حقنا هنا أن نتساءل ما حاجة السلطان أورخان ومن ثم مراد إلى بضع مئات من الغلمان النصارى الذين يتطلب إعدادهم للجندية سنوات طويلة، بينما تنهمر على الدولة العثمانية من كل حدب وصوب جموع المسلمين لنصرة الدين والجهاد في سبيل الله ؟ وهذا ما أكده الدكتور الغرايبة في كتابه، إذاً قال

---

(١) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج١، ص٤٨٤، ٤٨٥.

(٢) مرجع سابق، ج١، ص ٤٧٧.

هذه الكلمة ورد على نفسه في نفس الكتاب، وهذا يدل على تلفيق الحقيقة وعدم صدق إدعاءه. ومع هذا فقد أقر بأنه لم يقم أحد السلاطين بإكراه الأطفال النصارى على اعتناق الإسلام، لأن أغلبية الأطفال الذين كانوا يربون تربية إسلامية لم يكونوا نصارى وإنما كانوا أبناء مسيحيين أنخلعوا عن النصرانية، واعتنقوا الإسلام وصاروا يقدمون أبناءهم طواعية ليستكملوا تربيتهم الإسلامية، أما باقي الأطفال فهم المشردين والأيتام من جراء الحروب.

أما ما أورده محمد الأرناوؤط عن الإنكشارية من واقع الوثائق فعمل يشكر عليه، ولكن إذا فصلت الباحثة أولاً المعلومات التي وردت في صفحات الكتاب، يلاحظ أنه أعتمد على كتابات الرحالة الأوروبيين، وهؤلاء لا يوثق في كتاباتهم بسبب عدم فهمهم لخلفية المنطقة الدينية والاجتماعية، إضافة إلى وجود فكرة مسبقة في أذهانهم يعملون بشتى الوسائل لإثباتها حتى ولو اختلقوا الأكاذيب لتحقيق مآربهم، وبالتالي تأتي معلوماتهم ناقصة ومغلوطة في أغلب الأحيان.

لقد أورد الأرناوؤط أن الخيالة السريعة مهمتها كانت إثارة الفزع، على الرغم من أن الخيالة السريعة هي الفرقة التي تنطلق بسرعة للتمهيد لأي معركة أو فتح قلعة، فهي لا تنطلق بين القرى لأخذ الأطفال كما أن هذه المعلومة لم يرد ذكرها في الوثائق التي أعتمد عليها.

ثم أورد معلومة ألصقت بها تهمة الدوشرمة في السلطان مراد الثاني وأنه هو الذي انتزع أبناء المسيحيين من أسرهم والسلطان مراد الثاني كما هو معروف اشتهر بنشاطه العسكري وحنكته السياسية واستقامته، إضافة إلى أن عهده تميز بكثرة الفتوحات العثمانية وبالتالي تدفق الأسرى عليه من جميع الجهات، فما حاجتهُ لإنتزاع الأبناء من أسرهم، إضافة إلى أن بلاد اليونان والبلغار والتي زعم الأرناوؤط أن الشبان كانوا يجمعوا منها لم يكن الحكم العثماني قد استقر فيها بعد.

كما أورد في كتابه أيضاً أن الأطفال الدوشرمة مختلفين عن أطفال الخمس، حيث أوضح أن هذين القانونيين عملا جنباً إلى جنب في فترة محدودة، إذ أنهم في النهاية هم الأطفال الأيتام وأسرى الحروب.

وأورد الأرناؤط في موضع آخر من كتابهِ أنه في عهد السلطان محمد الفاتح أرسل شعب البوسنة المسلم عريضة للسلطان يطلبون فيها إنضمام أبنائهم للدوشرمه، فإذا كان الحال بأولاد المسلمين هكذا فالأولى بأولاد المسيحيين أن يتسابقوا على دخول الدوشرمة. (١)

أما بالنسبة لأعمار الأولاد فقد ناقض نفسهِ إذ قال أن الدولة العثمانية كانت بحاجة إلى قوات عسكرية، لذلك لم يكن بوسعها انتظار عشرة أو خمسة عشر سنة إلى أن يكبر هؤلاء الأولاد، فاكتفت الدولة بأخذ الشباب ممن بلغوا الثامنة عشر سنة وأكثر، وإخضاعهم لدورة تدريب عسكرية سريعة، وهذا في مفهومهِ العام تجنيد كما يحدث في الوقت الحالي وليس ضريبة مطلقاً. لأن هؤلاء دائماً على صلة أوثق بأسرهم وقراهم ولا يمكن تغيير دينهم، وبالتالي لابد أن يكونوا مسلمين(٢).

أما عن مقاومة الأهالي لهذه الضريبة، فإن المقاومة جاءت من منطلق مقاومة التجنيد الإجباري، كما أن هجوم الأهالي المسلح على القافلة أثناء سيرها، يرجع إلى رفض أهالي القرى مبيت القافلة عندهم نظراً للعبء الاقتصادي الذي يتسبب به مبيت هذه القافلة من تدبير طعام وشراب ومكان للمبيت لأكثر من مئتي شخص. ولكي نقتنع بمقاومة الأهالي لهذه الضريبة أعتمد على قصص ملفقة من رحالة مغرضين مثل قصة الأم التي تخاف على أطفالها الاثنين من ضريبة الغلمان وهي أرملة، وهذان الطفلان بالتالي أيتام، وقد قرر الأتراك أخذهم على حد قولهِ

---

(١) محمد الأرناؤط: مرجع سابق، ص٣٨.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: رقم الوثيقة، H.H ٨٢٦٥ .

على الرغم أنه أكد في موضع آخر من كتابهِ أن الأيتام معفيون من هذه الضريبة لأنهم طماعين وغير مؤدبين وبهذا يتضح التناقض الواضح في الروايات التي استند عليها. (١)

كما أن العقوبات الصارمة التي أوردها الأرناووط تسري على من يرفض تسليم إبنهُ للتجنيد وليس للضريبة، فكلمة الضريبة أطلقها المستشرقون حتى يشعروا القارئ بأن العثمانيين قساة ينتزعون الأطفال. كما أن هذه العقوبات كانت تسري على أصحاب الإقطاعات والتيمارات والزعامات ومتولي الأوقاف، لأنهم يرفضون تسليم الشبان، الذين يشكلون أيدي عاملة ممتازة عندهم.

وأخيراً أكد الأرناؤوط أن مقاومة الدوشرمة لم تستمر طويلاً إذ ظهرت في بدايتها، ثم تلاشت بعد أن أتضح المستقبل الزاهر والمناصب العليا التي تنتظر هؤلاء، فأخذ الآباء يقدمون أبناءهم طواعية وبرغبة شديدة للخدمة في الإنكشارية حتى أن بعض المصادر اعتبرته تكريم ومحاباة لأهل الغلام. (٢)

انتهى العمل بنظام جمع الأبناء والشباب للإنخراط في سلك الإنكشارية تقريباً عام ١٠٤٧ هـ / ١٦٣٨م، في عهد السلطان مراد الرابع.

من فحص وتدقيق الوثائق (*) التي وردت في ثنايا كتاب الأرناوؤط يتضح ما يلي:

١) الوثائق تركزت في الفترة ما بين ١٥٦٥م – ١٦٤٧م. أي منذ آخر سنة في عهد سليمان القانوني وحتى عهد السلطان إبراهيم الأول. ومن المعروف أنه تخلل في هذه الفترة الضعف والوهن في كيان الدولة العثمانية، وخلال

---

(١) محمد الأرناؤوط: المرجع سابق، ص٤٣-٥٠.

(٢) مرجع سابق، ص٥٩.

(*) الوثائق محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، ونسخ أخرى منها محفوظة في معهد التاريخ القومي في سكوبيه.

القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي عمت الإضطرابات والفوضى والاختلالات السياسية في جميع أرجاء الدولة العثمانية، فإذا جزمنا مؤقتاً بوجود هذه الضريبة استناداً للوثائق المرفقة، فإنها لا تشمل كل فترة حكم الدولة العثمانية في المنطقة المعنية. بل مورست هذه الضريبة في فترة محددة جداً. كما أن إختلال الموازين في الدولة العثمانية في تلك الفترة أدى إلى حجب كثير من الحقائق عن السلطان المثقل بالمشاكل الداخلية والخارجية، وبالتالي من الممكن أن تتم أعمال من عماله وبطانته السيئة دون معرفة السلطان وذلك لأنه أختارهم ووثق فيهم. ولم تذكر وثيقة واحدة أخذ الأبناء بالقوة من بيوت أسرهم. وإنما يرد في الوثيقة جمع " أولاد العجم " وإرسالهم إلى إستانبول وبالتالي من الممكن أن يكون قصد السلطان في الفرمان أو الأمر السلطاني، الأطفال المشردين أو الذين فقدوا أسرهم في ظروف الفتح أو أي ظرف آخر.

٢) وإذا جاء في إحدى الوثائق مقاومة أهالي القرى ومهاجمتهم لقافلة "أولاد العجم " أو الدوشرمة أثناء طريقها لأستانبول، وهذا لا يعني أن هجومهم للقافلة بسبب الضريبة، ولكن من الجائز أن يكون الهجوم لأسباب اقتصادية إذ أن هذه القافلة عندما تبيت في القرية، يتحمل أهالي القرية عناء مبيت هذه القافلة وتدبير مأكل أكثر من مئتي شخص، مما يُمثل عبئاً اقتصادياً على أهالي القرية الفقراء، وهذا ما أكده الأرناووط في كتابه، إذ أوضح أن كثيراً من القرى كانت ترفض بقوة السلاح مبيت هذه القافلة في أرضها. كما جاء في الوثيقة الثانية. (١)

٣) تظهر حقيقة واضحة وبجلاء وهي أن الأولاد الذين يتم جمعهم يعملوا في البساتين السلطانية، وهذا يعني أنهم في الأغلب أكبر من أربعة عشر عاماً

---

(١) محمد الأرناووط: مرجع سابق، ص ٤٤، ٤٥.

مما يعطي دلالة واضحة أن هؤلاء الشبان يُمكنهم مقاومة جامعي الدوشرمة بسهولة، كما لا يمكن تغيير دينهم في هذا العمر، أو قطع صلاتهم بأسرهم، كما جاء في الوثيقة الثالثة، أن السلطان أرسل أمر بجلب كبار أولاد العجم، وليس الأطفال الصغار.

٤) في الوثيقة السادسة ورد ذكر أخذ الابن من أبيه الذي يتراوح عمره من خمسة عشر عاماً إلى عشرين عام، مما يوضح تماماً أن هذه الضريبة التي تغنى بها المستشرقين ورددها المؤرخون العرب، وألصقوها كتهمة بشعة في الدولة العثمانية ما هي إلا تجنيد إجباري لشباب القرى والمدن التابعة لحكم الدولة العثمانية، والتجنيد الإجباري موجود في الوقت الحديث بشكل كبير، كما أن كثيراً من الدول الإسلامية مارستهُ. وبالتالي لا يعتبر التجنيد تهمه، وإنما مجرد إجراء روتيني للشباب، وذلك حتى يكونوا متهيأيين لدخول أي حرب وهذا ما كانت تقوم به الدولة العثمانية تحت ما أسموه بضريبة الغلمان أو الدوشرمة.

٥) ورد في الوثيقة التاسعة المؤرخة بـ ١٦٣٨م - ١٦٣٩م أن جمع الأولاد الذميين والمسلمين توقف لفترة من الزمن، ثم بدأ جمع أبناء الذميين والمسلمون في سن يتراوح من ستة عشر عاما إلى خمسة وعشرين عام وهذا يعني تجنيد وأداء الخدمة العسكرية لهؤلاء الشباب، وهذا الأمر موجود في كل عصر وفي كل مكان، فعندما ينهي الشباب الخدمة العسكرية، يعود إلى قريتهِ وأسرتهِ ويمارس حياته الطبيعية، وفي حالة حدوث حرب يتم استدعاؤه لخدمة بلادهِ، أما في الدولة العثمانية فكان يتم تجنيد الشاب ثم يلتحق بجند الإنكشارية فوراً، وذلك لكثرة حروب الدولة العثمانية والجبهات المفتوحة عليها من الداخل والخارج.

٦) يتضح من الوثائق أنه في بعض الأحيان يرفض أصحاب التيمارات

والأراضي الزراعية تسليم هؤلاء الشبان لجامعي الدوشرمة على حد زعمهم، وذلك بسبب أن غياب هؤلاء الشبان يعني ضياع الأيدي العاملة التي تعمل في زراعة الأراضي، مما يعطينا دلالة واضحة على تقدم سن هؤلاء الشبان، وأنهم ليسوا أطفال كما أدعى أغلب المستشرقين.

٧) تركزت الوثائق على منطقة البلقان فقط، فمن الجائز إذاً أنها مورست في هذه المنطقة فقط في فترة زمنية محدودة حيث انحصرت الوثائق في الفترة ما بين ١٥٦٥م- ١٦٤٧م أي فترة إثنان وثمانون عام فقط، وهذه مدة ليست طويلة لدرجة أن تمارس فيها هذه الضريبة كثيراً، كما أن الدولة العثمانية شملت مساحة كبيرة في تلك الفترة فمن الجائز أن يقوم الولاة بأعمال لا يدري عنها السلطان لبعد المسافة، وبطء وصول الأخبار لأستانبول.

٨) أن الشبان الذين كانت تجمعهم الدولة العثمانية مسلمين بدليل أنهم حملوا السلاح للدفاع عن الإسلام.

وأخيراً فإن هناك خطأً كبيراً وقع فيه المستشرقون ومن بعدهم المؤرخون العرب المسلمين، ألا وهو الجزم القاطع بأن الإنكشارية يشكلون معظم الجيش العثماني تقريباً، وكانوا عموده الفقري منذ البداية، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة تكرار اسم الإنكشارية في التاريخ العثماني، سببها كونهم جنود المركز كما أنهم في استانبول دائماً يقومون بالثورات لكن نظام الفرسان ظل سائداً في الجيش العثماني، وجميع السباهية المنتشرين في أنحاء الدولة العثمانية يؤدون واجبهم دون التدخل في السياسة، ولم يصبح الإنكشارية أغلبية في الجيش إلا في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، عندما تدهور نظام الإنكشارية

وصار ذلك التدهور أحد الأسباب الرئيسية لضعف الدولة العثمانية. (١)

ولنا أن نتساءل ما مدى صحة أصل الجيش الإنكشاري من الناحية الشرعية؟ فإنه من المعلوم أن الدولة العثمانية قامت على الإسلام وكان للعلماء دوراً بارزاً فيها وغير مسبوق في بعض الأحيان. (*) ولو كانت فكرة الإنكشارية غير شرعية لأظهر ذلك العلماء والشيوخ للسلطان ولكن ذلك لم يحدث.

وإضافة على الأدلة والبراهين السابقة فإن محمد فؤاد كويرلي أوضح أن قسماً ضئيلاً من الأسرى وربما الأصغر سناً دخل في الإسلام أما القسم الأكبر فكانوا يوهبون لأصحاب الأراضي الزراعية. وفي الوقت نفسه كانت الفتوحات في البلقان تتم بسهولة دون خسائر تذكر،(٢)وهذا يدل على أن الفتوحات تمت بدون الحاجة إلى أبناء النصارى من جهة، وأن قلة الخسائر إنما هي لعدم المقاومة من الطرف الآخر، ولسماع أهل البلاد بالمعاملة الحسنة التي يتميز بها العثمانيون.

وفيما يلي نستعرض بعضاً من أقوال الأجانب المنصفين عن هذه الضريبة كدحض لآراء المستشرقين:-

بوسبيك (**) وصف الجيش العثماني بقوله " أفراد هذه الجيوش مدربون على الحرب يتحلون بالصبر والنظام والاتحاد واليقظة"(٣) كما يؤكد كريزي أنه لم يرد

---

(١) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ص٣٨٩، ٣٩٠. عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص١٣.

(*) ثبت أن عثمان أقام سياسته على مشورة الفقهاء وحكم حكماً عادلا يوجب الالتفات إليه في تلك العصور الطافحة بالظلم. مرجع سابق، ص٤٤.

(٢) محمد فؤاد كوبرللي: مصدر سابق، ص١٨٨، ١٨٩.

(**) السفير النمساوي في الأستانة عام ١٥٥٤م.

(٣) نقلاً عن عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق، ص ٣٥.

ما يدل على حدوث إكراه للأسر المسيحية على ذلك، بل أن الآباء أنفسهم كانوا يسعون لإلحاق أبنائهم في الإنكشارية [١]

وقد جاء ذكر الإنكشارية في كتاب الرحالة الفرنسي دي كورمينان الذي زار بلاد الشرق عام ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م، حيث أعجب بالنظام السائد لدى الجيش الإنكشاري في ذلك الوقت، وتمنى لو كان من الممكن أن يسود هذا النظام لدى المشاة في فرنسا. [٢]

أما المؤرخ الأمريكي ليبير فقد علق على جنود الإنكشارية بقولهِ أنه ربما لم تحدث على وجه الأرض تجربة أكثر جرأة وأوسع نطاقاً مثل التجربة التي أقدم عليها العثمانيون، وأوضح أنها كانت موجودة في دولة المماليك، ولكنها عمّرت في الدولة العثمانية أكثر مما عَمرت تجربة المماليك، كما أن الدولة العثمانية في هذا الأمر لم تعترف بالفروق الاجتماعية فقد دخل الإنكشارية أبناء الفقراء والفلاحين، الذين التصقوا بالفقر والحرمان، وبمضي الأيام وصلوا إلى أرقى المناصب، كصدور عظام، ووزراء، وقادة عسكريين. [*] [٣]

وورد في الموسوعة اليونانية أن السلطان عثمان ومن بعده أورخان لم يكونا

---

(١) نقلاً عن محمد عبد اللطيف البحراوي: مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٠.

(*) قال: إن الجيش العثماني كان يجمع أفراده جميعاً شعور الولاء العميق للسلطان. وإذا صدرت الأوامر باستدعاء الجيش لحملة عسكرية كبرى اجتمع الجيش حول السلطان، وفي مسيرة الجيش يأخذ مكانه بأوامر تصدر إليه من السلطان. وكان السلطان هو المحور الرئيسي الذي ينظم جميع عمليات التشكيل التي تتم في المعركة، والكل يدين بالولاء التام عقلاً وروحاً. عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق، ص ٣٥.

(٣) نقلاً عن عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٨٦، ٤٨٧.

يجبران البيزنطيين على الدخول في الإسلام وإنما تركا لهم حرية التدين.[١] بل إن هذا التسامح الديني لم تعرفه أوروبا النصرانية، وهو عكس ما في الدولة العثمانية حيث كان النصراني لديه مطلق الحرية لإقامة مدارسه الخاصة ومعاهده الدينية.

وعلى ما تقدم من أقوال المستشرقين نكتشف حقيقة مهمة هي عدم استناد المستشرقين على أي سند تاريخي أو مصدر أو وثيقة أو مخطوطة وإنما يتولد لدى القارئ إحساس بأن ذلك من تأليف وصياغة المستشرق نفسه، وفي نهاية الأمر لا نجد مصدر موثوق يعتمد عليه للجزم بصحة الفرية.

والغريب في الأمر أن المؤرخين المسلمين أعتمدوا على المستشرقين في نقل بعض المعلومات التاريخية، ولم يمحصوها ويتأكدون من صحتها بل إن بعضهم أخذها كأمر مسلم به.

وبناءاً على جميع ما تقدم نضع حقيقة واقعة، لامراء فيها وهي أن العثمانيين ليسوا مبتدعين، بمعنى أن العثمانيين لم يبتدعوا شيئاً مخالفاً للعرف والدين حين أنشأ جيش الإنكشارية، إن فكرة إيجاد جيش محترف فكرة عسكرية عبقرية، وهي فكرة قديمة مارستها كل الشعوب.[٢]

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته قوله " إن الدولة إذا طرقها الهرم والضعف تتخذ جنوداً من غير جلدتها ممن تربوا على الخشونة، فيكوا أصبر على الحرب من غيرهم ممن تربوا في نعيم العيش "[٣]

---

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص١٣٥. نقلاً عن الموسوعة اليونانية.
MEGALIA ELLINIKI ENGIKLOPEDIA ج. ٨، ص ٢٧٦.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٧٦٧.

(٣) فايقه محمد عبد الصمد بحري: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة =

ولكن الذي يختلف عن نظرية ابن خلدون أن الدولة العثمانية في فترة نهوضها وتأسيسها وعز قوتها اتخذت جنوداً من غير جنسها وليس في فترة الضعف والهرم.

كما أن العثمانيين ألبسوها لباساً نظامياً، بعد أن كانت بلا رابط حيث يلتحق المرء بالجيش الذي يريده متى شاء وينفصل عنه وقتما أراد وينضم لجيش عدو سابق لكن لا أحد يلومه أو يعاقبه، إلا أن العثمانيين نظموا هذا الأمر، وجعلوا الجيش المحترف جيشاً نظامياً مرتبطاً بالدولة العثمانية. كما ألبسه نظاماً شرعياً دينياً يحترم حرية الفرد[1].

ولنعدد الأمثلة من جيوش العالم التي اتخذت جنودها من غير جنسها إضافة على معاملتهم كمرتزقة، وهو عكس الدولة العثمانية التي وصل فيه أفراد الإنكشارية إلى مناصب عليا في الدولة.

لقد وجدت هذه الجيوش في الدولة البيزنطية أصحاب القسطنطينية، الذين كانوا إذا غزوا بلاد الإسلام سبوا كثيراً من الأولاد وربوهم على النصرانية، وجعلوهم جنداً يقاتلون المسلمين. فعندما استولى نقفور فوكاس على حلب سبى عشرة آلاف ولد من أهلها ورباهم في دار مُلكه، وعمدهم، وجعلهم من أفضل جنوده. كذلك عندما استولى البطريق ميخائيل بورسزيس على أنطاكيه سبى من أولاد المسلمين عشرة آلاف، ورباهم في القسطنطينية فخرجوا نصارى، وصاروا جنداً. [2]

وإذا دققنا النظر في التاريخ القديم وعلى الأخص تاريخ الإغريق نجد أن

= ماجستير لم تطبع، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، ص ١٥.

(١) محمد فريد المحامي: مرجع سابق، ص ٧٦٧.

(٢) شكيب أرسلان:: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي سويدان، الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠١م، ص١٤٢٢هـ، ص٥٩.

الطفل يفُصل عن أهلهُ وذويه منذ السابعة من العمر، ويربى من قبل الدولة، ويقُسم الصبيان إلى مجموعات تحت إشراف مدرب وتُقطع الصلة بينهم وبين أسرهم نهائياً. وكان يتم تدريبهم بمنتهى القسوة، مفتقداً لأبسط المعاني الإنسانية.[١]وأنني استغرب بعدم مهاجمة المؤرخين والتحدث عن مشاعر الأم الحزينة على فراق أبنها ولم يأتِ أحداً على ذكر ذلك النظام الإغريقي وما احتواه من قسوة ومخالفة للطبيعة الإنسانية، بل أعتبروه من أسباب نجاح وتقدم نظام دويله المدينة السائد في الإغريق.

كما أن جيوش جنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك، إضافة إلى جيوش الإسكندر المقدوني ونابليون الأول وغيرهم من القادة العظام لم تكن جيوشهم ترتكز على جنس واحد، بل كانت جيوشاً مأجورة مختلطة من أقوام كثيرة، وكثير من قادة هذه الجيوش يعملون ضد مصلحة أوطانهم الأصلية[٢]ولم يكن القائد يرى في ذلك حرجاً، إن أول جيش في العالم قام على عقيدة واحدة هو الجيش الإسلامي.

كما نجد أن الدول المستعمرة قد سيرت جيوشاً من أبناء المستعمرات يحاربون به الأعداء، ولولا جيوش المستعمرات الإنكليزية والفرنسية لما استطاعت هذه الدول الصمود أمام الدولة العثمانية، حيث ساق الإنكليز جيوشاً من الهند وغيرها من المستعمرات، وساقت فرنسا جيوشاً من المغاربة والجزائريين وإفريقيا السوداء، وهذه الجيوش هي من كان يتلقى الصدمة الأولى.[٣] ونجد أن الدولة العباسية اتخذت هذا النوع من الجيوش وكانوا من الأتراك حيث قام بشرائهم الخليفة المعتصم وكانوا أحد أهم أسباب تدهور الدولة العباسية. إضافة

---

(١) محمد كامل عياد: تاريخ اليونان، دمشق: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ج١، ص١٨٦ - ١٨٩.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٧٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٦٩.

إلى ظهورهم في الدولة الأيوبية في مصر حتى أنهم ورثوا حكم البلاد مكونين الدولة المملوكية. [١]

وإذا كان المستشرقون قد نقدوا هذا النظام، ورقت قلوبهم الحاقدة على الإسلام، لحال الأسر الحزينة، فهذا لا يرتقي ولا يقارن بما فعله الأسبان المسيحيون بمسلمين الأندلس الذين خيروهم بين التنصير أو الموت، وما فعلته محاكم التفتيش بالمسلمين وأسرهم، وبما فعلته بلاد المستشرقين أنفسهم بالزنوج الأفارقة في عهد الاسترقاق المروع، أو ما فعلوه بالبلاد التي استعمروها مثل مصر والجزائر والشام والمغرب وغيرها، وإذا كانت الإنكشارية قد صوُرّوا بشكل سيئ في مؤلفات المستشرقين، فإن هؤلاء قد نسوا تاريخ أوروبا المليء بالخزايا، ونسوا أيضاً أن هذا النظام كان مقبولاً في تلك الفترة.

وخلاصة الحديث إذا كانت الإنكشارية قد أسائت إلى الدولة العثمانية، فليس ذلك ذنب الفكرة في حد ذاتها بل هو ذنب الدولة التي لم تعرف كيف تقبض عليهم قبضة حازمة وأن تبعث فيهم روح الجهاد، فعندما نجحت في ذلك إستقامت لها الأمور، ولو اقتدى السلاطين بسليم الأول الذي فتك برؤوس الإنكشارية بعد تمردهم في إيران، لبقي الإنكشارية أفضل الجيوش.

وإذا كانت الإنكشارية قد أخطأت فهذا لا ينفي دورها المهم، ويكفي الدولة العثمانية فخراً أنها استطاعت أن تصهر الجميع في بوتقة إسلامية ثم تطلقهم في الميادين الحربية تحت راية الإسلام محققين أعظم الانتصارات والفتوحات الإسلامية.

---

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي ط٦، ١٩٦٤م، ص٧٨.



الفصل الثاني

تسلط وجبروت الإنكشارية

المبحث الأول:

أسباب تمرد الإنكشارية.

المبحث الثاني:

نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني.

المبحث الثالث:

تدخلهم في مسائل السياسة العليا.



المبحث الأول
أسباب تمرد الإنكشارية

من الطبيعي أن يتساءل الفرد عن سر تحول الإنكشارية، من جيش قاد الدولة العثمانية إلى النصر وترجيح كفتها في المعارك التي خاضوها، إلى جيش مستهتر، كثير التمرد والعصيان، يُهزم في أغلب المعارك التي يخوضها، ويتحول إلى أداة تخريب وفتك بمن يقف في طريقهم، إذ أنهم استبدلوا بالسلاطين والوزراء وعزلوا وقتلوا وولوا من أرادوا، وعاثوا في الأقاليم فساداً، وظلموا الأهالي، فصاروا حكومة داخل حكومة، والدولة العثمانية لا تستطيع أن تأتي بفعل ضدهم، أو تقف أمام تنفيذ رغباتهم، وكانت كلما تساهلت معهم زادوا في غيهم حتى وصل الأمر إلى أن يخشاهم كبار رجال الدولة ويتملّقوا لهم، وينفذوا أوامرهم خوفاً من بطشهم. وعلى هذا لابد من معرفة الأسباب التي جعلت الإنكشارية في مستوى القوة والتمرد على سياسة الدولة.

لقد كانت الإنكشارية كالأسود المدججة بالسلاح في ساحة المعركة يندفعون في اتجاه العدو، خاضوا المعارك الشهيرة مثل فتح القسطنطينية(*) وغيرها من

(*) لقد فتح محمد الثاني القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وسميت إستانبول، بعد محاولات من المسلمين أولها في عهد معاوية بن أبي سفيان ٤٩ هـ / ٦٦٨م، والتي تركت ذكرى عميقة حيث دفن الصحابي أبو أيوب الأنصاري عند أسوارها من الخارج، وعندما اكتشف العثمانيون قبره أثناء الفتح، بنوا فوقه جامعاً، وصار السلاطين العثمانيون يتولون مناصبهم في هذا الجامع وهم يحملون سيف عثمان الأول أما المحاولة الثانية فكانت أيام سليمان بن عبدالملك، حيث قاد أخوه مسلمة الحملة سنة ٩٧هـ / ٧١٥م، ثم محاولات بايزيد يلدوم ومراد الثاني. إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج٢،ص٥١٠.

المعارك بمنتهى القوة والشجاعة، ولكن مع مرور الزمن بدأ الضعف والوهن يغزو صفوفهم [١] وتحول السلاح الرهيب الذي خاضت به الدولة العثمانية أشد معاركها وأقوى فتوحاتها، إلى سلاح موجه ضد سلطة الدولة العثمانية نفسها، مما أصاب الدولة العثمانية بالضعف، وتوقفت فتوحاتها، ولكن من المؤكد أن هذا التحول لم يكن تلقائياً، وإنما كان نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية.

فالعامل السياسي كان من أهم الأسباب وأوضحها ومن ذلك تقاعس السلاطين عن الخروج للحرب على رأس الجيش. وقد أكد ذلك معظم المؤرخين حيث أشاروا إلى أن بوادر الضعف بدأت تظهر بعد وفاة السلطان سليمان القانوني الذي أبطل قاعدة مهمة وهي عدم خروج السلطان على رأس الجيش، وصارت الجيوش تخرج تحت إمرة قائدها العام، وهو من الإنكشارية، مما جعل الإنكشارية في معظم الأحيان ترفض الخروج للحرب إلا إذا كانوا تحت إمرة السلطان. وعندما تقاعس أغلب السلاطين بعد سليمان عن الخروج للحرب، وفضلوا البقاء بين جدران قصورهم، وسط البذخ والرفاهية، على تكبد مشاق السفر والجهاد، كل ذلك أدى إلى رفض الإنكشارية الاستمرار في الحرب في كثير من الأحيان، وأدى كذلك مع مرور الزمن إلى فقدان السلطان هيبتهُ في نفوس الإنكشارية. كما أدى هذا الأمر إلى تقوية مركز القائد العام للجيش فأصبح له شأن عظيم، ورأى نفسه في مركز يجب أن لا يرُدّ له طلب مما أدى إلى تضارب السلطة بين السلطان والقائد العام، مما عقد الأمور، وساعد على فساد الإنكشارية. [٢]

---

(١) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص١٠٦.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٥٢. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: العهد العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة: المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ، ج ٨، ص١١٣،=

وقد قاد هذا الأمر إلى نقطة مهمة وهي انخفاض الروح المعنوية في نفوس الإنكشارية، وإرتخاء الروح القتالية لديهم، وذلك لأن حضور السلطان الحرب لـــه أثره على شحذ القوة القتالية عند الجيش ورفع الروح المعنوية لدى الجند. [١]

لقد أعقب السلطان سليمان خلفاء تراخوا عن الخروج للحرب وأضاعوا البلاد الواسعة التي فتحها أجدادهم وحافظوا عليها بدمائهم وحسن إدارتهم. [٢]

ومن الناحية السياسية أيضاً عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين عرش الدولة وعدم وجود نصوص شرعية أو قانون يعتمدون عليه في تولية الحكم. فقد كانوا آخذين بمبدأ الاستخلاف وليس الشورى قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[*] والخلافة ممكن تأتي في الأخوة أو الأبناء، الأمر الذي أوجد كثير من الخلافات الداخلية نظراً لكثرة عدد أبناء السلطان الواحد، فكان السلطان يختار من سيخلفه على العرش حتى لو كان الصغير دون الكبير، وهذا ما أدى في كثير من الأحيان إلى منازعات داخلية، هيأت للإنكشارية فرصة التدخل في تولية العرش. وكان الأبناء يتولون في العادة أماكن متفرقة من البلاد، كتدريب لهم على الحياة السياسية، وفي بعض الأحيان كان يختلف الأخوة ويحدث بينهم صراع على من سيتولى العرش[٣] وفي عصر الضعف كانت الإنكشارية تتدّخل لتضع من تريد حتى تبقى لها اليد الطولى في السلطة.

= إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص٩٤.

(١) إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص٩٤.

(٢) عمر الإسكندري – سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضـــر، الطبعة الثانية، القاهرة، مدبولي، ١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م، ص٣٥، ٣٦.

(*) سورة الشورى، آية ٣٨.

(٣) ألبرت هوبر ليبر: مرجع سابق، ص٩٤، ٩٥.

ونتيجة طبيعية لعدم وجود قاعدة ثابتة لتولي العرش، فقد صار هناك فجوة واسعة بين السلاطين وأبنائهم، أو بين الأخوة بعضهم ببعض، مما أفسح المجال لتلاعب الإنكشارية بالتولية وعزل من أرادوا على حسب أهوائهم كما سنرى لاحقاً. (١)

وكما تلاعب الإنكشارية بتولية السلاطين وعزلهم، تلاعبوا أيضاً بمناصب كبار رجال الدولة، وأولهم الصدر الأعظم، حيث تحكموا في هذا المنصب كثيراً، وكان يخضع لأهوائهم الشخصية فيعينوا من أرادوا حتى وصل بهم الأمر إلى قتل الوزراء أو الصدور العظام، أو حتى السلاطين. (٢)

إضافة إلى ذلك، أصبحت تولية المناصب في الدولة تخضع لعملية الرشوة، فصارت المناصب ليس لمن يستحقها وإنما لمن يدفع أكثر، كما أن أغاوات الإنكشارية استخدموا الرشوة كوسيلة للوصول إلى المناصب العليا. (٣)

ولتأثيرهم القوي على السلاطين في تولية العرش فقد اتبعوا وسيلة الإكثار من الطلبات الخاصة بهم، مما يجعل السلطان الجديد يعمل على إرضائهم، أو على الأقل إرضاء كبار قادتهم، فيعطيهم المال والهبات يوم تنصيبه، إضافة إلى امتيازات جديدة، وقد أطلق على هذه العطايا "البخشيش " وصارت هذه العطايا تقليداً راسخاً لا يستطيع أي سلطان مهما أوتي من قوة أو عزيمة أن يتجاهلها وإلا تعرض للمهانة والتنكيل.

ثم ألغيت هذه العطايا منذ عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، بعد تولي السلطان عبد الحميد الاول عرش الدولة العثمانية في عام ١١٨٧ هـ/ ١٧٧٣م وكان السبب في الإلغاء سبباً قوياً، وهو أن الدولة العثمانية كانت تعايش أزمة ماليه عصيبة

---

(١) محمد أنيس: مرجع سابق،، ص٧٨، ٧٩.

(٢) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص٤٧، ٤٨.

(٣) أحمد جودت: تحقيق عبد اللطيف محمد الحميد، ص ١٩٥.

بسبب ضخامة الإنفاق العسكري على القوات العثمانية إبان الحرب التي أشتعل فتيلها بين الدولة العثمانية وبين روسيا، وهي الحرب التي طال أمدها ست سنوات، وتحطم فيها الجيش والأسطول العثمانيان. (١)

وعلى سبيل المثال إذا لم يستمع السلطان لرغباتهم، يشعلوا النار في أي جزء من العاصمة حتى يخرج لهم السلطان لسماع رغباتهم، في هذا الوقت تكون النار قد أكلت جزء من العاصمة. (٢)

ونجد أنه في فترة حروب الدولة العثمانية كانت هذه الأعطيات مرهقة بالنسبة للدولة والخزنية، فكانت تضطر إلى دفعها وإلا فإن الإنكشارية ستقوم بثورة وتمرد، وهكذا تسببت في تعطيل سياسة الدولة العثمانية كثيراً.

ومما لا شك فيه أن هذه الأمور جميعاً نتج عنها زيادة امتيازاتهم وجعلهم يضعون أنفسهم مكان أهل الحل والربط، وصاروا يتحكموا في السلاطين كما لو كانوا عرائس رقعة شطرنج. (٣)

ويبدو أن نفوذهم هذا لم يأت من فراغ، فقد أعطاهم السلاطين الهيبة والنفوذ والقوة حتى يكونوا مطيعين لهم حماة للدين الإسلامي والدولة العثمانية، لكن الصورة انقلبت وأصبح السلاطين يحتاجون لمن يحميهم من الإنكشارية، إضافة إلى أن العقلية العسكرية كانت قد سيطرت عليهم تماماً، فنسوا وظيفتهم الأساسية وهي الحرب والجهاد. وكانوا إذا أنسوا من السلطان الضعف مارسوا الفساد. (٤)

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص١٥٦.

(٣) خليفة محمود: تاريخ الملوك الألبا، د. ط، د.ت، د. م، ص ١٧٨. عبد الوهاب بكر: مرجع سابق، ص٥٨.

(٤) حسين كمال البغدادي القادري: الدر المصان في أيام دولة آل عثمان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، محفوظة تحت رقم ٤٤١٦٧، ورقة ٥٥.

وهذا يرجع إلى أن الإنكشارية ظلت حريصة دائماً على صبغ تصرفاتها بصبغة الشرعية، فكانوا دائماً يحافظون على علاقتهم مع العلماء وشيوخ الإسلام، حتى وإن أصابها الضعف في بعض الأحيان.

وكان لزيادة نفوذ الإنكشارية أثر سلبي على الدولة، حيث لم يكن السلاطين قادرين على القيام بأي حركة إصلاح دون جس نبض هاتين القوتين أي الإنكشارية كقوة أولى وشيوخ الإسلام والعلماء مع ضمان مساعداتهم أو على الأقل عدم اعتراضها، فكانوا المتحكمين في الأوضاع، بعد أن كانت الإنكشارية في الماضي هي عماد الدولة وقوتها، وصارت مع مرور الوقت مصدراً للفساد والضعف والصراع والتنافس، مما أدى إلى توقف فتوحات الدولة العثمانية، ووجدت الدولة نفسها عارية دون أي غطاء للحماية سواء من الداخل أو الخارج.(١)

ومما يدل على ضعف شخصية السلطان أمام تصرف الإنكشارية أنه في حالة فتح الجيش لمدينة تكون هناك في العادة اتفاقية أو هدنة تتضمن شروط التسليم، وكان من ضمنها المحافظة على أرواح أهالي المدينة وأموالهم وأعراضهم، ولكن الإنكشارية لا تعبأ بشروط التسليم، وتمارس أعمال السلب والنهب وقتل الأهالي، إضافة إلى هتك الأعراض وإحراق المنازل والحوانيت. أما داخل إستانبول فلم تكن الحالة أفضل، فقد كانت حركات عصيانهم تحمل في طياتها معنى التحدي للسلطان والدولة نفسها، فكثيراً ما تعرضوا لموكب السلطان ومنعه من الوصول للقصر السلطاني، مطالبين بمزيد من العطايا والامتيازات، وكانت هذه وسائل بعيدة كل البعد عن الانضباط العسكري. (٢)

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٩٦.

وفي نفس الوقت زاد تسلطهم على أهالي البلاد التي تحت الحكم العثماني، فقد أمتد طغيانهم إلى الأهالي الآمنين في المدن، وزادوا في نهب وسلب منازلهم، وتعدوا على أرواح الناس دون وجه حق، وإذا أرادوا نهب أحد أحياء المدينة، عمدوا إلى إشعال النار فيه، فإذا ما ارتفعت ألسنة اللهب، وانشغل الأهالي بإطفاء النار، سارعوا إلى الأحياء الأخرى وقاموا بنهب منازلها وحوانيتها (*)، وانتهكوا حرمات البيوت. وقد وصل بهم الأمر إلى أنهم اعتقدوا أن كل شيء مباحاً لهم في التعدي على الصدر الأعظم ومهاجمة قصره، إذا تباطأ في تنفيذ رغباتهم. (١)

أما موقفهم داخل ساحة المعركة، فيكفي أن نذكر أن الإنكشارية كانوا يُكافئون بقدر عدد رؤوس القتلى، فصار هم جندي الإنكشارية في حالة الانتصار، جمع أكبر عدد من رؤوس القتلى الأعداء، وسرعة تسليمها للقائد العام في خيمته من أجل الحصول على المكافأة. (٢) وهذا يكشف بأن عهد الجهاد والدفاع عن الإسلام في الفترة المتأخرة لم يكن هو الصفة الغالبة على معنويات الجند الإنكشاري، فحلّ محلّ ذلك الأطماع الشخصية والأهداف المادية، مما حقق لأعداء الدولة العثمانية النصر في عدة جبهات.

أضف إلى أن زيادة عدد الإنكشارية وانتقال هذه الأعداد إلى إستانبول زاد من تمرّدهم بحيث أصبح رؤسائهم يحققون كل ما يشاءون من السلاطين لا سيما إذا كان السلطان على قدر من ضعف الشخصية.

(*) وقد ركزت الإنكشارية في هجماتها على محلات اليهود، ونهب بضائعهم وربما ذلك يعود إلى كره الإنكشارية لليهود، خاصة وأن لليهود دور كبير في فساد العملة وإنخفاض قيمتها: عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج١، ٤٩٦.

(١) مرجع سابق، ج١، ص٤٩٦، ٤٩٧. محمد أنيس: مرجع سابق، ص٢١٤.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص٨٨.

وبهذا التحول الخطير أصبحت الإنكشارية هيئة عسكرية وراثية، وليست هيئة جنودها مختارين على أساس المهارة والمقدرة الحـــربية. (١) (*)

ومع مرور الأيام ازدادت أعداد الإنكشارية حتى صار أبناء الجنود الإنكشارية يدخلون فيها دون اعتبار للقدرة العسكرية وبحلول عهد مراد الثالث الذي يعتبـــر عهده نقطة تحول خطيرة في الأسس التي قامت عليها الإنكشارية، فقد انضم كثير من الأهالي وعامة الناس إلى الجيش الإنكشارية (٢) بموافقة مـــن الســـلطان(**) مراد الثالث، على الرغم من رفض فرهاد باشا آغا الإنكشـــارية الموافقـــة علـــى انضمام أولئك الذين ليس لهم دراية وخبرة عسكرية إلا أن السلطان وافق علـــى انضمامهم وتم عزل فرهاد باشا من منصبه، وعين بدلاً منه يوسف آغا الذي فتح الباب لكثيرين منه وخاصة اليهود، الذين أحبوا الاختباء في صفوف الإنكشـــارية لزرع الفساد بين الجنود، وهكذا صارت الإنكشارية مثل الجهاز الأجنبـــي داخـــل الدولة العثمانية يعمل على إفساد أمورها. (٣)

---

(١) بيري أندرسون: مرجع سابق، ص٣١. محمد أنيس: مرجع سابق، ص٧٩.

(*) لقد ذكر بيري أندرسون أن الإنكشارية أنتزعت من سليم الثاني حق إلحـــاق أبنـــائهم فـــي أفواج الإنكشارية على الرغم أنه في ذلك الوقت لم يسمح لهم بزواج وإنجاب الأبناء، وهذا يدل على أن هذه المعلومة دسيسة أدخلت لتشويه فترة سليم الثاني، حيث كان جميع جنود الإنكشارية في ذلك الوقت أطفال دوشرمة، أي لم يتزوجوا ولم ينجبوا الأبناء.

(٢) عبدالكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٠.

(**) حيث حدث ذات مرة أن قام فئة بألعاب بهلوانية في حفل ختان الأمير محمـــد بـــن مـــراد الثالث، أعجب الناس بما قدموه من فقرات حتى أن السلطان سألهم بعد نهاية الحفل عمـــا يتمنون فطلبوا الانضمام إلى الإنكشارية فوافق السلطان على ذلك وأصبحت هـــذه عـــادة جارية. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٠.

(٣) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: لواء الإنكشارية من تشكيلات الدولة العثمانيـــة، الطبعـــة الثانية، أنقرة: نشر مجمع التاريخ التركي، ١٩٨٤ م، ص٤٨٢. سليمان قوجسه باشي: =

وقد قصد هؤلاء بنسبتهم إلى الإنكشارية التنصل من التكليفات التي تقتضيها سياسة الدولة والوصول إلى حرية مطلقـــة في أعمالهم، ولم يدركوا أن الوظيفة الأساسية للإنكشارية هي الخروج للجهاد عند اقتضاء الحاجة. وبالتالي لم يخرج هؤلاء للحرب إذا ما نودي للجهاد، وإذا خرج منهم الــبعض لا يكــون إلا عــدداً بسيطاً، ويتحججوا بأن البقية سيحضرون من الروم إيلي والأناضــول، والقــانون كان يوجب أن يخرج مائة وعشرون تحت كل لواء، ولكن عددهم لــم يتجــاوز الثلاثين وقد يصل إلى الستين. (١)

إضافة إلى أولئك أنضم إليهم الأرمني والرومي والإفرنجي والــذين اتصــفوا باللصوصية وعدم الحياء، ومتهمون بعداوة الدين، فقد أفسدوا كل شــيء، فهــم بمثابة جواسيس على الدولة. وأفعالهم تضر بالدولة رويداً رويداً، فروســيا فــي مقدمة الدول التي سعت لإضعاف هذه الفرقة بالذات.(*) (٢)

كان لزيادة أعداد الإنكشارية أثره في عجز الخزينة عن القيام بنفقاتهم أيــام السلم، مما أدي إلى العصيان والفساد، ووقوع الفتن بينهم، فصاروا علة لحصول التنافر، والشقاق، وباعثاً على ظهور المفاسد والمكائد العديده حتى أيام السلم. (٣) ففي عهد السلطان مراد الرابع، ضعفت الإنكشارية والدوشرمة على حدٍ ســواء

= مرجع سابق، ص١٩-٢٠.

(١) أحمد جودت: تحقيق عبداللطيف محمد الحميد، ص١٨٢.

(*) كانت روسيا تهدف إلى الوصول بجيوشها صوب البحار الدافئة، ولكن الجيش العثماني كان يقف لها بالمرصاد، فكانت تحاول دائماً وأبداً العمل على إضعاف هذا الجيش، حتى يتسنى لها الزحف دخول الغرب والجنوب الغربي، وخير دليل على ذلك، عندما قام قيصر روســيا بترو الأول بإرسال أول سفير لروسيا في ‘ستانبول عام ١٧٠٠م، وأعطى له تعليمــات بأن يستمر في مراقبة الجيش والعمل على إضعافه.

(٢) سليمان قوجه باشي: مرجع سابق، ص٢٠.

(٣) أحمد جودت: ورقه ١١٠

نتيجة لزيادة أعدادها بشكل كبير، ونتيجة للإمتيازات التقليدية والإعفاء من الضرائب، زاد الإقبال على الإنخراط في صفوف الإنكشارية، خاصة من السكان المسلمين، ونتيجة لاضطراب الأمن الداخلي في فترة تمردات فرقة الجلالية، انتشرت الحاميات الإنكشارية في جميع أنحاء الدولة لأغراض حفظ الأمن الداخلي، وعلى ذلك فمنذ أواسط القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي،ونتيجة لإشغالهم بالحرف والزراعة،فقدوا قيمتهم العسكرية وصارت مهمتهم الأساسية القيام بالتمردات في العاصمة. (١)

وهذا ما جعل السلاطين يتبعون سياسة خفض أعدادهم، وإضعافهم نظراً للسطوة التي بلغوها، والتي كانت كثيراً ما تهدد مصير السلاطين أنفسهم، وقد اعتمد السلاطين على ما يمكن تعبئته من الرجال المتطوعين، وعلى الذين يتطوعون من الأقاليم التي تحت حكمهم، ومن الجند غير النظاميين الذين لا يتقاضون أجراً إلا عن الفترة التي يستخدمون خلالها في القتال، وذلك للتعويض عن النقص المتُعمد في أعداد الإنكشارية، ورغم أن هذه السياسة أدت إلى إستقرار داخلي في الدولة العثمانية وإلى التقليل في نفقات الجيش، إلا أنها كانت سيئة بالنسبة إلى حروب الدولة، وخاصة في حربها التي خاضتها بعد ذلك بوقت ضد روسيا عام ١٢٩٤هـ- ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧م -١٨٧٨م. إذ حرمت من أعظم جيوشها، وأشدها بطشاً، وأقواها، وأمهرها في القتال. (٢)

وكانت روسيا من ألد أعداء الدولة العثمانية، وسعت جاهدة لإضعاف الدولة العثمانية ومن ثم سقوطها.

ونتيجة لاختلال الرقابة عليهم، فقد أنضم للإنكشارية كثير من المسلمين الأمراء للتمتع بامتيازاتهم، وهؤلاء صاروا يتدخلون في السلطة بعقول عسكرية

---

(١) بيري أندرسون: مرجع سابق، ص٣١.

(٢) ياسين سويد: مرجع سابق، ج١، ص٩٢.

واهية، فخربوا سياسة الدولة، وأصبحوا بحاجة إلى جيش للتخلص منهم.[١] كما أخذا أعداد المتزوجين تزداد في صفوف الإنكشارية الأمر الذي أدى إلى إقامة هؤلاء في منازلهم بدلاً من الثكنات العسكرية.[٢]

وبحلول القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي سمح لعدد كبير من المتطوعين بتسجيل أسمائهم فقط ليس بقصد الحصول على عمل أو أجر، ولكن كأصدقاء مخلصين، سعوا لنيل شرف حمل لقب إنكشاري، وفي هذه الفترة تساوى المسلم والمسيحي في هذا الشأن، وكان هذا يعتبر نقطة تحول جديدة خطيرة في الأسس التي قامت عليها الإنكشارية.[٣] وفي محاولة لخفض أعدادهم البالغ ٧٠ ألف إلى النصف أصدر فرمان يقضي بطرد الدخلاء على الإنكشارية.[٤]

لقد اختصرت الإنكشارية منذ نشأتها على الأطفال الأيتام المسيحين ولم يدخلها الأطفال المسلمون، ودخول المسلمين بها هذا معناه فسادها، فقد يتعالى المسلمون الذين لديهم نسب على جنود الإنكشارية الآخرين، فيحدث خلافات داخلية مما ينتج خلخلة في النظام العام للإنكشارية.

كما أسهم إهمال الدوشرمة في فساد الإنكشارية وتمردّهم بشكل كبير، فقد أهمل السلاطين هذا الجهاز المهم بالتدريج، وقد أبطلت في حوالي القرن الحادي عشر الهجري منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وبإبطالةُ نضب المورد الرئيسي الذي كان يجمع الأطفال المشردين من بلاد البلقان، والذين كانوا

---

(١) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٤٧١.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٥٢-٥٣.

(٤) أرشيف رئاسة الوزراء: دفاتر مهمة. دفتر ١١١ ص ٦١٧.

يخضعوا لتدريب إسلامي ليصبحوا جنود إنكشارية أو موظفين إداريين.(١)

وهذا الأمر يعني انضمام أفراد للإنكشارية أكبر من السن المطلوب، فلا يخضعوا للتدريبات العسكرية اللازمة، مما يجعل الفشل والفساد والتمرد مقروناً بأدائهم.

وإضافة على هذا البلاء سمحت الإنكشارية بدخول أصحاب الحرف والصناعة في صفوف الإنكشارية بالرشوة،(٢) ثم سمحت لهم بممارسة حرفهم أو الاشتغال بالتجارة (*) في أوقات السلم، ولم يسمح لهم بحمل أسلحتهم في أوقات السلم خوفاً من قيامهم بحركات عصيان.(٣) ويعتبر مثل هذا العمل كسراً للأسس التي تكّون الجيش الإنكشاري، مما أسهم في هبوط المستوى الحربي والقتالي للجيش الإنكشاري وكذلك ضعف روح الجهاد ضد أعداء الأمة الإسلامية.

وقد اعتمد أصحاب الحرف في دخولهم إلى صفوف الإنكشارية على واقعة حدثت في عهد السلطان سليمان القانوني عندما أمر الصدر الأعظم وقائد الجيش بدخول بعض العناصر الأجنبية عن الإنكشارية إليها، لكن نجد أن العذر في ذلك يرجع إلى أن الفتوحات الإسلامية في عهد سليمان القانوني كانت على أشدها، لذلك احتاج إلى عدد كبير من الرجال الأشداء، فأدخل حوالي أثنى عشر ألفاً، ثم ألغى ذلك القانون لاحقاً، ودخول هذه العناصر إلى الإنكشارية دون تدريبهم على أكمل وجه، ومع الإنكشارية القدامى، آثار كثير من البلبلة والشغب والأعمال

---

(١) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون ١٥١٦م – ١٩١٦م، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٧٤م، ص١٢٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية: مادة يني تشري، د. ط، ١٩٨٦م، إستانبول، ص٤٦.
إسماعيل حقي أوزون مرجع سابق، ص٤٧١.

(*) أدى هذا الأمر إلى نتائج مهمة سيتم ذكرها في الأسباب الاقتصادية.

(٣) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص٢٥١.

القبيحة.[١]

كما دخل في الإنكشارية الفلاحون الذين يجهلون أمور الحرب والانتظام في صفوف الجيش، وكانت النتيجة أنه في حالة سفرهم إلى دار الحرب يعيثون فساداً، ويهتكون الأعراض في كل مكان مروا به، إضافة إلى أنهم لا يثبتون في أرض المعركة، ويفرون مع سماع إطلاق المدافع، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يقومون بنهب موجودات المعسكر ويولون هرباً.[٢]

ففي أثناء الحروب بلغت أعداد الإنكشارية ٥٤,٢٢٢ رجلاً. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أن عدداً كبيراً منهم أضيفت أسمائهم إلى اللائحة بهدف الحصول على الرواتب، وإذا لم يتقاضوا شيئاً، اكتفوا بالإعفاء من الضرائب، وفي المقابل كانوا على استعداد تام للقيام بأي ثورات وعصيان ضد السلطان، ومع مرور الأيام أزدادت أعطياتهم[*] تضاؤلاً فأضطروا إلى الإعتماد على رواتبهم.[٣]

ويبدو واضحاً أن هذا الخليط من الجنود غير المتجانس هم الذين شوهوا صورة الإنكشارية وأدخلوا المفاهيم الفاسدة على أذهانهم حتى أصبحوا عنصر فساد [**]، فهم لم ينتموا للجيل الأول ولم يتلقوا التدريبات اللازمة، ولم يفهموا

---

(١) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص٤٨٢.

(٢) أحمد جودت: تحقيق عبداللطيف محمد الحميد، ص١٨٢.

(*) ذكر أيضاً أنهم التحقوا بخدمة السفراء الأجانب في إستانبول، لكن يبدو أن هذا من باب تشويه تاريخ الإنكشارية وأنه لم يثبت قطعياً هذا الأمر، أنظر كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص٤٦٧.

(٣) مرجع سابق، ص٤٦٦.

(**) وقد أشارت إلى هذا الفساد ودخول الكثير إلى صفوف الإنكشارية كثير من الكتب التي أرخت لتلك الفترة، من أمثلة ذلك كتاب قوانين الإنكشارية وكتاب " الكتاب المستتاب " لمصطفى أفندي وهو مصدر موثق. أنظر إسماعيل حقي أوزن جارشيل: مرجع سابق، ص٤٧٧.

معنى أن يكون الرجل جندي إنكشاري.

وبتزايد حروب الدولة العثمانية تزايد جمع الجنود من أهالي القرى ولإرسالهم إلى أدرنه لتأدية التدريبات العسكرية اللازمة حسب أصول الإنكشارية.

وبالتالي تصرف لهؤلاء رواتب مقدماً. [١] مما أدى إلى تكليف خزانة الدولة فوق طاقتها، إضافة إلى مصروفات إعداد هذه الجيوش لخوض المعركة.

وجاءت زيادة عدد الإنكشارية نتيجة لدخول الجنود الذين جمعوا من القرى إضافة إلى الذين يسجلون أسمائهم في دفاتر الأحوال الخاصة بالعسكرية بإعطاء الرشوة للموظف المسؤول ليقيدهم بلقب حارس أو محافظ على الفرقة، ويبدو أن مرتبات هؤلاء كانت تتراوح ما بين أثني عشر وخمسة عشر أقجه، وقد تصل في بعض الأحيان إلى عشرين أقجة، وهذا يعني أن هذا المرتب الزائد ينعكس على المعاش الذي يحصلون عليه بعد تقاعدهم، فكلما زاد المرتب، زاد التقاعد. [٢]

وكانت هذه الزيادة في العدد تخالف القانون القديم للإنكشارية، فقد كان عدد الإنكشارية قديماً أثنى عشر ألف، جميعهم قادرين على الحرب، ثم أصبح سبعة آلاف جندي منهم ضباط متقاعدين، مع وجود ما يقرب ألف جريح في المعارك، وكان أغلب المسجلين أسماءهم بالرشوة لا يخرجون للجهاد على الرغم من قدرتهم على ذلك، وقد استحدثت الإنكشارية جنود جدد أطلق عليهم حرّاس الفرق

(١) أرشيف رئاسة الوزراء أستانبول وثيقة رقم ٨٢٦٥ خط همايوني H.H.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٥١. إسماعيل حقي أوزون جاريشل: مرجع سابق، ص٤٨٠.

والوحدات وكان هؤلاء يزيد عددهم عن ألف شخص.(*) (١)

صار عدد الإنكشارية يزيد عن مئة وخمسة وثلاثين ألف جندي، وهذا العدد كان ينقص بشكل غريب في حالة الحرب، فقد كان مائة وعشرين ألفاً منهم مسجل في دفتر الأحوال العسكرية، قادرين على الخروج للجهاد، وحتى هذا العدد كان ينقص من كثرة الالتماسات التي يقدمونها للسلطان حتى لا يخرجوا للحرب، أما باقي العدد فكان يسجل نفسه متقاعد، للحصول على الراتب فقط أو حارس في الوحدات أو القلاع. (٢) وما يتبقى من العشرين ألفاً، لا يصمدون في ساحة المعركة، وتحل بهم الهزيمة أو يفروا من أمام العدو، ولتغطية سوء تصرّفهم يقومون بالثورات أو نشر الإشاعات بين أفراد العامة، مرددين أن القادة باعوهم للأعداء الكفار. (٣)

وأصبح هناك معاشات لأشخاص لا وظيفة لهم إلا الدعاء، وهذه الوظيفة تباع وتشترى، ووظيفة الدعاء أطلقوا عليها اسم وظيفة الأسامي، وإذا حصل أحد جنود الإنكشارية على سبعة أقجايات من وظيفة الأسامي، يرى نفسه أكثر راحة من وزراء الدولة.(٤) وكان العشر منهم في الوجاق، والباقي أتباع للكبراء من

(*) وقد سخر المؤرخ الذي نقل هذه المعلومة وهو مصطفى أفندي حين وضع كتاب عن فساد نظام الإنكشارية.
حيث قال " إن الإنكشارية في الماضي لم يكن بها هذا اللفظ وهو حارس الوحدة أو الفرقة، أما الآن فيوجد ما يقرب من ألف شخص في لواء الإنكشارية يعرفون بهذا الاسم، ولست أعلم أي شيء يحرسون هؤلاء الجنود، هل يحرسون الحجارة والحوائط؟

(١) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص٤٨٠.

(٢) مرجع سابق، ص٤٨١.

(٣) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص٤٨.

(٤) أحمد جودت: مصدر سابق، ص١٩٥.

البلاط والعلماء[١]

ولم يقتصر أمر ازدياد عدد الإنكشارية على إستانبول فقط، بل تعداه إلى الأقاليم، فإذا أخذنا دمشق وحلب، على سبيل المثال، نجد أن الإنكشارية عانت من نفس أسباب الفساد، مما ساعد على انحطاط مستواها وأداءها بشكل كبير، وقد زادت إنكشارية دمشق وحلب بممارسة ابتزاز الأموال من الأهالي بسبب قدرتهم على فعل ذلك. [٢]

وعلى الرغم من ذلك، فإن جنود الإنكشارية في وقت الحرب كانوا يمثلون درعاً قوياً كالقلعة الحصينة أمام السلطان حتى لا يصل الأعداء إليه، وذلك لأن ارتباطهم بالسلطان كان أقوى ارتباط لديهم، حتى أنهم كانوا بمثابة أذرع للسلطان، لأنهم اعتبروا السلطان واحداً منهم، فقد نظروا إليه على أنه قائد الجيش، وأبوهم في نفس الوقت، وكان بعض أفراد الإنكشارية يتعلمون بعض التعاليم العسكرية الخاصة بالأمن حتى يكونان بمثابة الحراس الخاصين بالسلطان في القصر، هذه الروح التي تربى عليها أفراد الإنكشارية جعلتهم أشخاص يخاف الناس منهم طوال الوقت. [٣]

وينبغي لنا أن لا نغفل نقطة مهمة في مسألة إزدياد عدد الإنكشارية، فإن هذا قد كلف الدولة مبالغ طائلة من الأموال لتسليم هؤلاء رواتبهم على أعمال حربية لا يقومون بها.

وهكذا يتضح لنا أن الإنكشارية لعبت دوراً مهماً في تاريخ ومصير الدولة العثمانية، لأنهم صاروا مسؤولين عن نقطتين في غاية الأهمية وهما: تحديد مسار الفتوحات ومدى استمرارها، وتحديد من سيجلس على العرش العثماني من

---

(١) أحمد جودت: تاريخ جودت ورقة ١٠٨.

(٢) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٤٢.

(٣) ألبرت هوبرلبير: مرجع سابق، ص٩٣، ٩٤.

أسرة آل عثمان، كما كانوا هم أصحاب الكلمة في الدولة في الفترة التي يكون فيها العرش العثماني خالياً أي بعد وفاة أحد السلاطين وحتى مجيء غيره.[١] وكثيراً ما قاموا أثناء ذلك بفتن وتمردات داخل القصر السلطاني، بسبب غياب السلطان القوي وسوء التدبير والظلم ساعد على إظهار تمردهم.[٢]

أما بالنسبة للأسباب الاقتصادية، فقد تركزت في ضعف دخلهم المادي، مما نتج عنه ثورات وتمردات، إضافة إلى التعسف في جمع الضرائب، وابتزاز أموال الأهالي.

لقد كانت الدولة العثمانية تعاني كثيراً من انخفاض قيمة العملة عند شراء أي سلعة، لأن العملة أساساً مغشوشة، وذلك لأن مصانع سك النقود تحت سيطرة اليهود، فهم من يقوم بالغش في قيمة العملة الواحدة وبالتالي كانت تدفع الرواتب للإنكشارية من عملات يدخل في صبها بعض المعادن البخسة الثمن وخفيفة الوزن، وبالتالي ترفضها الحوانيت ولا يتعامل معها التجار، لذلك كانت الإنكشارية تثور وتتجمهر حول القصر السلطاني مطالبين بنقودهم الصحيحة، ولا يبرحوا مكانهم حتى يلقي لهم السلطان أكياس مليئة بالنقود في ساحة القصر الخارجية، أو يذاع عليهم أن يذهبوا لإبدال نقودهم بأخرى صحيحة، أو يحكموا بالموت على من ضربها، حتى ولو فعل ذلك طوعاً لأوامر صدرت له.[٣] مما ساعد في زيادة تمرداتهم وزيادة الفجوة بين السلاطين والإنكشارية.

وبهذا يتضح أن اليهود ساعدوا على زيادة كميات الأعطيات التي تصرف للإنكشارية لتحكمهم بقيمة العملة، إذ وصلت أحياناً عملة البرقية – إحدى العملات

---

(١) ألبرت هوبر ليبر: مرجع سابق، ص٩٤.

(٢) حسين كمال البغدادي القادري: ورقة ٢١.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٠. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٤٢. للاستزادة الرجوع إلى سليمان قوجسه باشي: مرجع سابق، ص١٥، ١٦.

المستخدمة - إلى خمسمئة أقجه أو ألف أقجة من التداول في الأسواق.[(١)] وقد خفضوا قيمة العملة وزادوا سعر الأوقية [(*)] الفضية، كما أنهم كانوا يرشون قائد الجيش بأموال صحيحة حتى يوزع على الإنكشارية نقود ضعيفة القيمة.[(٢)]

وبهذا العمل ساعدوا على إشعال الفتنة عند الإنكشارية وهذا يعني أيضاً أن اليهود كانوا يتدخلون بشكل كبير في الاقتصاد العثماني، خاصة سك العملة، وذلك لتنفيذ مخططهم في إضعاف اقتصاد ومالية الدولة العثمانية، إضافة إلى إضعاف أقوى فرقة في الجيش العثماني وهي الإنكشارية، حتى يتسنى لليهود القضاء على الدولة العثمانية واقتسام أراضيها وخاصة القدس. كذلك كان اليهود أغنياء، ولهم نفوذ في الحياة العثمانية واستطاعوا بغناهم هذا أن يوجدوا علاقة وثيقة مع الإنكشارية على الرغم ممّا شاب هذه العلاقة من صراع، إلا أن اليهود بقوا المسيطرين إلى حد كبير على إمداد وتموين الإنكشارية بكافة مستلزماتها، وكان القضاء على الإنكشارية عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م ضربة قوية للمصلحة اليهودية في إستانبول وغيرها من الولايات العربية.[(٣)]

لقد أثر انخفاض العملة وتخبطها على سلوك الإنكشارية، فقد كان دينار الذهب السلطاني وزنه درهم وقيراطان، واحد منه يساوي ستين عثمانياً في أوروبا، وفي مصر بثمانين عثمانياً، وفي اليمن بثلاثمائة عثماني، واستمر في الارتفاع حتى وصل الدينار الذهب بألفين من العثمانية، وكانت علوفة الجندي

---

(١) كامل باشا: مصدر سابق، ص ٢٩٩.

(*) الأوقية: هي وحدة من الموازين توزن بها العطور والبهارات، والفضة والذهب وكانت تستخدم في ما مضى واستبدلت في الوقت الحالي بالجرام.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص٤٥. سليمان قوجسه باشي: مصدر سابق ص ١٦.

(٣) أحمد نوري النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص٢٠٥.

الإنكشاري تبدأ من عشرة عثامنة، حتى تصل إلى مائة عثماني، ومن له هذا المبلغ في كل يوم، يأخذ في الشهر ثلاثة آلاف عثماني ؛ فيصرف له من الديوان عن الثلاثة آلاف عثمانية دينار واحد ونصف، وكان هذا المبلغ لا يفي بثمن فنجان القهوة التي يشربها، إضافة إلى باقي حوائجه[١] وهذا يعني أن سعر العملة لا يكفي لشراء أي سلعة بالراتب الذي يتقاضاه جندي الإنكشارية. مما أدى إلى ثورة الإنكشارية وتمردهم على السلطان، والمطالبة باستمرار بزيادة الأعطيات. وهذا جعل الإنكشارية أيضاً جنوداً فقراء، وفي وقت السلم بلا مسؤولية وبلا عمل، حتى أنهم بذلك مثلوا خطراً كبيراً على الدولة، ففي أي وقت كانوا يقومون بنهب منازل الأهالي حتى أن السلطان في بعض الأحيان كان يطالب أغا الإنكشارية بإعادة هذه الأموال وإضرام النار فيها، وقد وصل الأمر إلى نهب بيت الصدر الأعظم نفسه.[٢] فقد ظلموا الأهالي واستولوا على أموالهم وابتزوهم وذلك لضيق معاشهم دون وجه حق، وكان السلاطين والولاة يتغافلون عن أعمالهم، لعلمهم بقوة الإنكشارية، حتى استبدوا بالرعية تماماً وأنهكوها. [٣]

ولكثرة عدد الإنكشارية جعل الخزينة تعجز عن القيام بنفقات الجند في أيام السلم، أضف إلى ذلك فراغ خزينة الدولة في أحياناً كثيرة، نظراً لكثرة حروب الدولة العثمانية، وكذلك زيادة مصروفات بعض السلاطين مما يؤدي إلى تأخير صرف رواتب الجند، فيزيد ذلك من تمرد الإنكشارية وعصيانهم، مما دفع بالدولة العثمانية إلى زيادة الرسوم الأميرية على الأهالي، كما أدى فراغ الخزينة إلى

---

(١) كامل باشا: مصدر سابق، ج٣، ص٨١. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٥، نقلاً عن قطب الدين المكي.

(٢) أرشيف توب قابي سراي: تصنيف فرمان لر. رقم E ٢٦/٩٢٨٧، ألبرت هوبولبير: مرجع سابق، ص٩٣.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٥.

وقوع كثير من الظلم والجور والاعتداء على الأهالي فكان ذلك سبباً في كراهيتهم للدولة العثمانية وجيشها. (١)

ولكثرة ما حملوا الخزينة فوق طاقتها كان السلطان يخرج مرتباتهم من خزينته الخاصة، أو من بيت مال المسلمين، وهذه تعتبر خيانة لقانون الخلافة ولبيت مال المسلمين (٢)كما أنهم في بعض الأحيان كانوا يصرفون لهم مواجب إضافية بسبب حراستهم للقلاع في بعض المناطق.(٣)

وكانت أعداد الإنكشارية المسجلة في الدفاتر كثيرة، أغلبهم متقاعدين، أو خدم وأتباع لا يخرجون للحرب أصلاً، حتى أنهم لا يصلحوا للقيام بأعمال الحفارة في الشوارع والطرقات، ونتيجة لهذه الأعداد كانت الدولة تعجز عن صرف رواتبهم (٤) وبالتالي تقوم بفرض ضرائب جديدة، على الأهالي المثقلين بالديون، ويتم جمعها بتعسف وشدة من قبل جندي الإنكشارية، الذي صار مع مرور الزمن مجرد رجل يجوب الشوارع لجمع الأموال، وكان هذا أبلغ تشويه لصورتهم.

نذكر على سبيل المثال أنه أثناء تولي محمد الثاني الحكم للمرة الأولى وهو صغير السن في عهد مراد الثاني، استغل جباة الأموال وكبار رجال الدولة الوضع ونهبوا أموال الخزينة، وحرمت الإنكشارية من رواتبهم، وكان هذا بالطبع أحد الأسباب التي أدت إلى ثورتهم وتمردهم، فاضطربت الأمور في أدرنة، وسالت

---

(١) أحمد جودت: مصدر سابق، ص١٨٦، ١٨٧. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٠. حسين كمال البغدادي القادري. ورقة ٢١.

(٢) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص٤٨٠ ساطع الحصري: مرجع سابق، ص٤٨،٤٧.

(٣) أرشيف توب قابي سراي أستانبول: ٩٢٩٦ /٢٩ E فرمان لر، ١٨٨٧ E، ٩٢٨٤ /٢ E.

(٤) أحمد جودت: مصدر سابق، ص١٨١.

الدماء، حتى تضرر الناس وضجوا، وناشدوا مراد الثاني بالعودة للعرش. (١)

كما أن أفراد الإنكشارية الأقوياء ضعفت هممهم، بسبب أن مرتبات خدم القصر تزيد عن رواتبهم ثلاثة أضعاف، وهو من يتحمل مشاق البرد وحفر المتاريس وتعرضهم للجراح والعاهات، مما أثر على نفوسهم وضعف هممهم أثناء الحرب والجهاد. (٢)

وإذا أخذنا اليمن كمثال لتسلط الإنكشارية على الأهالي نجد أن ابتزاز أموال الأهالي لم ينقذ وضعهم المادي، إذ لجأوا إلى بيع متاعهم وأسلحتهم وثيابهم الرسمية، زاد عددهم مع ازدياد فقرهم، إلى أن استولى الزيديين على بلاد اليمن، حيث ردت الإنكشارية على الضائقة المالية، ليس بالتمرد أو الاستئثار بالحكم، بل بلجوئهم بسبب ضعفهم إلى الإمام مطهر الزيدي، والذي استفاد من ذلك لإعلان التمرد على العثمانيين. (*)(٣)

كما أن انتشار القحط والطاعون، أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب في بلاد الشام، ومن ثم ارتفاع ثمن الخبز إلى حد كبير(**)، ولم تنفع جهود الدولة

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٠، محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٨٣.

(٢) أحمد جودت: تحقيق عبد اللطيف الحميد، ص١٩٥.

(*) لقد لجأوا إلى أعداء الدولة العثمانية الزيدية، والذين استغلوا الوضع وأعلنوا الثورة على الدولة العثمانية، أما الجنود الذين بقوا موالين للعثمانيين كانوا في زبيد وعدن، فحاصروهم الزيديون، وقد تمكن سنان باشا في الفترة ما بين ٩٧٧هـ - ٩٧٨هـ /١٥٦٩م - ١٥٧١م من إخضاعهم، وعمل على تحسين حال العساكر، وتشجيعهم على البقاء في ولاء الدولة العثمانية، وزاد في مرتباتهم وعطاياهم.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٦.

(**) استغرب من أسعاره الإخباري المعاصر، شرف الدين موسى الأنصاري: مرجع سابق، ص١٤٢، ١٤٣

في استيراد القمح من مصر وقبرص، إذ أنه سرعان ما زاد ارتفاع الأسعار، بسبب جشع التجار وأصحاب الأفران، والذين ساهموا بشكل كبير في تفاقم هذه الأزمة، ولم تفلح جهود الدولة في القضاء على هذه الأزمة بالقضاء على جشع التجار لأن الجذور كانت أعمق من ذلك بكثير. ولضيق ذات اليد وارتفاع الأسعار، لم يكن يستمعوا إلى أوامر السلطان أو قائد الجيش العام، بعدم التعرض لأهالي المدن المفتوحة، فقد كان الأهالي لا يستطيعون التصدي لهم أو لأعمالهم التخريبية حتى أنهم عند وفاة أي سلطان يستغلوا فترة فراغ العرش حتى صعود السلطان الجديد،في القيام بنهب المدينة وابتزاز أهالي إستانبول.(١)

لقد كان أفراد الإنكشارية عماد الجيش، وكان لتربيتهم الإسلامية العسكرية التي نشأوا عليها أكبر الأثر في ذلك، معنوياتهم مرتفعة، وهممهم الإسلامية قوية جعلتهم لا يخوضون حرباً إلا وكان النصر حليفهم، أسدوا للدولة خدمات عظيمة، فكافأهم السلاطين على ذلك وأعطوهم امتيازات وإقطاعات زراعية فأرتبطوا بأراضيهم، وما لبثوا بعد فترة أن تغيرت حياتهم فبدأوا يتخلفوا عن الخروج للحرب معللين ذلك بسبب البرد القارس، وهم في الواقع يهدفون إلى حياة الدعة والراحة والاستقرار. (٢)

إن منحهم الأراضي الزراعية جعلهم يرتبطون بالأرض ويرفضون مغادرتها للاشتراك في الجهاد، اختلطوا بالسكان ومالوا لحياة المدن، وتخلقوا بأخلاق أهلها، وفقدوا الهمة العسكرية.

ومما ساعد على هذا الأمر السماح لهم بمزاولة التجارة، والبيع والشراء،

---

(١) ألبرت هوبرليبر: مرجع سابق، ص٩٣.

٢) محمود شاكر: مرجع سابق، ج٨، ص١١١، ١١٢. علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، دمشق، دار البيارق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٥٤٢، إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص٩٤.

فاتسعت امتيازاتهم في المدن، وقوى نفوذهم، إضافة إلى أن ارتباطهم بالثكنات العسكرية قد خف أساساً، فأصبحوا لا يذهبوا إلا لاستلام رواتبهم أو العلوفة والتي كانوا يبيعوها في أغلب الأحيان للحصول على العائد المادي. (١)

كان الاقتصاد العثماني شبه منهار، والدولة العثمانية لم تكن تصنع أي مصنوعات خاصة بها تقريباً، فُسمح للإنكشارية بالاشتغال في الحرب والصناعة، وذلك بهدف إثراء الصناعات المحلية ولو قليلاً. (٢)

هذا الأمر أدى إلى ضعف ارتباطهم بالثكنات العسكرية، فلم يعد يذهبوا إليها إلا لتسلم الرواتب فقط، لا للتدريب العسكري، أو المبيت فيها مما ساعد على ازدياد ارتباطهم بحياة المدينة ورفاهيتها وركونهم لحياة الحرفيين والصناع وليس حياة المجاهد في سبيل الله.

وقد ساعد أغوات الإنكشارية على فساد الفئة، فقد كانوا يدفعون مقدار عشرة أيام أو عشرين يوماً، من رواتبهم الشهرية لكبار رجال الدولة لشراء المناصب، ولاستجلاب خواطرهم ونفسياتهم، وإذا كان أغا الإنكشارية هذه أخلاقه، فبالتالي لم يبق من رجال الإنكشارية رجال يعتمد عليهم.(٣) وكان لأغا الإنكشارية دور كبير في مساعدتهم على العصيان والتمرد، وخدم أغراضهم ومصالحهم، بهدف المحافظة على مناصبهم. (٤)

إن نظام الإنكشارية أصبح للأسباب السابقة نظام ارتزاق، فكان لكل جندي

---

(١) السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، د. ط، القاهرة: المطبعة العالمية، ص١٥. محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٥١. محمد أنيس: مرجع سابق، ص٢١٤.

(٢) بيري أندرسون: مرجع سابق، ص٣٠، ٣١.

(٣) أحمد جودت: مصدر سابق، ص١٩٥.

(٤) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص٤٧٧.

تذكرة يحصل بمقتضاها على مرتب " العلوفة " وفي بعض الأحيان كانت تعجز الدولة عن دفع مرتبات هؤلاء كما سبق ذكر ذلك، فكان الجندي يلجأ أحياناً إلى القوة للحصول عليها، أو يلجأ إلى بيع هذه التذاكر لمن يدفع لهم قيمتها وبالتالي يصبح الشاري " جندي إنكشاري" وهذا جعل أسماء الكثير من عامة الشعب تدخل في قوائم الإنكشارية، حتى أنه وجد أسماء سيدات، وهؤلاء جميعاً قد اشتروا التذاكر للحصول على الامتيازات الخاصة بالإنكشارية، وعامة الناس لا يمكن الاعتماد عليهم وقت الحرب، في حين أنهم يشكلون عبئاً اقتصادياً على الدولة.(١)

أما عن الأسباب الاجتماعية فقد تركزت في السماح لهم بالزواج وتكوين أسرة وتربية الأطفال، مما حدا بهم الارتباط بأسرهم وحياة المدينة إضافة إلى الرفاهية التي تسببت في زيادة تكاليف معيشتهم، حيث زادت متطلبات حياتهم اليومية إضافة إلى ارتفاع في الأسعار وانخفاض في المعيشة.

وعندما تم دخول عدد كبير من المسلمين في الإنكشارية، في عهد مراد الثالث أي أواخر القرن السادس عشر الميلادي ترتب على ذلك إلغاء الحظر المفروض عليهم بعدم الزواج، فأصبح لهم أسر وانشغلوا بمشاكل الحياة اليومية والزوجية، وهذا بالتالي أدى إلى تقاعسهم عن الخروج للحرب، وضعف الاستعداد الحربي لديهم. (٢) وفي الماضي لم يكن يسمح لهم بالزواج خوفاً من أن الروابط الأسرية قد تؤدي إلى تقاعسهم عن الجهاد وتجعلهم يعيشون خارج ثكناتهم ويخف ارتباطهم بها.(٣)

والحقيقة أن هناك تساؤل عن مدى صحة قرار العثمانيين بتحريم الزواج

---

(١) خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص١٦٦.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص١٢٨.

(٣) السيد رجب حراز: مرجع سابق،ص١٥.

على الجند الإنكشارية، بحجة أن ذلك سيكون عائقاً لهم بالانصراف عن أعمال الجندية والاستماتة في القتال، ولكن يوجد لدينا في التاريخ الإسلامي مثال في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أنهم كانوا متزوجين ولديهم الأبناء، ولم يصرفهم ذلك عن تلبية نداء الجهاد في أي وقت، كما أنهم كانوا يستميتون في ساحة القتال دفاعاً عن الإسلام ورفع رايته ولا يطلبون سوى الشهادة. كما أن هذا الحظر يتعارض مع الفطرة التي فطرها الله سبحانه داخل كل نفس بشرية، مما قد يترتب عليه آثار سلبية قد لا تلمس إلا بعد مرور فترة من الزمن وهذا ما حدث فعلاً، فقد تحولت الإنكشارية إلى جنود يجوبون الشوارع لنهب المنازل وهتك الأعراض، دون الالتفات إلى حرمانية البيوت، أو حتى المدن التي تسلم بمعاهدة، لا تسلم من انتهاك الحرمات وهتك الأعراض.

ومما لا شك فيه أن حظر الزواج على الإنكشارية، كان له أبلغ الأثر في تكوين جيش قوي، بعيداً عن العواطف الأسرية وإنما عاطفة نحو الإسلام وخدمة السلطان العثماني فقامت بذلك على أكتافهم الفتوحات الإسلامية، حيث كانوا يدخلون المعركة لا يرجون سوى النصر أو الشهادة في سبيل الله.

أما عن الأسباب النفسية، فقد تركزت حول أن الخدمات والأعمال الجليلة والبطولية التي قام بها الإنكشارية في بادئ الأمر قد أكسبتهم تقدير واحترام العامة والخاصة، وربما شعروا بالتميّز وشعروا بأنهم هم الذين فتحوا المدن، ومن حقهم نظير ذلك أن تحقق جميع مطالبهم بلا استثناء. فهم الذين تحملوا المشاق في سبيل الدفاع عن الدولة العثمانية، فكانت هذه المشاعر من الأمور التي دفعتهم إلى التمرّد والاعتداء على الأموال والأرواح. (١)

كما أنه بسبب فتوحاتهم وانتصاراتهم الماضية، اعتقد الإنكشارية بأن القوة

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٢، ٨٣. إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص٩٥.

والشجاعة، والفضيلة التي تتواجد عند جنودهم تجعلهم يتغلبون على كل جيش منظم بقيادة محكمة. هذا الوهم الذي ترسخ في أذهانهم، جعلهم يرفضون أي محاولة للإصلاح أو التطوير، كما أن أغنيائهم (*) اقتنعوا بأبسط الأمور إلا تقليد الأمم الأخرى، وبذلك عمت فكرة أن استخدام نفس أسلحة هذه الأمم للدفاع عن الدولة العثمانية وولاياتها يعتبر جريمة، وأن الشعوب الأخرى على ضلال، وأساءوا إلى الرجال (**) الأكثر خبرة وعلماً وذكاءً. (١)

كما كانت لدى الإنكشارية قناعة داخلية بأن دعاء الشيخ بكتاش قبل مئات السنين لهم بالنصر الدائم، سيفيدهم على الرغم من اختلال تنظيمهم العسكري وكانت هذه من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها الإنكشارية، ورفضوا استخدام الأسلحة الحديثة والتطور ولم يفكروا لحظة كيف سيواجهون العدو في ساحة المعركة بأسلحته الحديثة، مما أدى إلى هزيمتهم في أغلب الأحيان.

وقوف شيخ الإسلام والعلماء إلى جانبهم في أغلب التمردات التي قاموا بها منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، زاد من ضغط الإنكشارية على السلاطين واستبدادهم فغالباً ما استندت ثوراتهم إلى فتاوي شرعية من شيخ الإسلام عادة ما كانت تمثل الرأي العام. (٢)

كما أثر على نفسياتهم، اختلاطهم بأهل المدن، مما أدى إلى فساد طبيعتهم

(*) لم يوضح المؤلف ماذا يقصد بكلمة الأغنياء، ولكن من الواضح في السياق العام أنه يقصد قادة الإنكشارية وزعمائها، وأغواتهم، فهم من يمتلك النفوذ والقوة والسطوة. ويقصد أيضاً شيوخ الإسلام الذين كثيراً ما ساندوا الإنكشارية.

(**) يقصد هنا المؤلف السلطان سليم الثالث، وبعض الصدور العظام الذين وقفوا بجانب الإصلاح.

(١) سيد مصطفى – خالد زيادة: مرجع سابق، ص٦٨، ٩٩.

(٢) خليل إينالجيك: مرجع سابق، ص١٠١.

الحربية، وتغيير أخلاقهم، فأصبحوا أعداء لأنفسهم وأعداء لسكان المدن المحليين، وانغمسوا بالتالي في حياة اللهو والملذات، ورفضوا الخروج للحرب في البرد القارس، وأثروا حياة الاستقرار والدفء، مع استمرارهم في طلب علوفاتهم.

وقد أوجز عبد العزيز نوار أسباب ضعفهم وفسادهم في عدة نقاط هي:

١- كبد العثمانيون خسائر فادحة في الأرواح والأموال نتيجة للحروب المتتالية التي خاضتها الدولة العثمانية ضد الدولة الفارسية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، السابع عشر والثامن عشر الميلادي.

٢- وأدى هذا الأمر إلى فقد أجزاء متتالية من الأراضي البلقانية، والتي كان يجمع (*) منها الأطفال المشردين والأيتام لنظام "الديوشرمة " وبذلك ضعف الأساس الذي الأساس الذي قامت عليه الإنكشارية.

٣- استشعار الإنكشارية بقوتها ومكانتها في الجيش العثماني، جعلها تغالي في طلباتها وهباتها من كل سلطان جديد، وإذا رفض السلطان إعطائهم أثاروا الفتن عليه.

٤- إقامة الإنكشارية في القلاع والمدن النائية لمدة طويلة، جعل الهدف الإسلامي العام غير واضح أمامهم، إضافة إلى فقد الإنكشارية للروح المعنوية، بسبب ضعف التدريب، وقلة العتاد الحربي، فلم يعد للسلطان تلك القداسة التي شب عليها الإنكشاريون من قبل وأصبحوا عناصر فساد، حتى أن الولاة أرادوا التخلص منهم.

٥- لقد كان النظام أن يرابط الإنكشارية في قلاعهم وثكناتهم مدة معينة، ثم يستبدلون بقوة أخرى، ولكن الوضع تغير خاصة في القرن الثاني عشر

(*) لقد أشار هنا إلى أن أطفال الديوشرمه كانوا من ضريبة الغلمان والتي قلل منها السلاطين العثمانيون.

الهجري، الثامن عشر الميلادي، إذ استقرت قوات الإنكشارية في قلاعها، وصارت تقوم بجباية الضرائب، فاندمجت الإنكشارية في حياة المدن، وغادر رجالها ثكناتهم وعاشوا حياة عادية، لهم أسرهم ومشاغلهم، فتحولوا إلى عنصر فساد وليس عنصر دفاع عن الدولة العثمانية.

٦- تحول نظام الإنكشارية إلى نظام ارتزاق، فقد كان لكل جندي إنكشاري تذكرة يحصل بمقتضاها على " علوفة " نقدية أو عينية، وعندما ضعفت الدولة العثمانية عن دفع رواتب الإنكشارية صاروا يحصلون على حقوقهم بالقوة، أو يبيعوا تذاكرهم لمن يدفع أكثر، والشاري يصبح صاحب التذكرة وبالتالي جندي إنكشاري، حتى لقد وجد في قوائم الإنكشارية أسماء آلاف من أصحاب الحرف والسيدات. (١)

هذه الأسباب اجتمعت، وأدت إلى قيام صراع بين أطراف السلطة، والصدر الأعظم، والإنكشارية، فتخلخل النظام العام وفسدت الدولة على الصعيد الداخلي.(٢) في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، السابع عشر والثامن عشر الميلادي.

هذا الصراع أصاب الوضع الداخلي بأشكال مشوهة، بين السلاطين الذين حاولوا جاهدين تقوية قدراتهم العسكرية للدفاع عن الدولة العثمانية، وذلك باللجوء إلى الإصلاحات، راغبين أم كارهين، وبين الإنكشارية التي باتت مؤسسة عسكرية بائرة تعاني من الهزائم المتلاحقة، ولكنها برغم من كل شيء بقيت السلاح التقليدي الوحيد في أيدي الأصالة وعلماء الدين. (٣) لقد كانوا جنوداً

---

(١) عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص٨٦، ٨٧.

(٢) شبكة المعلومات العالمية " الإنترنت ".

(٣) قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص٥٣.

أشداء يصعب السيطرة عليهم وكبح جماحهم.

وبهذا افتقدت الإنكشارية الأساسيات التي قامت عليها وفقدت مقدرتها الحربية، وأصبحت هيئة عسكرية صورة تعكس فساد هذه الفرقة، ومع مرور الزمن أصبح الإنكشارية مرضاً داخل جسم الدولة العثمانية.

عندما كثرت حركات تمرد وعصيان الإنكشارية لجأ بعض السلاطين إلى بعض الإجراءات في محاولة منهم للحد من تلك الظاهرة ومن أهم هذه الإجراءات ما يلي:

أولاً: إتباع سياسة تفريق أو تشتيت جموع الإنكشارية بحيث لا يتواجد أو يتزايد عددهم في مكان واحد، ولا سيما استنابول، وتنفيذاً لهذه السياسة لجأ السلاطين إلى توزيع جنود الإنكشارية على حاميات الحدود والقلاع والمدن المفتوحة حديثاً، وأيضاً إرسال فرق منهم لتلبية نداء المستنجدين داخل ولايات الدولة العثمانية كما فعل السلطان سليم الأول حين أرسل إلى خير الدين بروسيا عام ٩٢٥هـ / ١٥١٨م ألفين من جنود الإنكشارية، بعد أن استنجد به خير الدين وطلب العون لمحاربة الأسبان في الجزائر.

ثانياً: السماح لأعداد كبيرة من الجند المسلمين الذين ولدوا من آباء مسلمين في الديار الإسلامية بالانضمام إلى الإنكشارية، بعد أن كان هذا الأمر محذوراً تماماً، وذلك للحد من طغيانهم وتعصبهم وإظهار إمكانية الاعتماد على غيرهم.

ثالثاً: السماح للإنكشارية بممارسة بعض الحرف أو مزاولة التجارة في أوقات السلم، في حين كان هذا محرماً عليهم فيما سبق، والغرض من ذلك إشغالهم في وقت السلم حتى لا يدفعهم الفراغ للتفكير في إثارة الفتن، ورغم نجاح هذا الإجراء فيما يتعلق بشغل أوقات الفراغ عند الإنكشارية فقد كان له أثراً سلبياً من ناحية أخرى، حيث أدى إلى ابتعادهم عن

ثكناتهم العسكرية، وبالتالي عدم ممارسة التدريبات العسكرية مما ترتب عليه هبوط مستواهم القتالي.

رابعاً: عدم السماح لجندي الإنكشارية بحمل السلاح في أوقات السلم وذلك تجنباً لاستخدامه ضد المدنيين. (١)

على أنه مرت فترة هدوء نسبياً للإنكشارية في عهد صدارة كوبرللي محمد باشا وابنه فاضل أحمد باشا، فقد كانوا غاية في الطاعة ولم يتدخلوا في شؤون القصر أو السياسة العليا مطلقاً وأهتموا بشؤونهم فقط، وانضبطت صفوفهم، ولكن هذا لم يستمر طويلاً فبعد نهاية صدارتهم عادت الإنكشارية لسابق عهدها.(٢)

إذا عقدنا مقارنة بسيطة بين الإنكشارية وجيش المعتصم، في الدولة العباسية نجد أن جيش هذا الأخير قد تكون من عنصر الأتراك والذي اشتراهم المعتصم لينخرطوا في الجيش العباسي، فصاروا وبال على الدولة العباسية، مما أدى إلى ضعفها. ومن ثم سقوطها، وهذه الحالة تكررت مع الإنكشارية في الدولة العثمانية، مع الفارق أن الإنكشارية عماد الجيش العثماني وصاحبة أروع للفتوحات العثمانية، ولكن مع مرور الزمن تكرر الوضع بنفس النمو في الدولة العباسية، حيث سيطر الجنود على الحكام والدولة، مما أدى إلى سقوطها.

كلا الجيشين طغى على الحكام واستبد بالسلطة وتحكم في وضع السلاطين والخلفاء، أو عزلهم، ووصل الأمر إلى حد القتل، ووصلت أمور الفساد إلى أقصاها، حتى أضعفوا كيان هاتين الدولتين، وبقيت مصالحهم فوق الدولة والشعوب.

ولهذا فرجل الحرب، لا يصلح أن يتحول إلى رجل سياسة وإدارة وحكم، فهو جندي لخوض حرب وفتح حصون، ولا يمتلك مرونة وليونة رجل السياسة.

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٠١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية: مادة يني تشري، ص٥١١.

المبحث الثاني
نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني

أعتبرت الدولة العثمانية فريدة من نوعها في التاريخ الإسلامي، تميزت بمميزات جعلتها في مقدمة الدول، وأول هذه المميزات أنها كانت دولة إسلامية حملت راية الجهاد الإسلامي عبر الآفاق، ساعدها في ذلك، الميزة الثانية وهي الفئة العسكرية المعروفة بالإنكشارية، ذلك الجهاز العسكري الذي فتح البلاد وضم المدن، وكانت لها اليد الطولى في مختلف الفتوحات العثمانية، ولكن دوام الحال من المحال، فقد بدأت هذه القوة العسكرية في التمرد والعنف والبطش مما أدى إلى صراع مستمر بينها وبين الحكام، كان من نتائجه إضعاف هيبة الدولة العثمانية وإضعاف البنية الداخلية للدولة وقصورها في مواجهة البلاد الأجنبية حتى أبتلع الاستعمار أراضيها.

وبعد معرفة أسباب تمردات الإنكشارية ومدى السيطرة والقوة التي وصلت لها هذه الفرقة سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية، نتتبع تدخلهم في السياسة الداخلية أي في القصر السلطاني في عهد كل سلطان.

لم تورد المصادر التاريخية أي معلومات عن أي تمرد قامت بها الإنكشارية منذ نشأتها وحتى أوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، إلا أن المصادر التاريخية تسجل لنا حوادث وشغب الإنكشارية الذي بدأ يظهر على المسرح التاريخي في أواسط القرن التاسع الهجري الموافق النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي.(١)

---

(١) إسماعيل حقي أوزون: المرجع السابق، ص٥٠٦.

ولكن لابد أن نأخذ في الاعتبار أن بداية تمردهم لم يكن بتلك الصعوبة، واستطاع السلاطين التحكم فيها، لكنها تطورت بعد ذلك وتعدت لشخصية السلطان وعزلهِ ثم قتلهِ.

ففي عهد السلاطين الأقوياء لم يكن للإنكشارية نفوذ، وكانت تحت سيطرة السلطان، ولكن مع مرور الوقت تبدل الحال بسبب ضعف بعض السلاطين أولاً وزيادة نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني ثانياً وبالأخص ذلك النفوذ الذي ظهر في شخصية الأغا الإستبدادية.

لقد كانت مفاسد الإنكشارية من أكثر العلل التي أصابت الدولة العثمانية وساعدت على ضعفها الداخلي ومن ثم سقوطها، لقد استفحل الأمر بعد أن تسرب الفساد لها، وسمح لأي فرد الانضمام بسلكها دون قيود، وأول بواكير هذه الأعمال الخارجة عن طبيعة عمل الجند، هو أول إضراب يذكره لهم التاريخ، بعد وفاة السلطان محمد الأول "٧٨١هـ - ٨٢٤هـ / ١٣٧٩م - ١٤٢١م " في منطقة غاليبولي، وقصّة ذلك أنه عند وفاة السلطان محمد الأول، خاف الوزراء ورجال القصر من إشاعة خبر الوفاة قبل مبايعة أبنهُ مراد الثاني[(١)] الذي كان في آسيا، وقد أتفق الوزيران في عهد محمد الأول وهما " إبراهيم وبايزيد" على إخفاء خبر الوفاة عن جنده خوفاً من حدوث طارئ لا تحمد عقباه، وأشاعا أن السلطان مريض، وأرسلا إلى ابنهُ مراد، والذي وصل بعد واحد وأربعين يوماً واستلم مقاليد الأمور والحكم هذه رواية.[(٢)]

وهناك رواية أخرى تذكر أن خبر وفاة السلطان شاع بين الجند، ولم تهدأ ثائرتهم حتى احتال رجال القصر على الجند وأوقفوا جثة السلطان خلف نافذة

---

(١) فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص١٥٢.

(٢) مصدر سابق، ص ١٥٢. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣١.

القصر وجعلوا يحركوا يده كتحية للجند أثناء مرور صفوفهم أمام القصر. [١]

ولكن هذه الرواية الأخيرة كما يبدو مشكوك في مدى صحتها، فليس من المعقول أن تكون شخصية السلطان سهلة بحيث يستطيع وزرائه التعدي على هيبة جثة السلطان، وحمله وإيقافه أمام النافذة، ولنفترض حدوث ذلك فيكف يستطيع وزرائه إيقافهِ بشكل مستقيم وهو جثة هامدة، بل وتحريك ذراعه بالتحية بأيديهم، ليراها الإنكشارية، إضافة إلى أن الميت عيناه مغمغمتين فكيف سيفتحها هؤلاء الوزراء، وهل بقيت جثة السلطان لم تتحلل أو يصيبها العطن خاصة وأنه لا يوجد وسائل لحفظ الجثة بهيئتها كاملة لمدة طويلة، فالوسائل لا شك أنها بدائية نوعاً ما، كذلك النافذة هل هي بعيدة بدرجة كفاية حتى لا يلاحظوا الإنكشارية ملامحهُ عن قرب، فلا يعتقد أنها بعيدة جداً فبإمكان الجند الاقتراب لدرجة تسمح بتفرس ملامحه الميتة واكتشاف الحقيقة، وعلى هذا فإن الباحثة ترجح الرواية الأولى وذلك لقربها للمنطق والصحة ولقرب فريد بك المحامي من الفترة الزمنية.

وبعد تولي مراد الثاني بن محمد الأول الحكم " ٨٠٦-٨٥٥هـ / ١٤٠٣-١٤٥١م " صارت الأمور هادئة مع الإنكشارية حتى حدثت معركة وارنة التي دارت أحداثها على سواحل البحر الأسود عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م وقد انتصر فيها السلطان مراد الثاني على جيوش الحلفاء المسيحيين [*] واستعاد مدينة وارنة من المجر والبولونين وغيرهم، ثم عاد السلطان إلى العاصمة، ومرض

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣١.

(*) ومضوا معاهدة ساكه دين مع جان هوينادا عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م. إسماعيل حقي أوزون: المرجع السابق، ص٥٠٦.

هو ينادي: ولد عام ١٣٨٧م وتوفي ١٤٥٦م من أسرة مجرية الأصل عُين ملكاً للمجر من قبل ماتيوس إبن لارسلاس – أشتهر بمحاربة العثمانيين، ومات متأثراً بجراحه أثناء حصار محمد الفاتح لبلغراد. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٥٦.

بعدها إثنان من أبنائه بمرض معد توفيا على أثره، فحزن عليهما حزناً جماً، وعفت نفسه عن الملك، فقرر أن ينادي بإبنه محمد الثاني سلطاناً والذي لم يتجاوز ١٥ عاماً، وانسحب إلى إحدى المدن. (*) (١)

ولكن هذا الطفل الذي حكم لم يعجب الإنكشارية وثاروا عليه وازدروه ونهبوا عاصمة الدولة أدرنه. (٢) على الرغم من أنهم ساعدوه في الغارات على بلغراد، وعندما جرح في فخذه أنقذوه ودافعوا عنه، وكان اعتراضهم على حكمه بسبب صغر سنهِ وليس شخصه، وساعدهم في ذلك وحرضهم رؤساء الإنكشارية وهم ذا غانوس باشا.(٣) ، وشهاب الدين باشا الخادم، كما ساعدهم في هذا التمرد رجال الدولة الذين لم يرضيهم سلطان الخامسة عشر عمراً. (٤)

ولم يهدأ الوضع حتى عاد السلطان مراد الثاني مرة أخرى من عزلته، وقام بإخماد الفتنة، وإنزال العقاب الشديد بمدبريها ورؤوس الفتنة فيها، وهكذا عاد الأمر كما كان وهدأت البلاد، ولكي يضمن السلطان مراد الثاني عدم إثارتهم للقلاقل مرة أخرى أشغلهم في حرب بلاد اليونان عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م وساعدهم في ذلك ظروف اليونان الداخلية. (**)(٥)

(*) مدينة مغنيسا، انسحب مراد الثاني لها للاستجمام. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣١.

(١) حبيب السيوفي: المرجع السابق، ص١٠.

(٢) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص١٥٨، إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج١، ص٥٠٤.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٢.

(٤) إسماعيل حقي أوزون: المرجع السابق، ص٥٠٦، ٥٠٧.

(**) ساعده تقسيم الملك إيمانويل بلاده على أولاده، مما أدى إلى إضعافهم ومن ثم يسهل القضاء عليها. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٥٨.

(٥) المصدر السابق، ص١٥٨.

وهكذا رضخ مراد الثاني لمطالب الإنكشارية وعاد إلى السلطة، ولكنه قضى على رؤوس الفتنة، وهذا يدل على قوتهِ وخوف الإنكشارية من شخص السلطان، الأمر الذي سيتحول فيما بعد كما سنرى.

واستمرت الأحوال هادئة حتى توفي مراد الثاني وتولى الحكم بعده إبنهُ محمد الثاني " ٨٣٣هـ - ٨٨٦هـ / ١٤٤٧م - ١٥١٢م " ثم بدأ تمّرد الإنكشارية مرة أخرى وأضربوا عن العمل، حتى أجبروا السلطان على زيادة رواتبهم. وحققوا مبتغاهم، ولأن محمد الثاني كان يحتاجهم في فتوحاتهِ فقد إزدادوا إلحاحاً في مطالبهم. (١)

وإذا دققنا هنا نجد أن تمردهم في عهد محمد الثاني تلخصت في زيادة الرواتب، وربما يعود رفضهم وتمردهم على مراد الثاني في البداية لصغر سن محمد الثاني، ولكن بعد ذلك رضخوا له ولأوامرهُ وساروا تحت طوعهِ.

على أن تدخل الإنكشارية الفعلي كان واضحاً بعد وفاة السلطان(*) محمد الثاني، فبعد وفاته في سكوتاري، بشكل مفاجئ، أخبر الصدر الأعظم محمد باشا قرماني (**) بوفاتهُ بسرية تامة، وأخفاه عن الجنود جميعاً وخاصة الإنكشارية لما

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٢.

(*) لقد توفي محمد الفاتح في ١٤٨١/٥/٣م في مكان يسمى " سلطان جابري " بالقرب من خيرة، وكان في طريقه لإحدى الحملات الحربية، وكان على رأس جيش، وفجأة وهو في الطريق مرض مرضاً شديداً منعه من السير، وبالطبع توقف الجيش عن المسير، وذهب المعسكر في المكان المذكور وتوفي السلطان نتيجة لهذا المرض. أنظر رشاد أكرم قوجسي: الإنكشارية، د. ط، إستانبول: ١٩٦٤م، ص١٤٥.

(**) محمد باشا القرماني: أحد الكتاب والصدور العثمانية، في عهد محمد الفاتح، من نسل جلال الدين الرومي، تربى في قونية، وكان تلميذ علاء الدين علي جلبي أحد العلماء الكبار في عهده ثم صار صهرهُ بعد ذلك، ترقى في المناصب حتى وصل الصدارة العظمى في=

عرف عنهم من سرعة التمرد. حيث خاف من آثار الخبر عليهم قبل الوصول إلى إستانبول، وأشاع بين الجند أن السلطان مريض يحتاج إلى الحمامات الدافئة حتى يتماثل للشفاء، وقام بنقل الجثمان في قارب (*) مغلق إلى العاصمة بحجة المحافظة على صحة السلطان من البرد بعد خروجه من الحمام الدافئ،(١)

وكان ذلك من أجل كسب الوقت حتى يستطيع إشعار بكر أبناءه " أبو يزيد"(**)، ولكنه في نفس الوقت كان يميل إلى ابنه الأصغر " جم" الذي تربطه به علاقة مودة، فأرسل الصدر الأعظم قرماني محمد باشا سراً إليه يخبره بوفاة والده ويستعجله العودة إلى العاصمة ليتسلم مقاليد الحكم قبل أخيه، وكان هذا في بلاد قرمان ومركزه قونيه.(***) (٢)

= عهد الفاتح، أهم أعماله إعداده مجموعة من القوانين عرفت باسم " فاتح قانون نامه، أو قانون نامة آل عثمان، " عين قاضي عسكر الأناضول. وكان بارعاً في الخط، والرماية والقوس. انظر الموسوعة التركية الوقف الديني بتركيا، ج١، د.ط، إستانبول ١٩٨٨م، ص١٣٣.

(*) ذكرت بعض المراجع أن الصدر الأعظم نقل النعش في عربة ولكن بشكل لا يشك فيه أحد. أنظر رشاد قوجسي: مرجع سابق، ص١٤٦.

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٢. أنظر إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٧. أنظر رشاد قوجسي: مرجع سابق، ص١٤٦.

(**) يرد إسم هذا السلطان في الغالبية من الكتب العربية مكتوباً " بايزيد " وهذه الكلمة في النطق التركي لاسم العربي " أبو يزيد " وفي آسيا الصغرى هناك مدينة باسمه حاضرة صنجق في ولاية أرضروم بناها بايزيد الأول. أنظر عبد العزيز الشناوي ج١، مرجع سابق، ص٥٠٤.

(***) قونية: بضم ثم السكون ونون مكسورة. وهي مدينة تركية تقع وسط تركيا إلى الجنوب من أنقرة، وإلى الشمال من البحر الأبيض المتوسط. أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٩. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص١٢٠.

وقبل ذهاب الصدر الأعظم إلى إستانبول حذر الجنود بعدم تركهم لأماكنهم أو التفرق، حتى يعود إليهم مع السلطان مرة أخرى وبمجرد وصوله إلى إستانبول، أمر بإغلاق الموانئ وعدم عبور أي قوارب، وقام بإخراج فرقة الأعجمي أوغلان لحماية المدينة سراً وأعلن أنهم خرجوا لإصلاح الجسور، وأغلق أبواب المدينة، وهنا وضح أن الصدر الأعظم قد سيطر على الأمور في العاصمة، وعندما رأى إسحاق باشا محافظة إستانبول هذا الوضع، أحضر عدداً من الإنكشارية مسلحين وأنحاز إلى صف بايزيد. (١) والذي كان علاقته مع أبيه فاترة، وكان على علاقة وثيقة مع بعض الشخصيات التي لها تأثير قوي على الإنكشارية أمثال سنان باشا حاكم الأناضول وإسحاق باشا عدو الصدر الأعظم قرماني محمد باشا.(٢)

وكان على كل إبن الإسراع بالعودة للعاصمة حتى يتولى العرش، لكن خبر وفاة السلطان انتشر بين الإنكشارية المرابطين في المعسكر في سكوتاري، وعلى الرغم أن الإنكشارية في ذلك الوقت كانت لا تزال تلتزم بالطاعة إلا أنهم لم ينفذوا أمر الصدر الأعظم، وسارعوا بالعودة إلى إستانبول، بالقوارب الموجودة عندهم، وعبروا البوسفور إلى العاصمة وقتلوا الصدر الأعظم، ونهبوا قصره، وعاثوا في المدينة نهباً وسلباً، وأقاموا ابن السلطان بايزيد " كركود " قائمقام للدولة مكان أبيه لحين وصوله، وعندما تلقى إسحاق باشا (*)خبر مقتل محمد باشا القرماني،

---

(١) رشاد قوجسي: مرجع سابق، ص١٤٦.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٧٩. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص١٢٠.

(*) إسحاق باشا: من أصل يوناني، كان في الدوشرمة، أرتقى في المناصب أمير أمراء البوسنة ثم أمير أمراء الأناضول، حظي بمكانة عالية عند بايزيد الثاني، تولى الصدارة العظمى مرتين، ساعد الإنكشارية في مقتل محمد باشا قرماني، اعتذر عن الاشتراك في الحرب التي بين بايزيد وجم، له جامع بإسمه، ومسكن للفقراء، وقصر كبير له. ولم تعرف سنة وفاته. الموسوعة التركية:ج٢٠، د.ط ' أنقرة ١٩٧٢م، ص٢٣٢ – ٢٣٤.

أرسل أوامره إلى الإنكشارية بالتزام الهدوء والسكينة والرجوع إلى ثكناتهم، وامتثلوا لأوامره. (١)

ونلاحظ هنا أن تمرد الإنكشارية كان ضد الصدر الأعظم، وتمكنهم من قتله يعتبر مؤشر خطير، حيث يدل على أنهم بإمكانهم القيام بتمرد في أي وقت متى أرادوا.

وعندما وصل بايزيد إلى إستانبول استقبله كبار رجال الدولة عند مضيق البوسفور وأثناء اجتيازه البوغاز أحاطت به قوارب مليئة بالإنكشارية يرحبوا به، ويطالبون بعزل أحد الوزراء وهو مصطفى باشا وتعيين إسحق باشا مكانه، فأُجيب طلبهم، وكان هذا دليل كاف على تأثيرهم وأن لهم الفضل في اعتلائه العرش، وعند وصول بايزيد إلى القصر السلطاني وجد الإنكشارية مرابطة أمام القصر، ومصطفين أمام البوابات بما يشبه المظاهرة العسكرية، وطالبوا السلطان بايزيد بالعفو عنهم عما وقع من قتل للصدر الأعظم ونهب وسلب المدينة، كما طالبوا بأن يعطيهم مبلغاً من المال، تعبيراً عن السرور بتعينه فأجابهم على جميع مطالبهم. (*) (٢)

ولم يكن من السهل عدم قبول مطالبهم ليس ضعف في شخصية السلطان ولكن لأنه سيدخل في صراع مع أخيه جم وكان لابد من أن يضمن تأمين ولائهم

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٧٩. عبد العزيز الشناوي: ج١، ص٥٠٤، رشاد قوجسي: ص١٤٧.

(*) نجح السلطان عبد الحميد الأول " ١١٣٧ – ١٢٠٣هـ / ١٧٢٤م – ١٧٨٨م " في إلغاء هذا التقليد بحجة الحرب مع روسيا. محمد فريد المحامي. مصدر سابق، ص١٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٩. أنظر عبد العزيز الشناوي: ج١، ص٥٠٤، أنظر أيضاً محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص٢٤٩. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٢. بسام العسلي: ج٥، مرجع سابق، ص١٠٥.

له، وهدوء جبهته الداخلية، حتى يخوض المعركة مع أخيه وهو متأكد من تأمين الجبهة الداخلية، لكن لا شك أن هذا الأمر ساعد الإنكشارية كثيراً وجعلهم يصابون بالغرور والطمع في فترة مبكرة جداً، ويدل أيضاً على أنهم أرادوا تثبيت إسحق باشا في الصدارة العظمى وصرف أعطيات لهم، إضافة إلى أن السلطان سامحهم على أعمال السلب والنهب في العاصمة، وقتلهم للصدر الأعظم – مهما كانت أسبابهم – هذه الأمور جعلتهم يحسون أن أوامرهم دائماً مطاعة، خاصة وأن عادة إعطاء العطايا عند جلوس كل سلطان أصبحت فريضة ردحاً من الزمان.

على الرغم من ذلك كان السلطان بايزيد يأخذ رأيهم في كل أمر حتى في القضاء على الصدر الأعظم [١]، الذي آثر إعلان الحرب على الإستبارية لأنها قامت بحماية الأمير جم، وقد كان السلطان بايزيد يؤثر عدم معاداتهم إلا أن الصدر الأعظم أصر على الحرب فغضب عليه بايزيد، وأخذ يتحين الفرص للتخلص منه، حتى جاءته هذه الفرصة في وليمة أقامها السلطان، وأمر بخنقه، لكن الصدر الأعظم طلب من السلطان فرصة حتى يعلم بما سيكون من أمر الإنكشارية لأنه الرئيس الأعلى لهم، فأعتقله السلطان في أحد أبراج القلاع، إلى أن يفصل في أمره. وعندما علم ابن الصدر ما حدث لأبيه غضب، وطاف بين ثكنات الإنكشارية، يحثهم على التمرد على السلطان من أجل قائدهم الذي ذهب ضحية ظلم السلطان له، فثاروا وتجمعوا في الشوارع أكثر من عشرة آلاف، مهددين بالهجوم على القصر لإحراقه وإخراج قائدهم من السجن إذا كان لا يزال حياً والفتك بالظالم إذا كان قائدهم قد قتل. [٢]

فخاف السلطان منهم، ولكي يسكن ثورتهم أظهر لهم قائدهم الأعلى، وعندما رأوا على جسمه آثار الضرب، زاد صراخهم، عندها أمرهم الصدر الأعظم

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٣-١٤.

(٢) مرجع سابق، ص ١٣ – ١٥.

بالهدوء، فعادوا إلى ثكناتهم، وهكذا نجا السلطان من أذاهم، وعاد الصدر الأعظم إلى منصبهِ لكن لم يهدأ بال السلطان، حتى عقد النية على إبعاده عن الإنكشارية ليستطيع التخلص منه، وفعلاً أصطحبهُ معه إلى أدرنهِ، وهناك قتلهُ، وأذاع أنه قضى نحبه بداء السكته، وهكذا تخلص منه وقام بنفس العمل بباقي قادة الإنكشارية. فقد كان يرسلهم إلى أماكن بعيدة بحجة أشغال مهمة، ويتخلص منهم بالقتل. وعندما رأت الإنكشارية عداوته لهم، غضبوا غضباً شديداً وأصروا على الانتقام، وبينما هو عائد إلى العاصمة تربصوا به، فعلم واستولى عليه الخوف، وحاول إرضائهم بجميع الطرق، والاستجابة لرغباتهم، حفاظاً على حياته. [١]

ونأتي إلى نقطة مهمة في تدخل الإنكشارية في القصر السلطاني، وهي في نهاية عهد بايزيد حيث كانت المشاكل تعصف به من جميع الجهات مشاكل داخلية، صراعهِ مع أخيه الأمير جم، ثم صراعهِ مع الشاه إسماعيل الصفوي، ثم في وقت متأخر كما سنرى صراع أبناءه الثلاثة على العرش، كل ذلك جعله دائماً مشغول، فتقبل تدخل الإنكشارية في القصر السلطاني مما أوجد لهم المجال في كثير من الأمور التي سارت وفق هواهم. لقد لعبت الأطماع الداخلية دورها في إفساح المجال أمام الإنكشارية وتقبل بايزيد لذلك ليس لأنه ضعيف أو لأن الإنكشارية جنود مرتزقة همها العنف، ولكن لأن بايزيد لم يكن يريد فتح جبهة داخلية عليه، إضافة إلى الجبهات الخارجية، فآثر أن ينفذ رغباتهم، لكي يضمن ولائهم في الفتوحات وفي صراعه مع الشاه إسماعيل الصفوي.

ولنرى الآن لماذا فضل الإنكشارية سليم على باقي أبناء بايزيد، لقد كان للسلطان بايزيد ثمانية أبناء، توفي خمسة منهم وهو على قيد الحياة، وبقي ثلاثة أبناء، [٢] وكان الثلاثة مختلفي الأهواء، فخشي والدهم من وقوع فتنة بينهم مما

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٤، ١٥.

(٢) عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥٠٤.

دعاه إلى تفريقهم فعين احمد والياً على أمسيا، وكوركود والياً على صاروخان، أما سليم فولاه على طرابزون(*)، وكان أحمد شخصية يحبها الأعيان وكبار الدولة، إضافة إلى أنه كان أكبر الأبناء فعينه في ولاية العهد، وكوركود كان ميالاً للعلم والعلماء، ومحباً للآداب، فلم يتقرب منه الجند، أما سليم فقد كان يلعب بالورقة الرابحة عند الجنود وهي ميله للحرب، وحبه لها ممّا جعل الإنكشارية تميل إليه. (١)

لكن وضع أحمد في ولاية العهد لم يعجب الإنكشارية الذين كانوا تواقين للحرب والجهاد، خاصة بعد مرور فترة من الحروب الدفاعية في عهد بايزيد، وإصابته بمرض النقرس، وهو أكثر الأمراض شيوعاً في آل عثمان. إضافة إلى ضعفه وقلة حركته، وميله للسلم والكف عن سفك الدماء، وتركه للسفر سنين طويلة إذ لم تزد في عهده أملاك الدولة كثيراً، وكانت حروبه مجرد الحفاظ على الدولة، وعقده مع الأعداء البيزنطيين هدنة مدتها عشر سنوات، مما جعل الإنكشارية تثور لكثرة راحتها وسكونها، وتطالب بسلطان قوي قادر على السفر ليجاهد بهم في سبيل الله، فاتجهوا إلى سليم لأنه أجلد إخوتهم، وأكثرهم ميلاً للحرب والفتوحات، إضافة إلى جرأته وصرامته في اتخاذ القرار حتى لقب بـ "ياوز" (**) (٢)

(*) طرابزون: مدينة تركية أسيوية " الأناضول " تقع على البحر الأسود، وموقعها أعطاها أهمية استراتيجية س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، بيروت: دار إبن حزم، ١٤٢٣ هـ، ص ٣٤٥ – ٣٤٦.

(١) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص١٢٧. بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص١١٠. خليل إينالجيك: مرجع سابق، ص١٠١.

(**) معناه الحاد الباتر العنيد، القوي. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٠٥.

(٢) علي إبراهيم البويتجي الشافعي: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد يشتمل على=

كما أن سليم كان يعتبر جميع الولايات الأوروبية دار الحـــرب، لـذلك أراد ولايتها رغـبتاً في الجهاد، وهـذا السبـب جعل الإنكشارية تساعده في التمـرد على أبيه بايزيد الثاني. (١)

وقد كان لعقد الهدنة مع البيزنطيين عشر سنوات، أبلـغ الأثـر فـي ميـل الإنكشارية لسليم، حيث رغبت فيه لعلو همته، ولأنه شاب محارب، أما بايزيد كان رجلاً كبير في السن صالحاً مباركاً، لا يحب العظمة ولا التجبـر، حتـى أن أغـا الإنكشارية يونس أغا مال لسليم (٢) ولم ترتاح الإنكشارية لتعيـين أحمـد وليـاً للعهد، فعندما طلبوا منه زيادة رواتبهم لم يجب طلبهم بسبب عدم وجود أعمـال لهم في تلك الفترة، فحنقوا عليه وقرروا أن لا يتولى هو عـليهم أبداً. (٣)

في هذه الأثناء لم يقبل سليم تعيين أبيه له على ولاية طرابزون، وترك مقـر الولاية وسافر إلى كافا من بلاد القرم، وطلب من أبيه أن يعينهُ في إحدى الولايات الأوروبية، فلم يقبل السلطان ذلك وأصر على بقاء سليم في طرابزون، فحدثت بين السلطان وسليم مشادة، أصر خلالها سليم على القتال، الأمر الذي دفع بسليم إلـى العصيان وتجهيزه جيشاً كبيراً من قبائل التتار، وسار به إلـى بـلاد الروملـي،

= تاريخ سلاطين آل عثمان، محفوظ في مركز البحث العلمي بجامعة أمر القرى تحت رقـم ٦٧٥ تاريـخ، ورقة ٢٣. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٨٧. عبـد العزيـز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٠٥، إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٧.

(١) محمود شاكر: مرجع سابق، ص٩٤، ٩٥، للاستزادة عن صراح بايزيد مـع أبنـه سـليم الرجوع محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٨٦، ١٨٧.

(٢) محمد الزنبلي الرمال: سيرة الجراكسة وما وقع بينهم مع السلطان سليم بن بايزيـد بـن السلطان محمد الفاتح القسطنطينية من الحروب والقتال، محفوظ في مركز البحث العلمـي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٣٢ تاريخ. ورقة ٥. انظر جيب السيوفي: مرجـع سـابق، ص١٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٥.

فأرسل له والده جيشاً ليرهبهُ، وعندما لمس السلطان من إبنه التصميم على الحرب، قبل بمطالبه وتم تعينهُ في سمندرية (*) وودين (**) حقناً للدماء وكان ذلك عام ٩١٧هـ / ١٥١٢م. (١)

في هذا الوقت غادر السلطان بايزيد العاصمة إستانبول، وذلك بعد وفاة إبنه شاهنشاه، واشتد عليه المرض، وفي هذا الوقت وجد كل واحد من أبناءه الثلاثة المتصارعين على الحكم أن خلو العاصمة من السلطان فرصة بأن يجمع جيشاً ويتوجه به للعاصمة وينصب نفسه سلطاناً على العثمانيين، فولي العهد أحمد قد أرسل له السلطان بايزيد الثاني ليأتي ويبقى بجواره إذا ما وافاه الأجل المحتوم، لكن الإنكشارية لم تسمح بدخوله العاصمة مع جيشه، بل واتهموه بعدم الكفاءة وتمردوا عليه. وبما أن أحمد لم يكن يطمع في الملك، فقد رأى أن الإنكشارية لا يريدونه سلطاناً عليهم، فهو أيضاً يكره ذلك. (٢)

أما كركود فقد علم بنجاح تمرد أخيه سليم فانتقل إلى ولاية صاروخان واستلم إدارتها دون أمر أبيه، وذلك لكي يكون بالقرب من العاصمة إذا دعت الحاجة إلى

(*) سمندرية: معناها أندريا وهي مدينة واقعة على نهر الطونة وتبعد ٤٥ كيلو متر عن العاصمة بلغراد، ولها أهمية حربية عظمى، وهي تعريف من أندريا.

(**) ودين: مدينة حصينة في الشمال الغربي من بلغاريا، قرب الحدود اليوغسلافية تقع على نهر الدانوب، لها أهمية حربية كبرى، تبعد ٢٢٥ كيلو متر عن بلغراد. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٥٥- ١٨٦. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص١١٠، ١١١.

(١) مصدر سابق: ص١٨٦. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص١٤٠. محمود شاكر: مرجع سابق، ص٩٤.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٨٧. عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥٠٦ – ٥٠٧. أيضاً محمد سهيل طقوش: ١٢٧ – ١٢٨ حبيب السيوفي، ص١٥. أرشيف توب قابي سراي، ٢/٥٨١٤ E.

ذلك، لكن بايزيد أرسل له جيشاً تمكن من هزيمته. (١)

أما سليم وهو الأهم فلم يقتنع بولاية ودين وسمندرية ولم يهدأ باله، فقد عرف أن الحرب آتية لا محالة في ذلك، ولكنه كان يقول " ليحدث ما يحدث " وكانت الإنكشارية تسانده في جميع المراحل، وتقوي من ساعده ضد أبيه، وزينت له أن يسير إلى أدرنه ويعلن نفسه سلطاناً، فجمع قواته وسار إلى أدرنه وأعلن نفسه سلطاناً عليها، فأرسل له والده من هزمه وجعله يفر إلى بلاد القرم، لكن الإنكشارية بدأت بالإلحاح على السلطان حتى يعفو عنه، ويعيده إلى سمندرية، ووافق بايزيد وأصدر خط شريف بذلك. (٢)

ولم تلبث الإنكشارية أن ألحّت على السلطان حتى يعين إبنه مكانهُ ويتنازل عن العرش، فخاف بايزيد على دعائم الدولة، وأشار عليه وزرائه بأن ينزل عن العرش لإبنه وينسحب، فوافق السلطان حقناً للدماء ومحافظة على الدولة، وأثناء عودة سليم إلى سمندرية، سارت إليه الإنكشارية، وتأكد أنهم معه، وعاد معهم إلى إستانبول في احتفال زائد عن اللائق، وساروا به إلى السراي، حيث تنازل بايزيد عن الحكم في ٨ صفر سنة ٩١٨ هـ /٢٥ أبريل ١٥١٢م رغماً عن أنفه، وبعد ذلك طلب سليم من أبيه أن يرحل إلى ديموتيقاً (*) وكان ذلك بعد التنازل بعشرين يوماً، وأثناء رحلة السفر وافته المنية عن

---

(١) بسام العسلي: ج٥، مرجع سابق، ص١١١.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٨٧٥. انظر عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥٠٦٥ – ٥٠٧٠. انظر بسام العسلي: ج٥، مرجع سابق، ص١١١٥.

(*) ديموتيقا: مدينة تقع إلى الجنوب من أدرنة في اليونان، على الحدود التركية أنظر بسام العسلي: ج٥، مرجع سابق، ص١١١.

عمر يناهز السبعة والستين عاماً ودام حكمه اثنين وثلاثين سنة.(*)(١).

وهكذا نجد أن سليم الأول قد تولى العرش، بحركة إنقلاب حقيقية، من قبل الإنكشارية لأنهم رأوا فيه السلطان المجاهد. مما جعله دائماً يأخذ رأيهم وشعروا هم كذلك بأنه يدين لهم بالعرش، فضلاً عن الانتصارات الواسعة التي أحرزوها مما جعل السلطان سليم يغمرهم بالعطايا في كل مناسبة، وربطهم مباشرة بشخصه، فتمكن بهذا الأسلوب من السيطرة على كل أمورهم(٢).

وهنا نجد أنهم رفعوه لكرسي العرش، ولكنهم طالبوا بالثمن، وهذا يدل على مبلغ قوتهم وطمعهم، فقد تصدوا لولي العهد أحمد بكثرة عددهم ومنعوه من دخول العاصمة، ونصبوا بدلاً منه سليم مما يدل على إمساكهم بزمام الأمور جيداً.

أما تفصيل أولى مشاكلهم في عهد سليم عام ٨٧٥هـ - ٩٢٦هـ/ ١٤٧٠م

(*) لقد تحدثت بعض المصادر التاريخية على أن بايزيد لم يمت ميتة طبيعية وأن سليم أرسل من دس له السم في طعامه وقالوا أنه من طبيبه اليهودي، وبذلك مات بطريقة مشكوك فيها لأن سليم خاف من عودته للمنصب كما فعل مراد الثاني، وقد أورد ذلك محمد فريد المحامي وحبيب السيوفي وألبرت هويولبير..
ولكن قصة كهذه لا يجزم بحقيقتها أبداً إذا ما وضعنا في اعتبارنا أن بايزيد كان طاعناً في السن مريضاً جداً وحزيناً على فقد عرشه وإبنه شاهنشاه فهذا يؤدي إلى موته هماً وحزناً وليس بضرورة أن يقتل. كما أن سليم غضب من أبيه لأنه عين أحمد في ولاية العهد وطالما هو أصبح السلطان فلما يقتل والده فلا معنى لخوفه من استرجاع العرش لكبر سن والده ولأن سليم تسانده الإنكشارية..

(١) علي إبراهيم البويتجي الشافعي: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد، ورقة ٢٣-٢٤ انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٥. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص١٢٧ - ١٢٨. انظر بسام العسلي: ج٥، مرجع سابق، ص١١١، أنظر أحمد زين دحلان: مصدر سابق، ص١٤٠ انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٢.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ١٨٧. بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص١١٥.

ـ ١٥١٩م في أن سليم خرج إلى أسوار العاصمة حتى يودع والـده المسـافر، وعاد إلى القصر ليـباشر أعماله، لكن ترامـت إلـى مسـامعه أن الإنكشـارية محتشدون في تمرد عسكري في الطريق المؤدي للقصر في العاصـمة يطـالبوا بمكافآت سخية لقاء مساعدتهم، فأنزعج السلطان من هذا التصرف وسلك طريقـاً آخر وصل منه إلى القصر، لكن الإنكشارية لحقت به وأضطر أن يدفع لكل واحد منهم خمسين دوكاً (*)، وزادوا في مطالبهم وطلب أحـد رؤسـائهم زيـادة فـي المرتبات فضرب عنقه. (١)

وهكذا نجد أن الإنكشارية كان لهم دوراً واضحاً في تعيـين سـليم سـلطاناً، وكانوا في البداية مدفوعين بحب الجهاد وإعلاء كلمة الله، ولكن هذا لـم يمنـع خطورة تدخلهم فيما يتعلق بتحديد من سيجلس على العرش وترجيح كفـة علـى الأخرى. (٢)

تولى العرش بعد سليم الأول السلطان العثماني الشـهير سـليمان القـانوني ٩٠٠هـ- ٩٧٤هـ/ ١٤١٤م- ١٥٦٦م ونستطيع أن نقول أن عهده كان أهـدأ من عهد بايزيد وسليم الأول، وذلك لقوة شخصيته و مع ذلـك حـدثت بعـض الاضطرابات في عهده بعد تدخل الإنكشارية في شؤون القصر السلطاني عنـدما دارت مؤامرة مقتل إبنهِ الأكبر مصطفى.

(*): دوكاً: قيل هو النقد الذهبي المضروب في البندقية قديماً، وهي محرفـة لكلمـة دوكـاتو الإيطالية، وكانت تزن العملة ما بين عشرة إلى اثنى عشر فرنكاً: سهيل صابان: المعجـم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د. ط، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنيـة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص١١٥، حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٦.

(١) عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥٠٩. محمد سهيل طقوش: مرجع سابـق، ص١٤٩.

(٢) ألبرت هويوليير: مرجع سابق، ص٩٥.

عني السلطان سليمان كثيراً بإصلاح شؤون الجند، إذ ألف فرقة لحراسة بلاطه إضافة إلى الاعتناء بالحدائق، ولم يعجب هذا العمل الإنكشارية، لكنهم لم يتجرأوا على الظهور بأسلحتهم أمام القصر السلطاني بل هجموا على منزل أمين بيت المال وقتلوه، واستولوا على أمواله، بل وحاولوا نهب التحف الثمينة في أحد المساجد لكن قادة الإنكشارية منعوهم من دخول المسجد، وقتلوا اثنين من أكثرهم وقاحة، إضافة إلى تذكيرهم بفضل المسجد وما للنبي صلى الله عليه وسلم ثم السلطان من حقوق وواجبات، وتمكن السلطان بفضل حكمته من تهدئة التمرد، إضافة لشدة خوفهم من العقاب إذا ما استمروا على تمردهم.(١)

ومن أجل هذه التمردات والأعمال فكر السلطان سليمان في تشتيت رؤسائهم في عدة أماكن وقتل البعض وعزل الآخر، من أجل أن يأمن شرهم. (٢)

وكان أكبر دور لعبته الإنكشارية في عهد السلطان سليمان القانوني ما حدث عند وفاة إبنيه مصطفى وبايزيد، حيث تم قتل إبنه مصطفى بمؤامرة من زوجة أبيه روكسلانة " خورّم " (*) بالاتفاق مع الوزير رستم باشا، وذلك حتى يتولى

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٨-١٩.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٠.

(*) اللفظ الصحيح هوخُرمٌ ومعناه السعيد أو المسرور وليس الباسمة وفي أقليم كردستان من إيران بلد بإسم خُرّم شهر أي البلد السعيد. كانت روكسلانه تثق برستم باشا فكاشفته عن رغبتها في القضاء على إبن سليمان مصطفى، فحاكوا مؤامرة مضمونها أن يكاتب الوزير رستم السلطان في أثناء حربه مع الفرس، ويوغر صدره على ابنه ويوهمه أن مصطفى يحرض الإنكشارية على عزل والده وتعيين نفسه سلطاناً، كما فعل سليم الأول مع أبيه السلطان بايزيد الثاني، وعندما وصل هذا الخبر إلى سليمان للأسف تغيرت أفكاره على إبنه، وسافر لبلاد الفرس قاصداً إبنه متظاهراً بأنه يريد قيادة الجيوش، وما أن دخل عليه إبنه في سرادقهُ حتى قتلهُ الحاجب الموكل له هذا الأمر خنقاً وبذلك مات إبنهُ مغدوراً به نتيجة وشاية وتدخل حريم. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق ص٢٤٦.

الحكم بعد سليمان إبن روكسلانه سليم الثاني، وقد أدى ذلك إلى تمرد الإنكشارية ولم يكن بسبب رغبتهم في زيادة الرواتب أو الأعطيات، وإنما بسبب أن الوزير رستم باشا كان له ضلع في مقتل مصطفى الابن البكر للسلطان سليمان، ففي عام ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م ثارت الإنكشارية على السلطان والوزير معاً بسبب مقتل مصطفى، لأنه كان محبوباً عندهم وهم الذين قاموا بتربيته، وثاروا جداً وطالبوا بعزل رستم باشا بل وقتله، فعزله السلطان تهدئة لنفوسهم، وترضية لهم، وعين بدلاً منه أحمد باشا. (*) (١)

أما بايزيد الإبن الثاني فتشير المصادر أنه مات مقتولاً وأنّ الإنكشارية كان لهم دور في مقتلهِ، وهم بذلك حققوا لأوروبا فوائد عظيمة أدت إلى توقف الفتوحات. (٢)

هناك رواية تقول بأن الذي قتله هو أبوه سليمان، ولم يكن للإنكشارية دخلاً في ذلك.(٣) ولم يرد في المصادر التاريخية أن الإنكشارية اتفقت مع روكسلانه زوجة سليمان لقتل الأبناء، ففي تلك الفترة لم يكن هناك اتفاق بين الإنكشارية وحريم القصر. ولكن خطورتهم كمنت في أن الإنكشارية لم يمنعوا سليم الثاني من اعتلاء العرش، فلو قدر لمصطفى أو بايزيد حكم الدولة لأختلف الوضع لأنهما من

(*) لم يستمر أحمد باشا في منصب الوزير كثيراً، إذا لم يهدأ بال روكسلانه حتى أغرت زوجها مرة أخرى على قتل الوزير البريء وإرجاع رستم باشا للوزارة مرة أخرى حتى ينفذ أغراضها، وهكذا أصبحت سبب رئيسي في فساد حكم سليمان القانوني. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٤٦.

(١) ألبرت هويوليبر: مرجع سابق، ص٩٥. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) ألبرت هويوليبر: مرجع سابق، ٩٥٨.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٤٨.

أقوى أبناء سليمان وأكثرهم نشاطاً وحيوية وموهبة في إدارة دولة مترامية الأطراف.[١] أو بمعنى آخر لو قدر لهما حكم الدولة العثمانية لكانت السيادة العثمانية ستصل بصورة أكبر وأكثر مما كانت عليه ولتغير مصير معركة لبانتو سنة ٩٧٩هـ / ١٥٧١م. وكذلك حصار فينا ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م ولطال عصر القوة في الدولة العثمانية ولتأخرت سيطرة الإنكشارية على السلاطين والأحداث لفترة من الزمن.

بنهاية عصر سليمان تبدأ نقطة التحول في مسار الدولة العثمانية حيث بدأت بوادر عصر الضعف واتضحت الصورة التي بقيت عليها بعد ذلك وهي سيطرة قوى أخرى غير السلطان على الدولة وعلى السلطان نفسه.

توفي السلطان سليمان القانوني أمام قلعة سكدوار (*) وقد أخفى الصدر الأعظم صوقللي محمد باشا خبر وفاته حيث خاف من حدوث ما يربك الأمن العام أو قيام الإنكشارية بأي تمرد، وأرسل إلى سليم الثاني رسالة بكوتاهيه (**) يخبره بوفاة السلطان سليمان، وكان ذلك على يد رجل من رجال الدولة المؤتمنين (***)، وبعد ثمانية أيام أقبل سليم الثاني مسرعاً إلى العاصمة،[٢] ودخل استانبول وسط مظاهرات صاخبة قامت بها الإنكشارية، فبعد انتهائه من الصلاة على أبيه أتجه إلى السراي السلطاني فعلى صراخهم وطالبوا بالعطايا والهبات التي جرت عليها

---

(١) محمد أنيس: مرجع سابق، ص٧٩.

(*) سكدوار أوسكيتوا مدينة حصينة في بلاد المجر. راجع إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٠٩.

(**) كوتاهية: تقع في غرب الأناضول إلى الجنوب من باليقيصر وإسكي شهر. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٦٩.

(***) يدعى الرجل حسن جاويش. انظر إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٩.

العادة، واتجهوا للوزير وطالبوا بها، فلم يستمع لهم، فقرروا الوصول إلى السلطان الجديد. (١)

واعترضوا طريق سليم الثاني مظهرين استياءهم الشديد له، بعربة مليئة بالتين، وأوقفوا الموكب(*) وطلبوا الأعطيات من السلطان بمنتهى الجرأة، لكي يسمحوا له باستكمال طريقه، وطبعاً رضخ لهم، حيث توجه له محمد صوقللي، وقال له أنهم لن يبارحوا أماكنهم حتى يسمعوا منك الوعد بالعطايا والترقيات، وبالفعل وعدهم بإعطائهم الأموال بل وزيادة المرتبات بمناسبة جلوسه على العرش، حتى سمحوا له بالمرور والوصول إلى السراي، وهكذا فتح الباب لعصيان الجيش وشق الطاعة على السلطان، وبدأت القلاقل تدق الأبواب العثمانية. (٢)

وهنا يتضح مدى ضعف شخصية سليم الثاني وعدم مناسبتهُ للحكم ومدى خوف الصدر الأعظم منهم لإخفاء خبر الوفاة ثمانية أيام وفي أثناء هذه التمرد طالبوا السلطان بزيادة مرتباتهم بمناسبة جلوسه على العرش(٣) وقد أعطاهم

---

(١) عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥١١-٥١٢، انظر إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٨.

(*) لقد وقفت الإنكشارية عند مسجد شاه زاده حيث دبروا لملاقاة سليم الثاني، واعترضوه بعربة فيها أعشاب وتين، وأبدو ضجرهم أمامه، عندما أراد أحد الوزراء تهدئتهم صرخوا به وقالوا نحن ليس عبيدك أو أنت صاحب الأمر والنهي، وأوقعوه أرضاً وكل قائد أو وزير يتكلم يوقعوه أرضاً ولم يرضوا بأي، تهدئة، وأغلقوا باب السرايا حتى تم صرف الأعطيات. انظر إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٤.

(٢) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٨ عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٢ علي حسون: مرجع سابق، ص١١٣ إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار، ج١، ص٥٢٣.

(٣) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٨.

ضعف رواتبهم خوفاً منهم(١).

ويعتبر هذا العمل تدخلاً سافراً في حياة القصر السلطاني مع بروز حسد الإخوة بين بعض وتدخل الحريم بالأمر. (٢)

وعند سفر سليم الثاني إلى بلغراد صحبتهُ الإنكشارية، وعندما طالبوا بزيادة الرواتب ولم يلب رغبتهم، أظهروا في طريق العودة التذمر وعدم الانصياع للأوامر وأتوا كثيراً من قبائح الأعمال وأسوأها، وقد أرسل سليم الثاني إلى إستانبول ليرسلوا له الأموال، فأرسل له الصدر الأعظم يخبره بفراغ الخزينة وعدم وجود أموال بها إلا قليلاً، وأرسلها له، فصرف لهم بعض العطايا ووعدهم بالباقي عند عودته إلى إستانبول.

وبدأ المسير لكن الإنكشارية قررت التشاور في الأمر عند التوقف في منطقة " لتروز "، وتم القرار هناك، أنه بعد دخول إستانبول، يقوموا بالوقوف والتجمهر والتمرد، بل وبدأوا في الاعتداء على الوزراء، ومن ضمنهم الوزير الثاني برتو باشا (*) عندما أراد تهدئة ثائرتهم فقبضوا عليه وقتلوه وأهانوا فرهاد باشا، وفي النهاية أشار الأمراء والصدر الأعظم على السلطان أن يهدأ ثورتهم بنفسه فتكلم

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٩.

(٢) محمود شاكر: مرجع سابق، ج٨، ص١١٣.

(*) برتو باشا: من أصل كرواتي، أو ألباني، كان مدير مالي في عهد القانوني، تدرج في الوظائف حيث صار أغا الإنكشارية لمدة ١٢ عام ثم أمير أمراء الروملي لعب دوراً أثناء صراع سليم الأول مع أبيه بايزيد، ثم عيُن قائداً للأسطول العثماني، وقام بعدة معارك بحرية، وعلى عكس ما قيل عنه أنه فاشل وجبان فقد واجه الإنكشارية الغاضبة ونال منهم ضرراً كبيراً وقت اعتلاء سليم الثاني العرش، توفي ١٥٧٤م وله زوجة اسمها فتوحة خاتون. الموسوعة التركية: ج٢٦، د.ط، أنقرة ١٩٧٧م، ص٤٧٦ ٤٧٧.

معهم وسكن نفوسهم وصرف لهم المقدار المتبقي من المال [*]، ثم ضرب الصدر الأعظم على يد العصاة وعاقب المتمردين، وبذلك خاف الباقي وسكنوا إلى الهدوء. [١]

وهكذا قامت ثورتهم داخل القصر السلطاني وخارجه، وأغلقوا الأبواب على السلطان، وذلك بسبب ضعف الحكم وسوء التدبير والظلم وضياع الأموال، وضعف شخصية السلطان. [٢]

وهنا نلاحظ خطوة مهمة عند الإنكشارية، وهي تقديمهم على شخصية الوزراء بل وقتل بعضهم، كما أنهم اتخذوا أسلوب التمرد وسيلة للحصول على الأعطيات، وهذا مؤشر خطير سيرتفع مع مرور الأعوام.

وفي عهد السلطان مراد الثالث ٩٥٣هـ - ١٠٠٣هـ/ ١٥٤٦م -١٥٩٦م صرف للإنكشارية مائة وعشرة آلاف دوكة ذهبية، وأعطي للوزراء أيضاً مثلها، وذلك لكسب ودهم ومحبتهم ولكن هذه العطية لم تؤت ثمارها المرجوة مع مراد الثالث.[٣] فقد انتشرت حالة الفساد العامة بين أفراد الإنكشارية والتي هزت جسم الدولة منذ بداية عهده، حيث بدأت تظهر أن طاعتهم كاذبة ونظامهم خداع، وانتشرت الرشوة بين الأفراد لنيل المناصب داخل القصر وخارجه. [٤]

(*) كان سبب تأخير توزيع المال فراغ الخزينة، إضافة إلى عدم وصول الإيرادات للخزينة من الأقاليم. إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص١١٠.

(١) مرجع سابق، ص١٠٩، ١١٠، إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٩. علي حسون: مرجع سابق، ص١٢٣.

(٢) حسين كمال البغدادي القادري: ورقة ٢١.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٥٩. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني: ص١٣٣ علي حسون: مرجع سابق، ص١٠٦.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية: مادة يني تشري، ص٤٤.

وفي عهد مراد الثالث بلغ الاستهتار عند الإنكشارية مداه، فقد ثاروا عليه لأنه صرف لهم رواتبهم بعملات ناقصة القيمة، مما أدى إلى تظاهرهم أمام القصر وطالبوا بالأموال الصحيحة، وقد ساعد على صرف هذه الأموال الناقصة تدخل اليهود في إستانبول بشكل كبير في الاقتصاد العثماني، كما سبق وأن أوضحت، وهم بذلك ساعدوا على إشعال الفتنة عند الإنكشارية، مما ساعد على إضعافها، وهي التي تحمي الدولة العثمانية فتزيد بالتالي في ضعف الدولة وهو ما كان يريده اليهود، وما أن تم توزيع هذه الأموال حتى ثاروا وتجمعوا حول القصر رغبة في قتل قائد الجيش،(*) والدفتر دار، واستمروا على هذا الشغب حتى طلب منهم الوزير فرحات باشا، الهدوء والسكينة، وقال أن طاعة ولاة الأمر واجبة، ولكنهم شكوه للمفتي، حيث اعتبروا ذلك تحقيراً لهم، فرد عليهم المفتي بأن لا يقلقوا من هذا الأمر، مما زاد في الأمر سوءاً، وزادت ثائرتهم، حتى طلب منهم السلطان أن يكفوا عن الشغب مقابل إعطائهم المال الصحيح، وصرفت لهم من الخزينة أربعين ألف دوكة ذهبية، وقد نثرها " الخازندار " عليهم في محاولة لتهدئتهم.(١)

إلا أن هذا الأمر لم يفلح، فقد استمر التمرد بل وطالبوا برأس فرحات باشا لأنه حقرهم في دينهم، بل وقتل قائد الجيش الدفتردار(**) إضافة إلى زيادة الأموال، وهددوا السلطان بحرق المدينة ونهب المنازل مما جعل السلطان يحتاط داخل القصر، كما تعدوا على المفتي بالحجارة وعلى الوزير محمد باشا، حتى اضطروا

(*) قائد الجيش محمد باشا والدفتر دار محمود أفندي. أنظر دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص٤٥.

(١) سليمان قوجسه باشي: مرجع سابق، ص١٦،١٧. أنظر دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص٤٥-٤٦. انظر جوزيف فون هامر: مرجع سابق، ص١٣١.

(**) الدفتردار أي ناظر المالية " كوزير المالية في وقتنا الحالي.

إلى دفعهم بالهراوات حتى يذهبوا إلى منازلهم آمنين. وإزاء هذا الموقف الخطير اضطر مراد الثالث إلى إصدار قرار يقضي بقتل قائد الجيش والدفتردار، وقطع رؤوسهما وإلقائهما من القصر على الجند حتى يهدأوا، لكن ذلك لم يمنعهم من إشعال النيران في المنازل والفساد في المدينة ونهب بيوت الأهالي، وتم توزيع مئة ألف دوكة ذهبية عليهم، وهكذا انتهى تمردهم.(١) بتنفيذ جميع رغباتهم بالقوة دون نقص، مع تزايد طمعهم. وقد ذهبت هاتان الشخصيتان ضحية لطغيان الإنكشارية. وكان في قتلهما تحديا لإرادة السلطان مراد الثالث حيث أرغموه على الأقدام على أمر ضد رغبته.

والواقع أن تمرد الإنكشارية في عام ٩٩٨ هـ/ ١٥٨٩م لم يكن حادثاً سهلاً في التاريخ العثماني، بل كان ذو تأثير ووقع كبير، فقد ازدادت بعدها شوكة الإنكشارية، وأصبحت لهم صلاحيات، ونفوذ في القصر السلطاني أكثر من السلطان، بالإضافة إلى دخول عناصر جديدة في صفوف الإنكشارية، وكان هؤلاء بمثابة جواسيس على الدولة، مما مثل خطورة على أمن الدولة الداخلي والخارجي. (*)(٢)

وقد أكد المؤرخون أن عدد تمرداتهم في عهد مراد الثالث، بلغ عشر تمردات، وكان المحرك الأساسي لكل واحد هو تأخير رواتبهم مدة طويلة. (٣)

---

(١) جوزيف فون هامر: مرجع سابق، ص ١٣١. انظر دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص٤٥-٤٦.

(*) لقد أرجع بعض المؤرخين الوضع الحالي في تركيا الآن من تدخل للجيش في أمور الدولة، ووجود صلاحية للجيش في تغيير السلطة إنما يعود بجذوره التاريخية إلى تمردات الإنكشارية، انظر سليمان قوجسه باش: مرجع سابق، ص١٨.

(٢) مرجع سابق، ص١٧-١٨.

(٣) جيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٠.

وهكذا كانوا يرون ما سيحدث في أحوالهم داخل القصر وإذا لم يستجيب لهم أحد ثاروا وقاموا بالفساد.(١)

وكانت زيادة التمردات في عهد مراد الثالث مردها إلى عدة أسباب أخرى منها أنه أمر بضم عدد كبير من المجندين المسلمين، فترتب على ذلك إلغاء الحظر المفروض عليهم بعدم الزواج، وقد طالب الإنكشارية بذلك وثاروا، فاستجاب لهم السلطان.(٢) إضافة إلى دخول عناصر جديدة تفتقر إلى التدريب والمهارة العسكرية في صفوف الإنكشارية، ساهم في إثارة الشغب والأعمال السلبية التي لا تخدم توجه الدولة واهتماماتها. وبالطبع هذا الخليط غير المتجانس لا يمكن أن يكون قادراً على خوض معركة أو فتح بلاد.

وبالمقارنة بما حدث متأخراً في تركيبة الجيش الإنكشاري سيتضح الفرق الشاسع، فعندما كان الجيل الأول من الإنكشارية متقارب في تكوينه ويعيشون في ثكنة واحدة، في سن متقارب نشأوا كفرقة واحدة، متجانسين متفاهمين، استطاعوا تحقيق الفتوحات العظيمة لأنهم بنيان واحد، أما ما حدث في العصور المتأخرة من اختلاط كبير غير متجانس في الجيش الإنكشاري فقد كان له آثاره، بحيث أصبح الجيش يمثل عبأً كبير على كاهل الدولة، إضافة إلى ما يثير من شغب وقلاقل وفساد ونهب وغير ذلك من الأعمال التي لا تنتهي.(٣)

وينتهي عهد مراد الثالث الذي يعتبر نقطة التحول الحقيقية في أعمال الإنكشارية، ويأتي بعده محمد الثالث ٩٧٤هـ - ١٠١٢ هـ/ ١٥٦٦م - ١٦٠٣م الذي شهد زيادة في تمرد الإنكشارية وتدخلاتهم في السلطة دون

---

(١) حسين كمال البغدادي القادري: ورقة ٥٥.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق ص٢٥١.

(٣) مرجع سابق، ص٢٥١.

رادع.(١)

وقد ترك السلطان محمد الثالث الحبل لهم كما أرادوا وأهمل شؤون دولته وغرق في الملذات والسمر، ونتيجة لإهماله لشئون البلاد عمت الفوضى في القصر السلطاني وسائر أنحاء البلاد. (٢)

وكان أهم تمرد للإنكشارية في عهده عام ١٠٨١هـ / ١٥٩٩م وكان السبب الرئيسي لتلك الحركة امرأة يهودية من الحريم إسمها إستركيرا تعمل وصيفة عند إحدى أمهات السلاطين وهي نوربانو، وقد اشتهرت هذه المرأة بأنها كانت تتلقى رشاوي في مقابل تسهيل منح الرتب والإقطاعيات لمن يريد من الأغنياء، وحققت بذلك أموالاً طائلة وقد استطاعت أن تُعيّن شاباً يهودياً كاتباً للواء الإنكشارية، فرفضوا هذا الأمر وثاروا عليها ودخلوا منزلها وقتلوها وصادروا أموالها، (*) التي بلغت خمسة ملايين أقجة.

ويعتبر هذا التمرد من التمردات المقبولة في أسبابها، فلم تكن لطلب المال أو عزل سلطان أو صدر أعظم، وإنما كانت ضد عمل خطير يمس سياسة الدولة العامة.

وفي عهد محمد الثالث كان الصدر الأعظم حسن باشا مشهور بأنه لا يولي أحداً في منصب إلا بالرشوة، فثارت الإنكشارية باستانبول وهجموا على السراية، وطلبوا من السلطان، مقابلتهم على الباب الخارجي فهددهم وسأل عن طلبهم، فقالوا إن الصدر الأعظم مذنب، فرد عليهم السلطان، هذا رأيكم، سوف أرى ما

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٤.

(٢) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٣.

(*) وقد ذكرت توضيحات عن هذه التمرد في تاريخ نعيماً حيث ذكرها كسبب رئيسي لحدوث التمرد. انظر سليمان قوجسه باشي: مرجع سابق، ص١٨.

لصالح الدولة (*) (١)

وفي غُمرة الأحداث السابقة قامت الإنكشارية بتمرد عنيف امتدت مضاره إلى داخل القصر السلطاني، وكان سبب هذه التمرد تأخر دفع رواتب الجند لمدة طويلة، مما جعلهم يجتمعون في ساحة القصر الداخلية، كل يوم مطالبين بحقوقهم، وعندما لم يجدوا نتيجة ولم يعيرهم أحد انتباهه، قاموا بإشعال النار في القصر بمن فيه، وعندئذ صحا السلطان من غفوته بين الحريم في القصر، وطلب منهم إرسال من يمثلهم، فتقدم رئيس (**) الوفد من السلطان وشكا إليه بكل جرأة الظلم الذي وقع عليهم، وطلب من السلطان أن يضرب عنق الصدر الأعظم ورئيس الخصيان، إضافة إلى دفع رواتب الموظفين، ولم يرفض السلطان طلباتهم، " ثم تعيين فرهاد باشا (***) في الصدارة العظمى " فأمر بإحضار رئيس الخصيان والصدر الأعظم واللذان حاولا تبرئة نفسيهما، بأن قالا أنهما كانا ينفذان أوامر السلطانة الوالدة، ولكن ذلك لم يفيدهما بشيء، حيث تم خنقهما أمام السلطان، وألقيت جثثيهما أمام الإنكشارية مع أكياس النقود، فكان هذا كفيلاً

(*) عندما لمس الشاه عباس، شاه إيران ارتباك الدولة العليه، هجم على العراق، معتبراً أنها من أملاكه وأجداده. إبراهيم حليم: مصدر سابق، ص ١١١.

(١) مصدر سابق، ص١١١.

(**) كان أحد قادة الصباحين واسمه حسين، حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٣.

(***) فرهاد باشا: من أكثر الوزراء براعة في الدولة العثمانية، تولى منصب الصدارة العظمى مرتين، في عهد مراد الثالث ومحمد الثالث. تم إحضاره من ألبانيا وهو طفل وتم عزله وهو أغا الإنكشارية من قبل سنان باشا، فقد كانت علاقتهم على نزاع دائم،ومات في "سجن يدي " قوله بتحريض من سنان باشا، الموسوعة التركية: ج١٦، د.ط، أنقرة ١٩٦٨م، ص٢٥١.

بتهدئة ثورتهم.[(١)]

وبعد ذلك حدثت حادثة أخرى في عهد أحمد الأول ٩٩٨هـ - ١٠٢٦هـ / ١٥٨٩م - ١٦١٧م، حيث ثارت الإنكشارية على السلطان عندما منع تدخين التبغ [(*)] بفتوى أصدرها المفتي، وتجمع الإنكشارية والجند في ساحة القصر حتى اضطر السلطان إلى إباحته مرة أخرى.[(٢)]

لقد زادت تعديات الإنكشارية على الأهالي، وعلى رجال الدولة، فتعدوا على القاضي العام وعاملوه معاملة حقيرة، وعندما حاولت السباهية التصدي لهم اشتبكت معها الإنكشارية وقتلت منهم الكثير، ونفت الباقي، فشكوا للصدر الأعظم هذه المعاملة القاسية، إلا أن الصدر الأعظم لم ينصفهم، وانحاز إلى الإنكشارية على الرغم أنه يعلم أن هذا العمل سيغضب الأهالي عليه، لكن الإنكشارية انقلبت عليه، لأنه ليس لها حليف، وتم عزل الصدر الأعظم وتعيين غيره. [(٣)]

كانت العادة المتبعة في تعيين السلاطين، إختيار الإبن الأكبر للحكم، ولكن السلطان أحمد الأول خالف هذه العادة وأوصى بالحكم لأخيه من بعده لصغر سن إبنه،[(٤)] فتولى أخيه مصطفى الأول الحكم [(**)] ١٠٠١هـ - ١٠٤٨هـ / ١٥٩٢م

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٣، ٢٤.

(*) لقد أدخل الفلمنك استعمال التبغ إلى البلاد الإسلامية أي تدخين الدخان، أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٥.

(٢) مصدر سابق، ص٢٧٥.

(٣) كامل باشا: ج٢، مصدر سابق، ص٤٤.

(٤) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٥.

(**) مصطفى الأول: قضى هذا الأخير طوال عمره داخل سراي الحريم في القصر السلطاني، ولم يعرف أشغال الدولة مطلقاً، ولم يعرف من الأمور السياسية شيئاً كما كان عادة بني عثمان أن يولوا الأمراء الصغار بعض المدن والولايات للتعرف على الأمور السياسية، =

- ١٦٣٨م وفي عهده لعب الإنكشارية دوراً في السلطة داخل القصر، لا سيما وأنه كان قليل الخبرة، ضعيف الإرادة، فغدا ألعوبة في يد الإنكشارية. ولهذا لم يستطع القيام بأعباء الحكم في الوقت الذي كان لابد فيه أن يتم تنصيب عثمان الثاني الشاب الذي كان قوي البنية، سليم العقل، معافى، لسبب لم يعرف حتى الآن. (١)

ترى الدراسة أن الإنكشارية اختارت تنصيب السلطان الأنسب لها، لا سيما أن مصطفى الأول كان ضعيف الشخصية مسلوب الإرادة، وهو ما أرادته الإنكشارية لاستمرار نفوذها الذي بنته في عهد أحمد الأول ومن سبقوه، كما أن أحمد الأول هو من وضعهُ في ولاية العهد، لصغر سن ابنيه عثمان ومراد، كما أن الإنكشارية نصبتهُ حتى تأخذ العطايا والهبات التي تصاحب تولي كل سلطان، وقد أرادته الإنكشارية لكي تسيطر على مقاليد الحكم، ويبدو أن هذا هو السبب. أما عن عزله فلم يعرف سبب ذلك، فقيل أنه عزل لاختلال في عقله، ولكنهم كانوا يعلمون أنه يعاني من ضعف في البنية، والإرادة، فهذا سبب واهي، كما وأن الإنكشارية لكي تبرر عزله أطلقت هذه الكذبة، ساعدها في ذلك قلة خبرته السياسية، أو ربما لأن الإنكشارية تاقت نفسها للعطايا والهبات.

وقد حصلت الإنكشارية على حوالي مليوني دوكا، كهبات وعطايا بمناسبة جلوسهُ، وانتقل من قصر داود باشا إلى القصر الهمايوني لتولي مقاليد الأمور.(٢)

= لقد ولي السلطنة مرتين وخلع مكرهاً من العرش مرتين، كان ضعيف الإرادة لا رأي له وكان ألعوبة في يد الإنكشارية والمنتفعين من حوله. راجع محمد جميل بيهم: أوليات سلاطين تركيا، د. ط، صيدا: مطبعة العرفان، ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١م، ص٢٧.

(١) عبد القادر ده ده أوغلو: ألبوم العثمانيين، ترجمة محمد جان، د. ط، استانبول: الدار العثمانية للنشر، د.ت، ص٦٠.

(٢) كامل باشا: ج٢، مصدر سابق، ص٤٤.

عندما رأى المفتي أن " مصطفى الأول " لا يملك من الهمة والدراية السياسية ما يؤهله للجلوس على عرش آل عثمان، حاول إثارة الإنكشارية عليه، ولكن الإنكشارية كانت تريده لكي تسيطر على الأمور، وعندما غادر الإنكشارية العاصمة بقيادة الصدر الأعظم لمقاتلة الفرس، انشغل السلطان مصطفى بأحواله، ولم يبال بأمور دولته، وأشاع المتآمرون عليه أنه يعزم على قتل أولاد أخيه، لخوفه من أن يخلفوه، وانتشرت هذه الشائعة حتى وصلت إلى مسامع الإنكشارية فسارعوا في العودة إلى العاصمة. وأثناء ذلك استطاع القائمقام أن يخرج السلطان من العاصمة بحجة الصيد، وأثناء غيابه دخلت الإنكشارية العاصمة. فسارع المفتي بإصدار فتوى بخلعه. (١)

ومن جراء هذه الإشاعة الفاسدة التي لفقت له وبولغ فيها كثيراً صاحت الإنكشارية إليه مطالبة بتولية سلطان آخر، وعزل مصطفى ولم تصل أيدي الإنكشارية إليه، ولم يقتلوه بسبب عدم وجوده في العاصمة، وأتمت الإنكشارية ما أرادت. (٢)

وعملت الإنكشارية على استبدال مصطفى الأول فلم يكن قد مضى على ولايته ثلاثة شهور حتى خلعوه بمؤامرة سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٨م. بناء على فتوى من شيخ الإسلام أصدرها لعزله وتولى عثمان الثاني الحكم.(٣) وقد اشترك في عزله الإنكشارية وأرباب الغايات،وعلى رأسهم المفتي وقيز لراغا سي(*) وهو أغا القصر السلطاني وذلك لتوزيع الهبات والعطايا عند تولي كل

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.

(٢) مرجع سابق، ص٢٦.

(٣) عبد القادر أوغلو: المرجع السابق، ص٦٠.

(*) قيز: معناها بنت وقيزلربنات والأصح أن تترجم هذه الكلمة بأغا المحظيات. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٦.

سلطان جديد. [١]

تولى عثمان الثاني الشاب الحكم ١٠١٣هـ - ١٠٣١هـ/ ١٦٠٤م - ١٦٢١م وقد حكم لمدة أربع سنوات وأربعة أشهر.[٢] واستهل حكمهُ بنشر النقود على الإنكشارية مكافأة لهم على تنصيبه سلطاناً. [٣]

وعندما بدأ بعض الإنكشارية يتعاطون شرب الخمر أجاز السلطان قانوناً بمعاقبتهم، وأغلق حانات الخمر[٤] كان يقتل كل من يصادفه ثملاً سواء من الإنكشارية أو أهالي المدينة، وبما أن الإنكشارية كانوا يميلون أكثر من سواهم إلى شرب الخمر، فمعظم من قتلوا من أفرادهم. وشيئاً فشيئاً أخذت الإنكشارية تضمر له السوء والشر، ومما زاد في الأمر سوءاً أن الصدر الأعظم عزل أغا الإنكشارية عن منصب قائم مقام الصدارة، مما زاد من حقدهم على السلطان عثمان الثاني، إضافة إلى أن السلطان كان لا يتفق مع الإنكشارية ويكرههم ويجاهر بمقته للإنكشارية على الرغم من تنصيبهم له فهو لا يثق بهم ويكرههم. [٥]

وكان لإعلانه الذهاب إلى الحج، ورفض كل محاولات رجال الدولة لإثنائه عن هذا السفر، تصادف هذا مع عصيان الإنكشارية، والتي كانت لا تريده أن يغادر

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٦. سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، د.ط، بيروت: الأهلي للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ص١٥١.

(٢) مؤلف مجهول: مخطوط تاريخ آل عثمان، محفوظه في مركز الملك، فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية تحت رقم ٦٠٠٤١٩، ورقة ٣٥.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٦.

(٤) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص١٩٥.

(٥) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٦-٢٧.

القصر دون معرفة نيته. (١)

وبالنسبة لهذا السلطان فإننا نجد أن تعدي الإنكشارية على السلطان والقصر بلغ مداه من القسوة، والخشونةِ وعدم وجود رادع يثنيهم عن أفعالهم فقد كان نقطة تحول خطيرة في الدولة العثمانية سيطرت بعدها الإنكشارية على السلطان ونسيت ماضيها في الجهاد.

وكان معروفاً أن سلاطين العثمانيين لا يخرجون للحج برغم أنهم خلفاء، لأن مناسك الحج تستغرق وقتاً طويلاً، مما يؤدي إلى ابتعاده عن أعمال الدولة مدة طويلة، وقد كانت لهم فتاوي صدرت من شيوخ الإسلام تفيد بأن أداء السلطان لعمله في العاصمة، واشتغاله بأمور الدولة والأهالي، عبادة تفوق عبادة الحج. وما هي إلا ساعة حتى اجتمعوا أمام سراي طوب قابي ثائرين، حاملين في أيديهم الفتوى التي حصلوا عليها من شيخ الإسلام خوجة أسعد أفندي، والتي تقول " لا لزوم لحج البادشاه (أي السلطان)، البقاء في مكانهم والحكم بالعدل أولى لهم. حتى لا تكون هناك فتنة ". وكانت الإنكشارية ترغب بعدم مغادرة عثمان لإستانبول، فما كان منه إلا أن مزق الفتوى وألقاها في وجوههم وأصر على الخروج للحج، فأنقلب الوضع إلى تمرد، فتأكدت الإنكشارية أن السلطان سيبطش بهم مع أول فرصة، وهنا نجد أن السلطانة الوالدة، والدة مصطفى الأول تعاونت مع الإنكشارية في هذا التمرد،(٢) وكان ذلك من أهم أسباب التمرد على عثمان الثاني، وقد برز فيها تدخل الحريم بشكل كبير مما أدى إلى مقتل عثمان في النهاية.

وخير دليل على سيطرتهم على القصر، ما حدث للسلطان عثمان الثاني عندما

---

(١) يلماز أوزتونا: مصدر سابق، ج١، ص٤٦١.

(٢) مصدر سابق، ج١، ص٤٦٢، ٤٦٣.

أراد أن يتزوج من أخت السلطان محمد الثالث مع عزمه على إبطال الإنكشارية، ولكن العلماء ورجال الدين حذروه من عاقبة هذا التصرف، ومن العاصفة التي ستهب عليه، وأنه لن يرى من رعيتهُ إلا العصيان والتمرد والتخريب، فأجابهم بغطرسة بأنه سيمحق كل ما يعترضه، وأنه سيبيد الإنكشارية على الخصوص عن بكرة أبيهم، ويقتلهم وسيسحق علماء الشريعة سحقاً فألقى هذا الجواب الرعب والفزع في قلوب العلماء، وانطلقوا إلى جامع السلطان أحمد وأخبروا زعماء الإنكشارية بوعيد وتهديد السلطان لهم. (١)

وما هي إلا لمحة عين حتى سار الشعب والجند إلى القصر السلطاني صائحين، ومطالبين بضرب عنق الصدر الأعظم والشيخ عمر مؤدب السلطان ومستشاره وأكبر خصم لأغا الإنكشارية، ومع كل الغيظ الذي يعتمل في نفوسهم، والصخب الذي أحدثوه لم يؤذوا أحداً وعادوا إلى ثكناتهم يعدون العدة للانتقام. (٢)

وعلم الناس بما أجاب السلطان فسيطر عليهم القلق والفزع واشتعلت بينهم نيران الفتنة وأصبحت الأوضاع داخل القصر غير مطمئنة وأنذرت الغيوم الملبدة في سماء القصر أن مأساة كبيرة ستحدث. (٣)

وفي اليوم التالي مع طلوع الفجر، خرجوا من ثكناتهم، بكامل أسلحتهم وتوجهوا إلى القصر، وأرسلوا الدفتردار إلى السراي، نائباً عنهم وطالب برأس الشيخ عمر قوجه والصدر الأعظم وبعض الرجال من ذوي المناصب في الدولة مثل كبير أمناء بيت المال، فزجرهم السلطان ورفض طلبهم، غير مدرك لخطورة

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٨. انظر خليفة محمود: المرجع السابق، ص٣٧٩.

(٢) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٨.

(٣) خليفة بن محمود: مرجع سابق، ص٣٧٩.

الموقف، ورفض قطعياً إجابة طلبهم، فهجمت الإنكشارية على جدران القصر وحطمتها، والإنكشارية الباقية كانوا يحملون السيوف في يديهم، متأهبين لدخول القصر، والفتك بمن فيه، وعندما حاول الصدر الأعظم تهدئتهم ثاروا وانقضوا عليه وقتلوه. (١) كما أعتقد العلماء أنه بالإمكان إقناع عثمان الثاني وإثناءه عن أسلوبه الفظ، ولم يطلبوا خلعهُ بشكل قطعي. (٢) وكان الشوربجي داود قائد الإنكشارية، في أقصى درجة التمرد والهياج، وعندما صاح بهم رجل وقال " لا نريد سلطاناً إلا مصطفى. أين هو. ليأت ويجلس على العرش " وأخذت تردد الإنكشارية هذا القول. وانطلقت تبحث عن مصطفى، في المكان المحبوس فيه، واهتدت لموقعه وكسروا سقف الغرفة ببلطانهم ودخلت عليه الإنكشارية فوجدته نائماً على فراش بالٍ، وعنده خادمان أخرسان جالسان أمامه، استيقظ مصطفى على جلبتهم، وظن أنهم جاءوا لقتله فمد لهم عنقه بكل خضوع وخوف، فأكبوا على أقدامه يقبلونها، وقالوا له أنت سلطاننا، فأخرج معنا، وأخرجوه فما أن صار في الهواء الطلق حتى أغُمي عليه، وساروا به إلى جامعهم ونصبوه سلطاناً. (٣)

وقد حاول العلماء طلب العفو من الإنكشارية عن السلطان عثمان الثاني ونصحوهم بأن يتركوا مصطفى وشأنه، وهو الذي أرغمهم على خلعه المرة الأولى لضعفه وعدم قدرته على القيام بمهام الدولة. وأثناء ذلك استيقظ مصطفى

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٨. يوسف أصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة: مدبولي، ١٤١٥هـ - ١٩٥٠م، ص٧٧. للاستزادة عن هذا الصراع الرجوع إلى جوزيف فون هامر: مرجع سابق، ص٢٢٨-٢٣٠.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج١، ص٤١٣.

(٣) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص١٩٥ - ١٩٦. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٨. للاستزادة الرجوع لأحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ١٩٦.

الأول من إغمائته، وطلب أن يكون هو السلطان، فجـردت الإنكشـارية سـيوفها مهددة العلماء والمفتي بالقتل إذا لم يوافقوا، فأقسم المفتي يمين الولاء لمصطفى ثم حذا حذوه جميع العلماء. (١) وفي أثـناء هذه الأحداث، علم السلطان عثمـان ما جرى فأسرع على أمل أن يجد حلاً يجعل الثائرين يكفوا عن العصيان، فنصحهُ ضابط الجند بأن يعطي العسكر خمسين دوكاً، وخمسة أذرع من الجوخ، وعنـدما ذهب للعسكر، وقال لهم ذلك، تأثروا من صغر سنه وصرخوا ليتنحى عن الملـك وإنما ليس لأحد أن يمسه بأذى فذهب من فوره إلى قصره.(٢)

لكن الإنكشارية عادت وهجمت على أبواب القصر، وسلطت مـدافعها حتـى سقطت الأبواب، ودخل الإنكشارية القصر كالسيل الجارف لا يردهم شيء، حتـى استطاعوا الوصول إلى مكان السلطان عثمان فأخذوه عنوة وشدوه خارج القصر، وطافوا به في شوارع إستانبول طواف الازدراء والمهانة، وبمنتهى الذل قـادوه إلى قلعة ذات السبع (*) مع شتمهِ ونعتهِ بأبشع الألفاظ، موسعينهُ ضرباً، وسجنوه في هذه القلعة، بأمر من صاحب الديوان، وكان هذا يحدث لأول مرة فـي تـاريخ الدولة العثمانية، حيث كان ذلك إهانة وتحقير لهيبة السلطان، ولم يكتفوا بذلك بل انـتهكوا حرمة قـصره بالقـبض على نـساءه وزوجاته والاستيلاء عليهن،(٣) ونجحـت الإنـكشارية بذلك في خلع السلطان عـثمان الثـاني فـي ٩ رجـب ١٠٣١هـ/ ٢٠ مايو ١٦٢٢م، بعد حكم دام أربعة سنـوات وأربعـة شـهور وكان عمره ثمانية عشر عاماً، وأعيد مصطفى الأول مرة أخرى للحكم. (٤)

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) مرجع سابق، ص٢٩. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص١٩٦.

(*) تدعى بقلعة ذات السبع " يدي قوله ". أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٨.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٨. انظر يوسف أصاف: مرجع سابق، ص٧٧.

(٤) محمد مختار: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية =

أما عثمان سجنوه في نفس السجن الذي كان فيه مصطفى الأولـى، والـذي أصبح فيما بعد السجن الرسمي للدولة العثمانية، وفي اليوم التالي للفتنة سـلموه لرجال (*) موكلين به، حيث كانوا في انتظاره، وأوسعوه ضرباً وتولوا قتله شـنقاً (**) حيث خنقوه بخيط من حرير في ظلام السجن بشكل بشع منتهكة حرمة ولاة الأمر، بأمر من داود باشا،[1] وهذا الصدر الأعظم قد عينته الإنكشـارية، حيـث قاموا في تلك الفترة بتعيين ستة وزراء كل من يدفع أكثر يتم تعيينه.[2]

لقد كانت هذه الحادثة الأولى من نوعها في الدولـة العثمانيـة وكـان قتـل السلطان بهذه الطريقة البشعة لم يكن إلا نذير شؤم على الدولـة وإيـذاناً بقـوة سيطرة الإنكشارية على مقاليد الحكم، لقد ارتكبوا هذه المعصية والإثم غير مبالين بالجرم العظيم الذي ارتـكبوه، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عبـاده بطاعـة ولاة الأمر من دون معصية الخالق لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

= والقبطية، ج٢، دراسة محمد عمارة، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص١٠٦٧. أنظر محمد فريد المحامي: ص٢٧٨.

(*) أسماء الرجال الذين تولوا قتله هم: داود باشا وعمر باشا الكيفيا وقلنر أوغلي انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٨.

(**) وردت رواية أن داود باشا اخذ السلطان عثمان الثاني إلـى مكـان آخـر ليبعـده عـن الإنكشارية، وفي اليوم التالي أمر بقتله أمامهم، ثم قطع أذنه وأرسلها في صـندوق إلـى السلطان مصطفى الأول، بعد أن كتب عليها "هدية يقدمها لجلالة السلطان وزيره الآمـين المخلص " انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٩ ولكن هذه الرواية لا يجزم بحجتها لعدم إجماع المؤرخين عليها، فقد وردت في مرجع واحد.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٩ انظر محمد الفريد المحامي، ص٢٧٨. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٤عبد العزيـز الشـناوي: ج١، ص٥١٤. يوسـف أصاف: ص٧٧.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٣.

﴿ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾(*) ولكن أين كانت هذه الآية عن ذهنهم وهم يقومون بهذه الفعلة الشنعاء البغيضة، استهانوا بشخصية الحاكم وحطوا من قدر السلاطين، فكانت إبادتهم أفضل من استمرارهم.

وهكذا أصبح السلطان عثمان الثاني أول ضحاياهم البارزين، ونقطة انطلاقة جديدة للإنكشارية في اتجاه طغيانهم وجبروتهم، وجرأتهم وممارستهم لكثير من السيطرة على السلاطين، إضافة إلى العنف والقسوة مع الأهالي، وابتزاز الأموال في أعقاب مقتل عثمان، الذي أراد إبادة الإنكشارية ليتخلص من شرورهم فتخلصوا منه وقتلوه. (١)

وأصبحوا مثل الطوفان الجارف الذي لا يرده شيء وبدلاً من أن يكونوا حماة للدولة أصبحوا من أهم معاول الهدم والتخريب فيها.

وبعد هذه المأساة نصبوا مصطفى الأول للمرة الثانية على الرغم من بقاء ضعفه في الحكم، وأصبحت الحكومة العثمانية من يومها ألعوبة في أيدي الإنكشارية، تسلطوا على القصر السلطاني وأصبحوا يولون ويعزلون الوزراء كيفما شاءوا ويبيعون مناصب القصر والوزراء لمن يجزل العطاء، وكان ذلك جهاراً وعلى مسمع الناس، وارتكبوا كافة أنواع المظالم في القصر وأصبح لا يردهم أحد. (٢)

فمثلاً عزلوا داود باشا قاتل السلطان بعد بضعة أيام، لقد ارتكب هذا الأخير

(*) سورة النساء، آية ٥٩.

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٤. انظر عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٩.

عدة جرائم فقد قتل القائم مقام، ورئيس الخصيان، وثلاثة آخرين ولم يلبث أن تلقى العقاب الذي استحقه، حيث هال الإنكشارية ما ارتكبه من فظائع فساقوه إلى نفس الحجرة التي قتل فيها عثمان الثاني وقتلوه هناك. ثم تقلد منصب الصدارة العظمى حسين باشا الذي كان محبوباً من الإنكشارية، فهدأت أحوالهم، بتوزيع الأموال عليهم. (١)

لقد جرت المؤامرة والتمرد بشكل لم يخطر على بال أحد، فقد وقع العلماء في حيرة من أمرهم، خافوا من فكرة إجلاس مصطفى الأول، والذي لا يصلح للحكم بأي شكل، كما وأن مراد الرابع كان لا يزال دون العاشرة، وأصبح واضحاً أن التمرد فقد منطقيته، وأن الإنكشارية ستضع مصطفى الأول حتى تحصل على إكرامية الجلوس، ثم تخلعه وتحصل على إكرامية أخرى عند تعيين مراد الرابع وهذا يدل على طمعهم، ومرة أخرى يظهر الحريم على السطح بشكل سيء، فقد حصلوا على وعود ورشاوي من والدة السلطان مصطفى الأول - السلطانة الوالدة - وأخته زوجة الوزير داود باشا حتى يتم تعيين مصطفى الأول في الحكم، فقد بايع العلماء السلطان مصطفى الأول تحت ظل السيوف، ولأول مرة في التاريخ العثماني منذ جلوس محمد الفاتح في ٨٥٥هـ / ١٤٥١م يتم جلوس سلطان مرتين، ولن يتكرر هذا الأمر بعد هذا الحادث. (٢)

لقد كان رؤساء الإنكشارية يريدون الإبقاء على حياة عثمان خاصة وأن مصطفى معتل الصحة وغير قادر على الحكم، لكنهم تلقوا أوامر من السلطانة الوالدة وأخت مصطفى الأول، بضرورة قتل عثمان، فلم يستطع رؤساء الإنكشارية

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٩-٣٠.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج١، ص٤٦٣. لمزيد من التفاصيل عن دور الحريم في هذا التمرد الرجوع إلى محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٥٨٨.

التحكم في متبوعيهم من الإنكشارية. [١]

وقد ظهرت هنا سطوة الحريم خاصة في هذا التمرد، حيث استطاعوا تحريكه كما أرادوا، فقد تمكنت السلطانة الوالدة، وابنتها وزوجها من تعيين مصطفى الأول على الرغم من معرفتهم بعدم قدرته على الحكم، إلا أنهم دفعوا الرشاوي، وحركوا التمرد في اتجاه قتل عثمان الثاني حتى يتم لهم الأمر، ولكن فسدت الأمور بتدخل الحريم وإرضاء رغباتهم ونزواتهم.

وكانت السلطة الحقيقية في يد الإنكشارية، وقد طالت سلطنة السلطان مصطفى الأول على نحو غير متوقع كانت السلطانة الوالدة خلالها بمثابة نائبة السلطنة، وانتشرت الفوضى في القصر، كردة فعل لمقتل السلطان عثمان، فكان الشعب يبكيه، فأمر مقتله يعتبر كربلاء[*] التاريخ العثماني، وقام داود باشا زوج أخت السلطان مصطفى على أثر هياج الإنكشارية، بنهب سراي طوب قابي، وسرقة الخيول والسيوف والحاجيات الأثرية، ولم يترك ثمين إلا واستولى عليه. [٢]

وهدأ تمرد الإنكشارية بعد توزيع مبلغ مليون ونصف عملة ذهبية عليهم، هبة الجلوس للسلطان الجديد. [٣]

على أن هدوء الأوضاع لم يستمر طويلاً، إذ أن مصطفى الأول لم يكن أحسن حالاً من الأولى إذ عمت الفوضى الأقاليم، لأن السلطة الفعلية كانت بيد

---

(١) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج١، ص٤٦٣.

(*) كربلاء: هي الموقعة التي قتل فيها الحسين بن علي عام ٦١هـ، على يد عبيد الله إبن زياد إبان حكم الدولة الأموية في دمشق.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ١، ص٤٦٤.

(٣) المصدر السابق، ص٤٦٤.

الإنكشارية،[(١)] وتعرضت البلاد للنهب، واستشعرت الإنكشارية من كما نكش[(*)] علي باشا تأيدهم، فعينوه في الصدارة العظمى، وزادوا في النهب والسلب، وما أن شبعوا حتى بدأوا يخططوا لعزل مصطفى الأول، فأجتمع حسين باشا بعد عشرة أشهر بالعلماء، وكبار رجال الدولة، للتفاوض في ما هو أصلح للدولة، فاستقر الرأي على عزل السلطان مصطفى الأول مرة ثانية، ومبايعة مراد بن السلطان أحمد، وكان عمره خمسة عشر عاماً أي صغير السن يسهل التحكم فيه ووافقت الإنكشارية على ذلك.[(٢)]

وتم عزل مصطفى الأول في ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م بفتوى من شيخ الإسلام أسعد أفندي جاء فيها " أنه لا يجوز خلافة مختل عقلياً"[(٣)] والغريب في الأمر أنه خلال هذه الفترة كانوا يعلمون أنه مختل عقلياً وضعيف الإرادة، ولكن الطمع هو الذي سيطر على نفوسهم جعلهم ينصبوه حتى يكتفوا من النهب، ثم يعزلوه، وقد مات بعد عزله بسبعة عشر عاماً.

وعموماً فقد اشتهر في تاريخ الدولة العثمانية، أن الإنكشارية أجلسوا مصطفى الأول لأنه ضعيف الشخصية، فأصبح ألعوبة بينهم، وأعيد للحكم مرة أخرى لنفس السبب، وطوال الوقت كانت الإنكشارية يستمعون لكلام قادتهم

---

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣٠، أنظر سعيد أحمد برجاوي: مرجع سابق، ص١٥٣.

(*) معناها اللغوي: الماهر بالرمي عن القوس، واصطلاحاً تعني الماهر الحاذق. انظر محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٤.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٩، مرجع سابق، ص١٢٤. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣٠.

(٣) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص٦٠.

وضباطهم وتنفذه، وعرف هذا العهد بعهد الإرهاب. [١]

تولى مراد الرابع الحكم في سن صغيرة " ١٠٣٤ هـ - ١٠٥٠هـ / ١٦٢٤- ١٦٤٠م " واستفحل في عهده نفوذ الإنكشارية بشكل كبير، [٢] حيث لعبوا دوراً كبيراً مؤثراً في الدولة سواء منذ قتل عثمان الثاني وحتى تعيين الوزراء وعزلهم.

وعندما تولى مراد الرابع حاول قدر الإمكان التخلص من الوصاية حتى يدير الدولة كما يشاء. [٣] ولصغر سنه فشل في التخلص من الوصاية بسرعة واستمرت عليه، قرابة عشر سنوات، لم يحكم الدولة خلالها أبداً. [٤]

وهكذا نجد أن العشر سنوات الأولى من حكم مراد الرابع كان الإنكشارية فيها أصحاب الكلمة، وقد فسدوا ونهبوا وسلبوا وقاموا بعدة تمردات وكان السلطان لا يزال صغير السن فلم يجد مفر من تنفيذ أوامرهم وتحقيق رغباتهم. [٥]

وبعد مرور فترة من الزمن على تولي مراد الرابع، أقدمت الإنكشارية على قتل الصدر الأعظم حسن باشا، وثاروا وتجمعوا حول القصر يهددون، ثم أقدموا على قتل الصدر الأعظم الثاني حافظ باشا وتم تعيين رجب باشا صدراً أعظم بضغط من الإنكشارية وتنفيذاً لرغبة نائبه السلطان وكان يسميه مراد الرابع رئيس الأشقياء، ثم لجأوا إلى حيلة التظاهر بأنهم ينفذون كلام السلطان، وهدأوا وتظاهروا بأنهم خضعوا له، لكن ذلك لم يكن إلا تمويهاً للسلطان حتى يوقف

---

(١) رشاد أكرم قوجسي: مرجع سابق، ص١٨٤.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص٢٠٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص٥١٠.

(٤) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص٦٣.

(٥) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٨٩.

المذابح التي أمر بها، وتمردوا ثانية بعدها وتجمعوا في ساحة القصر الداخلية وكانوا بقيادة رجب باشا، فأمر السلطان بقتله وإلقاءه من شباك القصر، وهنا هدأ تمردهم وأدركوا أنهم أمام سلطان قوي. (١) ولم يستطع إظهار قوة شخصيته إلا بعد فترة من الزمن، حين استطاع التخلص من سيطرة الإنكشارية عليه.

في أثناء هذا الفترة زاد نهبهم للقصر السلطاني وإستانبول نفسها، مارسوا القتل وانتهاك المحرمات وكافة الأفعال المشينة. (٢)

وقد بدأت تظهر سيطرته على الأمور، عندما استطاع إخماد تمرد السابق الذكر والذي يشبه التمرد الذي أودي بحياة السلطان عثمان الثاني، لكنه أخمده بمنتهى البراعة وجعله بلا تأثير، وقد ألقى كلمة بليغة تمكن من خلالها جعل المتمرد ين له لا عليه، ثم ألقى القبض على الرؤوس المدبرة للتمرد وقام بإعدامها. (٣)

وأعلن مراد الرابع ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤م أنه منع شرب الخمر، وأعدم كل من تسول له نفسه عصيان هذا الأمر. كما قام بإعدام كل من تثبت عليه أنه يحرض على تمرد، كما أسس تشكيلة قوية من المخابرات التي جاءت بجميع أسماء المستبدين بالسلطة ليس داخل إستانبول فقط بل في جميع أنحاء الدولة، فكان يقوم بإعدامهم كلما مر في أسفاره بأحد البلاد. (٤)

وهكذا استطاع مراد الرابع إخماد هذه التمردات ببراعة، وأكد على كونه

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٥-٥١٦. أنظر يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج١، ص٤٧٠.

(٢) رشاد أكرم قوجسي: مرجع سابق، ص١٨٥.

(٣) عبد القادر ده ده أو غلو: مرجع سابق، ص٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص٦٣.

سلطان قادر على حل المشاكل بشكل أفضل من سابقيه، ولقد كان حاكم مستبد برأيه، ولكن هذا جاء بنتيجة إيجابية مع الإنكشارية حيث أننا نجد أن العشر سنوات الأخيرة من حكمه كانت هادئة نسبياً حيث أدركت الإنكشارية أخيراً أنها أمام سلطان قوي مقتدر.

لقد استطاع مراد الرابع أن يلجم تصرفات الإنكشارية، بشكل جيد وكان من الممكن أن يستطيع القضاء عليهم في فترة مبكرة، ولكن فكرة القضاء على الإنكشارية لم تكن تبلورت في أذهان السلاطين بعد، وكان أول سلطان فكر في هذا الأمر هو عثمان الثاني، وقتلته الإنكشارية، لذلك لم ترد على ذهن مراد الرابع، على الرغم من امتلاكه القوة اللازمة لذلك.

على آية حال لم يستمر هذا الوضع طويلاً إذ سرعان ما عادت الإنكشارية إلى سابق عهدها في عهد السلطان إبراهيم الأول ١٠٥٠هـ - ١٠٥٨هـ / ١٦٤٠م - ١٦٤٨م، وزاد طغيانهم حتى أنهم كانوا يوجهون انتقاداتهم الواضحة والصريحة أمام السلطان دون خوف أو جزع.(١)

كما أننا نلاحظ أن قاعدة تولي الأبناء قد زالت وسارت قاعدة الإنكشارية ورغباتها، تولي من تريد وفق أهوائها الشخصية، فإن إبراهيم لم يكن ابن مراد الرابع وإنما أخيه، وقد تولى الحكم لأن الإنكشارية أرادتهُ، ولأنه كان الوحيد الموجود من الذكور من سلالة آل عثمان، وقد ولد محمد الرابع بعد توليهِ، وهكذا نجت السلالة العثمانية من الانقطاع.

منذ تولي إبراهيم الأول الحكم ناضل ضد الإنكشارية، وحاول كبح جماحهم، لكنه لم يتمكن من اجتثاث الفساد من رؤوسه والقضاء عليهم. (٢)

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

(٢) بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص١٧٩.

فقد أراد السلطان إبراهيم أن يتزوج ببنت المفتي وأسمها " راجيل " ولكنها رفضتهُ، فقام بإحضارها إلى سرايته، ولكنه لم يجد منها إلا الاحتقار والإساءة، فأعادها إلى والدها المفتي دون أن يصيبها بسوء ولكن المفتي أصر على الانتقام، فاجتمع مع العلماء وأخبرهم وأتفق مع الإنكشارية على عزلهِ بل وقتلهِ إذا تطور الأمر لأنه أراد الزواج من بنت المفتي[1] كما وأن الإنكشارية أحست بأن السلطان إبراهيم يريد التخلص منهم والفتك بقادتهم، لأنهم عارضوه في كثير من الأمور، وعلموا أنه حدد موعداً لذلك في ليلة زفاف إحدى بناتهِ على ابن الصدر الأعظم.[2]

فقرروا القيام بمؤامرة لعزلهِ، والقيام بتمرد عظيمة لذلك متخذين أسباب واهية، وهي أن السلطان إبراهيم يقف موقف عدائي منهم، فبدأوا في نقده وتجريحهُ، وانتهزوا فرصة إنشغاله بحفلة العرس، وأجتمعوا في جامع الفرقة [*]، وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبد الرحمن أفندي، وغيره من علماء الدين، والذين أقروا عزله بتحريض من جند الإنكشارية. والفرسان السباهية، وتولية إبنه محمد الرابع رغم أنه لم يكمل عامه السابع.[3] وفعلاً قام تمرد عظيم على إبراهيم في إستانبول وتم عزله في ١٨/٥/ ١٠٥٨هـ ٨ /٨/ ١٦٤٨م، وقاموا بكافة الإجراءات لضمان نفاذ قرارهم، واستعدوا عسكرياً حتى استطاعوا الإمساك بزمام

---

(١) خليفة محمود: مرجع سابق، ص٣٧٧ – ٣٧٨.

(٢) بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ١٧٩. انظر محمود شاكر: مرجع سابق، ج٨، ص١٣٥. انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

(*) يطلق عليه جامع الوسط أو أورطة جامع. أنظر عبد العزيز الشناوي: ج١، المرجع السابق، ص٥١٦.

(٣) بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص١٨٠. انظر عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥١٦. انظر دائرة المعارف الإسلامية، ص٥١٠.

الموقف[١]

تبع عزل السلطان إبراهيم، تضجر الإنكشارية من الصدر الأعظم قارة مـراد باشا، وسعوا خلفهُ لقتلهِ، رغم أنه كان من أغوات الإنكشـارية لكنـه اسـتطاع التخلص منهم. [٢]

وبعد مرور عشرة أيام أظهرت الخيالة عدم ارتياحها لتولي العرش السـلطان محمد الرابع وهو صغير السن لا يزيد عن سبعة أعوام، ولم يبلغ الحلـم، وأرادت إعادة السلطان إبراهيم الأول مرة أخرى، فخاف قادة المؤامرة من إعادة السلطان رغم أنوفهم، نظراً لما قد يقوم به السلطان من انتقام من الإنكشارية، فقرروا قتل السلطان إبراهيم باشا مثلما قتلوا عثمان الثاني قبلهُ، وساروا إلى القصر الموجود فيه، وحاصروه، وقام الجلاد بالدخول عليه و خنقه حتى توفي. [٣]

وهكذا ارتكبوا ثاني أبشع جرائمهم، وهكذا سيطروا تماماً على هذا السـلطان الصغير، دون أن يلتفتوا إلى أمور الدولة وأصبحوا يرتعون في العـز والرخـاء، وارتاحوا لهذا الوضع الرخيص وعاثوا فساداً في القصر وأصبحوا يتدخلون فـي كل الأمور حتى ساءت أحوال الدولة وعمت في أرجائها الاضـطرابات، وأصـبح نفوذ الإنكشارية لا يضاهيه أي هيئة أخرى في الدولة.

وعلى هذا حدثت خلافات بين الخيالة والإنكشارية، ولضغط الإنكشـارية فـي القصر السلطاني، تم الاعتماد عليها بصورة أكبر من الخيالة، وكانت هذه ضـربة

---

(١) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص٦٤. انظر عبد العزيز الشـناوي: ج١،مرجـع سابق، ص٥١٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ٥١٠٨.

(٣) محمد شاكر: مرجع سابق، ج٨ ،، ص١٣٥. انظر عبد العزيز الشناوي: مرجـع سـابق، ج١، ص٥١٦. انظر بسام العسلي: ج٥، ص١٨٠

لفرقة الخيالة. (١)

وهكذا جلس محمد الرابع على العرش وهو صغير السن ١٠٥٨هـ - ١١٠٤هـ / ١٦٤١م، ١٦٩٢م. مما أبعده عن ممارسة الشؤون السياسية وأصبحت الإنكشارية، وأصحاب النفوذ من الشخصيات الكبيرة في القصر هي المتحكمة في جميع الأمور، وعزل بين الحريم وأصبح وجوده مثل عدمه،(٢) وقد تميز عهده ببروز تدخل نساء القصر في السياسة، أمثال تورخان سلطان وهي والدته، والتي سيطرت عليه لصغر سنه وأدى هذا إلى تراجع دور السلطان في قيادة الجيش والدولة، وقد انعكس هذا التراجع على أمور الدولة والقصر الداخلية، فقد زاد تسلط الإنكشارية على الوضع داخل القصر والعاصمة، وأصبح الصدر الأعظم ضحية لهذا التسلط.(٣) كما وأن نفوذ الإنكشارية زاد عن الحد حتى صارت تحدث مشادات بين الإنكشارية والسباهية في القصر حول السيطرة على السلطان و الغلبة دائماً للإنكشارية. (٤)

وقد زاد تسلط الإنكشارية على الصدور العظام في عهد محمد الرابع فنجد مثلاً أنه عندما حاول الصدر الأعظم أحمد باشا الألباني ١٠٦٣هـ - ١٠٦٤هـ / ١٦٥٢م - ١٦٥٣م أن ينقذ الوضع ويكافح الرشوة وتنظيم أول ميزانية للدولة لضبط النفقات، واجهتهُ مقاومة عنيفة جداً وقاموا بقطع رأسه بعد تسعة أشهر فقط من توليه المنصب. كما واجه نفس المصير الصدر الأعظم مراد باشا الألباني الأصل والذي قتلته الإنكشارية مثل الآخرين ولحق بهم من جاء بعدهم وهو

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص٥١١.

(٢) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص٦٥، مخطوط تاريخ آل عثمان: ورقة ٣٥

(٣) محمد موفاكو: تاريخ بلغراد الإسلامية، الكويت: دار العروبة للنشر، المكتبة البلقانية، د.ط، د. ت، ص٥٧.

(٤) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص٦٥.

مصطفى باشا، الذي عزل، وأصبح اهتمام الإنكشارية بالسلطة والنفوذ، أكبر من اهتمامهم بحياة الجهاد والوضع العسكري. (١)

يتضح لنا أنهم أصبحوا مرابطين داخل القصر لا يبارحوه أبداً، وكأنهم وجدوا لمراقبة السلطان وأفعاله، وليس للجهاد وإعلاء راية الإسلام.

وقد استحال أمر الإنكشارية في القصر وأصبحوا شوكة في ظهر الدولة العثمانية، لكن ظهور آل كوبريلي غير كثيراً من الأوضاع الخاطئة للإنكشارية داخل القصر، وكان ذلك سنة ١٠٦٢ هـ /١٦٥١م(٢) حيث تمكن آل كوبرللي من تثبيت الوضع في الداخل وقضوا على الفساد والرشوة، وضبط الإنكشارية، وعملوا على إحياء روح الجهاد في الجيش، فانتعشت الدولة العثمانية من جديد. (٣)

وقد مهد السبيل لظهور أل كوبرللي مقتل كوسم سلطان زوجة السلطان أحمد الأول ووالدة إبراهيم الأول و مراد الرابع عام ١٠٦٢هـ / ١٦٥١م والتي كانت مسيطرة على الأمور داخل القصر، وفي أعقاب ذلك تم تعيين محمد باشا كوبريللي في الصدارة العظمى، حيث عاملهم معاملة شديدة، وقتل كثيراً من ضباط الإنكشارية، بسبب مقتل كوسم، كما هدد بقتل الآخرين إذا لم يلتزموا الهدوء والسكينة، ولكنهم ثاروا عليه لأنهم أدركوا أنهم أمام خصم قوي قادر على معرفة أساليبهم وقمعهم،(٤) إلا أنهم فشلوا فقد أدبهم الصدر الأعظم وأمر بإلقاء جثثهم

---

(١) محمد موفاكو: مرجع سابق، ص٥٧.

(٢) مرجع سابق، ص٥٧.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٩٠.

(٤) مصدر سابق، ص٢٩٠. عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص٦٥.

في البحر وبلغ عدد قتلاهم أربعة آلاف جثة. [(١)]

وبهذه المعاملة الشديدة على التوالي بين الصدور العظام محمد باشا ثم ولده محمد باشا وقرة مصطفى باشا [(*)] في عهد محمد الرابع أحس الأهالي بالسكينة والهدوء والأمن لمدة من الزمان.

ولكن للأسف هذا الوضع والهدوء لم يستمر طويلاً فقد هزُم العثمانيين بإنكسار فظيع عند أسوار فيينا، وطبعاً انتهز الإنكشارية وسارعوا إلى العاصمة، وقاموا بعمل تمرد كبير فيها، وخلعوا السلطان محمد الرابع ونصبوا سليمان الثاني مكانه، [(٢)] وكانت هذه فرصة لا تعوض لهم حتى يوضحوا للأهالي عدم كفاءة آل كوبرللي في الصدارة، ويوقفوهم عند الحد الذي يريدوه وبذلك يتخلصوا من شخصيات حدت من نفوذهم كثيراً داخل القصر وخارجه.

ولقى محمد الرابع نفس مصير من سبقوه، ولكنه كان أوفر حظاً منهم حيث لم يقتل وإنما عزل في سنة ١٠٩٨هـ /١٦٨٦م، ومات بعد عزله بحوالي خمس

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

(*) مصطفى باشا: صدر أعظم تلقى تعليمه في الدائرة السنية السلطانية، ترقى في المناصب حتى وصل سلحدار للسلطان محمد الرابع ثم وزير ورئيس البحرية ثم أمير سليترة وطرابلس الشام وقد حرر عاصمة بولونيا من الألبان ثم صار بعدها صدر أعظم، وحرر بلغراد من الألمان، ترقي بعد خدمة خارج القصر لمدة ١١ عام كان ذو قيم شديدة وإدارياً جيد وشجاع ومستقيم. الموسوعة التركية: ج٢٤ د. ط، أنقره: دار المعارف، ١٩٧٦م، ص١٧٠ لقد كانت الإنكشارية من أحد الأسباب الرئيسية لهزيمة العثمانيين عند أسوار فيينا، كما سيتضح ذلك في المبحث القادم، وعلى الرغم من ذلك فقد استغلوا هذا الوضع اسواء استغلال.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

سنوات، وقد ظل معزولاً في قصره بعيد عن الحياة السياسية ومات طبيعياً. [(١)]

نصب الإنكشارية سليمان الثاني ابن إبراهيم الأول ١٠٩٩هـ ١١٠٢هـ / ١٦٨٧م - ١٦٩٠م على العرش،[(٢)] والذي تجاوز عن أعمالهم القبيحة وأفعالهم الشنيعة بمن سبقوه، وأغدق عليهم الهدايا والأعطيات وصفح عن تمردهم الذي نتج عنه عزل محمد الرابع[(٣)] وقد تولى أمور الدولة وهي في غاية الارتباك والفوضى، وحاول قدر الإمكان تصحيح الأوضاع[(٤)]

السلطان سليمان الثاني كان رجلاً زاهداً متعبداً، يفضل الانزواء ودراسة الكتب الدينية، ولذلك لم ترض به الإنكشارية سلطاناً عليها، إلا أنها أملت في أخلاقه الهادئة أن تفسح لهم المجال في التمادي في أهوائها دون أن يتصدى لهم، وعندما ذهب رؤسائهم إلى الصدر الأعظم، وطالبوا برواتبهم المتأخرة، والأعطيات المعتادة عند جلوس كل سلطان، حاول الصدر الأعظم تهدئتهم بالكلام العذب، والوعود الطيبة، وأعطاهم القليل من المال، مع الوعد بإعطائهم الباقي حينما ترد الأموال من الولايات إذ أن خزينة الدولة كانت فارغة من الأموال. فغضبوا وتفرقوا في شوارع إستانبول ينهبون البيوت ويسلبون الأهالي. [(٥)]

وهكذا نجد أنه اتخذ سياسة مختلفة مع الإنكشارية حيث التسامح والغفران، ولكن هذه السياسة أيضاً لم تؤتِ بنتائج حسنة إذ أن تمرداتهم داخل العاصمة وحول القصر زادت عن حدها مما أدى إلى نتائج سلبية على الدولة العثمانية،

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٧١

(٢) مخطوط آل عثمان: ورقة ٣٥.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥، إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص١٨٤.

(٤) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج٢، ص٢١٤.

(٥) حبيب السيوفي: مرجع سباق، ص٣١.

حيث أدى ذلك إلى ارتباكها، وبلغت وقاحتهم مداها حيث صاروا يقتلوا الوزراء والصدور العظام، وزاد هياج الإنكشارية وصارت تهجم على بيوت من تريد قتلهم. مثلما تخلصوا من فاضل مصطفى باشا القائم مقام، عندما أراد تسكين الاضطرابات فعينوه والياً على ميناء الدردنيل. (١)

وعندما اعتقل الصدر الأعظم ساويش باشا (*) بعضهم، وحكم عليهم بالإعدام انتشرت الفوضى في شوارع إستانبول، واقتحموا قصر ساويش باشا وقتلوه شر قتله قطعوه أرباً، وعرف باسم قتيل الإنكشارية، ونهبوا قصرهِ وألقوا القبض على زوجاته وجواريه واتخذوهن سبايا. (**)(٢)

---

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(*) ساويش باشا: لم يعرف من أين أو نسبه، تولى منصب الصدارة العظمى مرتين، وقد قتل أثناء تمرد الإنكشارية ونهب قصره، ومات مأسوفاً عليه، الموسوعة التركية: ج٢٣، د. ط، أنقرة، ص١١٥.

(**) وقد أورد محمد جميل بيهم أن الإنكشارية عندما هاجمت قصر الصدر الأعظم، قد دخلوا على زوجته وأختهِ وقطعوا أيديهم وأرجلهم وأنوفهم، ثم جروهما في الشارع بمنتهى الإهانة. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣١.

لم ترد هذه القصة في كتب المؤرخين العثمانيين ولم يذكر المؤرخ مصدرها، فلا يمكن الجزم بصحتها أو حتى قربها إلى الواقع، ولكن السؤال هل وصلت بالإنكشارية الجرأة إلى درجة أنهم يقوموا بمثل هذا العمل الشنيع، وإذا قلنا أن ذلك لعدم زواجهم ولكن هذا قانون منذ تأسيسهم والرعيل الأول لم يرتكب مثل هذه الفظاعة، كما أنه في هذا الوقت كان قد سمح لهم بالزواج، كذلك هل المرأتين ستعيشان بعد النزيف من هذه الجروح حتى يتم جرهما إلى الشارع، أم أنهم جروهما وهما ميتتين وهذا يعتبر تمثيل بالجثة مخالف لتعاليم الإسلام. ولذلك فإن الدراسة لا تؤيد الرواية.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٧. سعيد أحمد برجاوي: مرجع سابق، ص١٦٩.

وبهذا العمل نجد أنهم انتهكوا حرمة قصر الصدر الأعظم، واستولوا على النساء، وكان هذا التطور في طغيانهم قد صار يمس النساء، وهذا يدل على ما وصلت إليه الإنكشارية من فسق وفساد. ثم هجموا على الأسواق والحوانيت ونهبوها، وأصبحت شوارع استانبول مكاناً واسعاً للفتن والتمردات وأصبح القصر مرتعاً لهؤلاء. [١] مرتكبين فيه الفظائع، مما آثار غضب أهالي استانبول عليهم، كما أنه عندما عين السلطان سليمان الثاني إسماعيل المرعشي [*] في الصدارة العظمى، بذل كافة مجهوداته لتسكين الاضطراب بين الإنكشارية، وتعاون مع أهالي استانبول الذين زادت ثورتهم على الإنكشارية واستبدادهم، فحملوا السلاح وانقضوا على الإنكشارية وقتلوا منهم كثيراً وجرت مذبحة هائلة، وهكذا هدأت أحوالهم قليلاً، وعاد النظام مرة أخرى، [٢] بعد أن وعدهم المفتي خيراً، وحثهم على العودة إلى ثكناتهم. ومع ذلك فقد نفوا شيخ الإسلام دباغ زاده محمد أفندي. [**]

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣١.

(*) إسماعيل المرعشي: يقال أنه من حي أباش في أنقرة،عمل أول حياته خارج القصر، ثم صار صاحب إقطاع برتبة أمير أمراء الروملي، تدرج في الوظائف حتى صار صدراً أعظم في عهد سليمان الثاني، ثم عُزل وحبس في قلعة يدي قوله عام ١١٠٠هـ/ ١٦٩٦م. الموسوعة التركية: ج٢٠، أنقرة، سنة ١٩٧٢م، ص١٦٧

(٢) إسماعيل سرهنك: مصدر سابق، ج١، ص١٧٤ – ١٨٤. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣١.

(**) هو ابن محمود أفندي شيخ دباغين منطقة يدي قوله، تلقى التعليم على أشهر علماء عهده وعمل بالتدريس في عدة مدارس، ومفتشاً بأوقاف الحرمين، عين قاضي لدمشق، ثم أدرنه ثم إستانبول ثم الأناضول ثم شيخ الإسلام في ١٠٩٨هـ – ١٦٨٧م وكان ضمن من أقصوا محمد الرابع عن الخلافة، ونتيجة لخلافه مع الإنكشارية عزل من منصبه =

وقد حاول هذا الصدر الأعظم، اعتقال مثيري الشغب والفتن والذين حاولوا التمرد مرة أخرى، وكان يقضي عليهم لولا أن نحاه السلطان عن المنصب، وعين بدلاً منه مصطفى باشا، والذي كان صاحب ثروة كبيرة، فوزع عليهم الأعطيات والمال، بدلاً من معاقبتهم، فعاد إليهم الهدوء [١]

حاول سليمان الثاني بعد هذه الفوضى القيام بحركات تطهيرية كبيرة للقضاء على استبداد الجيش، وهذه الحركات أعطت هدوءاً مؤقتاً للدولة والقصر لأنها كانت تعيش ظروفاً صعبة عند توليه الحكم.[٢]

وبعد وفاة سليمان الثاني متأثراً بمرض عضال تولى الحكم أحمد الثاني ١١٠٢هـ – ١١٠٦ هـ / ١٦٩١م – ١٦٩٥م وقد حكم مدة أربعة سنوات وثمانية أشهر. [٣]

وفي عهد أحمد الثاني استمرت الإنكشارية على نفس المنوال في السيطرة على شؤون القصر، وإن كان نفوذهم قد خفضت حدته نتيجة لتولي مصطفى باشا كوبريلي منصب الصدارة العظمى حيث استطاع هذا الأخير أن ينقل الدولة من الدمار السريع الذي كان سيصل بها نتيجة التمردات المتتالية إلى هدوءه نسبياً، حيث استطاع استمالة الجند والرعية لصفه وهدأت أحوال القصر. [٤]

= توفي عام ١١١٤هـ – ١٧٠٢م.

الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني، ج٩، د. ط، إستانبول، ١٩٩٤م، ص٦٢.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣١.

(٢) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص٦٦.

(٣) مخطوط تاريخ آل عثمان، ورقة ٣٥.

(٤) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

وقد حاول مصطفى الثاني ١٠٧٤هـ - ١١١٥هـ / ١٦٦٣م - ١٧٠٣م[١] الذي خلف أحمد الثاني أن يتصدى لأطماعهم داخل القصر والعمل على الحد منها، محاولاً إصلاح الشؤون الداخلية، وإبطال المفاسد، ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم، غير أن الإنكشارية لم تسمح بذلك لأنه كان مناخ الضعف والفوضى هو المناسب لهما، لما يوفره لهم من فرصة للسلب والنهب وهتك الأعراض، وانتهاك الحرمات، وبسبب ضغط الإنكشارية، وعدم إعجابهم لهذه الشدة، وقفوا في وجه الإصلاحات،وعزل السلطان مصطفى الثاني في ٢ ربيع الثاني ١١١٥هـ أغسطس ١٧٠٣م ونصبوا مكانه أخيه السلطان أحمد الثالث، وقتلوا فيض الله أفندي. [٢]

تولى أحمد الثالث ١١١٥هـ - ١١٤٩هـ / ١٧٠٣م - ١٧٥٤م[٣] الحكم وهو خائف مما قد يصيبهُ من الإنكشارية مثل الذين سبقوه، وخاصة أخاه[٤] فاستهل حكمه بتوزيع الهبات والأموال بكثرة على الإنكشارية، ووافق على طلبهم بقتل المفتي " فيض الله أفندي " لأنه كان ضد أعمالهم وفعلاً قبضوا عليه وقتلوه، ونفوا أولاده، وهكذا عادت السكينة والراحة إلى القصر في استانبول[٥] لقد اتخذت طلباتهم منحنى جديد وهو قتل كل من يقف بطريقهم حتى ولو كان

---

(١) أحمد عرابي: مخطوط تاريخ الملوك العثمانية والوزراء والصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات، ١٣٧٧هـ، القاهرة: مكتبة فاروق قديماً، ورقة ٣.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٦. انظر سعيد أحمد برجاوي: مرجع سابق، ص١٧٤.

(٣) مخطوط آل عثمان، ورقة ٣٥.

(٤) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣٣.

(٥) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣١٢. انظر بسام العسلي: مرجع سابق ن ص٢٠١. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣٣.

المفتي أو شيخ الإسلام.

وعندما هدأت الأوضاع واستقرت الأحوال، بدأ السلطان أحمد الثالث الانتقام من الإنكشارية والاقتصاص من رؤوس الفتنة، وإنزال العقاب العادل عليهم، فحاول تفريق الإنكشارية عن القصر والعاصمة بكافة الأعذار، وقتل عدداً كبيراً منهم، ومن ضمنهم من أجلسوه على العرش وحتى المفتي الجديد، وعزل الصدر الأعظم تشانجي أحمد باشا الذي انتخبه الإنكشارية في ثورتهم، وعين مكانه زوج أخته داماد(*)حسن باشا (**)، وبلغ عدد من قتلهم خمسة عشر ألف، ويرى أن جرائد وصحائف أسماءهم كانت تظهر كل يوم لمدة ستة شهور عن الذين يقتلون أو يلقون في اليم. (١)

هذا يدل على كثرة عدد الإنكشارية، وبالتالي ليس كل هذا العدد قد دُرب عسكرياً أو خضع لأنظمة الإنكشارية، وبالتالي فإن الفساد والإنحلال الذي

(*) داماد: لفظ فارسي أستعمل في التركية ومعناه الصهر وكان هذا اللفظ يستعمل مضافاً إلى الاسم بمعنى الشريف لمن كان متزوجاً من بنت السلطان، أو من أخته انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣١٢.

(**) حسن باشا: من بلاد المورة، أخذ لقب داماد لأنه تزوج من خديجة سلطان أخت مصطفى الثاني واحمد الثالث وبنت مراد الرابع. لم يعرف متى دخل القصر السلطاني تدرج في الوظائف حتى صار والي مصر برتبة وزير في عهد سليمان الثاني. ثم فقد سمعته وفقد وظيفة الوالي لخيانته لأغا دار السعادة، وأثناء ولايته على صاقز سقطت في يد البندقية، تنقل بين عدد كبير من الوظائف السياسية كان شجاع كريم، أهتم بتاريخ نعيمه وشجعه على الاستمرار في الكتابة، والتأليف وأمر ببناء عدد من التكايا وتوفي عام ١٧١٣م عن عمر يناهز الستين عاماً. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني، ج١٦، د.ط، إستانبول: ١٩٩٧م، ص١١٥، ١١٦.

(١) محمد فريد المحامي، مصدر سابق، ص٣١٢. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣٣، انظر بسام العسلي: ج٥، مرجع سابق، ص٢٠١.

أصابهم، جاء نتيجة العناصر الفاسدة التي دخلت فيها وأدخلت مفاهيم جديدة عليها.

وبالطبع بدأت الإنكشارية تثور على أحمد الثالث بسبب هذه الأوضاع الجديدة، خاصة بعد تعيين داماد حسن باشا، في منصب الصدارة العظمى، وإنصرافهُ للإصلاح، حيث جدد الترسانة، وأنشأ كثيراً من المدارس، لكن هذه الإصلاحات وكذلك مصاهرته للسلطان، لم تضمن له الحماية، إذ أنه أصبح هدفاً للمؤامرات والدسائس من قبل الإنكشارية، وأعداء الإصلاح، وهم الذين لا يعجبهم وجود رجل حازم يقبض على الأمور بشكل يحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم، فدبروا المؤامرة حتى استطاعوا عزله في ٢٨ جمادى الأولى ١١١٦هـ ٢٨ سبتمبر ١٧٠٤م.(١)

ومن بعده كثر تغير الصدور العظام في عهد أحمد الثالث تبعاً لأهواء الإنكشارية ورغباتها (٢) فقد جاء نعمان كوبريللي في الصدارة العظمى، وحاول أن يأخذ على عاتقه مهمة إصلاح الإنكشارية ودفع رواتبهم بانتظام منعاً لأي تمردات قد يقومون بها لكنه للأسف لم يستمر في الصدارة العظمى. (*) وعين

---

(١) محمد فريد المحامي، مصدر سابق، ص٣١٢. انظر بسام العسلي: ج٥، مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣١٢.

(*) لقد كان هذا الصدر الأعظم متحلي بصفات جده وأبيه، وكان يأخذ رواتب الإنكشارية من بيت المال، ولا يأخذها قسراً من الأهالي بالظلم والجور، ولكن هذا لم يعجب السلطان إذ أنه لا يريد أن يخرج مال من الخزينة، وعندما سأل الصدر الأعظم أن سلفه وجدوا طريقة أخرى لرواتب الجند، فرد عليه نعمان أنه إذا كان سلفه يجيدون أسلوب سلب الناس لزيادة دخل جلالتكم، فمن دواعي فخري أن أجهل هذا الأسلوب، فلم يعجب هذا السلطان وعزله. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٧٤، ٣٣.

وهو الابن الأكبر لفاضل مصطفى باشا، دخل الديوان الهمايوني ليصبح الوزير السادس =

بدلاً منه إبراهيم باشا، والذي أراد توفير الرواتب للإنكشارية، لأن السلطان رفض أن يؤخذ من المال الذي يدخل في الخزينة، مما جعل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، يفرض ضريبة جديدة أسمها " بدل " على التجار وأصحاب الدكاكين، لكن هذه الضريبة جاءت بنتائج عكسية حيث أن كثيراً من التجار كان من الإنكشارية، الذين يمارسون البيع والشراء فبداوا في التذمر علانية، ولكن ولاة الأمر لم يأخذوا هذا التذمر في الاعتبار، حتى تطورت وأصبحت فتنة في البلاد، فقد حدث أن ثلاثة من أفراد الإنكشارية قد أثارت حنقهم هذه الضريبة لأنهم كانوا يتاجرون في التجارة البسيطة مثل الملابس القديمة، أو الفواكه أو القهوة، لذلك أخذوا يصيحون ويشتمون الصدر الأعظم، وصار ينضم إليهم الإنكشارية وأفراد الشعب، حتى كثر عددهم شيئاً فشيئاً، وأخذوا قطعاً من الملابس القديمة التي كان يبيعها أحدهم، وساروا في الطرقات مستلين سيوفهم، يخربوا كل من يعترضهم، وفسدوا في العاصمة، ودخلوا البيوت ونهبوها وقتلوا أهلها، ثم حاصروا القصر السلطاني وطالبوا بقتل الصدر الأعظم، ونائبه ومساعده، بل والمفتي أيضاً [*]، حتى طالبوا بخلع السلطان نفسه، وسلطوا أفواه مدافعهم على أسوار القصر. [١]

فأجبر السلطان على قتل الصدر الأعظم، ومن شدة خوف السلطان أضطر التنازل عن العرش ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م لابن أخيه محمود الأول، وكانت تمرد الإنكشارية تعبيراً عن غضبهم على المسحة الأوروبية التي طبعت حياة السلطان

= ترقى في الوظائف، وتزوج من عائشة سلطان إبنه مصطفى الثاني، رقي إلى منصب الصدارة العظمى بعد زواجه ولكنه لم يستمر واستقال، ومات و عمره تسعة وأربعين عام، عام ١٧١٩م، ودفن بجامع كوبرللي، كان رجل فاضل تخرج من مدرسة رفيعة المستوى الموسوعة التركية: المجلد ٢٢، أنقرة: دار المعارف، ١٩٧٥م، ص٢٩٣.

(*) ولعدة أسباب أخرى سيتم ذكرها بإذن الله في المبحث القادم.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣٣-٣٤.

وسلوك بطانتهِ، إضافة إلى خوفهم من روح الإصلاح التي بدأت تنتشـر وتظهـر بوادرها، فقلق الإنكشارية على نفوذها.(١) كما أن الاستياء كان شديداً ضد تبذير القصر، وكانت التمرد بـزعامة الألباني باتـرونا خـليل.(٢) كما قتلـوا الصـدر الأعظم والقبودان باشا، ولم يستطع السلطان (*) أحمد منعهم وتساهل معهم كثيراً خوفاً على حياته.(٣) ووصل تطاولهم مداه عندما أرغموا السلطان أحمـد الثالـث على التنازل لإبن أخيه محمـود الأول ١١٤٣هـ - ١١٦٨هـ / ١٧٣٠م -١٧٥٤م وأصبح هو السلطان بالاسم وسيطر على أمور الحكم بترونا خليل قائد التمرد السابقة. (٤)

ونتيجة لانشغال السلطان أحمد الثالـث بمشـاكل الإنكشـارية فـي القصـر وإستانبول، فقد انشغل عن متابعة ما كان يجري حولهُ من تطورات على سـاحة السياسية الخارجية، حيث بدأ بطرس الأكبر العمل على إضعاف من حولـه مـن الأقوياء، أي السويد (**) وبولونيا والدولة العثمانية. (٥)

---

(١) سيد مصطفى - خالد زيادة: مرجع سابق، ص١٦-١٧.

(٢) عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق، ص٥١.

(*) لقد عزل السلطان نعمان كوبريللي لأنه أخذ رواتب الإنكشارية من بيت المـال، وإبـراهيم باشا وفر أموال بيت المال بفرض ضريبة البدل، التي قامت بتمرد ودفع السـلطان ثمـن طمعه.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٨.

(٤) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٣.

(**) بدأ بملك السويد شارل الثاني عشر ودخل معه في معركة خرج منها منتصراً انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣١٢.

(٥) مصدر سابق: ص٣١٢- ٣٢٠. انظر محمد جميل بـيهم: فلسـفة التـاريخ العثمـاني:، ص١٣٦٥

وفي عهد السلطان محمود الأول تتضح لنا رؤية مهمة وهي أن الإنكشارية أصبحت تدمر كل شيء في طريقها حتى وإن كان رجلاً منهم مثلما حدث مع بترونا خليل.(*)

وقد توفي محمود الأول بعد حكم دام خمسة وعشرين سنة ومات وعمره ستون عاماً، وكانت أيامه هادئة وسعيدة لاتصافه بالعدل والرحمة بين جميع الناس، لم يفضل فئة على أخرى وكان يميل للمساواة بين الناس، وفي أيامه اتسع نطاق الدولة في آسيا وأوروبا. (١)

وبالطبع فإن أحوال الإنكشارية قد هدأت وإن لم يخلو الأمر من تدخلاتهم وسيطرتهم على أمور الدولة خاصة في عهد السلطان عثمان الثالث ١١٦٨هـ - ١١٧١هـ / ١٧٥٤م-١٧٥٧م.(٢) والذي بقي فترة وجيزة في الحكم ولكن هذا لا ينكر وجود تدخلات من الإنكشارية إلا أنه لم يرد ذكر أي تمرد أو تدخل في شئون القصر في عهده إذ أنه كان يتفقد أحوال الرعية ليلاً، حيث ينزل متنكراً للشوارع والأزقة،(٣) وهذا يدل على أن الدولة في عهده كانت تسير على ما يرام مما أدى إلى هدوء الإنكشارية وتدخلاتهم.

وعندما تولى الحكم السلطان مصطفى الثالث ١١٧١هـ - ١١٨٧هـ/ ١٧٥٧م - ١٧٧٣م.(٤) أخذ يعمل من أجل الإصلاحات الداخلية، وقد أغفل اهتمامه بإصلاح الإنكشارية مما أدى به إلى مجابهتهم بين الحين والآخر داخل

عبد العزيز الشناوي، ج١، مرجع سابق، ص٥١٨.

(*) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث القادم.

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٢٥.

(٢) مخطوط تاريخ الملوك العثمانية، ورقة ٤.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٢٧٥.

(٤) مخطوط تاريخ الملوك العثمانية، ورقة ٤.

القصر السلطاني فــقط.[١]

تولى بعده عبد الحميد الأول ١١٨٧هـ- ١٢٠٣هـ /١٧٧٣م ١٧٨٨م.[٢] ولكنه لم يوزع العطايا والهبات على الإنكشارية المعتادة عند تولي أي سلطان الحكم وذلك لفرع الخزينة (*)، ولكنه لكي يتجنب ثورتهم أقر كل الموظفين والقادة حتى لا يقع أي خلل من جهتهم.[٣] ولم يذكر أي تمرد في عهده أو تدخل في القصر السلطاني ربما لإنشغال الإنكشارية بالحرب الدائرة بين الدولة العثمانية وروسيا، فلم يكن هناك مجال للتدخل لأن الحرب كانت تضغط عليهم.

وفي عهد خلفهُ سليم الثالث ١٢٠٣هـ - ١٢٢٥هـ /١٧٨٩م ١٨٠٧م.[٤] عادت الإنكشارية وبقوة إلى سابق عهدها في التحكم في السلاطين وفي عزل وقتل من شاءوا.

لقد كانت مشكلة سليم الثالث الوحيدة هي إنشاء " جيش جديد " على النظام الأوروبي وهو بذلك قد خرج من تحت سيطرة الإنكشارية، وكان شغله الشاغل إعادة تنظيم الجيش وتطوير أسلحته.[٥] فكان موقف الإنكشارية يتركز في صدهم للنظام الجديد، ولم تذكر لهم المصادر أي تمردات أخرى لأسباب تأخر رواتب أو ما شابه.

وهكذا قامت بتمرد ضد السلطان سليم الثالث وإصلاحاتهُ أرغمتهُ خلالها على

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٢٩.

(٢) مخطوط تاريخ آل عثمان، ورقة ٣٦.

(*) وذلك لأن الدولة صرفت جميع الأموال في تجهيز الجيوش، للحرب ضد روسيا.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٤١.

(٤) مخطوط تاريخ ملوك العثمانية، ورقة ٤.

(٥) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢٦.

إبطال النظام الجديد، وإرغامه على تعيين بعض من ضباط الإنكشارية في مناصب قيادية في أرجاء القصر والحكومة، وقد تقبل سليم مطالبهم وكأنه دولة مهزومة.(١)

ولأن الإنكشارية خافت من عودة السلطان لمشروع الإصلاح قامت بالتجمع في ميدان آت (*) وقلبوا القدور، علامة على العصيان، وقاموا بقتل رواد الإصلاح، ورصوا رؤوسهم أمام الأهالي، وقرروا عزل السلطان سليم الثالث في ٢١ ربيع الآخر ١٢٢٢هـ/ ٢٨ يونيه ١٨٠٧م ساعدهم على ذلك المفتي الذي أصدر فتوى بوجوب عزل السلطان. (٢)

وقد تعهد شيخ الإسلام بإيصال هذا إلى السلطان، وكان ضالعاً معهم، بتبليغ هذه الفتوى إلى السلطان، وأبلغه هذه الرسالة مظهراً أسفه من هذه الحادثة الجبرية، وقد تقبل هذا الأمر السلطان وغادر القصر السلطاني(٣) ونودي بعد يومين بمصطفى الرابع بن عبد الحميد الأول، سلطاناً وخلفاً لسليم الثالث. (٤)

وهكذا أهمل المشروع الجليل، مشروع الإصلاح، لعدم موافقتهُ لأغراض الإنكشارية المستبدة في القصر.(٥) وانسحب السلطان سليم الثالث إلى قصره، حيث بدأ في تعليم ابن أخيه محمود الثاني أصول حكم الدولة العثمانية، وعلمه كيفية الإحطيات من الإنكشارية وتفادي ضعف السلاطين واعتبار ما حدث تجربة

---

(١) مرجع سابق، ج١، ص٥٢٧.

(*) آت ميدان: إذا خففت لفظه آت فمعناها اللحم وإذا ضمت (أط) فمعناها الفرس، وهو المقصود هنا، أي ميدان الخيل. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٣.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٣. السيد رجب حراز: مرجع سابق، ص ١٧.

(٣) عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥٢٩.

(٤) مخطوط تاريخ آل عثمان ورقة ٣٦.

(٥) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٤.

فريدة من نوعها[١]، تستحق المحاولة مرة أخرى وهكذا وضع عصارة تجربته وعلمه في ذهن محمود الثاني وعمل على إعداده ليكمل المشوار الذي بدأه.

وكان مصطفى الرابع ١٢٢٢هـ - ١٢٢٣هـ / ١٨٠٧م - ١٨٠٨م. ألعوبة بأيدي المتمردين، وكآله يحركونها وقتما شاءوا، حيث كان نصير النظام القديم ومن مبغضين النظام الجديد،[٢] وقد فرح به الإنكشارية كثيراً، لكن الرعب دب في قلوب أهالي إستانبول، فأقفلوا الحوانيت، ثم تقدم المفتي شيخ الإسلام وقائم مقام " موسى باشا " إلى الجموع التي كانت مجتمعه في ميدان آت وأخبروهم أن السلطان وعد بإبطال النظام الجديد، فعادت السكينة والهدوء إلى صفوف الإنكشارية، وصارت السلطة في يد القائم مقام " كوسبح موسى " باشا والمفتي شيخ الإسلام " عطاء الله أفندي ".[٣]

استهل مصطفى الرابع حكمهُ بتثبيت الوزراء في مناصبهم، وأعتمد تعيين قباقجي أوغلي حاكماً على قلاع البسفور، فأعاد الإنكشارية قدورهم إلى ثكناتهم علامة على رضاهم وخلودهم للراحة.[٤] وقام بقتل كثير من ضباط النظام الجديد بناء على طلب الإنكشارية، وقام بإعادة النظام القديم وهكذا سادت القصر الفتن والاضطرابات.[٥]

وقد نال بذلك مصطفى الرابع رضى الإنكشارية، كيف لا وهو من صنع يدهم وهم من نصبوه وموضع ثقة الرجعيين وخصوم التجديد.

---

(١) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٦٩.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٤.

(٣) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص٢٧٨.

(٤) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٨.

(٥) علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٦٩.

وعلى أثر تمرد قباقجي أوغلي واختلاف قادة التمرد، ومحاولة البيرقدار مصطفى باشا إرجاع سليم الثالث للحكم، وعدم موافقة الصدر الأعظم على ذلك، أثرت على مصطفى الرابع وزادت هواجسه، وخاف على نفسه من عواقب الأمور أو أن يصيبهُ سوء، فأنقلب على الإنكشارية، فعزل شيخ الإسلام، وأمر بتسريح فيالق الإنكشارية، وأظهر البيرقدار قائد هذه الحركة بأنه راضٍ تماماً عما حدث، وأضمر محاصرة القصر والمطالبة بعودة سليم الثالث للحكم، وأمر البيرقدار بحبس الصدر الأعظم لأنه عارض في عودة سليم الثالث للحكم، خوفاً مما قد يحدث، فأصبح موقف مصطفى الرابع حرج، حيث خسر أنصاره الإنكشارية، كما خسر أتباع النظام الجديد، فخاف على نفسه والعرش، وأمر بقتل سليم الثالث، وأرسل أناساً لهذا الغرض، فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر فلم يمهلوه إلى أن يتم صلاته، بل وثبوا عليه وأوقعوه على الأرض، وقام مدافعاً عن نفسه، ولكنهم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات، وحملوه للسلطان مصطفى الرابع ميتاً، فأمر بإلقاء جثتهُ من شباك القصر للثائرين، (١) ثم عمد إلى التخلص من قباقجي أوغلي قائد التمرد السابق، (٢) وأعتقد أنه بذلك سيهدأ من تمردهم ويسكن من هياج الإنكشارية، إلا أن هذا العمل جاء بنتيجة عكسية، فقد زاد هياجهم، وقرروا عزل السلطان مصطفى الرابع، وحجزه في نفس المكان الذي كان محجوزاً فيه سليم الثالث، ولم يتم ذلك الأمر حيث تم قتله بواسطة الإنكشارية في قصره ولحق من سبقوه بنفس الشكل. (٣)

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٧. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٨. انظر عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٣٣.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٦٠، ٢٦١.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٧. انظر عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق،ج١، ص٥٣٣.

وهكذا فقد انقلبت عليه الإنكشارية، لأنه حاول إضعافهم بتسريح فيالقهم، مما أدى إلى قتلهِ وهم من وضعوه أصلاً، وسيضعوا محمود الثاني من بعده، وهو من سيقضي عليهم.

وكان مصطفى الرابع قد أمر بقتل محمود الثاني أيضاً ولكن البيرقدار مصطفى باشا، حماه من الموت، حيث سارع لإنقاذ سليم الثالث مع مجموعة من الرجال، ولكنهم وصلوا متأخرين، فعندما وصلوا كان سليم قد فارق الحياة، فأمر البيرقدار المجموعة التي معه، الإسراع لنجدة محمود الثاني لأنه الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان، فأخذت تبحث عنه العساكر في جميع أنحاء القصر، وكان السلطان محمود الثاني قد أصيب في يده بخنجر، عندما هاجمه عساكر مصطفى الرابع يريدون قتله، فوجدوه العساكر من أعلى السرايا، فأنزلوه منها، وقد تهلل وجه البيرقدار مصطفى باشا فرحاً، وأجلسه على كرسي السلطنة، وهكذا فقد نصبتهُ الإنكشارية سلطاناً عليها، فعين مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم، الذي سارع بأخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم الثالث.(١)

وينتهي تدخل الإنكشارية في القصر السلطاني أو في غيره بعهد السلطان سليم الثالث، حيث كان آخر ما قاموا به هو تعيين محمود الثاني في الحكم، والذي لم يعطيهم فرصة التدخل في القصر السلطاني في عهده، حيث واجههم بكل قوتهِ، وشعروا بأنه يريد الإصلاح وأنه يريد وضع نظام إصلاحي، فأصبحوا يتحينون الفرص للقضاء عليه حتى واتتهم الفرصة المناسبة، وحاصروا القصر مطالبين بعودة مصطفى الرابع لكنه كان قد مات، فألقى بجثته من شباك القصر للإنكشارية الثائرة، مما زاد في ثورتهم وهياجهم، فأضرموا النار في القصر السلطاني، لكي يلجئوا الصدر الأعظم على الفرار والخروج لهم حتى يقتلوه، ولكنه دافع عن

---

(١) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٨ – ٢٧٩.

القصر حتى الموت، وانتهى هذه التمرد بحرقهم لأطراف المدينة وأجزاء من القصر حتى رضخ لهم السلطان، مؤجلاً عملية القضاء عليهم حتى يستعد لهم جيداً. (١)

وهكذا دخل محمود الثاني إلى السلطة وهو مصر على القضاء على الإنكشارية وقام بعمل الكثير حتى وصل إلى نهاية الإنكشارية التي كانت معول هدم في داخل القصر أثر بشكل سلبي على الدولة العثمانية وتطورها.

غير أن ذلك لم يمنعه في بعض الأحيان من صرف أموال على سبيل المكافأة لهم أوالهدية، حتى تأتي إليه الفرصة المناسبة للتخلص منهم. (٢) لكن تدخلهم في السياسة العليا أثر على استمرار أوتوقف الحروب، أو انسحاب جيش، وبالتالي أثر على موقفها بين دول أوروبا وروسيا، مما أضعفها فاستطاعوا التغلب عليها.

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٩-٤٠٠.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول. خط همايوني رقم الوثيقة ١٥٢٣٦ H.H.

المبحث الثالث

تدخلهم في مسائل السياسة العليا

لقد كانت الإنكشارية سلاحاً حاداً رهيباً استطاعت الدولة العثمانية من خلاله تحقيق أكبر انتصاراتهم، وفتوحاتهم، كان الجيش العثماني يخوض غمار المعركة ضد أعتى الجيوش وأقواها، ولكن شيئاً فشيئاً تبوأت الإنكشارية مركزاً مهماً في الدولة، وأصبحت قوة خطيرة تحكمت ردحاً من الزمان في السلاطين وفي السياسة الخاصة بالدولة.

حيث بدأوا يشكلون خطراً على الدولة بتدخلاتهم في القصر كما سبق وأن أوضحت، وكذلك تدخلهم في المسائل السياسية العليا حيث رفضوا التقدم في حرب أو الخروج لمعركة وغير ذلك ممّا أثر بشكل سلبي على كيان الدولة من الداخل، إضافة إلى هذا أن الإنكشارية أدركوا أهميتهم في المعارك ومقدرتهم القتالية فداخلهم الغرور، وبدافع هذا الإحساس وصلوا إلى أعلى مستوى وزجوا بأنفسهم في السياسة العليا للدولة، وهي بالطبع مسائل ليست من اختصاصهم وكانوا يطالبون بخلع السلطان القائم بالحكم بمقولة أنه ليس له نشاط حربي، ويتدخلون في اختيار السلطان الجديد.

وتدخل الإنكشارية في السياسة العليا كان له أبلغ الضرر على الدولة حيث أنه عندما تسيطر عقلية عسكرية على الحكم، فإن هذه الدولة كتب عليها الهلاك لأن رجل الجيش، يفكر بالسيف فقط، لا يفكر بعقله وهو في نفس الوقت ليس رجل سياسة وإنما رجل حرب وفتح بلاد وحصون، وحكمهُ يصبح ليس فيه أي مرونة أو ليونة، إضافة إلى أن الإنكشارية، ستتخذ من أسلوب التمرد وسيلة لتحقيق رغباتها، ولن تبقى في الثكنات العسكرية للتدريب، وإنما ستتدخل في السياسة،

مما جر على الدولة المصاعب والنكبات. (١)

أصبحت الإنكشارية هي القوة المتحكمة تماماً في سير السياسة فإذا لم تكن ترغب في شيء قضت عليه، وهذا ما حدث بالنسبة للإصلاح، فقد استطاعت أن توقفه لأنه ليس في مصلحتها.

وقد صدق المؤرخون عندما قالوا عنهم أنهم تحولوا من "ضباط أمن ودفاع " إلى " آلات شر وفساد " فقد تضاءلت صلاحيتهم في وظيفتهم الأساسية الحرب والقتال، وتفاقمت سلطتهم على الناس والأرواح، وكثر تعديهم على الأموال و الأعراض.

ونجد أنهم لم يتركوا سلطاناً إلا وأدخلوا أراءهم في سياسته العليا.

أول ذكر لتدخلهم في السياسة العليا في عهد بايزيد الثاني ٨٨٦ هـ - ٩١٨هـ / ١٤٨١م - ١٥١٢م، فقد ساد، الهدوء في بداية عهده، ولكن الإنكشارية ظلت تتحين الفرصة لتستهتر بأوامر السلطان بايزيد، خاصة مع طول المدة التي بقوا فيها بلا حرب، وجاءتهم الفرصة مناسبة عندما آوت مدينة بروسة (*) الأمير جم (**)، فساروا إليها وهموا بسلب المدينة، ولم يوقفهم عن هذا الأمر إلا دفع السلطان بايزيد لهم ألف أقجة لكل جندي. (٢)

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٣.

(*) بروسه مدينة تقع في الأناضول. بنيت على سفح جبل، أسسها ملك بيثينيه، بروسه بروسياس الثاني لها أهمية تجارية،واستراتيجية في الدفاع ضد الأتراك فتحها أورخان سنة ٧٢٦هـ - ١٣٢٥م وجعلها عاصمة ولاياته.س. موستراس: مرجع سابق، ص١٥٧، ١٥٨.

(**) طوال فترة حكم السلطان بايزيد الثاني كان على خلاف مع اخيه جم على العرش وهذا ما جعله يوقف الفتوحات على الجبهة الخارجية، ويتفرغ للجبهة الداخلية،.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٢.

وعلى هذا نرى أن تمردهم كان في البداية كشعلة صغيرة في الهشيم لكن رغبة السلاطين في استمرار الفتوحات ونشر الإسلام جعلهم يتحملون مطالب الإنكشارية وتمرداتهم المبكرة جداً. خاصة وأن لهم الفضل بعد الله في الفتوحات ونشر الإسلام.

وبذلك أعتلى العرش سليم الأول، والذي اعتبرته الإنكشارية مديناً لها بحياته والعرش، فأغدق عليهم الهدايا، إلا أن هذا لم يجدي نفعاً، فقد اسهموا في تقليص الفتوحات، وتمردوا عليه رغم قوة شخصيته وصرامته، ورغم محاولته أن يربطهم مباشرة بشخصه، إلا أن ذلك لم ينفع. (١)

ومع هذا فقد ظل خطر الإنكشارية جاثماً على الدولة العثمانية وعلى سليم الأول بالأخص، إذ أنه رضخ لرغباتهم في توزيع العطايا، لكن سرعان ما ظهر نفوذهم وتدخلهم الصريح في السياسة العليا بعد عام ونصف في حرب سليم الأول ضد الشاه إسماعيل الصفوي، وكان تدخلهم ينذر بخطر شديد. (٢)

وقد كانت أبرز أخطار الإنكشارية في عهد سليم الأول هي تسببهم في إيقاف بعض الفتوحات، مثل إيقاف الحرب في بلاد فارس، بل وقطع رأس الصدر الأعظم ورأس قاضي العسكر، ورأس قائدهم أيضاً. (٣)

وتفصيل هذه التمردات أنه في أثناء حرب الدولة العثمانية مع الدولة الصفوية في فارس، وأثناء سير السلطان سليم خلف خصمه الشاه إسماعيل الصفوي، وكان سليم معسكر في منطقة " أق ده " القريبة من قلعة " كماخ " حيث تبادل الرسائل مع الشاه إسماعيل الصفوي ولكن دون نتيجة وبقي سليم على رأيه

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٠.

(٣) محمد أنيس: مرجع سابق، ص٧٨.

يسعى خلف خصم لم يخرج لمقابلته، في الوقت الذي دمر فيه هذا الخصم الجسور وحرق الغلال وأعلاف الحيوانات، فبدت خطة الشاه إسماعيل في الأفق للإنكشارية، وهي أن يخوضوا في الأراضي دون مؤن أو أعلاف، خاصة وأن المواد الغذائية بدأت تقل في توزيع الجرايه اليومية، فبدأت همسات ولمزات الإنكشارية، وكذلك أصوات التذمر في الارتفاع، ولأن الوزراء ومستشارين السلطان خافوا من تجيش الجيوش دون فائدة، حاولا إيصال(*) هذا المعنى إلى السلطان سليم، لكن دون فائدة، خاصة وأن الإنكشارية قد قطعوا المسافات الطويلة دون أن يقابلوا هذا العدو الذي أتوا لمحاربتهِ، وبدأ عليهم الإرهاق والتعب وعدم الرضا، وقد تمت تهدئتهم قليلاً بعد أن عين " زينل باشا " في قيادة الجيش بدلاً من همدم باشا"(**)(١)

في هذه الأثناء كانت موقعة جالديران(***) على الأبواب، أشيع بين الجنود أن السلطان مصمم على السير إلى تبريز وفتحها، ولأن الإنكشارية قد سئموا من طول الطريق ومتاعب السفر، إضافة إلى قلة المؤن، ثارت الإنكشارية للمرة

(*) وقد كلفوا همدم باشا بكلربيك قرمان بمهمة إيصال تذمر الإنكشارية للسلطان وكان رفيق صباه وكانت مهمته صعبة وشاقة خاصة مع مزاج سليم المتعكر، وقد باءت مهمته بالفشل ودفع حياته ثمناً لها، انظر محمود حسن الصراف: معركة جالدران ٩٢٠ هـ - ١٥١٤م، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م، ص٨١.

(**) ذكرت بعض المصادر التاريخية أنهم أثناء هذا التمرد أطلقوا الرصاص على مقر قيادة السلطان، وأثاروا عليه لواء الوكلاء، راجع إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٧. ولكن لم يأتي ذكر هذه الحادثة في مرجع أو مصدر آخر.

(١) محمود حسن صراف: مرجع سابق، ص٨٠-٨١.

(***) جالديران: تقع صحراء جالداران في شمال غرب مدينة خوى، وتبعد عن مدينة تبريز ٢٠ فرسخاً. وكانت من توابع ولاية " يخور سعد " الأرمينية، محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص٨٦.

الثانية ولكن هذه المرة اختلف أسلوبها عن سابقتها، فقد كان الفضل في تهدئتهم في المرة الأولى يرجع إلى سياسية همدم باشا، وهذه المرة جاء التمرد على شكل عصيان عسكري فقد وضعوا بنادقهم على الأرض وعلقوا عليها أحذيتهم، وهـذه الأعمال في عرفهم تدل على أنهم لن يتحركـوا خطـوة واحـدة إلا فـي إتجـاه إستانبول.(١)

فتنبه السلطان للموقف المتدهور، وبدأ في علاج الأمر وقد أرسل منـدوبين من قبلِه لمقابلة ممثلي الإنكشارية، والذين قالوا ما يلي:

" لقد حضرنا للحرب، والحال أننا لسنا أمام عدو حتى نحاربه، وإلى أين يمكن الذهاب في هذا البلد الخرب؟!! إن سفرنا الطويل وقلة المؤن " الجراية والعلوفة " قد أصابت خيول الفرسان والمدفعية بالتعب والإرهاق، والجـيش الذي أصيب بالتعب والإرهاق لن يتمكن من التعامل مع جيش العدو المحتفظ بقوتِه، علاوة على أنه في حالة الدفاع. تقصير من هذا؟وهذا العار الذي لحـق بنا أسوأ لنا من الموت، ويمكن إرسال شخص إلى "أردبـيل أوغلـو " أي الشـاه إسماعيل ليغقد معه صلحا.(٢)

وعلى أثر هذا الحديث اضطر السلطان إلى الخروج بنفسِه من مقر القيـادة، ليتحدث معهم، واكتفى بتهديدهم، ولمح إلى تحقيق رغبتهم كذلك، كما أنه أشـاع بين الإنكشارية عن طريق جواسيسه أنه سيعقـد صـلح مع الشاه إسماعـيل بمجرد وصوله إلى مديـنة " خوى " بتكليف العلماء بهذا الأمر، وإذا لم يتمكنـوا من عقد الصلح فإنه لا مفر من الحرب. وهكذا نجحت خطة السلطان وهدأت ثورة

---

(١) محمد حسن صراف: مرجع سابق، ص٨٤-٨٣.

(٢) مرجع سابق: ص٨٣.

الإنكشارية، وعاد كل فرد منهم إلى وحدته وتحرك الجيش بإتجاه " خوى"(*).

وكانت هذه الأخبار قد وصلت إلى الشاه إسماعيل، فـأراد اسـتغلال وضـع الجيش العثماني للنيل منه، وهو في حالة الإجهاد والإحباط النفسي وعدم الاتزان، فتحرك صوب " خوى " وقد وصلت هذه الأخبار لسليم عن طريق جواسيسه (**)، وفي أثناء سير سليم إلى " خوى " جاءته رسالة من الشاه إسماعيل تفيد بأنه قرر الحرب وحدد سهل جالداران مكاناً لها، فتحرك سليم فوراً لأرض المعركة، وفـي هذا كان راحة لسليم لخوفهِ من التقدم أكثر في شـمال غـرب فـارس لتعرضـه لعصيان الإنكشارية من جديد،(١) وهكذا وقعت معركة جالديران (***) الشهيرة في

(*) خوى: تقع في ولاية طرابزون، لواء كردستان، على البحـر الأسـود. س. موسـتراس: مـرجع سابق، ص٢٦٠.

(**) لقد جاءت الأخبار تفيد بأن حاكم ديار بكر محمد خان أستاجلو وهـو أحـد قـادة الشـاه إسماعيل، قد وصل بجيشه إلى خوى، وأن الشاه أصبح قريباً منه، ثم جاءت رسالة أخرى تفيد أن الشاه قد التقى مع قائدهِ في خوى على رأس قوة القزلباش، وهذ المعلومة جاءت من شهسوار على بيك أحد قادة فرق الفرسان العثمانيين، وهذا الخبر أسعد سليم نوعاً ما فأهدى هذا القائد فرساً قيماً مرصعاً سرجه ولجامه بالياقوت والزمرد، وكانت هذه الهديـة دليلاً على الفرحة بهذا الخبر، لأن سليم كانت حالته النفسية سيئة للغاية، وقد كـان مثـل هذا الخبر سيريحه من مغبة التقدم دون معرفة النتيجة لأنه سيتعرض بلا شـك لعصـيان وتمرد الإنكشارية، إضافة إلى تعريض جيشه للدمار والخطر الكبير.

(١) محمود حسن الصواف: المرجع السابق، ص٨٣-٨٦.

(***) موقعة جالديران: لها أهمية تاريخية بالغة، حيث بلورت العداء الديني والسياسـي بـين الجارتين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وكانت محصلة طبيعية للعلاقـات السياسـية العدائية بين الطرفين، وأصبحت الأمور فيما بعد نتيجة للعاطفة الدينيـة الجياشـة لكـلا الشعبين التركي والفارسي، أصبحت العصبية المذهبية عصبية سياسية، أي العداء بـين السنة والشيعة، وأصبح العالم الإسلامي منقسم إلى قسـمين السـنة وتتزعمهـا الدولـة العثمانية، والشيعي وتتزعمها الدولة الصفوية، مما كان له أبلغ الأثر السيئ على =

فجر يوم الأربعاء ٢ رجب ٩٢٠هـ والموافق ٢٢ أغسطس ١٥١٤م، وتلا ذلك بعدة أيام دخول تبريز، وقد دخلها سليم منتصراً واستولى على كنوز الشاه وتحفه ونساءه، وانتقل سليم من نصر إلى آخر متوغلاً في أراضي الدولة الصفوية، وتراجع الشاه إسماعيل إلى داخل بلاده خوفاً من الوقوع في الأسر، وكان سليم في قمة انتصاره. (١)

وقد أراد سليم اكتساح بلاد فارس، لكن هذا الأمر لم يتم إذ سرعان ما حدث تغير في الموقف الحربي، فلم تطل إقامة سليم في تبريز أكثر من ثمانية أيام، بسبب عدم رغبة الإنكشارية، في البقاء، أو الموافقة على خطط سليم العسكرية، وبدأوا يلحون في العودة لديارهم، وبدأوا حركة عصيان وتمرد ثالثة، على الرغم من أن السلطان بمجرد نزولهُ في تبريز، إذا لم يمض يومان إلا وكان قد دفع لهم رواتب ثلاثة شهور دفعة واحدة كمكافاة لهم على الانتصار في المعركة، إلا أن هذا لم يمنعهم من التمرد والامتناع عن تناول الطعام في وقت الظهيرة، بل وقلبوا قدورهم أمام الخيام. وكان هذا دليل على اعتراضهم وعدم رضاهم. (٢)

وهكذا نجد أن العطف الذي أحاطهم به سليم من البداية لم يكن ذا فائدة فعندما أمرهم سليم بمواصلة الزحف في بلاد فارس، رفضوا الامتثال لأوامره والتقدم إلى ما بعد نهر آراس (*)، بحجة البرد القارس وقلة المؤن وقد صدق

= الدولتين. محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص١٣٨.

(١) عبد العزيز الشناوي، ج١، المرجع السابق ن ص٥١٠. انظر محمود حسن الصراف:مرجع سابق، ص٨٦.

(٢) مرجع سابق، ص١١٧ راجع بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص١٥٢.

(*) هو نهر اراس Aras وهو ينبع من جنوب تركيا ويمر بشمال إيران ثم روسيا ويصب في بحر الخزر. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٩١.

القول فيهم " فإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً "(١)

في الناحية المقابلة كان الشتاء على الأبواب، والجيش قد عضه الجوع، لقلة المواد الغذائية في هذه البلاد، خاصة وأن الشاه إسماعيل قد أمر بحرق المؤمن والغلال التي في تبريز وقراها، ودمر مصادرها تماماً، لكن السلطان استطاع بصعوبة بالغة توفير الغلال من قمح وشعير لقواته، والأعلاف للدواب، وقد كلفته مبالغ طائلة في شرائها من أرمينيا وكردستان، وكذلك في نقلها، ومن هذا المنطلق، رأى أنه من الصعب توفير المؤن اللازمة للجيش خلال فصل الشتاء لارتفاع تكاليف شرائها ونقلها من ناحية، ومن الناحية الأخرى انقطاع الطرق بسبب تراكم الثلوج في المنطقة، فأجل فتح تلك البلاد إلى فرصة أخرى، وقرر الرجوع إلى بلاده أماسيا ليقضي فصل الصيف فيها ويستأنف الحرب في الشتاء، ولكن الإنكشارية عندما علموا بذلك ثاروا وهاجوا وأقسموا على أن ما من قوة في الدنيا تستطيع إجبارهم على التوغل في تلك البلاد الفيافي الجرداء. (٢)

وقد استدعى السلطان سليم أغا الإنكشارية وجماعة من قادتهم وكان في حالة غضب وسألهم لماذا لم يتناول الجنود طعامهم، وما هو سبب عدم رضاهم، بالرغم من أنهم أخذوا رواتب ثلاثة شهور، وحصلوا على جزء كبير من الغنائم، وعطايا الفتح،فماذا يريدون؟ أجابه أغا الإنكشارية، أن مطلبهم الوحيد هو الاكتفاء بهذا الفتح الكبير والعودة إلى آسيا الصغرى بأسرع ما يمكن. فأمهلهم السلطان مدة ٢٤ ساعة ليقدموا ردهم كتابة ليتسنى دراسته. (٣)

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق: ص١٩١. انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٣.

(٢) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص١١٧-١١٨. انظر حبيب السيوفي مرجع سابق، ص١٧. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٩١.

(٣) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص١١٨.

وفي اليوم التالي ذهب أغا الإنكشارية إلى السلطان سليم وقدم عريضة (*) موقعة من ضباط وجند الإنكشارية، أصروا على عدم محاسبة أهل فارس، وذلك لأنهم مسلمين وموحدين بالله، ولكن يختلف مذهبهم، وقد تأثر سليم بهذه العريضة جداً، وطلب من العلماء والقضاة والمفتي أن يعرف فتواهم في مذهب الشيعة هل هو حق أم باطل؟

وقد تدارس العلماء هذا الأمر وخرجت فتواهم (**) بأن هذا المذهب باطل ويجوز محاربتهم لأنهم حللوا أكثر الأفعال المحرمة، والذي حلله الله حرموه ويغيرون في أحكام القرآن، وقد أرسل سليم إلى الإنكشارية نسخة منها، ليقرأ على الجنود، ولكن لم تهدأ ثورتهم إلا ظاهرياً، وبدأوا في ممارسة أعمالهم اليومية داخل معسكراتهم، إلا أنهم كانوا لا يزالون في داخلهم يرددون أن محاربة الفرس ليس لها داعي لأنها بدون سبب. حتى أنه في نفس الليلة قد أطلقت ثلاث سهام على مقر إقامة السلطان ومزقت خيمته وبحث في هذا الأمر ولم يجد نتيجة. وإزاء هذا الموقف قرر السلطان نهائياً العودة إلى إستانبول. (١) وقد خاف سليم من تمردهم مرة أخرى، وهو بعيد عن قاعدة دولته مما قد يعرض الجيش للتمزق، وكان تقدير السلطان للموقف الحربي أن الانسحاب هو أخف الضررين، خاصة وأنه خاف من أن ينتهز الشاه إسماعيل هذه الفرصة الذهبية، ويعيد ترتيب جيشه، ويعاود الهجوم على الجيش العثماني وينال منه وتصبح الانتصار هزيمة، فآثار سليم الرضوخ لرغبتهم والعودة. (٢)

وترى الدراسة أن في تمرد الإنكشارية بعضاً من الحق حيث أن المدة طالت،

(*) لمراجعة نص العريضة. انظر الملاحق.

(**) لمراجعة نص فتوى العلماء والقضاة انظر الملاحق.

(١) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ص ١١٨-١٢٠.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٤٩٥-٥١٠.

وظروف الطقس سيئة، إضافة إلى أن قلة المؤن الغذائية والأعلاف زادت من الأمر سوءاً، كما وأن سليم لم يستمع لهم في البداية وقتل همدم باشا، ولكن تمردهم لا يصل إلى درجة إيقاف الحرب، وإنما كان يكفي إظهار عدم الرضا والسخط فقط خاصة وأن سليم قد رضاهم بالعطايا، أما بالنسبة لعدم اقتناعهم بقتال الصفويين الشيعة فهذا غير وارد لأنهم عندما خرجوا للحرب كانوا يعلموا أنهم ذاهبين لحرب الدولة الصفوية واعتبروه جهاد للقضاء على المذهب الشيعي.

وقد كان في أثناء الإعداد للحملة، أن خاف قادة الجيش والوزراء من بعد المسافة ووعورة الطريق، ولكن حدث ما ثبت عزم السلطان هو أن أحد أفرد الإنكشارية ويدعى عبد الله أرتمى على قدمي السلطان وقال:

> " يا مولاي لا تتردد في هذا الجهاد المقدس، ولكن موافقاً دائماً وسيفك بتاراً. إن جنود الإنكشارية معك، وسوف يرافقونك إلى أي مكان تتوجه إليه، ونحن في انتظار أوامرك لمحاربة " أردبيل أوغلي".

ومن هذا النص يتضح تصميم الإنكشارية على الحرب، وأصبح الوضع واضحاً ومهيئاً للمسير وقد نال هذا الجندي استحسان السلطان، لدعاءه ورجاءه، حتى أنه رفع درجتهُ من قائد فصيلة إلى درجة أعلى بجانب ولاية سالونيك. (١) وهذا يدل على أن الإنكشارية كانت تعلم وجه الجيش ومن سيحارب، فتّمردهم إذاً لم يكن بسبب الذي ذكروه في العريضة، وإنما كان فقط لخوفهم من قلة المؤن، ولطمعهم في عطف السلطان، ورغبتهم الحقيقية في العودة لبلادهم.

على أنه يوجد أسباب أخرى لمطالب الإنكشارية، مثل سوء الأحوال الجوية في فارس، إضافة إلى أنهم تذرعوا بحجة الاكتفاء بهذه الفتوحات في بلاد أرمينية

---

(١) محمود حسن الصراف: المرجع السابق ن ص٤٩.

وما بين النهرين، كما أوضحوا أنه من الصعب تعقب الشاه إسماعيل الصفوي، لوعورة المسالك وكثرة المستنقعات ووجود الهضاب المرتفعة. (١)

و يوجد سبب آخر لتمرد الإنكشارية وإذ لم تذكره أغلب المصادر، فقد ذكر في مصدر واحد، حيث أوضح أن الإنكشارية كانوا لا يرضخون لرغبة السلطان إذ ما قام بعمل لا يعجبهم فلم يقبلوا أن يأخذ سليم بهروزه هانم (*) زوجة الشاه إسماعيل المسلمة، وإزاء هذا الموقف، وحتى لا يكون سليم عرضة للقيل والقال من قادة الإنكشارية فزوجها لقاضي عسكر الأناضول، لكن هذا الزواج كان مشئوم، إذ لم يمض شهران حتى ثارت الإنكشارية أثناء طريق العودة في أماسيا، واستمرت ثورتهم عشرة أيام، وصبر سليم عليهم حتى وصل إلى إستانبول. (٢)

وقد قرر سليم على إثر تمرداتهم المتكررة هذه أن يتخلص من رؤوس الفتنة والمحرضين على التمرد، خاصة وأنه سمع من الإنكشارية تكرارهم لاسم إبنهُ سليمان، فقلق وخاف من أن يفعلوا مع إبنهِ ما فعلوه معه ضد إبيه بايزيد، وعندما أقترب من مشارف إستانبول أمر بنقل الإنكشارية عبر البحر، وحينما رأوا الإنكشارية أنفسهم في هذا المأزق، ليس لديهم رواتب أو سفن تدخلهم العاصمة، فخمدت ثورتهم، وذهبوا إلى أبواب العاصمة، حاملين عصيهم البيضاء دليل السلم، وطلبوا السماح من السلطان مظهرين الندم على ما فعلوا،(٣) فاجتمع بكبار شخصيات الإنكشارية وتحدث معهم على الثورتين المذكورتين وعرض

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٠.

(*) بهروزه هانم هي زوجة الشاه إسماعيل والأقرب إلى قلبهِ، ونفسه من بقية زوجاته، وقد حاول استردادها مرات عدة من الأسر لكن سليم لم يوافق ولم تكتب أخبار كثيرة عنها احتراماً لسيدهم وإمام الشيعة. محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص١١٠.

(٢) محمود حسن الصراف: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) حبيب السيوفي: المرجع السابق، ص١٧.

أسماء مثيري التمرد، وأصدر أمر إلى قاضي أدرنه يتضمن تنفيذ حكم الإعدام فيهم.[١] ثم أحضرهم مكبلين بالحديد وضرب أعناقهم وتخلص من رؤوس الفتنة عند أسوار المدينة، ثم سمح للباقي بالعودة لثكناتهم، كما جعل لنفسه الحق في تعيين القائد العام لهم، بدون أن يكون من قادة الإنكشارية وذلك لضمان السيطرة عليهم.[٢] وفي أثناء ذلك قام بالتخلص من قاضي العسكر جعفر جبلي زوج بهروزه هانم، وقتله، وهكذا انتهت قصتها ولم يعرف مصيرها.[٣] وبعد هذه الأحداث والتمردات والقضاء على من قام بها لم يسمع بعد ذلك عن ثورات أو تمردات للإنكشارية داخل إستانبول[٤] ولكن خارجها سيكون هناك ثورات كما سيأتي ذكرها.

لقد كانت لهم تدخلات في أثناء ضم مصر فقد حصل بين الإنكشارية وبعضهم اختلاف وارتفعت أصواتهم وأرادوا الهروب من ساحة المعركة، ولكن خافوا من عار الهزيمة، فآثروا البقاء والتصالح والانقضاض على العدو، وقد سمع سليم الأول أصواتهم فوقف ينظر إليهم، فاعتقدت الإنكشارية أن السلطان يريد تركهم فأحاطوا بجواده، وقالوا له بلسان واحد أين تذهب هل تسلمنا للموت وتنجوا أنت بنفسك، قف وأثبت أما تغلِب أو تُغلَب.[٥]

---

(١) أرشيف توب قابي سراي: تصنيف E ١١٤٥٧ محمود حسن الصراف: المرجع السابق، ص١٢٧.

(٢) حبيب السيوفي: المرجع السابق، ص١٧. أنظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٣) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص١٢٨. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص١٩١.

(٤) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٨.

(٥) محمد الزنبلي الرمال: سيرة الجراكسة وما وقع بينهم مع السلطان سليم بن بايزيد بن =

هذه الحادثة إن هي صغيرة وغير محدده بزمن أو مكان ولكن تدل على مدى استعدادهم للثورة والتمرد، على الرغم من أنهم جنود دربوا على الحرب وليس العصيان.

لقد كانت لهم حركات تمرد في القاهرة ففي ٤ شعبان ٩٢٣هـ / ٣١ أغسطس ١٥١٧م حدثت واقعة مهولة، حيث قبض السلطان على حوالي أربعين من جنود الإنكشارية وقد أمر بشنق جماعة منهم، وقطع أيدي البعض الآخر، وذلك لأنه ثبت عليهم أنهم أرادوا قتل السلطان أثناء تواجده في مقياس النيل كما وأن السلطان أراد معاقبتهم على ما فعلوه مع خاير بك(*) في نفس السنة يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان ٩٢٣هـ / ٢٤ سمبتمبر ١٥١٧م حيث أرسل إليه بخبره بأن الإنكشارية ثارت وطالبت بأن يجعل لهم كل يوم لحم وعليق مثل المماليك سابقاً.(١)

وقد أحس السلطان سليم الأول نزعة الإنكشارية نحو التدخل في السياسة العليا والتمرد العسكري، وقد وضحت له هذه الأمور منذ الأيام الأولى لحكمهِ وفي

= السلطان محمد الفاتح القسطنطينية من الحروب والقتال. مخطوط ورقة ١٤-١٥.

(*) خاير بك أول أمير أمراء للعثمانيين على مصر. أصله شركسي ولد في إقليم قراج عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م تربى في قصر قايتابي، وصار من مماليك قايتباي، تدرج في الوظائف، حتى أرسل إلى السلطان بايزيد الثاني رسولاً بهدايا قيمة، وقد شكل دوراً أثناء ضم سليم الأول لمصر، ودوره الجيد انعكس في توليه منصب والي مصر لما له من معرفة ودراية بأحوال مصر والمماليك وقيادة العرب، وقد نظم علاقة الأمراء العثمانيين والجيوش والمماليك وشيوخ العرب كان يقدم كل عام مقدار من خراج مصر وبارود وجنود أحياناً توفي عام ٩٢٨ هـ - ١٥٢٢م. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني بتركيا، ج١٧، د. ط، إستانبول: ١٩٩٨م، ص٤٩ - ٥٠.

(١) ابن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت، ج٥، ص ٢٠٢ - ٢١٠.

أثناء حربهِ في بلاد فارس، فرأى أن يحد من قوة الإنكشارية بعد ما أحس بضغطهم الشديد عليه، وكسر حدة قوتهم، وجبروتهم، مع الإبقاء عليهم كتنظيم عسكري في الجيش، والاستفادة منهم كقوة مشاة لها ثقلها في الحرب، فقام بتوزيعهم على البلاد المفتوحة، فعندما ضم بلاد الشام سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ثم ضم مصر ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، ترك قوات في الإقليمين لتعزيز القوات العثمانية في المنطقتين ولدعم الحكم العثماني من ناحية، وتشتيت جموع الإنكشارية من ناحية أخرى ومنع تجمعهم في العاصمة، وعندما عاد سليم الأول إلى إستانبول، تلقى نداء استغاثة من خير الدين (*) بربروسا، ليعاونه في جهاده ضد الأسبان، فأرسل له السلطان سليم الأول عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ألفين من الإنكشارية، كإجراء سريع، ولدعم حركة الجهاد الإسلامية في شمال إفريقيا. كما سمح له بتجنيد الأهالي من الأناضول حتى يتمكن من مواجهة الأخطار المسيحية الصليبية، وقد أقبل أهالي الأناضول على هذا التجنيد طمعاً في الغنائم من ناحية، وإسهاماً في حركة الجهاد الديني من ناحية أخرى، هذه الأعمال جاءت متماشية مع سياسة سليم الأول في تفريق الإنكشارية وهي السياسة التي أرسى قواعدها إتجاه الإنكشارية (١). وذلك لأنهم إذا بقوا في العاصمة مجتمعين صاروا قوة كبيرة يصعب التغلب عليها في حالة أي تمرد.

(*) خير الدين بربروسا " أي حمر اللحية " أصله تركي نشأ في جزيرة مدللي، في بداية حياته مارس التجارة، ثم أسس قاعدة في جربه بتونس، انطلق منها إلى الجهاد البحري وقد صار اسم بربروس يثير الرعب والذعر في قلوب القوى الصليبية في البحر المتوسط وعلى رأسها الأسبان. أنظر عبد اللطيف محمد الحميد: موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين في الأندلس، الطبعة الأولى، الرياض: العبيكان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٧٦.

(١) عبد العزيز الشناوي:مرجع سابق، ج١، ص٥٠٠. محمد سهيل طقوش:مرجع سابق،ص٢٥٠.

في أعقاب معركة مرج دابق ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، أعتقد الأهالي أن البلاد ستخلد للراحة، ويرفرف عليها طير السعادة، لكن الوضع لم يصبح، إذ زادت الضرائب وصارت تجمع بقسوةٍ، وزاد فساد الإنكشارية فكانوا يجمعوا الأخضر واليابس في القرى، خاصة وأن الإنكشارية كانت تنتشر في القرى، وفي هذا الوقت يزيد الاعتداء على بيوت الأهالي وعلى أموالهم وأعراضهم، ويكثر خطف النساء من الطرقات وهكذا. (١)

وقد كان لهم تمرد في القاهرة حيث تذكر المصادر حادثة في يوم الإثنين ٢٧ محرم ٩٢٤هـ/ يناير ١٥١٨م إذ طلب خايربك (*) والي القاهرة من جنود الإنكشارية السفر للشام، ولما جاء يوم الإثنين ولم يخرج الجنود وأظهروا العصيان على السفر، قرّر خايربك الخروج لهم والقبض عليهم، فنزل من قلعة قايتباي إلى مشارف القاهرة، وحدثت فتنة واشتباكات بين جند خاير بك وجند الإنكشارية، حتى أن الناس خافوا على بضائعهم من نهب الجنود فنقلوها من الدكاكين إلى أماكن أكثر أمن وخاصة تجار الأقمشة، لأن الناس كانت تعلم نهب الإنكشارية وضررها. (٢)

لقد فسدوا كثيراً في فتوحات سليم الأول وكانوا يدخلون المدينة وينهبوها ويعيثون فيها فساداً، مخالفين بذلك شروط التسليم، وكانوا يرتكبوا شتى أنواع المعاصي والمحرمات، خانوا الأمانات، وقطعوا الطرق، ونهبوا المنازل والدكاكين. (٣)

---

(١) محمد كرد علي: مصدر سابق، ج٢، ٢٤٣ - ٢٤٤.

(*) للاستزادة عن أحوالهم مع خاير بك.انظر ابن إياس: مصدر سابق، ج٥، ص ص٢٥٠ - ٢٥٨.

(٢) إبن إياس: مصدر سابق، ج٥، ص٢٣٨.

(٣) حسين ابن كمال البغدادي القادري: مخطوط، ورقة٥. وراجع محمد أنيس: مرجع سابق، ص٧٨.

وجاء السلطان سليمان القانوني، وتقدمت الفتوحات في أيامه تقدماً كبيراً، وكثرت الفتوحات، وبلغت الدولة أوج تقدمها وإتساعها، لكن هذه الفتوحات لم تمنع الإنكشارية من القيام بتمردات، ففي أثناء فتح رودس وعندما تم عقد الصلح وتسليم الجزيرة في خلال إثنى عشر يوم، وكان بشرط أن تبتعد الجيوش العثمانية عن المدينة المحاصرة، حتى لا يتضرر الخارجين من المدينة وكان ذلك في ٢ صفر سنة ٩٢٩هـ/ ٢١ ديسمبر ١٥٢٢م لكن جزءاً من الإنكشارية لم يطق صبراً فدخل المدينة في ٥ صفر مخالفين بذلك أوامر السلطان سليمان، وقاموا بنهب المدينة وسلبها وارتكاب كافة أنواع القبائح، ومما أغضب عليهم السلطان، وأمر بالالتزام بشروط التسليم، وعاقب المفسدين على أفعالهم وهكذا عاد الأمن إلى المدينة. (١)

لقد أصبح أسلوب الإنكشارية إذا فتحوا أي بلد السلب والنهب وحرق الزرع وتخريب الديار.(٢) وكانت حركة تمردهم في رودس (*) تدل على أنه أصبح من الصعب السيطرة عليهم وأنه من الممكن خروج زمامهم من يد السلطان، استباحوا لأنفسهم أشياء عديدة ليست من أخلاق الجندي المسلم، وكل ذلك حدث في عهد يعتبر من أقوى عهود الدولة العثمانية، وما سيأتي بعد ذلك كأن أكثر فظاعة، على الأقل هنا لم يفكروا مطلقاً بقتل السلطان.

---

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص٢٠٦ راجع بسام العسلي مرجع سابق، ج٥، ص١٢٤.

(٢) حسين كمال القادري البغدادي: ورقة ١٩.

(*) رودس: تقع في البحر المتوسط، تعاقب على حكمها الإغريق ثم الفرس ثم الرومان ثم فرسان القديس يوحنا، حتى فتحها سليمان الثاني، س. موستراس: مرجع سابق، ص٢٧٨.

وبعد فتح رودس لم يقم السلطان سليمان بفتوحات لمدة ثلاث سنوات، هذا الهدوء لم يريح الإنكشارية، كانوا يريدون الحرب لكثرة الغنائم، ولأنهم لم يميلوا بعد لحياة الراحة والرفاهية، وكانوا كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله،[١] كما أن جنود الإنكشارية القدماء كانوا يتذكرون كيف أنهم حرموا من نهب رودس عند فتحها، وقد زاد على ذلك أنه في سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م. بقوا في المدينة متحملين آلامهم لعدم وجود حرب، في الوقت الذي خرج فيه السلطان سليمان لقضاء الشتاء في أدرنه للصيد، مخالفاً بذلك القواعد بتركهم، واصطحب معه الديوان وكبار الضباط، فشعرت الإنكشارية بألم جديد أضيف عليهم، فقد تركهم السلطان للبرد والبطالة، فقاموا بعمل تمرد وقلبوا قدور حسائهم، ونزلوا إلى الشوارع مسلحين بأسلحتهم النارية والرماح والسيوف، وقاموا بحرق بيوت بعض الأهالي ونهبها[٢] وهنا ترى الدراسة أن الجندي الإنكشاري تخلى عن صفات الجندي المسلم الذي تحلى بروح الجهاد والعطف على الأسرى و المعاملة الحسنة و أبدلها بالتمرد والنهب وعدم الإلتزام بواجبات الشريعة الإسلامية.

وذهبوا إلى بيت الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وكان في مصر، واستولوا على ما فيه، كما استولوا على ما في ديوان الجمارك ومستودعاته، ثم عدد من بيوت الأعيان، ثم توجهوا إلى حارة اليهود، قرب السوق المسقفة، وقاموا بنهب ما فيها، وتركوا ورائهم الخراب. [٣]

---

(١) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص١٣٣.

(٢) هارولد لامب: سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم، ترجمة شكري محمود نعيم، د. ط، بغداد نيويورك: شركة النبراس للنشر مؤسسة فرانكلين ١٩٦١م، ص١٠١.

(٣) عبد العزيز الشناوي، ج١، ص٩١، راجع محمد جميل بيهم:مرجع سابق، ص١٣٣،هارولد لامب:مرجع سابق، ص١٠١، محمد سهيل طقوش: ص٢٥٠، انظر إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٥٠٨.

وعندما علم السلطان سليمان بالأمر ركب البحر متوجهاً للجنوب، ولم يذهب للجموع الثائرة قرب السراي، وإنما اتجه إلى الجوسق في أعلى البوسفور على المياه العذبة، ثم توجه مع حرس قليل إلى قاعة الاستقبال المهجورة قرب ثكنات الإنكشارية، واستدعى ضباط وحداتهم، وعندما حضر الضباط اندفع معه مجموعة من الجند رافعين السيوف في وجه السلطان وكان هذا خطر عظيم، إذ من الممكن أن يقوم الإنكشارية بمهاجمة السلطان، لكنه تدارك الأمر فسل سيفه وقتل واحد، وجرح الآخر وعندما رأى الجنود الدماء على الأرض ألقوا سيوفهم، فقام السلطان بعتابهم بعدل وقسوة معاً، وأعدم أغا الإنكشارية وقادة العصيان،[(١)] ووزع السلطان على الباقيين ألف دوكة [(*)] " قطعة ذهبية" كدفعة أولى تتلوها أقساط إذا هدأوا وعادوا لثكناتهم، فرجعوا راضين بما غنموا، وأنهوا التمرد طمعاً في مزيد من العطايا.[(٢)]

وقام السلطان بتشتيت بعضهم فوزعهم على المناطق، وألقى القبض على رؤسائهم فقتل البعض، وعزل الآخر.[(٣)] فقد فكر في استئناف الجهاد لأنه تأكد أن ترك الإنكشارية دون عمل ستكون عاقبته وخيمة على السكان والأمن العام، فهم لا يتورعون عن إرتكاب أي فعل وهكذا قرر إكتساح بلاد المجر وفتح مدنها، ونشر الإسلام بها. [(٤)]

وما أن أعلن الشتاء والثلوج نهايتهُ، وبدأت الأعشاب تغطي الأراضي حتى

---

(١) هارولد لامب: مرجع سابق، ص١٠٢.

(*) ذكرت في بعض المصادر أنها كانت مائة ألف دوكاً " قطعة ذهبية ".

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٣، راجع عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٩١.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٤) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٩.

دقت طبول الحرب مرة أخرى، وبهذا لم يكن أمام السلطان سليمان حل إلا إشغالهم في حرب جديدة.[١] وفي نفس الوقت فرصة لإعادة مجد الفتوحات العثمانية وإحياء لحركة الجهاد

ونجد هنا أن تمردهم كان لطلب المال، فقد حاول السلطان امتصاص رغبتهم الدائمة في الحرب والثورة، عن طريق إشراكهم في حرب جديدة، ليحول تفكيرهم عن التمرد إضافة إلى أن هذا العمل سيجعل وقتهم غير كافي لتدبير حركات تمرد، إضافة إلى قوة شخصية السلطان سليمان، وقد عاد هذا بالنفع على الدولة العثمانية حيث امتدت الفتوحات في شرق أوروبا.[٢]

وفي حرب المجر أصدر السلطان سليمان أوامر صارمة بأن لا تمس مدينة بودابست التي فتحها، والمحافظة على سلامة جنود النمسا في وقت انسحابهم، وهذا وفق الاتفاق المبرم بين الطرفين، لكن الأمر لم يعِ الإنكشارية ودخلت المدينة وانقضت على من فيها بالقتل والنهب، ولم تهتم للأمان الذي منحه السلطان للجنود.[٣] وهناك تمرد آخر وقع من الإنكشارية في أثناء حملة فيينا عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م، حيث قامت الإنكشارية بمطالبة السلطان بزيادة الرواتب، وقد توسط الوزير إبراهيم باشا بينهم وبين السلطان لكنهم تعدو عليه وشتموه وثاروا عليهم.[٤] ويلاحظ القارئ أن الإنكشارية أصبحت في حالة ثورة مستمرة في السلم أرادت الحرب، وأثناء الحرب لم يهتموا بأمان المدن التي تسلم نفسها، ومن هذه الفترة يبدأ الخطأ فيهم وفي السلاطين فلو تعاملوا منذ البداية معهم

---

(١) هارولد لامب: مرجع سابق، ص١٠٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٩١.

(٣) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص١٣٣.

(٤) إسماعيل حقي أوزن: مرجع سابق، ص٥٠٨.

بحزم لما وصلوا إلى درجة أنهم يكونوا من أسباب ضعف الدولة العثمانية. (*)

أما عن تمردات الإنكشارية في الشمال الإفريقي في عهد سليمان، نجد أنه زاد نفوذهم مع ازدياد انتصاراتهم العسكرية التي أحرزوها في المنطقة كما صار لهم اليد الطولى في التحكم في الأمور فقد عارضوا مثلاً دخول بكلربك إلى الجزائر ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م بل وقتلوه حين دعمه مجاهدوا البحر، كما قاموا بأسر الوالي ٩٧٠هـ / ١٥٥٦م " حسن باشا " وهو ابن خير الدين بربروسا وأرسلوه إلى إستانبول مصفد بالسلاسل بحجة أنه حاول تجنيد القبائل في الجيش واتهموه بمحاولة الاستقلال. (١)

كذلك حدث أن تمردوا في عهد سليم الثاني، فأظهر محمد باشا الصدر الأعظم حزماً ونشاطاً في مجازاة المتسببين في الاختلال، وإيقاف كلاً عند حده، وكان سبب تمردهم تأخر رواتبهم، لفراغ خزينة الدولة من الأموال، وقد واجهت الإنكشارية لعدم صرف رواتبها صعوبات في أثناء تواجدهم في الأستانة، ولكن حدث ما قضى على هذا التمرد إذ أنه تصادف وصول أحد القادة العسكريين من إيطاليا محملاً بالغنائم، فصرفت لهم الدولة رواتبهم من هذه الغنائم. (٢)

كان الوضع كذلك في طرابلس، ومع أن الدولة حاولت التصدي لهم وردعهم إلا أنهم مارسوا سلطتهم من خلال ديوان الإنكشارية. وقد صارت لهم كثير من الامتيازات في الجزائر ضد مجاهدي البحر وسيطروا عليها خلال النصف الثاني

(*) في عهد هذا السلطان زادت تمرداتهم كلها بسبب زيادة الأعطيات والرواتب وأخذ الهبات من السلطان فتكالبت عليه المحن و استهانوا بشخصيته نظراً لضعفها، وصار همهم بدل الحرب والجهاد وفتح البلاد ونشر الإسلام، أخذ العطايا من السلطان. وهذا كان مؤشر مبكر جداً لفسادهم.

(١) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٦.

(٢) إبراهيم حليم: مصدر سابق، ص٩٧.

من القرن السادس عشر الميلادي(١).

وكانت لهم تمردات في بلاد الشام، ولكنها لم تبلغ حد العنف بالنسبة للثورات الأخرى، ولم يكن لهم طمع في الزعامة بقدر ما هو ابتزاز الفلاحين فقط.(٢) ويعتبر عهد سليم الثاني بداية إزدياد المشاكل من الإنكشارية، إذ أصروا على عدم الخروج للحرب، إلا إذا كان السلطان سليم على رأس الحملة.(٣) كما صارت عاداتهم عندما يثوروا لا تخمد الثورة إلا بتوزيع الأموال. (٤)

عندما حدث تمرد في بلاد الحجاز على الحكم العثماني ٩٧٦هـ / ١٥٦٩م، وخلع أهل الحجاز طاعة العثمانيين، وأخرجوهم من الأماكن المقدسة، وبقوا هم فيها، كانت هذه فرصة للسلطان سليم الثاني للتخلص من الإنكشارية، فأرسلهم إلى تلك البلاد البعيدة، لإخضاع الثورة، فأخضعوها بسهولة ويسر، وعادوا مرة أخرى إلى إستانبول بشكل لم يتوقعه السلطان نفسه، وقد توجس الصدر الأعظم منهم خطراً، فأشار على السلطان سليم الثاني أن يقوم بالجهاد وفتح بلاد جديدة، ووقع اختياره على قبرص والتي كانت تحت سيطرة البنادقة، فجهز مئتي سفينة على متنها عشرون ألف من الإنكشارية واستقبلهم أهل الجزيرة بالترحاب، لأنهم ملوا حكم البنادقة الظالم، فضربوا حصاراً على " نيقوزيه " مدة ليست قصيرة، وفتحوها، وهنا يأتي دور الإنكشارية في الشغب، حيث قاموا بقتل أهل المدينة حتى وصل عدد القتلى إلى خمسة عشر ألف، وهم بذلك أثبتوا عدم جدارتهم بثقة أهل الجزيرة بهم واستقبالهم بالترحاب، فأهملوا هذه المشاعر وقاموا بما أملت به

---

(١)عبد الكريم رافق: المرجع السابق، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) مرجع سابق، ص١٤١.

(٣) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٤٨٤.

(٤) يوسف أصاف: مرجع سابق، ص٤٨.

عليهم طبيعتهم الثورية. أما مدينة فمغوسطه (*) فقد قاومتهم لمدة أربعة شهور حتى استسلمت في النهاية، فنهبتها الإنكشارية وعاثوا فيها فساداً وأوثقوا كل من لاقوه.(١) ثم سارت الجيوش الإسلامية إلى جزيرة كفالية فنهبوها وهدموا منازلها، ثم اتجهوا إلى جزيرة كورفس، وهي مفتاح بلاد البنادقة، وحاصروها لعدة أيام ثم دخلوها وعاثوا فيها فساداً ونهباً وسلباً، وكانت هذه أعمالهم في كل الجزر والمدن التي فتحوها في هذه المنطقة، وطالت إقامتهم في البحر حتى قابلهم العدو.(٢) ويتضح مما سبق أن هذا صار منهجهم في الفتوحات، وطريقهم النهب والسلب.

ثم جاءت معركة ليبانتو(**) البحرية لتفضح الإنكشارية وتنظيمهم المختل حيث خسرت الإنكشارية كثير من رجالها وخسرت الدولة العثمانية المعركة بسبب ضعف تنظيم الإنكشارية.(٣)

وعندما تولى مراد الثالث الحكم، استهل حكمهِ بمنع شرب الخمر، ربما يعود

(*) فمغوسطه: مدينة تقع في شرق جزيرة قبرص، ميناء جيد، دخلها الأتراك عام ٩٧٩هـ / ١٥٧١م. س- موستراس: مرجع سابق، ص ٤٥٢.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٩، ٢٠.

(٢) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج٢، ص١٨٠.

(**) معركة ليبانتو البحرية: وقعت في عهد السلطان سليم الثاني ١٧ جماد الأولى ٩٧٩ هـ - ١٧ أكتوبر ١٥٧١م، حيث اشتبك الأسطول العثماني الإسلامي مع الأسطول المسيحي، ولكن شاءت إدارة الله هزيمة الأسطول العثماني، وقد كانت أول هزيمة للعثمانيين منذ أوائل ق ١٥م فرحت بها أوروبا، وكانت إيذاناً بزوال السيادة العثمانية عن البحر المتوسط. انظر علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص٤٥٠، ٤٥١.

وليبا نت: تقع في الطرف الشمالي الغربي لخليج كورنث في اليونان حالياً. علي حسون: مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص١٩-٢٠.

ذلك لأنه لاحظ أن هناك فئات من الإنكشارية انخرطت في شرب المسكر مما يعيق القوة العسكرية ويؤثر عليها.

ولم يستطع مراد الثالث أن يحد من هذا الأمر كثيراً، وذلك يدل على ضعف قوة الدولة العثمانية وعدم إستطاعتها مجابهة منع الخمر وإقامةشرع الله عليهم(١)، وهذا يدل على انحراف الإنكشارية عن خطها الإسلامي في الجهاد والشوق للشهادة. (٢)

وعهد السلطان مراد الثالث يعتبر فاتحة جبروت الإنكشارية وهو أحد السلاطين الذين تصدوا لمشكلة الإنكشارية بعد أن أدرك أنهم أصبحوا مركز قوة خطير في الدولة وتجاوزوا اختصاصهم كمحاربين بالتعدي على السلطان وتنفيذ أوامرهم (٣) وقاموا بتمردات أثناء التدريبات والتلفظ بألفاظ غير مناسبة، حيث كان يوقع عليهم العقاب اللازم. (٤)

هذا الكرم من السلطان مراد الثالث لم يمنعهم من الثورة والتمرد مرة أخرى، حيث أخذت طابع العنف أكثر من ذي قبل، وأصبح أساس التمرد سوء الأوضاع الاقتصاية وانخفاض قيمة العملة التي كانوا يستلمون بها وراتبهم مما أدى إلى أنهم أصبحوا ميالين إلى السلب والنهب.

في عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م بدأت الحملات العسكرية على بلاد فارس اتخذ الإنكشارية هذه الحملات وسيلة لجمع الأموال والسلب والنهب وتقسيم الغنائم فيما

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٣. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٥٩.

(٢) علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص٤٦٧.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٤) أرشيف رئاسة الوزراء: وثيقة رقم ١٩٣٧١ خط همايوني H.H.

بينهم. كما أنهم لم يفوتوا فرصة للتمرد على قادتهم، واتفقوا مع أشقياء جورجيا في أرمينيا والقفقاس على نهب وسلب البلاد التي يدخلوها واقتسام الغنائم فيما بينهم.(١)

وفي عام ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م تم عقد الصلح بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، تنازل بموجبهِ الفرس عن أقليم الكرج وبشروان ولورستان وجزء من أذربيجان وهدأت الأحوال في البلاد خلال عام ٩٩٤هـ وهدأت الحروب في أنحاء الدولة، وقد أزعج هذا الأمر الإنكشارية والتي اعتادت على الاستمرار في الحروب نظراً لما تدره عليها من غنائم، فقاموا بثورات حتى يزيدوا من دخلهم.(*) (٢)

كانت الإنكشارية تتمرد إذا انقطعت الحروب وترتكب فظائع الأعمال، في البلاد المفتوحة بل وفي الأستانة ذاتها، (٣) إذ أنه عندما تقع فتنة عظيمة أو حروب وسفك دماء، ينحصر هذا في الإنكشارية وأفعالها. (٤)

والسبب الحقيقي لتمردهم هو حرمانهم من الحرب وأغنامها، وقد سولت لهم أنفسهم الجشعة القيام بتمرد جديد لجني المزيد من الأموال والغنائم، على الرغم من أنه ليس هذا السبب وراء كل تمرداتهم فبعضها كان بسبب رغبتهم في إنهاء الحرب، مثلما حدث في عهد سليم الأول في حربهِ مع الدولة الصفوية، وهذا يدل على عدم ثباتهم واختلاف آراءهم وعدم معرفتهم ماذا يريدوا.

---

(١) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص١٣٣ - ١٣٤. انظر علي حسون: مرجع سابق، ص١٣٣.

(*) لقد قامت السباهية بثورات ولكن لو أتحدت مع الإنكشارية لكانت عواقبها وخيمة على حياة الدولة من الداخل والخارج. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٦٩.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٦٤.

(٤) حسين بن كمال: ورقة ١٤.

كذلك وصلت درجة فسادهم في عهد مراد الثالث إلى أنهم كانوا يتدخلون في تعيين أمراء منطقة الروملي، وقد نجحوا فعلاً في عام ۱۰۰۰هـ / ۱۵۹۱م أن يعينوا أمير منطقة بغـدان بالرشوة، بعد أن أخفوه في ثكنتهم لمدة من الزمن. [(۱)]

ومما يؤكد عدم ثبات مطالبهم أنه عندما طال أمد السلم، ولم تدخل الدولة في حروب جديدة بدأت تظهر الثورات في كـل مكـان مـن العاصـمة وبودابسـت والقاهرة[(*)] وتبريز وغيرها من المدن، مطالبين بالحرب والجهاد، فاضطر سـنان باشا[(**)] الصدر الأعظم إلى إدخالهم في حرب طاحنة ضد بلاد المجر، رغم أنـه متيقن من ضعف الاستعداد الحربي عند الدولة وحاجتها الماسة للراحة.[(۲)] وأكـد على ذلك جميع الوزراء الذين رأوا أن من حسن السياسـة إشـغال الإنكشـارية

---

(۱) إسماعيل حقي أوزون، مرجع سابق، ص٤٨٣.

(*) سيأتي الحديث عن ثورات القاهرة.

(**) سنان باشا: أحد أهم رجال الدولة العثمانية، ۱٥۲۰ - ۱٥۹٦م، من أصل ألباني تربى في الدوشرمة، ترقى في المناصب بفضل وجود أخيه إياس أغا عين قائد على الـيمن برتبـة وزير، قام خلالها بأعمال جليلة في ربط اليمن بالدولة العثمانية، ثم عـين أميـر أمـراء مصر، ثم قائد أعلى للقوات البرية والبحرية. وفي عام ۱٥٥۲م صار صدراً أعظماً. قام بأعمال مهمة من أجل رفع مستوى الأقجة وأمر بفتح دور لسك العملة فـي أنحـاء مـن الدولة العثمانية، وأعظم مبادرة له مشروع قناة صقاريا لأهميته في تلبية حاجة القـوات من الأخشاب، ومن ناحية التجارة والاقتصاد، لكن الحساد لم يمهلوه وعزل من الصـدارة، ثم عاد مرة أخرى وتوجه إلى إيران لإخضاعها، ولم يستطع، وعزل مرة أخرى وعـاد للمنصب في عهد محمد الثالث ومات تاركاً ثورة طائلة خلفهُ، اشتهر بالشجاعة مع قـليل من الغرور. الموســوعة الـتركية: ج۲۹، د. ط، أنقرة، ۱۹۸۰م، ص ٦٦، ٦٧.

(۲) محمد فريد المحامي: مصدر سـابق، ص٢٦٤. محمـد جميـل بـيهم: فلسـفة التـاريخ العثـماني، ص١٣٤.

بحروب خارجية، فأوعز السلطان مراد الثالث إلى حسن باشا (*) والي البشناق والهرسك بشن غارة على بلاد النمسا وإفتعال حرب حتى يلتهي الإنكشارية بها(١).

وقد أدى عدم كفاية الاستعداد الحربي إلى سقوط عدد من القلاع العثمانية بأيدي النمسا التي ساندت المجر، كما هزم حسن باشا والي الهرسك وقتل والي بودابست العثماني(٢) وإذا نظرنا إلى إلحاحهم في دخول الحرب، لا يوجد سبب مقنع إذ أن استعدادهم العسكري كان ضعيفاً، فلماذا الحرب هل للغنائم؟ واستمرت هذه الحرب خمسة عشر عاماً، زلزلت أركان الدولة العثمانية الداخلية، رغم ما حققته من بعض الانتصارات. (٣)

وكانت هذه الحرب هي أولى مساوئ تدخل الإنكشارية في مسائل السياسة العليا، إذ أنها ترغم السلطان على افتعال الحرب، مما يعتبر مؤشر خطير يهدد كيان الدولة العثمانية الداخلي، حيث فقدت هذه الدولة بعض أراضيها بسبب تمردات الإنكشارية وهذا دليل واضح على أن الإنكشارية كانت من أسباب ضعف الدولة العثمانية ومن ثم سقوطها.

(*) حسن باشا: من أصل ألباني. جاء عن طريق الدوشرمه. شارك مع الجيش في حرب المجر تحت قيادة سنان باشا، ثم عين أغا للإنكشارية، ثم عين أمير أمراء شبروان، وأثناء ذلك هاجم الروس وهزمهم وكبدهم خسائر فادحة. أصلح عملة الأقجه عين صدراً أعظم بناء على رغبة والده السلطان، تزوج من إبنة السلطان محمد الثالث كان له دور عظيم في حرب النمسا. وقد ولي الهرسك، وتم قتله أثناء الحرب في حديقته. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني التركي، د.ط، إستانبول: ١٩٩٧م، ج١٦، ص ٣٤٣.

(١) إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٥١.

(٢) علي حسون: مرجع سابق، ص١٠٧. علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص٤٦٩.

(٣) علي حسون: مرجع سابق، ص١١٣.

ونتيجة للفوضى التي عمت البلاد في عهد مراد الثالث، لم يعد حكام الولايات التابعة للدولة العثمانية يهتموا بالأوامر التي تصدر لهم، وذلك لعدم وجود رقيب عليهم (*)، وكان أشدهم وطأة والي قرمانية والذي أعلن العصيان على إستانبول، فسار له الصدر الأعظم ليصده عن إستانبول التي أراد مهاجمتها. (١)

لقد كانت لهم عدة ثورات في الأقاليم في عهد مراد الثالث ففي تونس مثلاً كان لهم نفوذ واسع، حاول الوالي العثماني مواجهة هذا النفوذ والتصدي له، ولكنه لم يفلح، وقد ضمت الإنكشارية في جنباتها عناصر غير تركية، برز خلالها مسلمون من أصل مسيحي وهؤلاء قاموا بثورات عديدة، حتى صار لهم ديوان خاص بهم ينفذ رغباتهم، ولقبوا رئيس الديوان بالداي وأسسوه سنة ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م وقاموا بقتل بعض من أعضاء الديوان القديم. (٢)

وعلى نقيض ثورات العساكر في شمال إفريقيه في عهد مراد الثالث، كانت ثورات مصر نتيجة لظروف اقتصادية وسياسية، فقد قامت الإنكشارية بسلسلة من التمردات في ٢ شوال ٩٩٧هـ / ١٥٨٩م وحتى ١٠ ذي القعدة ١٠١٧هـ / ١٦٠٩م اتصفت هذه التمردات بالعنف والبطش، ففي أول تمرد هاجمت الإنكشارية الوالي العثماني " أويس باشا " وهو في الديوان، كما اقتحموا بيت قاضي القضاة الحنفي العثماني، وقتلوا عدداً من اتباعه، كما بداءوا بسلب ونهب الحوانيت في القاعدة، وهجموا على بيوت الأعيان وخاصة السكان المحليين، ونهبوا الكثير منها، ولم يهدأ التمرد إلا حين وافق " أويس باشا " على قبول

(*) عندما كانت الدولة ترسل مفوضين معهم خط شريف يأمر بضرب عنق أحد الولاة، كان الولاة لا يهتمون بهذا الأمر ويقوموا بالقبض على الرسول وقتله دون خوف من السلطان. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٣.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٨.

طلباتهم، وكانت تتلخص في السماح بأخذ ما يسمى الطلبة، وهي مبالغ من المال كانوا يفرضونها على الفلاحين وأصحاب الأطيان في الريف.(*)(١)

أما عن الإنكشارية في دمشق، فقد دخلت فيها عناصر من أصل محلي أي غير تركي، كما حدث في كثير من الولايات الأخرى، وذلك للاستفادة من الامتيازات الكثيرة التي تتمتع بها هذه الفرقة، وهذا يدل على بدأ تسوس أنظمة الإنكشارية الصارمة، والتي كانت لا تسمح لغير الأروام الانتساب إليها، وبهذا اختلطت الإنكشارية مع السكان، وصاروا تجاراً وتعاطوا الربا، ودخلوا في الحرف، وعاشوا خارج القلعة، وقد أحس السلطان مراد الثالث بخطر هذا الأمر فأصدر فرماناً في جمادى الأولى ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م موجهاً إلى حاكم دمشق يأمره فيه أن يعين في الوظائف الموجودة في الإنكشارية إناساً من رومي، وليس من السكان المحليين أو الغرباء مثل الأكراد. ولكن صدور هذا الفرمان جاء متأخراً إذ أن انتساب غير الأورام إلى الإنكشارية في دمشق بدأ قبل تاريخ هذا الفرمان، ولم يتوقف بصدوره، بل ازداد شدة، وعمت الفوضى بين صفوف الإنكشارية، وكثر تحديهم للسلطات القائمة بل وأمتد تسلطهم خارج دمشق.(٢) وكانت في الفتن والتمردات تكثر مظالمهم وإجرامهم في البلاد. (٣)

(*) وقد ذكر محمد بن أبي السرور البكري الأخباري المعاصر، أنهم كانوا يأخذوها دون وجه حق، ويذكر أن بلداً بالمنوفية كان مقدار الضرائب الذي يؤخذ منها مائة ألف ونصف فضة، ولكن بالطلبة غرمت ضعف المبلغ، وقد طلبت الإنكشارية الثائرة منع أولاد البلد المحلين من الانتساب إلى الطوائف العسكرية، ومنع دخول المماليك البيض أنظر عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٩ - ١٣٠.

(١) المرجع السابق، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٤١-١٤٢.

(٣) حسين بن كمال: ورقة ٢٢.

على أنه أبرز ثوراتهم في دمشق ما حدث في عـام ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م عندما قام أحد الجلادين بإعدام أحد مشايخ دمشق، أثـار ذلـك العمـل نفـوس الإنكشارية ونقمتهم فقاموا بالقبض على هذا الجلاد وقطعوه بالسكاكين وقد ساعد على هذا الشغب سوء الأوضاع الاقتصادية في الدولة والتضخم المالي الذي نـتج عنه، فأدى ذلك إلى انخفاض مرتباتهم(*) وتحت ضغط هذه الأوضاع بدأ أفراد هذه الحاميات العسكرية في الخروج من ثكنـاتهم ومشـاركة الأهـالي فـي الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية. (١)

ومن كثرة فسادهم أنهم كانوا لا يستمعون إلى نصائح القائد العام للجيش ففي سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م، تركوا مواقعهم التي حددها لهم القائد سـنان باشـا، وذهبوا إلى إستانبول، وعندما أمرهم السلطان مراد الثالث بالذهاب مرة أخرى إلى الجبهة، وقد أمرهم السلطان بذلك وهو في قصره، لكنهم رفضوا الطلب واشترطوا خروج السلطان معهم، وأخذ الهبة من السلطان.

ولم يتحرك الجند إلا بعد أن توسل لهم أغا الإنكشـارية، ليتحركـوا لجبهـة القتال، وفي الطريق توقفوا مرة أخرى في جـورلو، وقالوا للأغا أنه المسـئول عن صرف المنحة التي طلبوها، فرد عليهم الأغا أنه عبد مثلهم ولا يملـك حـق منح المال، هذا الحق يملكه فقط السلطان مراد الثالث وتقدم للمسير، لكنـه عـاد واقترح عليهم أن يرسلوا رسالة للسلطان يذكروه بهذه المنحة، وذهب قائد فرقـة المشاه للسلطان وذكرّه فقال له السلطان هل يريدوني أنا أم يريدون خزائني؟ فرد قائد المشاة أن الإنكشارية لن تتحرك إلا بعد صرف الأجور لهم المتأخرة سـنة، وبالفعل أرسل لهم السلطان في اليوم التالي ستمائة ألف قطعة ذهبية على عربـة

(*) انخفاض القيمة الشرائية لمرتباتهم الثابتة.

(١) نوفان رجا الحمود: مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤.

يجرها إثنا عشر حصاناً. (١)

منذ أواخر عهد مراد الثالث أصبحت الإنكشارية من أهم أدوات التخريب، وكثرت اعتداءتهم على الرعية، إذ حاول الولاة تخفيف حدة غلوائهم، إما لكي يستأثروا بالقوة دونهم، أو يخففوا عن عاتق الأمة بعض شرورهم، ولكن هذه الأعمال لم تأتِ إلا بشرور أكثر على الناس، وصارت الحوادث مليئة بالدماء.(٢)

وزادت حركات الطغيان في إستانبول وخارجها من الإنكشارية في عهد محمد الثالث، وتكررت الحركات الخارجة (*) عن طاعة الدولة في الأقاليم،(٣) ولكنها كانت تحدث على فترات متباعدة، ولم تبلغ درجة خطورة حركات الإنكشارية، (٤)

وأيضاً في عهد السلطان محمد الثالث صارت الإنكشارية تتهرب من القتال، وهنا حدث تغير في ثوراتهم، كانت في بعض الأحيان تقوم طلباً للحرب، والغنائم، ولكن في عهد محمد الثالث، صاروا يميلون لحياة السلم والرفاهية، ويتهربوا من الحروب.

عندما عزم محمد الثالث على الحرب في إحدى المرات، تهرب من الإنكشارية ما يقرب من عشرة آلاف جندي، وكذبوا بشكل صريح جداً، وقدموا ما يثبت أنهم غير مؤهلين للحرب، مع العلم بأن عدد الإنكشارية في ذلك الوقت كان لا يتجاوز

---

(١) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) محمد كرد: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧، ٢٤٨.

(*) يطلق عليها الحركة الجلالية، للاستزاده الرجوع نوفان رجا الحمود: مرجع سابق، ص١٣٤-١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٤.

(٤) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة ١٩٣٠٤. خط همايوني عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٣.

الأربعين ألف جندياً[١] لدرجة أنه في بعض الأحيان كانوا يهربون من معسكرات التدريب حتى لا يدخلوا المعركة[٢]

وعندما تأكد محمد الثالث من ضعفهم وتخاذل حالهم، خرج بنفسه للحرب وقيادة الجيش، فدبت الحمية الدينية في الإنكشارية، وساروا إلى بلغراد ودمروا جيوش النمسا، وعادت إلى الأذهان صورة الفتوحات في عهد سليمان القانوني، وعاد السلطان غانماً إلى العاصمة، ويقول إبراهيم أفندي في تاريخه وكان حاضراً تلك الموقعة، لو أن الجنود الإنكشارية ثبتت أكثر وأمضت الشتاء على الحدود، ولم تصر على العودة، وتقدمت في الربيع، لتمكن العثمانيين من فتح مدينة فيينا.[٣] كذلك حدث أثناء القتال مع الأفلاق والبغدان، تمردات مما اضطرهم للتقهقر لعدم ثباتهم ومجاهرتهم بالعداء. [٤]

أماعن تمرداتهم في الأقاليم نجد أنه في أواخر القرن السادس عشر الميلادي دخل نفوذ الإنكشارية ولاية حلب، فكان يذهب كل سنة قسم منهم لغرض الخدمة، حيث يقومون بتحصيل أموال القرى، أي الضرائب، وفي سبيل ذلك كثيراً ما مارسوا الظلم والجور وابتزاز الأموال، حتى ضجت الناس منهم، واستفادت الإنكشارية [*] من قتال الحركات الجلالية، ووطدت نفوذها في شمال حلب، وعندما زاد الأمر عن حده، اضطروا ولاة حلب إلى قتالهم وإخراجهم بالقوة،

---

(١) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص٤٨٢.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: وثيقة رقم ١٢٧٢: خط همايوني H.H.

(٣) علي حسون: مرجع سابق، ص١٣١.إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٣١.

(٤) يوسف همام أصاف: مرجع سابق، ص٧٢.

(*) أشتهر من إنكشارية دمشق عدة أسماء مثل: خداوردي، أق ياق، قره ياق، وحمزه الكردي، وتدل أسماءهم على أنهم في الأصل غرباء عن دمشق. انظرعبد الكريم رافق:مرجع سابق،ص١٤٢.

وإجبارهم على مغادرة حلب بمساعدة علي باشا جانبلاط(*)(١)

وقد تجاوز الإنكشارية الحدود في الاعتداء على الرعية والتسلط على فقرائها بحجة جباية الأموال، فأعدم والي حلب سبعة عشر رجلاً منهم. (٢)

وإذا دققنا النظر في تمردات الإنكشارية في داخل استانبول أو خارجها نجد أنها من الإنكشارية القليلي العدد الموجودون داخل المدن، وهذا يعني أن الأغلبية كانت في الحروب الدائرة بين الدولة العثمانية، والنمسا والمجر، وهذا يبرر إرجاع بعض المؤرخين إلى أن قلة الثورات في عهد محمد الثالث تعود إلى انشغال الدولة العثمانية وبالتالي الإنكشارية، بالحرب الطاحنة على حدود النمسا والمجر، ولكن هذا الانشغال لم يعوقهم عن التدخل والقيام ببعض التمردات في عهد محمد الثالث. (٣)

أما عن تمرداتهم داخل القاهرة في عهد محمد الثالث، فقد زادت بسبب تخاذل أويس باشا، وبلغت جرأتهم في عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م أن اجتمعوا واعترضوا طريق حاكم مصر محمد باشا، قرب قلعة القاهرة، وأطلقوا النار عليه، فهرب من طريقهم والتجأ إلى القلعة وأصبحت السلطة الفعلية في يد العساكر، وأبطلت أحكام هذا الوزير، وقتل الثائرون كثير من كبار الأمراء والموظفين والأعيان ممن كان يعارضون مصالحهم، وتتبعوا أولاد البلد الأصليين من لهم

(*) حكمت أسرة جانبلاط كلّس وحلب، ومن هنا جاء العداء بين هذه الأسرة وبين الإنكشارية، حيث رفضت أسرة جانبلاط تسلط الإنكشارية وجبروتها على الأهالي في دمشق وحلب، ومما أدى إلى وقوع صدام شديد بينهم. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٤٢.

(١) مرجع سابق، ص١٤٢، ١٤٣.

(٢) محمد كرد: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٥.

مناصب عليا وقتلوهم، ربما بهدف الحيلولة دون تسرب هؤلاء للطبقة الحاكمة.[١]

ومع تولي أحمد الأول الحكم زاد عصيانهم خاصة في البلاد العربية، أما في إستانبول فقد ثاروا أثناء حرب احمد الأول مع الشاه عباس، وإخراجه من البلاد التي اغتصبها، فثارت الإنكشارية مطالبة بالعطايا فاضطر السلطان أحمد إلى الرجوع لإستنابول متداركاً لثورتهم حيث ألف مجلساً حربياً وحكم بالإعدام على المتسببين في التمرد. [٢]

أما عن الأقاليم العربية ففي مطلع القرن السابع عشر الميلادي زادت سيطرتهم على شمال إفريقيا، وساعدهم في ذلك ظهور ديوان لهم يمثلهم، ويمثل طلباتهم وكان الولاة تباعاً يمضون على قرارات هذا الديوان وشيئاً فشيئاً زادت سيطرة هذا الديوان على الأهالي. [٣]

وقد استتب الأمر داخل استانبول للإنكشارية في عهد أحمد الأول، وسارت الأمور وفق هواهم، فلا نكاد نسمع عن ثورات داخل إستانبول، أما في البلاد العربية فنجد أنها تعددت في بغداد ودمشق والقاهرة.

ففي القاهرة كان أجرأ عمل قاموا بعملهِ هو قتل حاكم مصر إبراهيم باشا، في ١ جمادى الأولى ١٠١٣هـ / ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤م، وعرف بالمقتول، وكان مكلفاً بالقضاء على تمرد العساكر، وإزالة الطلبة، وقد نصبت الإنكشارية مكانه قائم مقام.

هذا التحدي الصارخ جعل الدولة العثمانية تبطش بالمتمردين وقتل عدد منهم، في عام ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥م. لكن حركة التطهير هذه لم تؤت فائدة، فإن

---

(١) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٣٠-١٣١.

(٢) يوسف همام أصاف: مرجع سابق، ص٧٤.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٨.

القضاء عليهم نهائياً جاء في عهد محمد باشا [(١)]، الذي أبطل الطلبة، مما أثار الإنكشارية، فتجمعوا عند مقام أحمد البدوي [(*)]، وتحالفوا على عدم رفع الطلبة، وتقاسموا حارات القاهرة لنهبها، لكن قوات محمد باشا، استخدمت المدافع، وهزمت الثائرين في موقعة إسمها الخانقاه في ١٠ ذي القعدة ١٠١٨ هـ / ١٤ فبراير ١٦٠٩ فبراير وقد قتل عدد كبير منهم، والباقي نُفي إلى اليمن. [(**)] [(٢)]

وقد اشتركت مع الإنكشارية السباهية وبعض من المماليك الشراكسة وقد كانت مهمتهم الأساسية، الحفاظ على الأمن، وحماية الفلاحين، والمساعدة في جمع الضرائب، التي بدأ عليها الاختلال بوضوح، منذ عهد علي باشا الصوفي. [(٣)]

على أنه لو تأملنا هذا التمرد نجد أنهم خلعوا السلطان ونصبوا مكانه سلطانا

---

(١) أحد أهم الصدور العظام في عهد أحمد الأول، وله دور في تهدئة الأوضاع في مصر، تولى خلال حياته عدة مناصب أهمها أمير أمراء البوسنة. الموسوعة الإسلامية، العالم الإسلامي، قاموس التاريخ والجغرافيا والأثنوغرافيا والسير الذاتية، ج٧، إستانبول: دار المعارف ١٩٨٨م، ص٥٨٥.

(*) الواقع في مدينة طنطا بمصر.

(**) ويعلق على ذلك ابن أبي السرور أنه الضم العثماني لمصر في عهد الدولة العثمانية، وهذا يدل على أهمية القضاء على الثائرين بالنسبة لهيبة الدولة العثمانية. وقد وضع كتاب لهذا الحدث أسماه " تفريج الكربة بدفع الطلبة " وأطلق على محمد باشا عدة ألقاب مثل معمر مصر ومبطل الطلبة وقول قيران أي محطم المماليك. وقد قام محمد باشا بالعديد من الإصلاحات أهمها تنظيم الضرائب، والعمل بمقتضى دفتر التربيع الذي أحله العثمانيون، محل دفتر الشراكسة، وكان المماليك قد عادوا إلى العمل بدفتر الشراكة للاستفادة من امتيازاتهم القديمة. وأمر بدفع الرواتب بكاملها يوم ٢٨ من كل شهر. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٣١، ١٣٢.

(٢) مرجع سابق، ص١٣١، ١٣٢.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ١٣٢، ١٣٣.

آخر، وهذا ما حدث فعلاً فكان هذا التمرد تحويل لأفكارهم. أما في دمشق فقد برزت أسماء لزعماء من الإنكشارية كان لهم دور كبير فيها أمثال حسن التركماني وبعض أفراد أسرته، وذلك في عام ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م، كما حفل سجلهم بالخزيا ضد المعنيين. (١)

أما ولاية بغداد فقد كانت تمرداتهم أكثر عنفاً من الولايات العربية الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى مركز العراق الاستراتيجي أمام أعداءها الصفويين، مما استلزم وجود قوة عسكرية عثمانية كبرى لحمايتها، وساعد على ظهور زعامات عسكرية لم تشهد مثلها القاهرة أو بلاد الشام. كما وأن تعدد القبائل البدوية والكردية المتعددة الأجناس والولاء، ووقوع العراق على أطراف الدولة العثمانية، كل هذه العوامل ساعدت على ظهور ثورات أكثر عنفاً.

لقد فرضت الإنكشارية نفوذها على العراق في مطلع القرن السابع عشر وتحدوا الوالي حسن باشا، فخرج هارباً من بغداد عندما ثاروا عليه، لأنهم تصوروا أنه أثار عليهم السلطان، وأقام بالموصل، واستمر يحاربهم حتى عزل، ويبدو أن هذا ساعد على تشجيع الإنكشارية للقيام بأعمال أكثر جرأة، حيث أحسوا أن السلطان أعترف ضمنياً بنفوذهم، وكانت هذه أولى مراحل ازدياد نفوذهم، إذ قاموا بثورات بعد ذلك، حاول السلطان أحمد الأول إخضاعهم فأرسل جيشاً بقيادة والي ديار بكر نصوح باشا، (*) الذي استطاع إخضاعهم فترة من

---

(١) عبدالكريم رافق: مرجع سابق، ص١٤٣، ١٤٤.

(*) أحد رجال الدولة العثمانية، وهو ابن أحد الألبان المسيحيين الذين أتوا إلى الديوشرمة، ثم نشأ في القصر الهمايوني، عين على إمارة زيلة، ثم عُزل برغبة الإنكشارية عين على ولاية مصر ثم عين قائم مقام الصدر الأعظم، وفي عام ١٦١١م عين صدر أعظم وقام بعمل مباحثات مع الصفويين الشاه عباس، في ديار بكر وحددت في هذه المباحثات الحدود بين الدولتين، كان على عداء مع خوجه زاده أفندي شيخ الإسلام، ونتيجة لتمرداته أمر=

الزمن(١)

وفي عهد مصطفى الأول، يقوم باشا أرضوم بعصيان ضد السلطان ويزحف إلى أنقرة، فتنضم الناس إليه في كثير من بلاد الأناضول كرهاً للإنكشارية. (٢)

وسنرى أنه في خلال حكم ثلاث سلاطين مصطفى الأول وعثمان الثاني ومراد الرابع، تصبح اليد الطولى للإنكشارية، في كل أمور الدولة، ويعتبر عثمان الثاني مثال متجسد لطغيان الإنكشارية وجبروتها.

وضعوا عثمان الثاني في الحكم في سن مبكرة، فقد أطلق عليه لقب كنج أي الحدث صغير السن، وكان توليه العرش في هذا السن المبكر حدث غير مسبوق، وأيضا أطلق هذا اللقب عليه ليميزه عن عثمان الأول مؤسس الأسرة والدولة.(٣)

ولكن بعد أن وضعتهُ الإنكشارية، بدأت تنفر منه لكثير من الأسباب (*)، ومما زاد من نفورهم أن الصدر الأعظم، عزل قائم مقام الصدارة، وهو أغا الإنكشارية، الذي عاد من الأراضي الفارسية منتصراً. (٤)

كما أعلن السلطان عثمان الثاني الجهاد على بولونيا (**) لأنها تدخلت في

= السلطان أحمد الأول بإعدامه. ومن أشهر ابنائه المؤرخ محمد جلبي. الموسوعة التركية: ج٢٤، د. ط، انقرة: ١٩٧٧م، ص١٣٩-١٤٠.

(١) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٣٧.

(٢) شكيب أرسلان: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٣.

(*) تم ذكر الأسباب بالتفصيل في المبحث السابق من نفس الفصل.

(٤) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٦.

(**) ذكر مصدر آخر أن سبب الحرب كان لتلبية دعوة قرال ترنسيلوانية، الذي رغب في محاربة ملك النمسا، منتهزاً فرصة الشقاق الذي أحدثه في أوروبا، كما أن انتشار الآراء=

شؤون إمارة البغدان،[١] وقاد جيش كبير العدد عبر نهر بروث وهزم البولونيين المتجمعيين عند نهر دينستر[*]، وكان لهذه المعركة وقعاً مؤثراً في نفوس المسيحيين حيث أدت إلى الخوف والرهبة في قلوبهم، ولكن الإنكشارية تمردت، وأضاعت هذا النصر وجعلتهُ غير حاسم.[٢] فقد طلبت، عدم الاستمرار في الحرب، لأنها متعبة ومرهقة منها، فغضب السلطان منهم وأغتاظ لميلهم للراحة.[٣] كمامنع التدخين وصار السلطان عثمان يخرج بنفسه ليعاقب المخالفين.[٤]

وعندما طلبت بولونيا عقد الصلح معه عام ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م.[٥] استخف به الإنكشارية لأن ذلك يتعارض مع تقاليدهم في حب الحرب، ولأنهم جنوداً محترفين، المفروض أن مهنتهم الحرب وليس التكاسل والميل

= الدينية الجديدة كان لها أكبر الأثر في ذلك، وأختلف المرجع في نهاية المعركة حيث ذكر أن المعركة انتهت بانتصار البولونيين، بزعامة ولا ديسلاس ابن ملك بولونيه. انظر حبيب السيوفي مرجع سابق، ص٢٧.
لكن الدراسة ترى أن العثمانيين انتصروا لأننا نرى أن بولونيا تطلب الصلح فإذا كانت منتصرة فلماذا تطلب الصلح، إضافة إلى أنها ما هي نتائج انتصارهم؟ لم يورد النتائج في سياق كلامه.

(١) علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص٤٨٧.

(*) نهردينستر، أحد روافد نهر جوسا، الذي يصب في البحر الأدرياتيكي س. موستراس: مرجع سابق، ص٥٨.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٣.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٧٨.

(٤) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص٢٨.

(٥) محمد فريد المحامي:مصدر سابق، ص٢٧٨. انظر علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص٤٨٧.

للراحة، ولابد أن تكون أفئـــدتهم تهوى القتال، و نقمت عليه الإنكشارية وقررت وضع خطة للتخلص منه. وعقد السلطان الصلح دون أن يحقق جميع أهدافه، من هذه الحرب،[١] ونتيجة لذلك عزم السلطان عثمان على التخلص منهم وإبـــادتهم، ولأجل هذا الأمر الخطير بدأ في الاســـتعداد لضرب الإنكشارية وذلك بحشد قوات جديدة في آســـيا وأهـــتم بـــتدريبها وتنظيمها. [٢]

وبعد أن استقر في إستانبول، قرر التوجـــه للحـــج عـــــام ١٠٣١هــــ/ ١٦٢١م[*] وأن يجمع في الطريق عسكراً من الشام ومصر من رجـــال العـــرب، خاصة وأنه سيمر على الشام عن طريق البر ويعسكر هنـــاك، وهـــؤلاء الرجـــال يكونوا مطيعين له طوع البـــنان، ويقضـــي بهـــم علـــى الإنكشـــارية ويمحـــي أثرهم،[٣] خاصة وأن السلطان عزم على إخماد ثورة الدروز في جبل لبنان بجيش يجمع من مصر،[٤] وهنا تأكدت الإنكشارية أنه عازم على الغدر بهم، وقد ســـعى العلماء ليثنوا السلطان عثمان الثاني عن السفر، كما طلبوا من الإنكشارية العفـــو عن السلطان، وأبلوغهم بعدول السلطان عن السفر إلى الحجاز، فـــأمر بتســـريح الرجال الذين جهزوا في القاهرة وأجتمع معهم العلماء في فـــسحة آت ميدان[**]

---

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٣ – ٥١٤.

(٢) علي محمود الصلابي: مرجع سابق، ص٤٨٧. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع ســـابق، ص٢٥١.

(*) عزم على أداء فريضة الحج ولكن السياسة لم تحقق أمنيته.

لقد تم الحديث عن هذا الأمر بالتفصيل من المبحث السابق من نفس الفصل.

(٣) يوسف أصاف: مرجع سابق، ص٧٧. أنظر إبراهيم حليم: مصدر سابق، ص١٢٢-١٢٣. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٢٨.

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٣.

(**) للاستزادة عن أخبار صراع الإنكشارية مع عثمان الثاني الرجوع إلى أحمد زيني دحلان:=

ولكن ظلوا ثائرين وهجموا على بيوت الوزراء متسلحين ونهبوها، وقتلوا عدد كبير منهم، ونهبوا من خزائن الدولة.[١]

وانتهى الأمر بهم إلى التخلص من السلطان عثمان في عام ١٠٣١هـ / ١٦٢١م.[٢]

وهكذا أصبح السلطان عثمان الثاني أول ضحاياهم البارزين، وبعهد قتله مارسوا التدخل في السياسة العليا بمنتهى الحرية، فلم يعد هناك من يقف أمامهم في تحقيق رغباتهم وانتهى الأمر بهم أن رغبوا في التخلص من السلطان عثمان الثاني وتمكنوا من إعدامه في سنة ١٠٣١هـ / ١٦٢١م.

وبهذا الإثم العظيم والجرأة على السلاطين، صارت نقطة انطلاق جديدة للإنكشارية للتمادي في طغيانهم والتحكم بالسياسة العليا، وكان لإعدامه أصداء بعيدة، حيث انتشرت الرهبة في دوائر الحكومة وبين العامة.[٣] كما أن الولايات صارت في حالة ترقب دائمة وحاول بعض الولاة الأخذ بثأر عثمان الثاني والانتقام له ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل مثل محاولة والي أرضروم أباظة باشا الذي حاول دخول إستانبول والانتقام من قتلة عثمان.[٤]

هذه الجرأة قوبلت باستياء عام بين الناس والجند حتى أن طائفة منهم أنكرتها، خاصة عندما بدأوا بتبديد الثروات وأموال الخزينة العامة، ولم يحفلوا

= مصدر سابق، ج٢، ص١٩٥، ١٩٦.

(١) يوسف أصاف: مرجع سابق، ص٧٧.

(٢) محمد مختار: مرجع سابق، ج٢، ص١٠٦٧.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٤. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٢.

(٤) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٩.

بأي شخص، وزادوا في تمردهم.[١]

لقد صار لهم شان سياسي، وأضحوا أداة في يد أهل الفتن الذين فضلوا اللعب من خلف الستار،[٢] فنجد أنه منذ ثورتهم على عثمان الثاني حتى ثورتهم على سليم الثالث تمت بصورة واحدة متكررة من حيث الأسباب والأحداث والنتائج.[٣]

وقد أعادوا السلطان مصطفى الأول مرة أخرى للحكم، لأنه كان ضعيف الشخصية، ولم تحدث حروب أو فتوحات في عهده لقصر المدة، ولأن الإنكشارية سيطروا تماماً على مقاليد الأمور.

وهكذا نجد أن مصير كثير من الذين يحاولون الإصلاح، تتسلط عليهم الجيوش الفاسدة، فتدمرهم.[٤] وفي عهده تم تغيير الوزراء والصدور العظام سبع مرات في خلال عام واحد وأربعة شهور، وارتكبت كافة المظالم.[٥]

وبتولي مراد الرابع الحكم أصيبت الدولة بحالة من الارتباك والفوضى لصغر سن السلطان، فقد كان في الحادية عشر من عمره، وقد وضعوه لحداثة سنهِ حتى لا يجدوا معارضة في أعمالهم الاستبدادية، ولا يضعف نفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل الآخر، وقد ساروا في طريق الطغيان لمدة العشر سنوات الأولى من حكمه، فكانوا أصحاب الأمر والنهي في سياسة الدولة، حيث واصلوا الثورات والسلطان خاضع لرغباتهم، لا يجد مفر من تحقيقها، فبدلوا الوزراء والصدور

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٤.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: مجلد الخامس، مكتبة الشعب، ص١١٥.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٣.

(٤) علي حسون: مرجع سابق، ص١٠٧.

(٥) علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص٤٨٨.

العظام على حسب أهوائهم. (١)

وقد أدى شغب الإنكشارية وعبثهم غير المسئول إلى قفز الطامعين في السلطة إلى المراكز الحساسة، حيث استثمر البعض جو الضعف في الدولة بسبب التمردات المتتالية من الإنكشارية، ومن ضمنهم قائد شرطة بغداد " بكير أغا " (*) الذي تمرد على الوالي واستبد بالحكم، فأرسلت له الدولة جيشاً بقيادة " حافظ باشا " الذي حاصر بغداد(**)، فاستنجد بكير أغا بالشاه عباس الصفوي، الذي وجد أن هذه فرصة سانحة لتوسيع ممتلكاته، ودخول بغداد، وفعلاً عادت من جديد بغداد تحت الحكم الصفوي. (٢)

وكان هذا أخطر عمل قامت بهِ الإنكشارية إذ هي مهدت السبيل لضياع بغداد من حوزة الدولة العثمانية الأمر الذي أدى إلى فتح الباب لضياع البلاد من تحت

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٨٠. انظر علي حسون: مرجع سابق، ص١٠٦-١١٣. انظر عمر الإسكندري: مرجع السابق، ص٤٠.

(*) بكير الصوباشي: والي بغداد، كان له فرقة عسكرية خاصة بهِ تتألف من ١٢٠ ألف جندي، جمع ثروة طائلة، استولى على ولاية بغداد إثر قتله للنقيب محمد الوالي السابق، وكان له جولات مع الصوفيين للاستيلاء على بغداد، وقد دخلها الصفويين بناء على خيانة محمد بن بكير لأبيه ونفي بكير إلى مدينة زفر، وأحتل الصفويين بغداد وعذبوا أهل السنة كثيراً. الموسوعة التركية: ج٦، د. ط١، إستانبول، د. ت، ص ٢٩.

وتذكر أيضاً بثورة بكر الصوباشي، وهو من أصل رومي، ينتسب إلى إنكشارية بغداد، تدرج في المراتب العسكرية، حتى صار هوباشي، ثم نصب نفسه والياً، ولذلك لقب بالصوباشي واعتمد في الأساس على الإنكشارية. عبد الكريم رافق: ص١٣٧-١٣٨.

(**) وقد حاصرها الشاه عباس لمدة ثلاثة شهور، بعد أن تم الصلح مع الجيش العثماني ووافق الشاه عباس على منح بكير أغا الولاية. وعادت بغداد للصفويين. انظر بسام العسلي: مرجع سابق،ج٥، ص١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ج٥، ص١٧٣.

حكم الدولة العثمانية الواحدة تلو الأخرى.

وعندما أراد حافظ أحمد(*) باشا استرداد بغداد، وقام بحصارها، وثارت الإنكشارية لطول الحصار، مما أرغم حافظ باشا على رفع الحصار والعودة إلى الموصل، ومن ثم إلى ديار بكر، ولكن الإنكشارية عادت إلى التمرد مرة أخرى، فتم تعيين خسرو باشا (**) في الصدارة العظمى في أثناء ثورات الإنكشارية المتتالية في إستانبول.(١)

أما خسرو باشا فقد ظلم الأهالي كثيراً وأعدم الكثير وبطش بيد من حديد، فقد كان نموذج لشخصية الوزير المستبد برأيه، واعتمد في استبداده على الإنكشارية بزعامة داماد رجب باشا، وكان هذان الوزيران، يقومان بكافة الأعمال التي من شأنها إخافة السلطان مراد الرابع، حيث كانوا على استعداد للقيام بأي حركة تمرد، ضد السلطان لأنهم أرادوا سلطاناً مطيعاً فاقد العزيمة.(٢)

(*) حافظ أحمد باشا ولد عام ٩٧١هـ / ١٥٦٤م في مدينة فيلبيه. أبوه مؤذن. تميز بصوته الحسن وقد عاصر ولاية بكير لبغداد، وفشل في استرداد بغداد من الفرس، وقد سلمه خسرو باشا للإنكشارية الذين قتلوه. الموسوعة التركية للشؤون الدينية، ج١٥، د. ط، إستانبول: ١٩٩٧م، ص٨٤-٨٥.

(**) خسرو باشا: يقال أنه ولد عام ١٧٥٦م واسمه محمد خسرو، من أهل منطقة أباظة تم إحضاره إلى إستانبول في سن صغيرة، تدرج في الوظائف، وحارب ضد الفرنسيين لإخراجهم من مصر، وكلف بالذهاب لحرب الدولة العثمانية وروسيا في عام ١٨٠٦م وكان له دور الحياة السياسية في بغداد. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني لتركيا، د. ط، مجلد ١٩، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ٤١-٤٤. تولى قبله عدة وزراء المنصب مثل جركس محمد باشا، وحافظ أحمد باشا، وخليل باشا ثم عين خسرو باشا. بسام العسلي: مرجع سابق، ص١٧٣-١٧٤.

(١) المرجع السابق، ص١٧٣ ـ ١٧٤. انظر محمد سهيل طقوس: مرجع سابق، ص٢٦٧.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج١، ص٤٧٠

=

وقد أراد الصدر الأعظم خسرو باشا دخول بغداد واستردادها، لكن الإنكشارية لم تطعه، لأنهم كانوا قد تعودوا على حياة الراحة والهدوء، ولا يريدوا حرب، لأن ضياع ممتلكات الدولة لم يعد يهمهم سوى تنفيذ رغباتهم وآرائهم.

لقد تمردوا على خسروا باشا لأنه أراد استرداد بغداد، وهو زعيمهم وقائدهم ومع ذلك ثاروا عليه، هذا يدل على أنهم صاروا فرقة ضالة لا تعترف إلا بالراحة وتفضل مصلحتها وحياتها الشخصية على مصلحة الدولة، ولم يكن تمرد الإنكشارية على خسرو باشا هو الحادثة الأولى التي جعلت إحساسهم بالفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام يخف تدريجياً حتى كاد أن يختفي لأن هذا الأمر اتضح منذ بداية خلعهم للسلاطين وتولية آخرون وتفضيل مصلحتهم الشخصية على مصلحة الدولة والإسلام.

ونتيجة لفشل خسرو باشا في فتح بغداد، فقد عزله السلطان مراد الرابع، وأعاد حافظ باشا إلى منصب الصدارة العظمى. لكن خسرو باشا لم يرض بهذا العزل، وحاول أن يوقع بين السلطان، ورؤساء الإنكشارية وأن يكيد للسلطان، فاتصل برؤساء الإنكشارية وأوهمهم بأن السلطان عزلهُ من منصبهِ، لأنه كان ينفذ رغبات الإنكشارية ويطيعهم، فثارت الإنكشارية وطالبت بعودة خسروا باشا إلى منصبهِ، ولكن السلطان مراد الرابع أصر على موقفهِ، فصارت فتنة في إستانبول، وقتلت الإنكشارية حافظ باشا، بعد أن فشل السلطان في حمايتهِ، وقرر السلطان مراد الرابع قتل خسرو باشا على أساس أنه محرك الفتنة، وعين مكانه من يدعى بيرام (*)محمد

= عن صراع خسرو باشا مع محمد علي في مصر وقضاء الأخير على نفوذ الإنكشارية انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص٢٥٥،٢٥٦. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٩٠.

(*) الكلمة بيرم وليس بيرام: كلمة تركية ومعناها اللغوي عيد فكما أن الناس يسمون شعبان =

باشا.[١]

ومنذ ذلك الحين أظهر عزماً شديداً على مواجهة الإنكشارية والقضاء على رؤوس الإنكشارية وإبادتهم، ثم وسع عمليات القتل لتشمل كل من يثبت عليه أنه شارك في الفتنة التي أشعلوها. [*] وبذلك دخل الرعب إلى قلوبهم ووقعته مهابتهُ في قلوبهم، فخافوا منه، وأمن الناس على أموالهم وأعراضهمِ من تعدي الإنكشارية عليهم، وسادت السكينة في إستانبول. [٢]

وعندما رأت الإنكشارية هذه القوة من السلطان مراد الرابع لجأت إلى خداعه وتظاهرت بأنها تلتزم بالقواعد والانضباط العسكري، وأنهم يقدروا السلطان وينفذون أوامره ويطعيوه. ولكن ذلك لم يكن إلا تمويهاً حتى يوقف عمليات القتل والمذابح التي أمر بها، وبيتوا أمراً آخراً. [٣]

فلم يمض شهران حتى قاموا بحركة عصيان جديدة بقيادة داماد باشاه إلا أن السلطان مراد الرابع أمر بقتلهِ وإلقاء جثته من شباك السرايا للإنكشارية حتى تهدأ ثورتهم، وفعلاً عرفت الإنكشارية أنها أمام سلطان قوي، لا يستطيعون التغلب عليه بسهولة، وفرض هيبته على الجميع وبسط نفوذه في الداخل والخارج، وتولى إصلاح وقيادة الجيوش بنفسهِ، وقام بإصلاح الإنكشارية وإبعاد زعماء

= ورمضان ورجب وغيرها من أسماء الشهور كذلك يسمون عيداً. أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٨٢.

(١) مصدر سابق، ص٢٨٢.

(*) لقد قيل أن رؤوسهم تكدست على ضفاف البسفور وقد قيل أن من قتلوا في هذا الحادث يبلغون مائة ألف أو يزيدون. انظر عمر الإسكندري: مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٨٣.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٥. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٢.

الإنكشارية والأفراد المشبوهين، والمشكوك في أمرهم،[١] وهكذا استطاع مراد الرابع مواجهة الإنكشارية بكل حزم وقوه، أن يوقف لمدة محدودة تدخلهم في المسائل السياسية العليا، ويضع حداً لتصرفاتهم الهوجاء، على الرغم من أن السنوات العشر الأولى من حكمهِ تميزت بالضعف والانحلال إلا أنه لم يلبث أن أعاد السيطرة على الدولة، وفرض الأمن والاستقرار في وقت كانت الدولة في أشد الحاجة له. [*]

أما في عهد السلطان إبراهيم الأول نجد أن الإنكشارية عادت لسيرتها الأولى في التدخل في المسائل السياسية، وكثر طغيانهم، حتى أنهم كانوا يوجهون إلى السلطان انتقادات علناً لسياسته.[٢] غير أنه مع ذلك استطاع كبح جماح ثورتهم لمدة طويلة، لكنه لم يستطع اقتلاع الفساد من رؤوسهِ، فأراد التخلص منهم وقتل قادتهم ولكنهم اكتشفوا هذا الأمر، وتأمروا عليهِ، وتم عزله، وتولية ابنه محمد الرابع، الذي لم يكمل عامه السابع، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بخنقهِ والتخلص

---

(١) بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص١٧٤. انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٤-١٣٥.

(*) وقد كان لثورات الإنكشارية نتائج سلبية على الأقاليم فديوان الإنكشارية في شمال إفريقيا، أصبحت له كل السلطات في التعيين والترقية منذ عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م، وتم ذلك بموافقة السلطان مراد الرابع، وصار بذلك له قوة القانون في البلاد، حتى أنهم وصلوا إلى تعيين القبطان باشا وتحديد مرتبةُ، وهذا كله تحكم فيه أغا الإنكشارية رئيس الديوان. وفي عهد السلطان مراد الرابع أيضاً زادت سلطة الولاة، بسبب نشاط الإدارة في إستانبول فقد قتل ولاة الشام في عهده عدداً كبيراً من زعماء الإنكشارية في الشام، أمثال ابن الصباغ، وعلى بن الأرناؤوط، ونفوذ هؤلاء الزعماء في الشام سواء في الإنكشارية أو لدى شعب دمشق، يمثل حلقة في سلسلة الصراع على النفوذ في دمشق بين الولاة وزعماء الإنكشارية عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٢٨ – ١٤٤.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

منه، خوفاً من عودتهِ للسلطة.[١] [*]

أما السلطان محمد الرابع فقد أمتدت مدة حكمه ٤٠ سنة وعدة أشهر[٢]، توالت خلالها ثورات الإنكشارية، وتمردات الأهالي من تسلط الجنود عليهم، واستبداد الإنكشارية حتى اختل النظام، وصار عدم النظام سمة من سمات الدولة.[٣]

وعادت الإنكشارية لممارسة نشاطاتهم بحرية تامة، فزاد عبثهم بالناس وزاد فسادهم، وانتقلت عدوى التمرد وعدم الانضباط إلى البحرية، مما أدى إلى ضعف الروح القتالية في البحرية،[٤] ومن ثم طبعاً التخاذل أمام العدو، إذ أنه عندما تقابلت سفن الدولة العثمانية مع سفن البنادقة في الدردنيل، تمردت الإنكشارية،

---

(١) محمود شاكر: مرجع سابق، ج٨، ص١٣٥. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص١٨٠.

(*) أما عن الحال في الشام فقد زادت مدة الصراع بين الولاة وزعماء الإنكشارية، وزادت حوادث القتل بين الفريقين، وأبلغ دليل على ازدياد نفوذ زعماء الإنكشارية، ضغطهم على الدولة العثمانية لتعين بعض أفرادهم أمراء لقافلة الحج الشامي، للمحافظة عليها. مما يدل بوضوح على مدى سيطرتهم على القرار السياسي في الدولة العثمانية.وقد حدثت لهم فتنة كبيرة في حلب حيث كان السبب أن الإنكشارية طلبت من رؤسائها أن يصرفوا لهم الرواتب بالقروش وليس بالأقجات، وطلبوا عزل وكيل رئيسهم وكاتبه، فوقعت فتنة نتيجة لرفض هذه المطالب فقتل منهم عدداً كبيراً، ثم صارت فتنة بينهم وبين رجال الصدر الأعظم وقتل فيها نحو خمسين رجلاً من الطرفين وانتهت الثورة بانتصار الإنكشارية وقتل الوكيل وكاتبه. محمد كرد: ج٢، المصدر السابق، ص٢٧٠. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص١٤٤-١٤٥.

(٢) مخطوط تاريخ آل عثمان: مؤلف مجهول، ورقة ٣.

(٣) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص٢٩٠.

(٤) بسام العسلي: المرجع السابق، ص١٨٠.

وأحجمت عن مهاجمة سفن العدو وهربت الإنكشارية بسفنها،(١) وبالتالي هـزم الأسطول العثماني في هذه الموقعة بالقرب من مدينة فوقيه (*)عام ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩(٢)

وقد استفاد أسطول البندقية (**) من غياب الانضباط في البحرية العثمانية، وقيام الإنكشارية بكثير من التمردات، وهاجم أسطول البنادقة، الأسطول العثماني أثناء تواجده في بوغاز الدردنيل عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م أثناء حرب الدولة العثمانية مع البنادقة، فقامت الإنكشارية بعمل تمرد مع الملاحين بحجة أن سفن العدو أكبر وأمتن من سفنهم مما أدى إلى احتلال البنادقة لمدينتي تنيدوس(***)وجزيرة لمنوس(****) وغيرهما، وتمرداتهم هذه أدت إلى شيء

(١) علي حسون: مرجع سابق، ص١١٤.

(*) فوقيه أو خوسيه مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط، تقع شمال أزمير، وتبعد عنها حوالي ٤٢ كيلو متراً، وهناك فوقية الجديدة، تقع شمال فوقيه الأولى. انظر بسام العسلي: مرجع سباق، ج٥، ص١٨٠.

(٢) مرجع سابق: ص١٨٠.

(**) حرب البنادقة اشتدت في عهد محمد الرابع، لأن الدولة كانت تعاني من الاختلال والفساد في الإدارة والحكم، فانتهز البنادقة هذه الفرصة وأرسلوا عمارة لتهديد مضيق الدردنيل. ولما أتت هذه العمارة حصل بينها وبين العثمانيين عدة وقائع، ولما رأت الدولة أن سفن البنادقة قوية وأن معظم سفنها ببناء صغيرة، بادر الصدر الأعظم صوفي محمد باشا بإرسال أوامره إلى دار صناعة السفن ببناء سفن كبيرة من نوع الغليون لتكون عمادة العثمانيين على درجة من القوة. انظر إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج١، ص ١٥٧.

(***) تينيدوس: جزيرة صغيرة تقع عند مدخل الدردنيل.

(****) لمنوس: جزيرة صغيرة تقع إلى الغرب من تينيدوس. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص١٨١.

مهم، وهو اختلال النظام الاقتصادي، والذي سبب ارتفاع أسعار القمح والشعير وسائر أصناف المأكولات، حيث منع البنادقة وصول السفن الحاملة لهذه البضائع من الوصول إلى إستانبول،(١) وهكذا أصبحت مالية الدولة سيئة جداً ومنخفضة، لصرفها الأموال في حل المشكلات الداخلية، إضافة إلى التصدي للحروب الخارجية. (٢)

ومما زاد خطورة الأمور اندلاع ثورة بآسيا الصغرى في نفس العام، بقيادة رجل يدعى قاطرجي أوغلي (*)، لكن التمرد انتهى بالعفو عن قاطرجي أوغلي وتعينهُ والي على القرمان، وهكذا انتهى التمرد، لكن نارها ظلت تحت الرماد، فقد كانت الإنكشارية، تغذي نار الثورة أحياناً، وفرسان السباهية هم من يعملون على إبقاءها.(**) (٣)

وقد استمر الموقف على التدهور، لا نظام ولا أمن ولا استقرار، ولا حكومة

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٩٠. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص١٨١.

(٢) علي حسون: مرجع سابق، ص١١٤.

(*) قاطرجي أوغلي أحد زعماء قطاع الطرق الجلاليين، الذين ظهروا في منطقة " جوهر " في القرن السابع عشر الميلادي، ينسب لقبيلة جميل التركمانية، وعائلته كرن وهي من الأسر الإقطاعية في تركستان، اشتهر منذ صغره بالفروسية والمحاربة، تولى زعامة الأشقياء وقطاع الطرق في سن مبكرة، وانتشر نفوذه بين أنيون وبايشهر، وعندما تم القبض عليه وإرساله إلى إستانبول، أعلن توبته وخدم مع محمد كوبرلي باشا، وصار من مشاهير القادة وفي عام ١٦٥١م عين قائد للجيش العثماني. دائرة المعارف التركية: ج٢١، د.ط، أنقرة، ١٩٧١م، ص٤٠٠.

(**) انضم إليه رجل يدعى كورجي بني، ولكن وقع خلاف بينهما قبل الوصول إلى العاصمة، فافترق عنه، فحاربه الجند، وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى إستانبول. بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص١٨٠.

(٣) مرجع سابق، ج٥، ص١٨٠.

ثابتة، حتى قيض لها الله سبحانه في منصب الصدارة محمد باشا الشهير بكوبرللي(*)(١) لقد برز آل كوبريلي في وقت كانت النقمة عمت على الناس جميعاً، عرُفت هذه الأسرة بإخلاصها في العمل، وقد تمكنوا من كسر شوكة الإنكشارية بفرض النظام والانضباط عليهم، وإخضاعهم وقد بادر محمد باشا منذ تولي الصدارة العظمى إلى تأديب الإنكشارية في أعقاب تمرد حدث منهم، وأمر بإلقاء جثثهم في البحر، حتى قيل أنها بلغت أربعة آلاف جثة، وبهذه الشدة التي عوملوا بها هدأت ثوراتهم وقصر طغيانهم. (٢)

ولكن نجد أن الإنكشارية لعبت دوراً كبيراً عند أسوار فينا، حيث طلب الصدر الأعظم الإذن من السلطان محمد الرابع، بالسفر إلى بلاد النمسا وافتتاح مدينة فينا ونشر الإسلام فيها، وفعلاً تم التجهيز (**) لهذا الأمر، وبدأ المسير إلى قلعة بج، وأطلق الصدر الأعظم أمره بنهب القلاع وحرق المزارع وقد سعدت الإنكشارية بهذا الأمر فنفذته على أكمل وجه، ونهبت ما لا يحصى من الغنائم، ولكنها تجاوزت الحدود وتعدت على النساء والرجال العاجزين عن الحركة، وسبوا كثيراًمن النساء، وتعدوا على حرمات البيوت، واستولوا على الأموال، وعلى طول الطريق إلى فيينا كانوا يقومون بكافة الأعمال البشعة، حتى وصلوا إلى فينا وكانت محصنة بشكل جيد، فضربوا حولها الحصار ورموها بالمدافع، وكان قد هرب منها الأهالي، وعندما ضاق الخناق على الناس المتبقية بداخلها طلبوا أن

(*) الكوبرو: هو الجسر ومعناها صاحب الجسور، أو صانع الجسور، وما زال الناس يستخدمون هذا اللفظ على الجسر، وقد كان لهذه الأسرة شأن في الدولة العثمانية. أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق ص ٢٩٠.

(١) المصدر السابق، ص٢٩٠.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

(**) للاستزادة عن التجهيزات العسكرية في الجيش العثماني. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص٢٠٩.

يسلموها طوعاً، ولكن الوزير خاف من الإنكشارية ونهبها للمدينة، وعندما راجعه الوزراء والعسكر في الدخول صلحاً رد عليهم أنهم إذا ضمنوا عدم فساد الإنكشارية بها، وافق على الصلح واستمرت المفاوضات ثلاثة أيام، وطال الحصار، حتى تكالبت(*) جيوش أوروبا وتجمعت على الجيوش العثمانية،(١) ومنيت السلطنة بهزيمة وإنكسار فظيع حول أسوار فينا في عام ١٠٩٨هـ / ١٦٨٧م، (٢) على الرغم أنهم كانوا أحد الأسباب الرئيسية لعدم فتح فينا إلا أنهم نسوا ذلك وسارعوا بالتمرد للتخلص من السلطان والصدر الأعظم وفي أثناء حرب العثمانيين مع جيوش النمسا، ألتحم الجيشان في معركة كبيرة في سهل موهاكز (**) في ٣ شوال ١٠٩٨هـ / ١٢ أغسطس ١٦٨٧م، وبعد أن دارت رحى المعركة، انقلبت على العثمانيين وهزموا هزيمة نكراء وبدأت الجيوش النمساوية في جميع ما معهم من مدافع وسلاح ومؤن وذخائر، وعندما وصلت الأنباء للإنكشارية الموجودة في العاصمة هاجت وماجت وثارت، وأرسلت للإنكشارية الموجودة مع الصدر الأعظم سليمان باشا في ساحة المعركة، وطلبت منهم إشهار العصيان والتمرد، وفعلاً تم ذلك، ولولا هروب الصدر الأعظم لبلغراد لأعدموه، وانتهت هذه الثورة بعزل السلطان محمد الرابع في ٢ محرم

(*) للاستزاده عن استعدادات ملوك أوروبا لقتال العثمانيين. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ص ٢٠٩-٢١١.

(١) مصدر سابق، ص ٢٠٩-٢١١. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢) محمد جميل بينهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

(**) تقابل العثمانيون في هذا السهل من قبل مع المجريين وانتصروا نصراً عزيزاً مجيداً قبل هذا التاريخ بـ ١٦٠ عام. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٠٣.

١٠٩٩هـ/ ٨ نوفمبر ١٦٨٧م[١] واضطر حسين باشا الذي كان يُحاصر مدينة كنديا في كريت، وأن يرفع الحصار عنها، بسبب التمرد الذي أثارته الإنكشارية.[٢]

وهكذا نرى أنها تحكمت في حركة المعارك ونهايتها طوال عهد محمد الرابع.

تولى سليمان الثاني الحكم، وأغدق العطايا والهبات على الإنكشارية خوفاً منهم،[٣] إلا أن حالة الهياج والثورة لا زالت مستمرة.

وفي خضم هذه الأحداث كانت الدولة تعاني الأمرين من جراء الحرب الطاحنة بينها وبين الدول المتعاونة عليها: النمسا وبولونيا والبندقية، وفي الوقت الذي كانت ترجو فيه من الإنكشارية الهدوء ضاعفت هذه الأخيرة مشاكلها الداخلية،[٤] وللأسف هذه الأعمال التي قامت الإنكشارية بها لم تفيدهم، ولم تفيد الدولة، فقد استغل أعداء الدولة العثمانية انصرافها في حل مشاكلها الداخلية، وبدأوا باحتلال أجزاء من أراضيها.

وهاجم أعداء الدولة العثمانية ممتلكاتها في النمسا والمجر وبلاد اليونان والصرب،[٥] وكانت هذه بداية ضياع ممتلكات الدولة العثمانية وهذه من أخطر نتائج تمرد الإنكشارية المستمر.

وقد اغتنمت النمسا هذه الفرصة من ارتباك الدولة العثمانية وزحفت بجنودها

---

(١) مصدر سابق، ص٣٠٣.

(٢) محمود شاكر: مرجع سابق، ج٨، ص١٣٥.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق،ج١، ص٥١٧. يوسف أصاف: مرجع سابق، ص٩٤، ٩٥.

(٤) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥.

(٥) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٧.

على ولايتي البوسنة والهرسك واستولت عليها،[١] واستولت على قلعتي أرلو [*] وليبا[**] وغيرهما، إضافة إلى احتلال البنادقة لمدينة ليبه في بلاد اليونان بقيادة موروزيني، كما أحتلوا كافة سواحل دالماسيا أودالمانيا سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧م، وفي السنة التي تلتها سقطت مدائن سمندرية وقلومباز[***] وبلغراد، وكان ذلك في سنة ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨م. ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٩م مدينتي نيش وودين في بلاد الصرب. [٢]

وإزاء هذه الأخطار الجسيمة التي واجهت الدولة العثمانية، قام سليمان الثاني بعزل مصطفى باشا من الصدارة العظمى، لعدم كفاءتهِ وضعفهِ في مواجهة العدو، وعين كوبريلي مصطفى باشا، الذي كان يتمتع بكفاءة أبيه، فقام بكسب ود الإنكشارية، وحرز بذلك الانتصارات في الحروب التي خاضها. [٣]

وقد استخدم معهم سياسة اللين تارة والشدة تارة أخرى كما صرف لهم ما هو متأخر لهم من رواتب[٤]، من أموال الأوقاف، حتى لا يكون لهم حجة في

---

(١) يوسف أصاف، مرجع سابق، ص٩٥.

(*) أرلو: مدينة صغيرة ببلاد المجر، تقع شمال شرق مدينة بودابست، اشتهرت في التاريخ العثماني بصد هجمات العثمانيين، وإلزامهم وضع الحصار عنها في سنة ١٥٥٢م، ولكنها فتحت عنوة ١٥٩٦م. وبعد صلح سنة ١٦٠٦م، صارت تتبع النمسا تارة وترانسلفانيا تارة أخرى، وتسمى بلغة المجر إيجر والآن إيكير.

(**) ليبا: في بلاد المجر تقع قرب إيكير، شمال شرق بودابست. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٢٤١-٢٩١.

(***) يطلق عليها كولمباز: محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٠٥.

(٢) مصدر سابق، ص٣٠٥، انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص١٩٥. انظر سعيد برجاوي، مرجع سابق، ص١٦٩

(٣) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص١٣٥.

(٤) بسام العسلي: مرجع سابق، ص١٩٥.

اختلاس أموال الناس، ومنعهم من اغتيال الأهالي، وبذلك انتظمت أمور الجيش نوعاً ما. (١)

وبعد سليمان تولى أحمد الثاني الحكم، ولكن لم يذكر أن للإنكشارية تدخلات في السياسة العليا، أو حتى يذكر التاريخ أحداثاً مهمة فقد اقتصر الأمر على مناوشات حربية خفيفة في عهده. (٢)

أما عهد مصطفى الثاني، فقد تميز بهدوء الإنكشارية، نظراً لأن آل كوبريلي كانوا في الصدارة العظمى، فسارت الدولة في طريق الانتصارات إلا أنها منيت بسوء الحظ نتيجة استشهاد مصطفى باشا كوبريلي في حربه مع النمسا، وكادت الجنود تتشتت لولاً أن مصطفى الثاني تولى قيادة الجيش بنفسهِ، ولكن الهزائم التي منيت بها الدولة كثيرة، أمام عصبة الأمم الأوروبية، النمسا – روسيا – البندقية – بولونيا حيث انتصروا على الجيش العثماني لافتقاره التنظيم وتمرد الإنكشارية مما أضعف الدولة العثمانية أمام التحالف الصليبي واضطراره إلى التوقيع على معاهدة كارلوفتس (*) وبناءً على شروط المعاهدة انسحب العثمانيون من بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا وتركوها للنمسا وتركوا أزاق لروسيا وتنازلت لبولونيا عن كامليك وللبندقية عن دلمانيا.وحاول السلطان مصطفى الثاني التصدي لتدخلات الإنكشارية في السياسة، مما نتج عنه عزلهِ عن الحكم، وتولية أحمد الثالث. (٣)

كما كان من أسباب عزلهِ أيضاً، أنه عين رامي محمد باشا في الصدارة،

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٠٥.

(٢) مصدر سابق، ص٣٠٧.

(*) كارلوفتس: بلدة يوغسلافيا على نهر الدانوب.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٠. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٥، ١٣٦. محمد علي الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٩٦.

والذي سار على خطى آل كوبريلي في إبطال تمرداتهم ومعاقبة المتسببين فيها ومنع المظالم، ومعاقبة المرتشين، إلا أن أصحاب المصالح والغايات ثاروا، فثارت معهم الإنكشارية لميلهم للسلب والنهب، وطلبوا عزل الصدر الأعظم، وعندما لم يوافق السلطان، ثاروا أكثر، فأرسل لهم فرقة من الجنود لتحاربهم، فانضمت إليهم، إضافة إلى أن عقد السلطان للصلح مع النمسا وفرنسا وإنجلترا أثار حفيظة الإنكشارية فقررت عزله في ٢ ربيع الآخره ١١١١هـ / ١٥ أغسطس ١٧٠٣م.[١] وبعد جلوس أحمد الثالث على أريكة الحكم العثماني، ثارت الإنكشارية عليه وأرغمته على تعيين نيشانجي أحمد باشا [*] في الصدارة، وبدأعوا في عزل أعظم رجال الدولة واستبدلوهم بمن أرادوا.[٢] على أن السلطان أحمد الثالث، بقي متذكراً ما فعلوه، فانتظر حتى هدأت الأحوال، وحاول إيقافهم عند حدهم، وفرض هيبتهُ عليهم مدة من الزمن، لكنهم ظلوا يتحينون الفرصة لاسترداد نفوذهم، ووجدوا الفرصة سانحة في عزم الدولة العثمانية عقد صلح مع دولة فارس، فثارت ثائرتهم. [٣]

لقد نشبت الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية في عهد كلاً من

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣١١، انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص٣٢.

(*) أحمد باشا: والدته من " ألبانيا " نشأ بجوار عمه الوزير " الحاج أبو بكير باشا، عمل في إستانبول في منصب القيادة، عين قائداً للرماية، ولاقى كثيراً من التقدير أثناء ذلك، عين والي على حلب وديار بكر وبغداد، وعين في الصدارة العظمى أثناء عهد أحمد الثالث توفي أثناء ولايته حلب. الموسوعة التركية: وقف الديانة بتركيا، ج٢، د.ط، د. ت، ص١١٤.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٦. يوسف أصاف: مرجع سابق، ص١٠٠.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٦.

أحمد الثالث وطهماسب الثاني، وكان سببها (*) عدم رغبة الدولة العثمانيـــة فـــي إعادة ما أخذته من الدولة الصفوية، من بلاد أجداده على حد قـــول طهماســـب، وعندما رفضت الدولة العثمانية، أغار على حدودها، فرأى السلطان أحمد الثالـــث أن من مصلحة الدولة العثمانية عقد صلح مع الدولة الصـــفوية،(١) خاصـــة وأن السلطان أحمد كان عزوفاً عن الحرب، ورغب في تســـوية النـــزاع القـــائم بـــين الدولتين بالطرق السلمية، ولكن الإنكشارية ثارت وتمـــردت عليـــه،(٢) مســـتثيرة حماس المواطنين(٣).

وكانت حجتهم أن وقف الحرب سوف يحول بينهم وبين الغنائم، كما أن نهب البلاد المفتوحة سيتوقف، وتزعم ثورة الإنكشارية بترونا خليل (**) الذي طالـــب السلطان بتسليم شيخ الإسلام والصدر الأعظم وقائد البحرية قبودان باشا، بحجـــة أنهم مؤدين للصلح مع الدولة الصفوية. (٤)

رفض السلطان الاستجابة لطلبهم في بادئ الأمر، لكنه تراجع عن قراره حين تأكد من إصرارهم على قتلهم طـــوعاً أو كرهاً، وخشي على نفسهِ منهم، فســـلم لهم الصدر الأعظم والقبودان باشا(**) وسمح لهم بقتلهمِ وتم قتلهم وإلقاء جثثيهما في البحر، لكنه طلب الإبقاء على حياة شيخ الإسلام خوفاً من إثارة الرأي العـــام

(*) لمزيد من المعلومات عن أسباب حرب الدولة العثمانية مع الدولة الصفوية الرجـــوع إلـــى بسام العسلي: مرجع سابق، ص٢٠٨.

(١) بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص٢٠٨.

(٢) عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥١٧.

(٣) بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص٢٠٨.

(**) ينطق أيضاً بطرونا خليل. عبد العزيز الشناوي: ج١، مرجع سابق، ص٥١٧.

(٤) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٣.

(**) أي أميرال الأساطيل البحرية. محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص٣١٨.

وقبلت الإنكشارية هذا الحل على مضض. (١)

لكن انصياع السلطان جرأهم على الثورة عليه وعصيانه، فأعلنوا عزله في مساء نفس اليوم الذي قتلوا فيه الصدر الأعظم والقبودان باشا ١٥ ربيع الأول ١١٤٣هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٧٣٠م ونادوا بابن أخيه محمود الأول سلطاناً على الدولة وأذعن أحمد الثالث (*) لرغبتهم بدون معارضة وتنازل عن الحكم. (٢)

وهنا نلاحظ أن ثورات الإنكشارية أخذت جميع الإتجاهات ثورة للنهب والسلب وللتعدي على السلطان، وأخرى للتدخل في السياسة العليا، وهكذا أصبحت الأحوال داخل الدولة ضعيفة جداً نتيجة للتخبط في هذه الأروقة، كما وأن السلاطين صاروا ألعوبة في يد الإنكشارية يحركوهم كيفما شاءوا، مما زاد ضعف الدولة العثمانية على الصعيد الداخلي.

وهنا نرى أنهم أصبحوا كالنار يأكلون بعضهم، فأعمالهم العدوانية، لم تقتصر على السلاطين والصدور العظام وكبار رجال الدولة، بل امتدت إلى زعمائهم، حيث لم يكن للسلطان محمود الأول من السلطة إلا اسمها،(٣) ولم يكن سوى صورة لسلطان يجلس على عرش الدولة فلم يصدر قرارات ولم يُقد جيوشاً. وقد تبوأ الدولة وكان عمره خمسة وثلاثون عاماً، وكانت الأحوال في إستانبول مضطربة بسبب تمرد الإنكشارية. (٤)

وقد استأثر بالسلطة الفعلية والنفوذ بترونا خليل رئيس الإنكشارية وقائد

---

(١) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج١، ص٥١٨.

(*) لم تقتله الإنكشارية، وإنما بقي معزولاً إلى أن وافتهُ المنية في سنة ١٤١٩هـ. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣١٩.

(٢) المصدر السابق، ص٣١٨-٣١٩.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٨.

(٤) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار في دول البحار، ج١، ص٦٢٢.

الإنقلاب ضد السلطان أحمد الثالث، فكان هذا الأخير يولي في مناصب من يريد ويعزل من لا يريد، وأصبح كبار رجال الدولة يتمنون رضاهُ عنهم، وزاد استبداده، حتى بدأت الإنكشارية تنقم عليه، فقد تحركت الأطماع داخلهم، وطالبوه بتحسين أوضاعهم المادية، ولكنهم اكتشفوا عكس ذلك، إذا أنه كان سيتولى على جزء من مخصصاتهم المالية، فقرروا التخلص منه، معتمدين على كثرة عددهم، وتم قتلهِ دون أن يدافع أحداً عنه وبمقتلهِ، عادت السكينة والهدوء إلى استنانبول، وأمن الأهالي على أرواحهم وأموالهم، وبدأ السلطان في سياسة حربية نشيطة ضد الدولة الصفوية ثم ضد النمسا وروسيا. (١)

وعندما تولى عثمان الثالث الوضع لم يتغير وبقي التحكم في يد الإنكشارية.

أما مصطفى الثالث فقد تجنب الاحتكاك بالإنكشارية، وأراد أن يكون حكمه أمناً، حتى لا يصيبه ما أصاب خلفهِ، وقام بعدة إصلاحات في الجيش لكنها لم تثمر لأنها لم تمتد إلى الإنكشارية (٢) إلا أن بقيت الحروب متصلة مع الفرس تارة ومع روسيا والنمسا تارة أخرى، وقد استمرت الحرب مع روسيا، وقد كلفت الدولة العثمانية الكثير. (٣)

وفي أثناء الحرب مع روسيا كان الجيش بقيادة الصدر الأعظم، وبعد عدة معارك، ثارت الإنكشارية، وكانت العساكر قد كلت من الحروب وشقت عصى الطاعة على قائدها، وتركوه في ساحة المعركة وعادوا إلى إستانبول وعندما علم السلطان بذلك وجد أنه لا مفر من عقد الصلح مع روسيا، وعرفت هذه المعاهدة

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٢- ٣٢٠. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥١٩.

(٢) المرجع السابق، ص٥١٩.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٦.

باسم كوتشك قينارجه(*)(١)

لقد سيطرت على الفترة السابقة رؤوس متعصبة تبغي المنفعة والسلطة وأفكار محدودة الأفق لا ترتبط بمصلحة الدولة بل كانت الدولة ضحيتها، فقد صارت الدولة نطاق مليء بالعصيان، وهذا العصيان يحدث ثقوب وثغرات في جسم الدولة مما يهددها بالزوال. (٢)

لقد كانوا أحد الأسباب غير المباشرة في عقد صلح كوتشك قينارجه وهذه المعاهدة كانت مجحفة في حق الدولة، ولكن الدول اضطرت لها نظراً لهروب جيشها من ساحة المعركة.

وظل الحال كما هو في عهد عبد الحميد الأول من تدخل في السياسة خاصة وأن الحرب مع روسيا كانت مستمرة، لكن لم يذكر في المصادر التاريخية تدخل الإنكشارية مباشرة في السياسة العليا، ولكن هذا لا يمنع عدم تواجدهم على الساحة السياسية.

لقد حفل تاريخ الإنكشارية في هذه الفترة بشتى أنواع التخريب والدمار فقد تحولوا من أداة بناءة تحافظ على الدولة، إلى معول هدم وتخريب، ومن قوة حربية عالية الكفاءة، إلى ما يشبه اللصوصية، وقطع الطريق، وسلب الأرواح والأموال، وخير دليل ما حدث في دمشق وبلاد الصرب. فمثلاً في دمشق نجد أن صراع الإنكشارية مع الشعب حول دمشق إلى ساحة لطغيان الإنكشارية وتخبط

(*) عقدت معاهدة كوتشك قينارجه بعد أن انتقل السلطان مصطفى الثالث إلى الرفيق الأعلى، وقد عقد في ٩ شوال ١١٨٧هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٧٧٣م، وأبرمت في مستهل حكم أخيه السلطان عبد الحميد الأول. عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج١، ص٥١٩.

(١) يوسف أصاف: مرجع سابق، ص١١٠، انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص٢٢٨.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٤. منقولاً عن مقدمة رفيق قباقجي مصطفى.

موقف باشوات الشام في الانضمام إلى الإنكشارية أو الوقوف ضدها في بعض الأحيان انضمت إلى الإنكشارية وفي أحيان أخرى إلى الدروز وظلوا يهددون دمشق فترة من الزمن بالإغارة عليها وصارت بينهما عدة مصادمات، كان من نتائجها ضياع المال والأرواح من الأهالي. (١)

أما ما حدث في الصرب فهو خير دليل على الصورة السابقة، فبعد فتح بلاد الصرب أعطيت كافة أراضيها إلى الفرسان على شكل إقطاعات، وعندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية والنمسا وروسيا في ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨م في عهد عبد الحميد الأول، استطاعتا إنزال الهزائم المتلاحقة بالدولة العثمانية و هاجر كثير من أهالي الصرب إلى النمسا وبلاد المجر، حيث انضموا إلى سلك الجندية النمساوية، أملاً في أن تنتهي الحرب بهزيمة ساحقة للدولة العثمانية، لكن نشوب الثورة الفرنسية ١٢٠٤هـ /١٧٨٩م، أدى إلى نهاية الحرب، وتم عقد صلح مع النمسا في ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م ثم تلتها معاهدة مع روسيا. (*)(٢)

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل قامت الإنكشارية بحركات عصيان ضد أهالي الصرب، وبالتالي أفسدوا سياسة الدولة العليا، وبعد نهاية الحرب، عاد الصربيون الذين انخرطوا في سلك الجندية النمساوية، إلى بلادهم، وبدأت الإنكشارية التعرض لهم، بالقتل بوحشية لم يسبق لها مثيل، والسلب، والنهب،(٣) وكانت حجتهم في ذلك أن هؤلاء رفعوا السلاح ضد دولتهم، ووقفوا مع أعداء

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٥.

(*) احتفظت في المعاهدة روسيا ببعض الأقاليم التي كانت قد استولت عليها أثناء الحرب انظر عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢٠.

(٢) مرجع سابق، ج١، ص٥٢٠. انظر فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٨٣. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢٠.

الدولة العثمانية، فلابد من التنكيل بهم والتخلص منهم، فقامت بنهب قرى الصرب، والتعدي عليهم بكل أنواع الإهانة. (١)

وقد كان هذا تبريراً يتسترون به على غرضهم الحقيقي، وهو تحقيق منافع شخصية وعاجلة لهم، وطبعاً هذه الأعمال أحرجت الدولة العثمانية وسياستها العليا، حيث نصت الفقرة الثانية من المادة الأولى من معاهدة الصلح، أن يمنع حصول التعدي والإهانة من أحد الطرفين على الآخر، ويتم العفو عن كل من اشترك في الحرب، خاصة أهالي الصرب والبوسنة والجبل الأسود والأفلاق والبغدان، بحيث يعودوا إلى أوطانهم ويتمتعوا بجميع حقوقهم وأملاكهم، دون أن يتعرض أحداً لهم بالأذى أو المساءلة أو العقاب. (٢)

وقد أرسلت الدولة العثمانية تعليمات سريعة إلى الوالي العثماني في بلغراد، تستنكر فيها تصرفات الإنكشارية ضد الصربيين، وقضت التعليمات بأن يتم تنبيه الإنكشارية إلى أنه أصدر عفواً عاماً لأهل الصرب، إضافة إلى أن يمنع اعتدائهم على الصربيين، إلى أن الإنكشارية ضربت بهذه الأوامر عرض الحائط، واستمرت في اعتدائتها. (٣)

وقد توالت شكايات الأهالي من ظلم الإنكشارية، فأمرت الدولة الوالي بمعاقبة الإنكشارية وإخراجهم من أراضي الصرب، فلم يمتثلوا لهذه الأوامر، فحاربهم الوالي بمساعدة السباه " الفرسان الإقطاعيين" وتغلب عليهم وأخرجهم من بلغراد بعد أن قتل رئيسهم " ولي أحمد"(٤) وهكذا نجد أن بلاد الصرب عانت منهم

---

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص٣٨٣.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢١.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: رقم الوثيقة ٣٩٤٦ تصنيف HAT.Hعبد العزيز الشناوي: المرجع السابق،ج١، ص٥٢١.

(٤) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص٣٨٣.

الكثير، لقد فسد فيها الإنكشارية لدرجة أن أصبحوا من الأسباب التي أدت إلى استقلال الصرب عن حكم العثمانيين.

وقد أرسل السلطان يهدد الإنكشارية بأنه سيرسل لهم جيشاً من ديانة أخرى ليحاربهم، ففسرت الإنكشارية ذلك القول أن السلطان يقصد الصربيين فقاموا بعمل مذبحة رهيبة بالصربيين مما أدى إلى تأزم الوضع. (١)

وبعد ذلك التجأت الإنكشارية إلى بازوند أوغلي (*)، وهو أحد المغامرين الثائرين، وقد شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية، وأتخذ من ولاية ودين (**) مقراً له، وجمع حولهُ قطاع الطرق، والإنكشارية الثائرة، وقد حاربتهُ الدولة عدة مرات، ولكنها فشلت في التخلص منه، فأرسلت حسين باشا (***) لمحاربتهِ، والذي خاف من أن يحذو حذوه حكام الولايات العثمانية في البلقان، ويقوموا بتمردات ضد الدولة العثمانية، فاقترح على سليم الثالث أن يعطيه حكم ولاية ودين طوال حياته، وفعلاً تم هذا الأمر، وقد انضوت تحت لواء الإنكشارية، وقد توسط لهم عند الباب العالي حتى يعودوا لبلغراد، بشرط أن يلتزموا الهدوء وعدم التعدي على الأهالي، إلا أنهم لم يلبثوا أن حاصروا بلغراد ودخلوها عنوة، ولم يرجعوا

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٦.

(*) يرد ذكر أسمه في بعض المصادر: باسبان أوغلي، بازوانت أوغلي، بازواند زاده عثمان. عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج١، ص٥٢٢.

(**) ودين تقع في بلغاريا، ويرد ذكر اسمها أحياناً فيدين، وهي مدينة حصينة تقع على نهر الدانوب وذات موقع استراتيجي، واكتسبت شهرتها في الدولة العثمانية لأنها مقر بازواند أغلي. انظر المرجع السابق، ص٥٢٢.

(***) يعد حسين باشا من أعلام العسكريين العثمانيين. وكان الذراع الأيمن للسلطان سليم الثالث وقد نفذ فكرة تطوير القوات المسلحة العثمانية، ورأى ضرورة التخلص من الإنكشارية، وتم تعينه قبوداناً عاماً. المرجع السابق، ص٥٢٢.

عن غيهم، واستمروا في نهب وسلب البلاد مرة أخرى، ونشروا الفساد في المدينة. [١]

وعندما فاض الأهالي، من أفعال الإنكشارية، قرروا الدفاع عن أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ورأوا ضرورة استخدام القوة لردع الإنكشارية، وانتخبوا رئيساً لهم جورج بتر وفتش[*] أو قرة جورج، أي جورج الأسود، وبدأ الصربيين في مطاردة الإنكشارية حتى أبعدوهم عن القرى، وأحكموا حولهم الدائرة حتى حصروهم في المدن، وسكان هذه المدن كانوا على أهبة الاستعداد للانقضاض على الإنكشارية إذا ما قاموا بأعمال سلب أو نهب. [٢]

وهنا أدركت الدولة العثمانية خطورة الموقف، نتيجة تصرفات الإنكشارية في الصرب، فخافت أن تنقلب ثورة الصربيين ضد الإنكشارية وتصبح ضد الوجود العثماني في الصرب، فأرسلت إلى والي البوسنة بكير باشا تطلب منه الزحف على بلغراد وطرد الإنكشارية منها، وقد نجح هذا في دخول بلغراد وتنفيذ المهمة التي أرسل من أجلها وتم طرد الإنكشارية من بلغراد. [٣]

---

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص٣٨٣. انظر المرجع السابق، ص٥٢٢-٥٢٣.

(*) ولد هذا الثائر في بلغراد سنة ١٧٧٠ م، وكان يلقب بقره جورج أي الأسود، وهو أول من جمع الصربيين على مقاومة الدولة العثمانية وطلب الاستقلال، في سنة ١٨٠٦م نال بعض الامتيازات التي عادت وسحبتها الدولة العثمانية عام ١٨١٣م وطردته فهاجر إلى روسيا حيث عين هناك قائداً لجيوشها وفي سنة ١٨١٧م حاول الرجوع إلى الصرب لإثارة الفتن فقبض عليه ميلوش وقتله وأرسل رأسه إلى إسطنبول علامة على ولائه. وينسب إليه أنه قتل أباه وأخاه عندما أحس ميلهم للعثمانيين. انظر محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص٣٨٣ - ٣٨٤.

(٢) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص٣٨٣،٣٨٤.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢٣.

وكان هذا يدل على مدى فساد الإنكشارية، وأنها صارت عالة على الدولة العثمانية، لدرجة أنها تتعاون مع الصربيين لطردهم والتخلص من شرورهم، وهذا يوضح مدى فقد الدولة العثمانية لزمام السيطرة على الإنكشارية ومن ثم عدم قدرة الدولة العثمانية السيطرة عليها. (١)

ومع كل هذه الجهود المهدرة من قبل الدولة العثمانية لم تخضع الإنكشارية ولم تقدر وضع الدولة العثمانية التي كان أعدائها من الروس والنمسا يتربصون بها.

فقد عادت الإنكشارية لسيرتها الأولى، وجمعوا فلولهم، وبدأوا في ممارسة أعمالهم العدوانية مرة أخرى، فقامت صربيا بزعامة قرة جورج عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤م وقاتلت الحامية العثمانية في بلغراد، وأعملت فيها مذبحة رهيبة، على اعتبار أنها المسؤولة عن أعمال الإنكشارية الإجرامية وعن ابتعادهم عن القواعد العسكرية. وقد اتشحت هذه الحرب بمذابح دموية، وأخيراً بعد حرب ثمانية سنوات، وحصلوا على وعد بالاستقلال الذاتي في المعاهدة العثمانية الروسية عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م(٢)

ويتضح من تمردات الإنكشارية في بلاد الصرب، أن شرورهم وصلت إلى البلقان ولم تقتصر على إستانبول والبلاد العربية، وأنهم كانوا مقدمة لاستقلال الصرب، حيث أن حرب الإنكشارية تطورت إلى حرب ضد الوجود العثماني. ونجد أن أول شعب سعى للخروج عن الدولة العثمانية هم شعب الصرب، على الرغم من أنهم كانوا أكثر خضوعاً للعثمانيين من شعوب منطقتي مولدافيا و ولاشيا، وكان ضعف الدولة وتباطئها في معاقبة الإنكشارية في صربيا وقتاً مناسباً لقيام

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٦.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢٥.

شعوب البلقان بحركات انفصالية. [١]

ومع بداية حكم السلطان سليم الثالث، قامت الإنكشارية بحركات عصيان في مصر ضد الوالي العثماني هناك بسبب رغبتهم في أخذ المكافأة والعودة إلى بلادهم حيث لم يصبروا حتى يرد أذن سفرهم واستعجلوا الرحيل فما كان من الوزير إلا أن حبسهم في القلعة حتى يرد الإذن إنهاءً للتمرد[٢]

وقد قامت الإنكشارية بتمرد على السلطان سليم الثالث وعزلوه، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى قتلهِ، وكان من نتائج قتل سليم الثالث أن قام تمرد عارم في جميع الأوساط، أصبح الوضع غير محتمل، خاصة وأن الدولة العثمانية تعاني من عدة جبهات مفتوحة عليها.

ولم يتوقف شغب الإنكشارية في عهد مصطفى الرابع إذ أنهم تمردوا على السلطان عندما أقال شيخ الإسلام عطاالله أفندي، لأنه كان يحرضهم على الأعمال العدوانية، فتمردوا عند إقالتهِ وأعادوه إلى منصبهِ مرة أخرى فطغى واستبد بالأمر وزادت الأحوال تكدراً. [٣] في أثناء ذلك كانت الحرب دائرة بين الدولة العثمانية وروسيا عند نهر الطونة، فوصلت أخبار إبطال النظام الجديد إلى الإنكشارية في ساحة المعركة، فسعدوا بذلك كثيراً وشملهم السرور، وعندما أحسوا من القائد العام الصدر الأعظم حلمي إبراهيم باشا، عدم ارتياحه لما حدث من إلقاء النظام الجديد، قاموا بقتلهِ، وتعيين جلبي مصطفى باشا مكانه، وبالتالي فشلت الجيوش العثمانية في الاستمرار في الحرب، ولو أن جيوش روسيا متكاملة في مواجهة الدولة العثمانية لكانت نتائج هذه الحروب وخيمة على الدولة

---

(١) مرجع سابق، ج١، ص٥٢٦.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء: وثيقة رقم ٦٦٣٣ HAT.H.

(٣) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج١، ص٢٦١.

العثمانية، فقد كانت أغلب جيوش روسيا تواجه الإمبراطور نابليون بونابرت. (١)

لقد عمت الفوضى في صفوف الإنكشارية، لدرجة أنهم يقتلوا قائدهم العام، وفي وسط حرب، لمجرد أنه لم يستحسن إلغاء النظام الجديد، لقد وصلوا إلى درجة كبيرة من الاستهتار والفوضى.

إن وصول الفتن والحروب والخروج عن القانون، وحدوث الخصومات أدت إلى تزايد الكروب على الناس وكثر الظلم والجور وكل ذلك بسبب شغب الجنود والعساكر الإنكشارية. (٢)

أما عهد محمود الثاني فقد كثرت تمرداتهم في الأقاليم وتعديهم على أمن الأهالي، بل وتعدى ذلك بتعديهم على الوالي العثماني في الأقليم.

فعلى سبيل المثال نجد أنهم تعرضوا لمصطفى باشا الوالي العثماني في البوسنة، بالإفتراء والاعتداء، ونشروا حولهُ الأكاذيب كما تعدوا على قاضي محكمة ترافنيك، حتى فر من أيديهم، وكان هدفهم من هذا التمرد مدهُ حتى يصل إلى أستانبول. (٣)

كما زادت تمرداتهم في محافظة خربوت، على الرغم من أن أغا الإنكشارية هناك أظهر الطاعة، إلا أن الجنود كانوا على العكس، كثرة اعتداءاتهم، مما سبب صدمة للدولة العثمانية حيث رأت أنه لا يجوز أن تترك المنطقة على هذا الحال، لأن الإنكشارية بدأت تتدخل في السياسة العامة، فقررت الدولة العثمانية عزل

---

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص٣٩٤.

(٢) عبد الغني النابلسي: الكشف الشافي والبيان الوافي في معرفة حوادث الزمان في دولة آل عثمان، مخطوط محفوظ في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تحت رقم ٢٠٦٦٦، ورقة ٨.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة HAT.H ٢١٨١٣.

الأغا وتعيين مكانه آخر، وأمر السلطان بإعدام المتسببين في هذه التمردات. [(١)]

كما كثر تعديهم على مزارع الأهالي في بلاد الشام وخاصة قصبة سلوري، وكانوا يعتدون على المزارعين في منازلهم ويهتكوا الأعراض، وأظهروا القوة والخشونة، مما دفع بنائب سلوري الاستنجاد بإستانبول لإرسال ضباط لحفظ الأمن في المنطقة من تعديات الإنكشارية. [(٢)]

ومن العرض السابق يتضح لنا أنهم تسببوا في ضياع كثير من ممتلكات الدولة العثمانية، كما وأنهم تسببوا في توقف حركة الفتوحات في بعض الأحيان، ومما لا شك فيه أن تدخلهم في المسائل السياسية العليا كان له أبلغ الأثر في إرهاق الدولة داخلياً، وجعلها دائماً في حالة ترقب لهم ولأعمالهم، مما جعلها مشغولة في أمورها الداخلية، الذي أدى بدوره إلى إنقضاض الأعداء عليها من كل الجهات.

لا شك أن ضعف شخصية السلاطين ساعد على ظهورهم بشكل كبير على مسرح الأحداث السياسية، وبلغوا من القوة أنهم قضوا على أي سلطان قوي، أو محاولة إصلاح جادة، وهم بذلك وقفوا موقفاً عدائياً من الإصلاح والنظم الحديثة ورفضوا أي استخدام للأسلحة الحديثة، مما عطل من تطويرهم ومن ثم خسرانهم أغلب المعارك التي دخلوها.

ومن هذا العرض السابق يتضح لنا أنهم تسببوا في ضياع كثير من ممتلكات الدولة العثمانية بسبب شغب الجنود والعساكر الإنكشارية.[(٣)]، كما وأنهم تسببوا

---

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة ١٦٦٧٣، خط همايوني H.H.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة ١٧١٠٧ HAT.H.

(٣) عبد الغني النابلسي: الكشف الشافي والبيان الوافي في معرفة حوادث الزمان في دولة آل عثمان، ورقة٨.

في توقف الفتوحات في بعض الأحيان، ومما لا شك فيه أن تدخلهم في المسائل السياسية العليا كان له أبلغ الأثر في إرهاق الدولة داخلياً، وجعلها دائماً في حالة ترقب لهم ولأعمالهم مما جعلها مشغولة في أمورها الداخلية، مما أدى إلى انقضاض الأعداء عليها من كل الجهات، لا شك أن ضعف شخصية السلاطين ساعد أيضا على ظهورهم بشكل كبير على مسرح الأحداث السياسية، وبلغوا من القوة، لدرجة أنه عند اعتلاء أريكة الحكم العثماني سلطان قوي، وأراد الإصلاح قاموا بخلعهِ وقتلهِ، وبذلك وقفوا موقفاً معادياً من الإصلاح والنظم الحديثة ورفضوا أي استخدام للأسلحة الحديثة، مما عطل في تطويرهم ومن ثم خسرانهم أغلب المعارك التي دخلوها.



الفصل الثالث

تفاقم خطر الإنكشارية

المبحث الأول :

موقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة

المبحث الثاني :

إلغاء فيالق الإنكشارية ومناقشة وجهات النظر حول إلغائها



المبحث الأول
موقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة

مع حلول القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي بدأت تظهرفى الأفق مشكلة جديدة للإنكشارية، وهي قصور الناحية العسكرية، ومن ثم خسرانها أغلب المعارك التي تدخلها، إضافة إلى ما سبق ذكره عن تمرد الإنكشارية وثوراتهم الدائمة.

إن قصور الناحية العسكرية جاء من استخدام الإنكشارية أسلحة قديمة غير متطورة، ولعدم مواكبتها لروح العصر السائدة، خاصة في أوروبا، فأصبحت في أمس الحاجة إلى التطوير والإصلاح بعد أن أصابها الجمود. وإذا قورن الوضع بما هو عليه في الغرب، فإن الفرق واضح حيث كانت أوروبا في تطور مستمر في نظم الحرب ووسائله مع استخدام أسلحة حديثة أكثر قدرة على التدمير، إضافة إلى اهتمام قيادات الجيوش الأوروبية بالبحث عن طرق جديدة تساعدهم على التحصين والهجوم والدفاع عن القلاع والمدن.

وكان طبيعياً جداً أنه عندما يفكر السلاطين في الإصلاح تتجه أنظارهم إلى الجيش، وبالأخص جيش الإنكشارية للحفاظ على الدولة وأمنها واستمرار حركة فتوحاتها. وهكذا جاء الإصلاح نتيجة لضرورة ملحة، إضافة إلى إعجاب السلاطين بأنظمة أوروبا العسكرية.

لقد كانت أوروبا تعيش حركة علمية ملحوظة في أعقاب الثورة الصناعية، في الوقت الذي وقف فيه الفتح العثماني، وأرتد في اتجاه مضاد، مما أدى إلى عجز الأنظمة القديمة الحربية في الدولة العثمانية عن مواجهة الظروف الجديدة،

فاضطرب الأمن وسادت الفتن والقلاقل في أجزاء الدولة. [١] وهكذا كـان لعـدم وجود هذه التطورات العسكرية في الإنكشارية أثره في عجز الجيش عن مسايرة جيوش أوروبا.

وعندما حاول بعض السلاطين إصلاح الإنكشارية وإصلاح وضـع أسـلحتها القديمة، دفع بعض هؤلاء السلاطين حياتهم ثمناً لهذه الرغبة، مثل عثمان الثاني، وإبراهيم الأول، وسليم الثالث وغيرهم.

ومع حلول القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي أصيبت الدولة بهزائم متكررة، وفادحة أمام الأعداء، والتي كشفت بجلاء أن الدولة بكيانها القديم لن تستطيع حماية وجودها أمام الدول الأوروبية،[٢] خاصة مع تنامي قوة أوروبا الاقتصادية إلى جانب تطور الأسـلحة والمرونـة السياسـية التـي تميـز بهـا حكامها.[٣] فأصبح أمر إصلاح الإنكشارية ضرورة ملحة، بعد تحولها من أداة ظفر إلى أداة تخريب وهزيمة.

وأصبح لا مفر من الاتجاه نحو إجراء تنظيم عام في كافة المؤسسات والتـي من خلالها تستطيع الدولة العثمانية الوقوف على قدميها من جديد، خاصـة وأن الهزائم الفادحة التي لحقت بالدولة العثمانية جعلتها تسارع في إصلاح العسـكرية وتنظيم الإنكشارية وفق الأساليب التي سارت عليها الدول الأوروبية. [٤]

ولأجل هذا التأخر في التنظيم العسكري صارت جميع الحروب التي تخوضها

---

(١) أميره مداح : مرجع سابق، ص٦١.

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص٧٨. أنظر عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص٨٢، ٨٣.

(٤) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٥) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص٧٩.

الدولة العثمانية، كثيراً ما تنتهي بهزائم شنيعة، حتى أن حدود الدولة أخذت تتراجع وتتقلص في الجهات المتاخمة لأوروبا(١)

وعندما قررت الدولة العثمانية تطوير الجيش، بإدخال النظم العسكرية الحديثة زادت مشكلة الإنكشارية تفاقماً. ولم يكن أمر إصلاح الجيش سهلاً أبداً، إذ أنه قوبل بمعارضة شديدة جداً، واستهلك قوة رجال الدولة وجهودهم لمدة تزيد عن نصف قرن. وانقسم الرأي ما بين مؤيد للإقتباس من الغرب، وآخر معارض ذلك، إضافة إلى رأي ثالث يرى ضرورة الإصلاح. (*)

ويبدو أن المشكلة كانت تكمن في استعلاء شعب الدولة العثمانية واحتقارهم لكل ما هو أوروبي، وقد أوضحت الوثائق هذا بألفاظ وعبارات توضح استعلائهم على كل ما هو غير إسلامي، ووصفتهم بأنهم كفار لئام، وغير ذلك على الرغم من أن الإسلام لا يمنع الأخذ من الغرب في النواحي التي لا تمس العقيدة الإسلامية. (٢)

وقد كانت العقبة أمام السلاطين المصلحين هي كيف أن أمة ظلت قروناً عديدة تكره أوروبا بشدة، ثم تضطر في حقبة من تاريخها أن تقتبس منها، ويزداد الأمر غرابة بملاحظة الفئة التي تطالب بالإصلاح فقد جرت العادة أن الشعب هم من يطالب بالإصلاح، والحكام يرفضوا هذا الأمر، ولكن هنا الصورة تختلف، فالسلطان هو من يطالب بالإصلاح، بينما تعارضها فئات من الشعب منها

---

(١) ساطع الحصري : مرجع سابق، ص٧٣.

(*) لمزيد من تفاصيل جهود الدولة العثمانية في تطوير الإنكشارية على الأسس الأوروبية الحديثة الرجوع إلى إحسان ثريا صرما : مساوئ التنظيمات، د.ط، د.م، ١٩٨٨م، ص ٦٥.

(٢) أميرة مداح : مرجع سابق، ص٦٢.

الإنكشارية وبعض رجال هيئة العلماء ممن تسرب إليهم الخلل أيضاً[(١)] واستعان بهم الإنشكارية في رفض الإصلاحات، وتفسيرها بأنها محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. [(٢)]

وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كان على الدولة العثمانية أن تخرج من هذا الوضع، أو تسقط العاصمة في أيدي الأعداء، وينهار البناء كله، وصار الخروج من هذا الظلام والأخذ بالأفكار الأوروبية وإعادة بناء الدولة أمراً حيوياً، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وكل خطوة ناحية الإصلاح تقابل بعنف وفتاوي بالإنحراف، ويتعرض السلطان إلى نقمة الإنكشارية، وإنتقامها، وينتهي الأمر إما بالعزل أو القتل، وإراقة الدماء، ويعم العاصمة الفتن الدموية والتمردات وتتراجع الدولة مرة أخرى إلى ما كانت عليه من توقف وشلل. [(٣)]

وإذا فصلنا موقف الإنكشارية من النظم الحديثة، وموقف السلاطين منهم، وتناولنا بشيء من التوسع، نجد أن مشكلة قصور أسلحتهم عن مسايرة أسلحة أوروبا المتطورة أول ما ظهرت في عهد مراد الثالث وإن لم تأخذ الشكل الواضح الأساسي، كالذي أخذته في عهد من جاءوا بعده.

وإنما وجدت كبذرة صغيرة نمت فيما بعد، ففي عهد مراد الثالث نشبت الحرب العثمانية الفارسية والتي استهلكت من قوة الدولة الكثير، حيث أرسلت الدولة العثمانية جيشاً لبلاد الفرس، جهزته بسرعة، وأمدته بالأسلحة المتوفرة، وذلك

---

(١) أميرة مداح: المرجع السابق، ص٦٢.

(٢) عبد الوهاب بكر : مرجع سابق، ص٥٨.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٨٢.

ليستغلوا أوضاع الفرس الداخلية،(*) فحقق هذا الجيش انتصاراً، ولكنه عكس التوقع فلم يكن على المستوى المطلوب لا سيما وأن أعداد الجيش العثماني كان أكثر من جيش الفرس بكثير. (١)

أما في عهد عثمان الثاني فقد تميز عهده بمنهجين أراد تطبيقهما المنهج الأول إنشاء قوة عسكرية جديدة منظمة على أحدث الفنون العسكرية تحل محل الإنكشارية، والمنهج الثاني القضاء على الإنكشارية والتخلص من نفوذهم، أو العمل على تقليل وتقليص نفوذهم على الأقل.

وكان عثمان الثاني من سلاطين فترة الضعف، ولكنه حاول أن لا يستسلم للإنكشارية، وقد أدرك أن الخلل وأسباب الانحدار يكمن في العلماء فلم يحدث أن استطاع سلطان إخماد أي عصيان عسكري أيده العلماء، ولكن الإنكشارية ثارت عليه، وتجمع الثوار وطالبوا السلطان برؤوس ستة أشخاص، أولهم أستاذ السلطان عمر أفندي وهو صاحب الفكرة الحقيقية للإصلاح، وكان يعتبر الرجل الثاني بعد شيخ الإسلام، فأصدر السلطان عثمان الثاني بيان وعد فيه بعدم تسليم الرجال المطلوب إعدامهم، واستهان بالثوار علناً، فأندفع الثوار لداخل القصر ثائرين. (٢)

ولم تكن فكرة إصلاح الإنكشارية، من بنات أفكار عثمان الثاني، وإنما تعود

(*) أراد الصدر الأعظم محمد باشا صقلي استغلال الاضطرابات الداخلية لبلاد العجم، فقد توفي الشاه طهماسب سنة ٩٨٤ هـ، ١٥٧٦م وتولى بعده إبنه حيدر الذي قتل بعد توليه بساعات ودفن مع أبيه، ثم تولى إسماعيل الأبن الآخر لطهماسب والذي توفي مسموماً ٩٨٥هـ، وخلفه أخوه محمد خدابنده أي عبد الله، وكانت البلاد منقسمة عليه. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٢٦١.

(١) كارل بروكلمان : مرجع سابق، ص٤٦٦. فريد المحامي : مصدر سابق، ص٢٦٢،٢٦١.

(٢) يلمازا وزوتونا : مصدر سابق، ج١، ص٤٦١، ٤٦٢.

إلى سنة ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٦م في أواخر عهد مراد الثالث وبداية عهد محمد الثالث، فقد كان أول من فكر بها هو الخوجة سعد الدين أفندي ثم ورث هذه الفكرة أستاذ ومعلم السلطان عثمان الثاني وهو عمر أفندي، وهذا هو الذي لقن السلطان الشاب أفكار الإصلاح، وبدأ عثمان الثاني في تنفيذ هذه الأفكار خاصة وأنه قرأ كتباً أوروبية كثيرة وصارت لديه فكرة عن أوروبا ونظمها الحديثة، وقد نفذها بصورة سريعة دون مراعاة لشعور الناس، مما سبب الخوف والفزع، إضافة إلى أن هذه الإصلاحات كانت تحتاج إلى إعداد فرق جديدة. (١)

أراد عثمان الثاني تأسيس فرقة عسكرية على النظم الحديثة في نظام الجيش الأساسي وتكوينه، ورأى أن تسلط هؤلاء على أجهزة الحكم سبب مباشر في الاستبداد والرشوة والتفكك الذي أصاب الدولة. (٢)

وقد حاول عثمان الثاني خلال الفترة القصيرة لتوليه العرش أن يدخل إصلاحات على القوة العسكرية العثمانية، وللوصول إلى ذلك رأى من الضروري تقليص نفوذ الإنكشارية. (٣)

وشرع عثمان الثاني في تنفيذ خطته الإصلاحية، فأرسل تعليمات سرية إلى العديد من البكلر بك، لجمع الجنود من آسيا وتدريبهم في محاولة لتنظيم مشروعة، (٤) واعتمد في هذا المشروع على الفلاحين من سوريا والأناضول وأمر بحشد القوات في ولايات آسيا، وأهتم بتدريبها وتنظيمها، ولكنه تعمد

---

(١) يلمازا أوزتونا : مصدر سابق، ج١، ص ٤٦٠، ٤٦١٥.

(٢) عبدالوهاب بكر: مرجع سابق، ص٥١، ٥٢.

(٣) سيد مصطفى : مرجع سابق، ص١٢.

(٤) يلمازا أوزتونا :مصدر سابق، ج١، ص٤٦٠. أنظر أيضاً على حسون : مرجع سابق، ص١٣٤.

تقليص صلاحيات العلماء، وهو بذلك ضرب على وتراً هاماً للغاية، أفسد عليه كل نظامه الإصلاحي فقد حاول إنقاص نفوذ هذه الهيئة الدينية "العلماء" حتى لا تستخدم صلاحياتها الدينية لإيقاف وعرقلة محاولاته الإصلاحية، مما أدى إلى حدوث مواجهة معهم، وحتى مع أبي زوجته شيخ الإسلام خوجة أسعد أفندي(*)، كما وأن الإنكشارية قد فقدت صبرها عليه، وتوجست من إصلاحاته في الجيش الشر، وأحسوا بأن الخطر يداهمهم فقاموا بعمل ثورة على السلطان عثمان الثاني.(١)

وهكذا وجد عثمان الثاني نفسه بين جماعتين حانقتين على إصلاحاته ومعنيتين بإيقاف هذا الإصلاح، من أجل نفوذهما وهما "الإنكشارية -العلماء" واللتين اتحدتا للتخلص من حكمه وممن أيدوه في الإصلاح، ووقعت في عام ١٠٣١هـ / ١٦٢١م مأساة عثمان الثاني وتوقف الإصلاح، ولم يتوقف الفساد المتغلغل في فرقة الإنكشارية، واستمر الحال على ما هو عليه، واستمرت الفوضى والعناد من الإنكشارية ضد النظم الحديثة. (٢)

وكانت هذه الثورة قد حصلت على تأييد العلماء لأن أي تمرد لا يحصل على دعم العلماء، يستطيع السلطان إخماده، وفي هذه الثورة لم يتمكن من إبادة الإنكشارية والتخلص من شرورهم بل انقلب الوضع عليه، وأبادتهُ الإنكشارية مع

(*) وهو ابن شيخ الإسلام خوجه سعد الدين أفندي وأخو شيخ الإسلام محمد أفندي. يلماز أوزتونا : مصدر سابق، ج١ ، ص٤٦٠.

(١) مصدر سابق، ج١، ٤٦٠. انظر أيضاً عبد الوهاب بكر : مرجع سابق، ص٥٢. أنظر أيضاً علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص٤٨٧، ٤٨٨ أنظر أيضاً محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٢٥١. أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول : رقم الوثيقة ٧٩١٧ تصنيف HAT.H.

(٢) عبد الوهاب بكر : مرجع سابق، ص٥٢-٥٣.

مساعــديه خوفاً من بطشه.[١]

أما عهد مراد الرابع فقد استفحل في عهده نفوذ الإنكشارية كثيراً [٢] وكانت أحوال الدولة سيئة للغاية، فقام بعدة إصلاحات داخلية بعيدة عن فرقة الإنكشارية، وبما أن الدولة كانت في حالة انهيار فقد قام بإجراءات بغية وقف الإنهيار، كمـا انتقم لمقتل أخيه السلطان عثمان وأعدم طغاة العسكر في إستانبول وجميع أنحاء الدولة.[٣] حتى تكدست رؤسهم على ضفاف البسفور. وقيل أن من قتل في عهده بلغ مائة ألف أو ما يزيد.[٤]

وقد كانت جدته [*] ذات حكمة وعقل راجح، ساعدته على إصـلاح الدولـة والإعلاء من شأنها، ولكنها قتلت فـي النهايـة [٥] لمحاولتهـا إصـلاح أمـر الإنكشارية، مما جعلهم يدبرون لها مؤامرة خبيثة أدت إلى قتلها.

وقد لقي إبراهيم الأول [**] نفس مصير عثمان الثاني، حيث حاول إصـلاح الجيش، والتخلص من الإنـكشارية، فأحسـوا بمقصده فتخلصوا منه، ولم يستطع

---

(١) محمد جميل بيهم : أوليات سلاطين تركيا، ص٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) محمد علي الصلابي:مرجع سابق،ص٤٨٨، ٤٨٩. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٩٣

(٤) عمر الإسكندري – سليم حسن : مرجع سابق، ص٤٠.

(*) لقد تمت الإشارة إلى مقتلها بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الأول.

(٥) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية : ١٥٦.

(**) سبق الإشارة إلى مقتله. في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

عمل شيء. (١)

ولم تظهر فكرة إدخال الأساليب الحديثة في القتال مرة أخرى إلا في عهد مصطفى الثاني، فقد تولى العرش وحرم الإنكشارية من الهبة المعتادة، فلم يحركوا ساكناً، ولكن عندما أراد تطوير الجيش وإدخال النظم الحديثة عليه أبوا ذلك، ونقموا عليه وثاروا ونزلوا إلى الشوارع فأنضم إليهم الشعب وخلعوا أرباب المناصب وعينوا غيرهم وانتهى حكم هذا السلطان بالخلع سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م ومات في نفس السنة. (٢) دون إراقة نقطة دم واحدة.

ولكن الفكرة تطورت في عهد السلطان أحمد الثالث وعمل على تنظيم الإنكشارية (٣) ونمت في أذهان السلاطين بعد ذلك فكرة الإصلاح الحربي، للقضاء على بذور الثورة التي زرعتها الإنكشارية (٤) فقد أخذت محاولات الإصلاح والاتصال بالغرب تشق طريقها وسط تحديات الإنكشارية والعناصر الرجعية. (٥)

وقد كان الصدر الأعظم الداماد "إبراهيم باشا" الذي تولى الصدارة العظمى عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م. (٦) وهو من ضمن العدد القليل من العثمانيين الذين نادوا بالإصلاح بهدف الوصول إلى الوسائل التي غذت بها أوروبا قوتها الخاصة في التنظيم العسكري والفن الحربي، واستخدام الأسلحة الجديدة، وهو يعتبر أول

---

(١) يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج١، ص٤٩٤.
(٢) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص٣٢.
(٣) عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص٨٣.
(٤) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٩٤.
(٥) عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق، ص٢٤٧.
(٦) مرجع سابق، ص٢٤٧.

مسئول عثماني يعترف بأهمية ووجوب التعرف على أوروبا. (١)

لذا أخذ يعمل لمدة أثنى عشر عاماً متواصلة على إدخال الاقتباسات الغربية إلى الدولة العثمانية، خاصة في المجال العسكري والحربي، فأول عمل قام به هو تقديم مذكرة للسلطان حذره فيها من أن الحرب التي نشبت مع النمسا في السنوات السابقة لتعينه صدراً أعظم ستؤدي بلا شك إلى نهاية الدولة العثمانية سريعاً، إذا لم يباشروا بإصلاحات عسكرية واسعة النطاق بسرعة، وحث السلطان على ضرورة البدء بالإصلاحات العسكرية حالماً يوقع مع النمسا الصلح.(٢)

لذا فقد قام بعمل اتصالات مباشرة مع سفراء أوروبا خاصة سفيري فينا وباريس للمرة الأولى. وأوكل لهم مهمة تزويده بمعلومات عن قوة أوروبا العسكرية، إضافة إلى توقيع الاتفاقات التجارية والدبلوماسية الخاصة بالمعاهدات التي سبق توقيعها، وكان يعني هذا الأمر الاعتراف ضمنياً بالأمر الواقع الخاص بأنه لم يعد بإمكان العثمانيين تجاهل التطورات الداخلية (*)التي كانت تحدث في أوروبا. (٣)

وتنفيذاً لهذه المعاهدات قام أحد الفرنسيين ويدعى David (**) في عام

---

(١) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص٤٩٨.

(٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(*) على الصعيد الداخلي حاول السلطان أحمد الثالث إصلاح السباهية حيث اشترط على الجندي السباهي صاحب التيمار أن تكون إقامته في مكان وجود تيماره، وأن لا يترك منطقته. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول. دفاتر مهمة، دفتر ١١٤، ص١٧٢.

(٣) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص٤٩٨- ٤٩٩.

(**) اعتنق الإسلام وسمى نفسه جرشك. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص٢٤٧.

١١٣٣ هـ /١٧٢٠م بإنشاء فرقة عسكرية في إستانبول مزودة بالأسلحة النارية، كما أحدث عدة تغيرات في الأسلحة العسكرية فعلى سبيل المثال أحدث تغير مهم في صناعة السفن، فقد حسن صناعتها كثيراً، اختفت السفن الشراعية من البحرية العثمانية. ولم يكتف بما قدمه هؤلاء الأجانب من خدمات للدولة بل أنه أرسل في عام ١١٣٢هـ/١٧١٩م بعثة إلى فينا مهمتها الإطلاع على التقدم العسكري والعملي فيها. وفي العام الذي تلاه أرسل شخص يدعى محمد سعيد شلبي إلى فرنسا مهمته إرسال تقارير عن الخطوات العلمية التي يجب أن يتبعها الجيش العثماني. (١) وبالطبع فقد أثارت هذه الإصلاحات حفيظة الإنكشارية وغضبهم، خاصة وأن استقدام الخبراء والسفر إلى الخارج قد كلف الدولة أموالاً كثيرة، مما أدى إلى ثورتهم كالمعتاد.

وقد ثاروا على السلطان " أحمد الثالث " حتى أرغموه على التنازل عن العرش، وبالتالي إعدام الصدر الأعظم وكل القائمين على الإصلاح، وعاد الأمر كما أرادوا. (٢)

تولى الحكم محمود الأول في وقت كانت فكرة الإصلاح الحربي كانت قد تبلورت في أذهان السلاطين، وكان مؤمناً بضرورة الإصلاح العسكري، فأنتظر حتى هدأت أوضاع الإنكشارية بعد اضطرابهم في عهد أحمد الثالث، وقرر استقدام مستشار أوروبي من فرنسا واسمه Alexander de bonval، وهو متخصص في الشؤون العسكرية وعهد إليه بإحياء فرقة المدفعية التي أسست في عهد أحمد الثالث، وأدخلت أنظمة جديدة في الخدمة العسكرية على أسس فرنسية ونمساوية، بهدف إحياء الفكرة القديمة للإنكشارية وهي أنها مهنة حقيقية توفر المرتبات

---

(١) عمر عبدالعزيز عمر: تاريخ المشرق العربي، ص٢٤٧.

(٢) مرجع سابق، ص٢٤٧.

والمعونات.(١)

على أن يتم تقسيم فرقة الإنشكارية وتوزيعها إلى وحدات صغيرة يقودها ضابط شاب، ولكن بالطبع رفضت الإنكشارية هذا الأمر وعارضت تنفيذ هذه الخطة وأوقفتها، مما حذا بالكونت " دي بونفال " التركيز على فرقة المدفعية،(٢) وقرر عدم التعرض للإنكشارية خوفاً من ثورتهم وتمردهم. كما أمر محمود الأول الصدر الأعظم " طوبال عثمان باشا " بأن يكلف أحمد باشا بإصلاح المدفعية وبناء هندسة خانة في إسكدارة وقد حاول الصدر الأعظم إخفاء أمر هذه المدرسة عن الإنكشارية ولكن الإنكشارية علمت بها،وثاروا مطالبين بإغلاقها، فأغلقت(*)وانتهى أمرها.(٣) ولم يقم بعد ذلك بعمل يغضب الإنكشارية.

وعندما تولى مصطفى الثالث الحكم، كان الخطر يهدد الدولة العثمانية، فقد كانت روسيا تتربص بها وتتحين الفرص للإنقضاض عليها، ففكر السلطان مصطفى الثالث، في أنه لابد من القيام بعدة تنظيمات من شأنها إصلاح الجيش العثماني، حتى يصبح قادراً على مواجهة الجيوش الأوروبية(٤) المتقدمة في الأداء الحربي والأسلحة.

لقد حمل مصطفى الثالث أفكار محمود الأول الإصلاحية، لكنه تولى في وقت

---

(١) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص٥٠٠. انظر أحمد عبدالرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص١٦٢ – ١٦٣.

(٢) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٥٠٠.

(*) لقد أثمرت هذه المدرسة من حيث إيجاد اتجاه إلى التأليف والترجمة في الفنون العسكرية والهندسة والطب. انظر محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٩٥

(٣) مرجع سابق، ص٩٥.

(٤) محمد علي الصلابي : مرجع سابق، ص٥٠٢.

كانت الحروب محيطة بالدولة من كل جانب، فلم تعطه فرصة لقيادة حركة إصلاحية على نطاق واسع. (١)

ولكن السلطان مصطفى الثالث حاول قدر الإمكان العمل على الإصلاح، فقد كان دائماً يدعو السفراء الأوروبيين إلى الحفلات ويتحدث معهم عن الإصلاح وأفكاره حول هذا الموضوع، وقد حدث مرة أنه صرح في إحدى هذه الاجتماعات التي ضمت كبار رجال الدولة وكبار العلماء، صرح بأن فرنسا هي حليفة له، وأنها قد تعهدت بإرسال عدد كبير من السفن الحربية لتكوين أسطول جديد، وبذلك دل على تصميمه وإرادته. (٢)

وقد حاول منذ بداية حكمه أن ينظر في أمر الإنكشارية، فعندما بويع بالحكم، سار في موكب عظيم إلى القصر، ومر في أثناء سيره على ثكنات الإنكشارية، فقدموا له شراباً مرطباً، حسب العادة، فشربهُ السلطان وقال: سنشرب هذه الكأس معاً، في الربيع المقبل، تحت أسوار "بندر شاه " إن شاء الله(٣) وقد فرحت الإنكشارية فرحاً عظيماً وتحمست لهذا الكلام، وعرفوا أن السلطان سيعيد أيام الجهاد الأولى، ويقودهم للحرب، التي جبلوا عليها.(٤) والأرجح أن السلطان أراد بهذا الكلام، أن يبث فيهم روح الجهاد القديمة، ويحثهم على الحرب والعودة للماضي العظيم بفتوحاته ونشره للإسلام، وأراد أن يفهم أنه قبل خوض هذه المعركة، لابد من إعادة تدريبهم على الطرق العسكرية الحديثة، في محاولة من السلطان مصطفى الثالث إقناعهم بضرورة تعلم النظم الحديثة وتشجيعهم على ذلك بأنه سيقودهم بنفسه لحرب جديدة.

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٩٥.

(٢) مرجع سابق، ص٩٥.

(٣) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص٣٤، ٣٥.

وقد قام بعدة أعمال من إنشاء خيام مخصوصة بهم وبناء سفن حربية على أحدث طراز وأنفق عليهم المبالغ الطائلة لتوفير المؤن والذخيرة لهم، وأعد الاستراحات المهيأة بكل أسباب الراحة لهم على الطريق إلى العراق. (١)

لكن محاولات الإصلاح في عهد مصطفى الثالث اصطدمت بعقبات كثيرة أهمها معارضة الإنكشارية لكل إصلاح. ولم يسلموا مطلقاً بضرورة الإصلاح " التعليم العسكري " بل حقروا فائدته وكانوا يرددون دائماً " إن ولي الله الحاج بكتاش، كان يبارك جماعة الإنكشارية، منذ تأسيسها، ودعى لها بالنصر الدائم " وكانوا متأكدين أن دعاء هذا الولي وبركته تغنيهم عن تعلم أي جديد. (٢)

ونتيجة لتخوف السلطان مصطفى الثالث منهم، ولأنه كان مهتم بالإصلاح على النظام الأوروبي، والإنكشارية ترفض الإصلاح العسكري رفضاً تاماً، فقد أتجه إلى إصلاح البحرية والمدفعية، وتجنب الاحتكاك بالإنكشارية، وقد أستعان في هذا الأمر بضباط وخبراء أوروبيين. (*) وبذلك مضى مطمئناً في حكمه غير خائف من الإنكشارية بأن تصيبهُ بما أصاب سلفه. (٣)

---

(١) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم ٢١٤ خط همايوني H.H

(٢) ساطع الحصري : المرجع السابق، ص٧٦، ٧٧.

(*) لقد اتجه إلى تطوير السلاح البحري، وسلاح الطوبجية – المدفعية –. وقد استعان بخبراء عسكريين أوروبيين. وكان من بينهم البارون دي توت وهو مجري الأصل، وقد التحق والده بخدمة الحكومة الفرنسية، وحصل على الجنسية الفرنسية. وقد جاء البارون دي توت إلى إستانبول من قبل الحكومة الفرنسية، وعكف على إصلاح سلاح المدفعية وسلاح البحرية. انظر عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق، ج١، ص٥١٩.

(٣) السيد رجب حراز : المرجع السابق، ص١٥. انظر عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق، ص٢٤٩. انظر عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص٨٣.

ولكن إصلاحات مصطفى الثالث، لم تثمر الثمرة المرجوة منها ولم تحقق أي نتائج إيجابية، لأنها لم تتناول القوة الرئيسية في الجيش العثماني وهي قوة مشاة الإنكشارية. (١)

وكان السلاطين يخشون التحدث عن مسألة الإصلاح خوفاً من الإنكشارية فقد حدث ذات يوم أن قال الصدر الأعظم للسلطان مصطفى الثالث أن هذا الجيش لا ينفع في هذا العصر، وضروري من إيجاد النظام الجديد فأندهش السلطان ونظر يميناً وشمالاً، ليتأكد من عدم وجود أحداً ينقل الكلام إلى الإنكشارية، فرد عليه بأن جيشنا عظيم، يريد بذلك إخفاء هذا الخبر، وأشار إلى الصدر الأعظم بالسكوت، وبعد هذا المجلس طلب من الصدر الأعظم أن يتكلم معه بمفرده، وقال له السلطان أنك قلت قولاً عظيماً يخشى منه الخطر، أما أنا في حيرة من أمري، فأنا أفكر في هذا الأمر، من قبل توليه السلطنة بسنين عديدة في مسألة اختلال الجيش، ولكن أخاف من الخطر العظيم الذي يحيط بهذا الأمر وهذا الداء في جوفي كالقروح. (٢)

وعندما سأل أحد رجال الدولة، أحد الجنود الإنكشارية عن النظام الجديد، من باب الاستفهام عن الأمر بهدوء ولطافة، كان جوابه " أننا ما كفرنا ولن نكفر " وقد أراد بذلك التفيهم أن اتخاذ النظام الجديد ضرب من الكفر. وهذه العبارة توضح إلى أي درجة تكره الإنكشارية النظام الجديد، وخطورة هذا الأمر على الدولة العثمانية. (٣)

وتولى السلطان عبد الحميد الأول الحكم وسار في اتجاه إصلاح الإنكشارية

---

(١) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق، ج١، ص٥١٩. انظر السيد رجب حراز : المرجع السابق، ص١٥. عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص٨٣.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٤.

(٣) مرجع سابق، ص٨٤. إبراهيم حليم : المصدر السابق، ص١٩٠.

بخطوات واسعة مع الحذر من إغضاب الإنكشارية. وكان أول عمل قام به، هو الإصلاحات العسكرية حيث باشر في تعليم النظام الجديد. ولكن الإنكشارية كانت دائماً تنفر منه، حتى أن الصدر الأعظم " يوسف باشا "، كاد يموت بين أيديهم ذات يوم، عندما أصر على قيامهم ببعض الحركات العسكرية حسب الأساليب الحديثة. ولم تهدأ ثورتهم إلا بعد أن وزع عليهم مبلغاً من المال.(١)

وقد كانت سنة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م تمثل ثقل الضغط الخارجي على الدولة، وجاءت معاهدة " كوجك قينارجة " كمقياس حقيقي لمدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية، ولهذا فقد اقتنع عبدالحميد الأول أن الدولة إذا لم تصلح جيشها ونظامها العسكري، فإن أيامها لن تطول، ولابد أن يأتي الإصلاح الحربي في المقدمة.(٢)

ولهذا بدأ السلطان عبد الحميد بتقوية المدفعية، والإكثار منها وترتيب عساكرها، ولكنه لم يستطع الاستمرار في تنفيذ هذا البرنامج لثورة الإنكشارية ومعارضتهم فأوقف الإصلاحات خوفاً من الفتنة. (٣)

ومع كل المصاعب التي خاضها عبد الحميد الأول، فقد ورّث أفكاره الإصلاحية للسلطان سليم الثالث، وتعتبر الخبرة التي أكتسبها السلطان سليم في القصر السلطاني أثناء حياته المبكرة في حد ذاتها عاملاً مهماً في تنشئة السلطان سليم وتوجهه الإصلاحي للدولة، حيث منحته الثقة والحرية الكاملة. وأهلته لأن يقوم بعمل وتنفيذ رغبات كثيراً ما جاشت في صدور السلاطين السابقين له، فقد

---

(١) حبيب السيوفي : المرجع السابق، ص٣٤، ٣٥. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : رقم الوثيقة ٢١٤، خط همايوني .H.H.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٩٨.

(٣) مرجع السابق، ص٩٨.

أتيحت له فرصة الاستمرار في التأهيل لقيادة الإصلاح [*] في عهد عبد الحميد الأول والذي عامله بلطف وتفهم. [١]

ومع أن محاولات الإصلاح سارت سيراً حثيثاً في عهد السلطان عبد الحميد الأول، إلا أنها دخلت طوراً جديداً في عهد سليم الثالث، الذي كان يؤمن بضرورة إصلاح الجيش على أساس النظم الأوروبية[٢] عندما تولى سليم الثالث الحكم كانت الدولة في حالة فوضى عامة، مصبوغة أرضها بالدماء، والخلل أصاب جميع أجهزتها، والإنكشارية ترفض كل قانون جديد يبتغي أحد السلاطين تنفيذه. [٣]

وازدادت ثروات الإنكشارية وتمردهم خطورة، وقد رأى سليم كيف أن كل سلطان حاول الإصلاح عزل، وتم قتل بعضهم، ولقد رفضت الإنكشارية أكثر من محاولة إصلاح قام بها عدة سلاطين على فترات متباعدة قبل مجيء سليم الثالث نفسه.

لقد كانت ثورات الإنكشارية وحركات العصيان قد زادت وأخذت الدولة تتلقى الهزائم في كل الميادين ولم يعودوا جيشاً للفتوحات بل جيش تخريب[٤] فحرص

(*) لقد قيل أن أباه ترك له مذكرات شرح فيها، أوجه الخلل في الدولة ووسائل الإصلاح، ولذلك جاء سليم متحفزاً للإصلاحات. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٩٩.

(١) محمد عبداللطيف: حركة الإصلاح العثماني، ص٩٩.

(٢) السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص١٦. سليمان صالح الخراشي : مرجع سابق، ص١٣، ١٤.

(٣) أحمد صائب. محمد توفيق جانا : وقعة السلطان عبد العزيز، د. ط، مصر : مطبعة الهندية، د.ت: ص٨.

(٤) أميره مداح : مرجع سابق، ص٦٢.

السلطان سليم على إحياء الروح المعنوية في نفوس الجنود، وذلك باستعادة أعمالهم البطولية، وتمجيد ما حققوه من فتوحات عظيمة، وقد ألقى السلطان سليم يوم توليه العرش، خطبة حماسية، وأشاد بما حققه الإنكشاريون من أعمال بطولية ضد أعدائهم، وأن سبب تراجعهم وتخاذلهم هو بعدهم عن الإسلام وسنة نبيه، وحثهم على طلب الشهادة وطاعة ولي الأمر، وضرورة استعادة بلاد القرم.(١) لقد كان السلطان سليم حريص على استعادة القرم وتحقيق النصر على أعدائه، والعمل على تطوير الجيش، وقام بإصدار الأوامر للصدر الأعظم باتخاذ اللازم وإرسال حملة إلى ساحة القتال لمواجهة جيوش النمسا وروسيا.(٢)

وتحركت القوات العثمانية عبر البغدان والأفلاق حتى شارفت مقدمة الجيش العثماني نهر رمينيك عند حدود النمسا وهناك أنقض الجيشان الروسي والنمساوي على الجيش العثماني، وتمكنوا من مباغتتهم والانتصار عليهم، وسميت هذه المعركة " يوزا " أو " مينيك"(*) وقد كان لهذه المعركة أثراً سيئاً على الدولة العثمانية، حيث أحبطت فرصة تنظيم الجيش، وتوالت بعدها الهزائم على الدولة العثمانية وتراجعوا إلى الوراء باتجاه شرق الدانوب، وأعطت للنمسا فرصة لفك حصار بلغراد،وفتح الطريق لقوات النمسا لإخراج العثمانيين من أوروبا.(٣)

إضافة إلى نشوب الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، وقد استطاعت

---

(١) يوسف علي رابع الثقفي : موقف أوروبا من الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف : دار الحارثي، ١٤١٧هـ، ص٦٨.

(٢) محمد علي الصلابي : مرجع سابق، ص٥١٣، ٥١٤.

(*) نسبة إلى النهر الذي وقعت عنده المعركة.

(٣) مرجع سابق، ص٥١٥.

الأخيرة أن تستولي على كثير من أملاك الدولة العثمانية، إضافة إلى أن جيش الدولة العثمانية وخاصة الإنكشارية كان يرتكب أبشع الأعمال في المدن التي يدخلونها وبمنتهى القسوة، مما آثار الرأي العام في الأستانبول، فكانت هذه أول تجربة قاسية تمر بها الدولة العثمانية.(١)

وهكذا أدرك السلطان سليم الثالث أن الجيش بحاجة إلى إصلاح جذري ليتحقق به الانتصار على أعداء الدولة.

وكانت أولى خطوات الإصلاح، أن طلب من بعض رجال الدولة وذوي الرأي الصائب، بكتابة أفكارهم ومقترحاتهم حول إصلاح الإنكشارية، وحول ما يرونه، مناسباً لمشاريع الإصلاح، وقد ركزت هذه التقارير التي أطلق عليها " لوائح " على ضرورة الإصلاح العسكري، وجاءت باتجاهات متباينة حول الإصلاح العسكري، ولكنها أكدت على إعادة تنظيم الجيش بوجه خاص. وتجاوب السلطان مع هذه الأفكار وقرر إقامة جيش جديد حديث يجري تدريبه على الأساليب الأوروبية (*)، ليكون بجانب الإنكشارية في أي معركة، وهذه القوة المحاربة

---

(١) محمد ضياء الدين الريس : تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير للخلافة، الجزء الأول، د. ط، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠م، ص١٠٦.

(*) تولى سليم الثالث الحكم أثناء الثورة الفرنسية، وأمتعض لإعدام لويس السادس عشر، إلا أن هذا لم يثنيه عن الاقتباس من أوروبا وخاصة في المجالات العسكرية. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص١٧٣، ١٧٤. للاستزادة محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٠٠.

الثورة الفرنسية تعتبر من أبرز أحداث القارة الأوروبية، قامت سنة ١٧٨٩م على يد طبقة الشعب من رعاع وفلاحين، استطاعوا القيام بثورة اسقطوا خلالها الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانيت، وتم إعدامهم بالمقصلة، ثم سقطت الملكية وقامت جمهورية فرنسا الحديثة، كانت ثورة عنيفة اتشحت أحداثها بالدماء والبطش، من أهم أحداثها سقوط سجن الباستيل، وأهم مبادئها الحرية والإخاء والمساواة. عبدالعزيز نوار=

الجديدة أسماها "النظام الجديد" مع استقدام الخبراء الأوروبيين من فرنسا وإيطاليا وغيرهما. (١) وتدريب الجنود الإنكشارية الراغبة في الانضمام للجيش الجديد على استخدام السلاح الناري المتطور. (٢)

وبدأ (*) بإصدار قرارات وفرمانات كثيرة تستوجب الإصلاح وتجديد النظام العسكري، وقد حاول الفصل بين الإصلاح العسكري والإدارة العسكرية والتي جعلها في يد رجل برتبة وزير، أما الأعمال العسكرية فتركها في يد أغوات الإنكشارية، الذين كانوا يتمتعون بصلاحيات ونفوذ قوي داخل لواء الإنكشارية. (٣) وعقدت الاختبارات للضباط والجنود، ومن لا تثبت كفاءته يتم الاستغناء عنه، وبذلت جهود مضنية لتعيين الضباط الذين تثبت كفاءتهم ومنحت الترقيات حسب الأقدمية بقصد الحد من الرشوة، وصرفت رواتب الإنكشارية في وقتها وتم تأسيس منظمات وإدارات تقوم بإدارة كل وحدة. وكان من الممكن أن تأتي هذه الإصلاحات بنتائجها المرجوة لكن موقف الإنكشارية المعادي جعلها تفقد أهميتها وفساد الجهاز القائم عليها. (٤)

= عبد المجيد نعنعي : التاريخ المعاصر لأوروبا، د. ط، بيروت : دار النهضة العربية، د. ت، ص ١٩-٤٨.

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ص٧٩. أميرة مداح : مرجع سابق، ص٦٣، محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٢٥٧. إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص١٩٠،

(٢) جوزيف فون هامر : مرجع سابق، ج٤، ص١٣٤.

(*) بعد أن تخلصت الدولة من مشاكلها الخارجية بعقد صلح ياسي ١٧٩٢م، ووفاة كاترين الثانية حتى أمكن للعثمانيين أن يلتقطوا أنفاسهم. انظر أحمد عبد الرحيم مصطفى : ص١٧٧.

(٣) ستانفورد شو : الدولة العثمانية وتركيا الحديثة، ج١، د.ط، إستانبول، ١٩٨٢، ص٣٥٣.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق، ص١٧٨. أنظر ستانفرد شو: مرجع سابق، ص٣٥٣.

وقد سار سليم على هذه الخطوات وهو يرتجف من الإنكشارية ويفكر في حل لوضعها. هل يتم القضاء عليها وهي صاحبة الأمجاد الحربية. أو يحاول إصلاحها(١) وقد اختار إصلاحها لصعوبة القضاء عليها، فقرر عمل تدريبات لجنود الإنكشارية في أيام معدودة من كل أسبوع، وفكر أيضاً في عمل يحول دون تداول بطاقات الأسامي التي كانت بمثابة شهادة راتب يجري تحصيله كل ثلاثة شهور، وله سوق مثل سوق السندات تباع وتشترى فيه، والسعي لإيجاد وسيلة للحيلولة دون استغلال غير عساكر الإنكشارية لهذه السندات. ولكن هذه الإجراءات مست طبقة عريضة من غير الإنكشارية، والتي أدى سخطها إلى تأليب الإنكشارية على السلطان ومناهضة النظام الجديد، وكشفوا عن عدم رغبتهم في الإصلاحات، إضافة إلى رفضهم التدرب على الأساليب القديمة والحديثة معاً، وأتضح أن الإصلاح سيعتمد على الفرقة الجديدة وهدفها. (٢) وما زاد الأمر سوءاً أن المفتشين الذين كانوا يذهبون للنظر في الإصلاحات يأتون بمعلومات مخالفة للواقع مما جعل الإصلاح غير نافع. (٣)

وفعلاً فقد واجه سليم الثالث معارضة شديدة في إدخال النظام الجديد إلى فيالقهم، خاصة وأنهم يعتقدون أن تطبيق هذا النظام عليهم سيؤدي إلى إندماجهم في الفرق العسكرية الجديدة ومن ثم ذوبانهم فيها، وهذا ما قصده سليم الثالث فعلاً، فقد ضم إليهم عدد جديداً، وأعطاهم أجور النظام الجديد، إضافة إلى تدريبهم على الأساليب الحديثة، على أمل ربطهم في نهاية الأمر بالفرقة الجديدة، وإثارة حماسهم، لكن الإنكشارية كانت حريصة على الاحتفاظ بكيانها الخاص وامتيازاتها،

---

(١) أميره مداح : مرجع سابق، ص٦٣.

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج١، ص٧٩، ٨٠.

(٣) ستانفرد شو : مرجع سابق، ص ٣٥٣.

لذلك عارضوا وبشدة التدريبات العسكرية، والسماح لهم بالانضمام لهذه الفرقـة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل بدأت الإنكشارية في تحريض الجنود على ترك النظام الجديد ونبذ عادات الكفر والإنضمام للإنكشارية المسلمين حقاً. (١)

على الرغم من أن سليم الثالث قام بهذه الأعمال منتهزاً فرصة غياب زعماء الإنكشارية خارج إستانبول في مهمة حربية، إلا أن هذا الأمر مهد الطريق أمـام المعارضين للإصلاح،من الفـرق الإنكشارية.(٢)ويبـدو أن السـلطان سـليم الثالث لم يعبأ بمعارضتهم حيث أستمر في إصلاحاته وعين " حسين كوجك " قائداً عاماً للجيش لكي يعيد بناء الجيش على الأسس الأوروبية الحديثة، وكانـت أهـم أعمال هذا الأخير إنشاء الفرقة العسكرية الجديدة (*) على الطراز الأوروبي ولكن

---

(١) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٤٩٨، ٤٩٩، السيد رجب، حراز : مرجع سـابق، ص١٥.

(٢) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٢٥٧. محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص١٠٢.

(*) الفرقة الجديدة في عام ١٢١٠هـ /١٧٩٦م تم إنشاء فرقة جديدة على النظام الأوروبي ومرتدية الزي الأوروبي، في أدرنه، ويجري تدريبهم العام في البلقان. وخصصت منطقة لميفانت شغتلك لتكون مركز التدريب، ويبدو أن اختيار هذا الموقع لكي يبقى أمرها سراً بين السلطان والصدر الأعظم، وجعل عدد أفراد أول فرقة جرى تنظيمها ١٦٠٠ جندي، واسند قيادتها إلى ضابط إنكليزي أعتنق الإسلام، وحسن إسلامه وسمي " مصطفى الإنكليزي " ولزيادة تكتم السلطان على هذه الفرقة كانت مصروفاتها من طرف السلطان ومن موارد وبنود سرية. كما كان للبعثة الفرنسية دور في إنشاء مصانع لصب المدافع الثقيلة والخفيفة وقد تمرنت عليها هذه الفرقة الجديدة على أحدث الطرق الأوروبية، وأخذ بهذه الفكرة كل من خسرو باشا والي مصر وأحمد باشا جـزار صاحب عكا. وبحلول عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م وصل عدد هذه الفرقة إلى ٢٥ ألف جندي تقريباً ثم إزداد عددهم بعد ذلك حتى وصل إلى ستين ألفاً. وبازدياد عددهم زادت مشاكلهم من عدم الانضباط

العثمانيين أنفسهم لم يكونوا على استعداد للتجاوب مع الإصلاح، فقد اصطدم السلطان برغبة الناس في المحافظة على القديم، وبمصالح كثير من الناس.(١) والواقع أن هذه الفرقة قد قامت بأعمال مهمة وقد زادت من شعبيتها، وأكسبتها تأييد الرأي العام، لتصديها لحملة نابليون بونابرت(*)، والقضاء على فساد العصابات المسلحة في بلاد الروملي (**) وقد قامت بمهمتها الأخيرة على أكمل وجه ، في الوقت الذي فشلت فيه الإنكشارية في هذا العمل، وعادت جنود النظام

والنظام، وأنضم إليهم عدد من رجال الأناضول والفلاحين مما أدى إلى عدم استيعاب هؤلاء الجند وبالتالي انقطعوا عن التدريبات مما حدا بالسلطان إلى إعادة تنظيمهم. ويقال أن أغلب من دخل فيها كان من أسرى حرب الدولة العثمانية وروسيا. إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص١٩٠. بسام العسلي : مصدر سابق، ج٥، ص٢٣١. محمد أنيس : مرجع سابق، ص٢١٥. حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص٣٥. عمر عبد العزيز عمر : محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٥٨ محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٢٥٨.

(١) مرجع سابق، ص٢٥٧. جلال يحيى : العالم العربي الحديث، د.ط، د. م، ١٩٩٨م، ج١، ص٩٥.

(*) لقد جاءت حملة نابليون بونابرت على مصر لتشكل نقطة تحول مهمة في حياة الدولة العثمانية. فقد أثارت هذه الحملة أيام الثورة العاتية، لأنها أظهرت ضعف الدولة العثمانية، من قبل عندما تتعرض لهزيمة، تعيد بناء قوتها من جديد، وتنظيم جيشها وتحرز انتصار يزيل ما لحق بها من هزيمته أو فشل. ولكن هذه المرة لم تعمل بمفردها. بلا عملت معها روسيا وبريطانيا، مما جعل الدولتين تتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية، وقد إنعكس هذا بصورة واضحة على تمردات الإنكشارية. انظر بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٤١.

(**) انتشرت في بلاد الروملي العصابات المسلحة أكثر من إنتشارها في باقي ولايات الدولة في أوروبا، ولم تتمكن الإنكشارية من التصدي لها وصارت البلاد في كرب وبلاء عظيم، حتى أن هذه العصابات هددت مدينة أدرنه، أنظر مرجع سابق، ج٥، ص٢٤٤.

الجديد ظافرة إلى العاصمة، فأغدق عليها السلطان الهدايا والهبات، وفرح الناس بهذا الأمر وأنشرح قلب السلطان. (١)

أما ثاني أعمالهم فهي التصدي لنابليون بونابرت في عكا وتمكنها من صد زحف نابليون على بلاد الشام، مما زاد من ثقة سليم في النظام الجديد، وشرع في إصدار خط شريف في ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م إلى جميع الولايات بتكليف الولاة بجمع جميع الشبان من الإنكشارية والأهالي البالغين سن الخامسة والعشرين وإدراجهم في سلك العسكرية وترتيبهم على النظام الجديد. (٢)

لم يقبل الإنكشارية بالتنظيم الجديد وتمردوا وأشعلوا نار الفتنة، فرأى السلطان استخدام الضغط العسكري عليهم، واستقدم من الأناضول عبدالرحمن باشا، وهو من أكبر المساندين للإصلاحات العسكرية، فتوجه عبد الرحمن باشا إلى إستانبول وبعد أن استعرض السلطان سليم الثالث العساكر المصاحبة لعبد الرحمن باشا سار إلى أدرنة على اعتبار أنها وكر مؤامرات الإنكشارية وكان ذلك عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، ولكن هذه القوة فشلت في دخول المدينة فعادت أدراجها إلى إستانبول. واتضح أن السلطان لن يستطيع إخضاع الإنكشارية إلا بحرب يذهب ضحيتها الكثير، ولكي يهدأ الأوضاع انحنى للعاصفة قليلاً، وأصدر أمراً إلى عبد الرحمن باشا بالعودة إلى آسيا الصغرى مع جنوده، وتظاهر بالعدول على مشروعه، ولكي يبرهن على صدقه قام بإلغاء النظام الجديد، أو على الأقل وقف تطبيقه على الإنكشارية، وعزل الصدر الأعظم وعين بدلاً منه أغا

---

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٨٦. محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص١٠٢،١٠٣. بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص ٢٤٤.

(٢) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٨٦. محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٨٦،٨٧. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص١٠٩. بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٤٠.

الإنكشارية صدراً أعظم، كما عين بعض الضباط في مناصب قيادية في الدولة.[(١)]

ولكن يبدو أن وجود الإنكشارية تحت قيادة واحدة جعلهم يحسون بمدى قوتهم وأهميتهم كهيئة لها اعتبار خاص، كما أن وجودهم في العاصمة والمدن المهمة في فترات بين الحروب أكسبهم نفوذاً محلياً ورجح كفتهم في الصراع، مما أوجد فيهم روح التساهل والاستهتار. وجعلهم يفرضون شروطهم على سليم الثالث الذي تقبلها كرئيس دولة منهزمة. [(٢)]

كما وأن قضية " النظام الجديد " خرجت عن المنطق والعقل والتجربة، وذلك لأنه كلما ظهرت كفاءة الجيش الجديد، زادت مخاوف الإنكشارية من النظم الحديثة والإصلاحات، فاشتدت مخالفتهم لها، لأنهم أدركوا أن بقاء هذا النظام سيؤدي في نهاية المطاف إلى تعميم التعليم العسكري على الإنكشارية، أو إدماجهم في الجيش الجديد. [(٣)]

ولذلك عملت الإنكشارية على دس المؤامرات والدسائس بين أفراد النظام الجديد، مشيعين شتى أنواع الأكاذيب مستعينين في ذلك بالعلماء الذين يقولون بأن التعليم العسكري من الأمور التي لم يعرفها الإسلام. وكانت حجتهم في ذلك أن الفتوحات الإسلامية تمت دون الحاجة إلى أمثال هذا التعليم " كما رددوا أن من تشبه بقوم فهو منهم " وأن هذا النظام يؤدي إلى إدخال عوائد الإفرنج وسيادة

---

(١) بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٤٠. عمر عبد العزيز : مرجع سابق، ص٢٦٢. عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج١، ص٥٢٧. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٨٧. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢٧. محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص٨٧

(٣) ساطع الحصري : مرجع سابق، ص٧٩.

الأجانب وطبيعي أن انتشار هذه الكلمات بين العامة على ألسنة العلماء، أثار مخاوف الناس من النظم الحديثة، وجعل الأهالي تنفر منها وترفضها، وتزيد من تمسك الإنكشارية بموقفها.(١) ولكن الإنكشارية نسيت أن المسلمين كانوا على أعلى مستوى من التقدم والتطور في الأساليب العسكرية وظلوا في تطور مستمر، وتظهر لنا هنا نقطة مهمة، وهي اشتعال الدسائس الأجنبية التي قوّى بها سفراء الدول الأوربية في إستانبول، فتيل النزاع بين الإنكشارية والسلطان، وكان في مقدمة هذه الدول روسيا القيصرية.(*) والتي لعبت دوراً هاماً في أحداث الإنكشارية، فقد كانت السفارة الروسية في استانبول البلاء على الدولة، نظراً لتوفر الحماية لهم، فلم يكن هؤلاء سوى جواسيس على الدولة العثمانية وجيشها، فقد كانوا يدخلون بين صفوف الإنكشارية لتعطيل الإصلاحات وإثارة الإنكشارية أكثر ضد النظم الحديثة، ونقل أخبار الإصلاحات والجيش لروسيا للعمل على إنهزام الجيش العثماني(٢).

أما عن سليم الثالث فقد زاد الهياج من حوله وتلبدت السماء بغيوم الثورة فعمل على تأجيل مشروع إصلاحهُ وحاول تهدئة الأوضاع وسحب قواته الجديدة إلى العاصمة، وسرت إشاعة بأن النظام الجديد جاء ليؤدب من يعترض على الخط

---

(١) ساطع الحصري : مرجع سابق، ص٧٩، ٨٠. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص١٠٩.

(*) كاترين الثانية كانت من أشد الحاقدين على الدولة العثمانية، وقد أخبرت سفيرها مرة أن السلطان الجديد الذي يدعى سليم الثالث رجلاً يعمل على إصلاح الدولة ويحاول استقطاب العلماء من شتى أرجاء العالم ويحاول إصلاح أمور الدولة والجيش. سليمان قوجسه باشي : مرجع سابق، ص٢٠.

(٢) سليمان قوجسه باشي : مرجع سابق، ص٢٢،٢١. عبد اللطيف محمد الحميد : سقوط الدولة العثمانية الطبعة الأولى، الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص٢٥.

الشريف – السابق الذكر – وتجددت الإضطرابات وهاجت الإنكشارية مرة أخرى.[(١)]

وقد انعكست هذه الاضطرابات بصورة واضحة على الأقاليم فنجد أنه في باشوية بلغراد أصدر حاجي باشا عدة فرمانات أهمها الفرمان الذي يمنع دخول الإنكشارية إلى مدن الباشوية وذلك في الفترة ما بين ١٢٠٨-١٢٠٩هـ / ١٧٩٣- ١٧٩٤م،[(٢)] وذلك لما ارتكبته الإنكشارية من فظائع وفساد في هذه المدن ولكي يحد من أعمالهم ضد الأهالي.

ولكن لم يكتب لهذه الفرامانات الاستمرار نتيجة لأعمال وثورات قامت بها الإنكشارية في المنطقة حيث نجد أن الإنكشارية التي غادرت بلغراد نتيجة لتطبيق الإصلاحات، لجأوا إلى والي فيدين [(*)] عثمان باشا، والذي كان من المعارضين للإصلاح وإدخال النظم الحديثة، وقد قام هذا الوالي بدعمهم، فقامت الإنكشارية بعدة محاولات للاستيلاء على بلغراد بقوة السلاح، وقاموا بثورة عارمة تحت زعامة هذا الوالي ضد السلطان والنظم الحديثة، أثناء الحملة الفرنسية على مصر، ورغبة السلطان في تأمين حدوده مع النمسا، ليتفرغ لما حدث في مصر. فخضع لرغبات الوالي والإنكشارية ووافق على عودتهم إلى بلغراد عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م فحاول والي بلغراد تدارك الوضع ولكنه لم يستطع، ودخلها الإنكشارية فاتحين عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م. وأصبحوا بذلك أسياد الموقف وتحول الوالي إلى أسير في أيديهم، وانتهى الأمر بقتله عام ١٢١٦هـ /

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٠٤.

(٢) محمد موفاكو : مرجع سابق، ص٧٤.

(*) مدينة محصنة في بلغاريا. تقع على نهر الدانوب، كانت مركز ولاية ودين. س. موستراس: مرجع سابق، ص ٤٨٧.

١٨٠٢م. (١)

وانتشرت عمليات استيلاء الإنكشارية على الأرضي وتحويلها إلى ملكيات خاصة مع إلزام الفلاحين على العمل بها، مما أدى إلى توتر الوضع في الريف ضد الإنكشارية، ومما زاد الأمر سوءاً، فقد وقعت بأيديهم رسالة من أحد زعماء الصرب إلى النمسا يطلب فيها السلاح والعتاد للقيام بتمرد ضد الإنكشارية، مما حذا بالإنكشارية إلى قتل حوالي سبعين شخص من أعيان المجتمع الصربي. (٢)

وهكذا نجد أنهم أسهموا بشكل كبير في تشويه صورة الحكم العثماني في شرق أوروبا، مما أدى بالأهالي إلى رفض العثمانيين ومحاولة التحرر من ظلم الإنكشارية، الذين ثاروا بسبب رفضهم للنظم العسكرية الحديثة. وإذا عدنا إلى إستانبول وجدنا أن ثورات الإنكشارية لم تنقطع أبداً وزادوا بعد وفاة الجنرال الفرنسي **Debiat** والذي استقدمه السلطان لتدريب الفرقة الجديدة. (٣)

وفي عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦م نشبت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية حول " بوخارست "فإتخذت الإنكشارية من ذلك فرصة طالما انتظروها، لإنهاء حكم السلطان سليم الثالث، فبينما كان الجيش النظامي يتأهب لإخراج العدو من " الأفلاق والبغدان " كانت الإنكشارية تعد العدة لمهاجمة قصر السلطان في العاصمة. (٤) (*) ففي أثناء تجمع (**) الفرق العثمانية عند الدانوب

---

(١) محمد موفاكو : مرجع سابق، ص٧٥.

(٢) مرجع سابق، ص٧٦.

(٣) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٨١.

(٤) محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص١١١.

(*) لقد أعلنت الدولة العثمانية على روسيا الحرب، اثر احتلال الأخيرة لرومانيا وملداوية. وهذه الحادثة تنبئ بتقلص نفوذ الدولة العثمانية في الولايات التي تحكمها، وتنذر بتقلص=

للدفاع عن الدولة العثمانية بقيادة مصطفى باشا (*) البيرقدار، والذي كان ميالاً للإصلاح ومؤمناً به، أصيب النظام الجديد بانتكاسة حقيقية عندما توفى المفتي الذي كان بمثابة الذراع الأيمن لسليم وإصلاحاته، وتولى مكانه قاضي عسكر الروملي الذي كان على عكس سلفه، عدواً للإصلاح على النمط الغربي، وبمجرد أن بدأ بممارسة مهام عمله قام بعمل تحالف مع القائم مقام الصدر الأعظم، لتغيب الصدر الأعظم في الدانوب لمحاربة الروس، اتفق القائم مقام مع قاضي عسكر الروملي والمفتي الجديد مع بعض العلماء والشيوخ والإنكشارية على العمل لإبطال النظام الجديد لأنه ضد الإسلام وقادم من عند الكفار وبدعة مخالفة للشرع (١).

وتفصيل هذا الأمر أن مصطفى باشا البيرقدار بعث بملابس عسكرية من الزي الجديد، إلى قلاع الدردنيل، والقصور السلطانية الواقعة على ضفتي البسفور، وذلك بأمر أن تلبسها جميع فرق الجيش بما فيهم الإنكشارية فما كان من الإنكشارية، إلا أن ثاروا وهاجوا في العاصمة، معبرين عن سخطهم ورفضهم

= نفوذ السلطان. حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص٣٥.

(**) لقد سار الصدر الأعظم وفرقتان من الإنكشارية وجيوش آسيا المنظمة إلى مدينة شوملة، واستعد مصطفى باشا البيرقداد، حاكم روستجوق للإغارة على الأفلاق بخمسة عشر ألف جندي قام هو بتدريبهم وخصص منهم جزء كبير في قلاع الدردنيل والبسفور لدفع الطوارئ البحرية. محمد فريد المحامي : مصدر سابق ،ص٣٩٢.

(*) كان له دور في تشجيع النظام الجديد وتولي محمود الثاني الدفاع عنه ومحاولة الدفاع عن سليم الثالث مراجعة المبحث الأول من الفصل الثاني.

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٢. بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص٢٤٧. علي سلطان: مرجع سابق، ص٢٦٨. قيس جواد العزاوي : مرجع سابق، ص٤٩.

للزي الأوروبي،[١] ومما زاد من سوء الأمر محاولة الرسول وهو محمود رئيف أفندي، إرغام الفرق غير المنتظمة والإنكشارية على لبس الزي الجديد، ودفاعه عن النظام الجديد [*]، وصارت فتنة ومعركة بين الطرفين سالت فيها الدماء، وانتشرت بين القلاع،[٢] نتج عنها معارك شديدة قتل فيها عدد كبير من الأعيان والذوات المساندين للنظام الجديد ولحقوا بمحمود أفندي وقتلوه. [٣]

وقد دخلت ثورتهم في هذه المرحلة طوراً مهماً، فقد أصطنعت الإنكشارية وسيلة جديدة وهي تأليب بعض عناصر الشعب، وتشويه النظام الجديد وزرع الشكوك في نفوس العساكر غير المنتظمة والتي أضيفت إلى الفرق المنتظمة حديثاً، وذلك بنشر أنهم لم يأتوا من بلادهم إلا لإجبارهم على الانخراط في النظام الجديد، حتى وإن كان ضد رغبتهم، وإرغامهم على لبس الملابس الغربية، وهو الزي النصراني المخالف للشرع والقرآن، وقد سرت هذه الأقاويل حتى ملأت عقول الجنود وأشربت قلوبهم بهذه الأباطيل، كما ضموا إليهم جماعة من علماء الدين المتصوفين[**] وبهذا تكونت جبهة عريضة لمعارضة النظام الجديد قوامها

---

(١) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص٣٥.

(*) لمزيد من المعلومات عن الصراع الرجوع إلى كامل باشا : مصدر سابق، ج٢، ص٣١٧،٣٢١.

(٢) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٢، ٣٩٣. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١١٩. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم ١٧٣٧٤. HAT.H .

(٣) قيس جواد العزاوي : مرجع سابق، ص٤٩.

(**) انتشرت الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً في آسيا الصغرى أولاً ثم في الروم أيلي بعد ذلك. وكانت الإنكشارية تستمد نفوذها وسطوتها من البكتاشية إحدى الطرق الصوفية. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٢٧.

الإنكشارية والعلماء ورجال الطرق الصوفية، وعدد من أفراد الشعب وفريق من الوصوليين من رجال الدولة، وهذا الخليط تزعمه رجل يدعى قباقجي أوغلي.(١) والذي وضع خطة محكمة لاغتيال كبار رجال الدولة، والمؤيدين للنظام الجديد، والعمل على إلغاءه، ثم عزل سليم الثالث أو اغتياله إذا تطلب الأمر. (٢)

وفي هذه المرحلة كان من الممكن إخماد هذه الثورة والسيطرة عليها لو أن المعلومات وصلت إلى السلطان صحيحة، ولكن أبهم على هذه الثورة، وقدمت للسلطان سليم الثالث تقارير خاطئة بعدم خطورة هذه الحركة، وقد أوضح القائمقام مصطفى باشا أنه سيعاقب المتسببين في هذه الثورة، ولكنه راسل الإنكشارية سراً وأخبرهم أن اللحظة التي سيجري فيها تحطيم النظام الجديد قد اقترب موعدها، فصارت الإنكشارية تعقد المجالس لتبادل المشورة والآراء، وإصدار القرارات، وقد خلا للمتآمرين الجو لتغييب الصدر الأعظم عبد الرحمن باشا ومصطفى باشا البيرقدار في مواقع الحرب، وكانا هذان الإثنان من اشد المتحمسين للإصلاح. (٣)

ثم جاءت المرحلة الثانية في الثورة والتي صارت بقيادة قباقجي أوغلي، وقد أعلن أنه عازم على دخول إستانبول في عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م، وقد اطمأنت نفوس رؤساء الإنكشارية إلى اكتمال التخطيط وخيوط المؤامرة لإلغاء النظام

---

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٢، ٣٩٣. محمد عبداللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص١١٩.عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص٥٢٨. السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص١٧. روبير مانتران : مرجع سابق، ج٢، ص٣١.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٢٨.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١١٩ – ١٢٠

الجديد وعزل السلطان، وقد جمع قباقجي أوغلي(*) في طريقة عدد من فرق الجيش الأخرى غير الإنكشارية، مستميلاً أياهم بكرامات الشيخ بكتاش وأنهم أبناءه ولا يجوز أن يتنازلوا عن امتيازاتهم التي منحها لهم حاجي بكتاش.(١) وقد لقي هذا الزعيم مساندة كبيرة من عطاالله أفندي شيخ الإسلام قائمقام الصدر الأعظم، فقد دعموه سراً وقدموا له كل المساعدة التي يحتاجها. (٢)

وصلت قوات قباقجي إلى إستانبول في الساعة الرابعة صباحاً والعاصمة في سكون وهدوء تام، وتجمعوا في آت ميدان وطبقاً لعادات وتقاليد الإنكشارية، جاءوا بالقزانات الفارغة ووضعوها مقلوبة متراصة في صفوف منتظمة، وهذا دليل على عصيانهم وتمردهم، وهذه القزانات كانت الإنكشارية تحترمها أكثر من أعلام الأوجاقات. ولم تكن تخرج إلا في الظروف المهمة وفي خروجها إلزام للإنكشارية إتباعها. (٣)

ثم جاءت الخطوة التالية حيث أعطاهم المفتي عطاالله أفندي لائحة كتبها بأسماء أنصار ورواد الإصلاح، وقرُأت على الإنكشارية فطفقوا في العاصمة تدخل البيوت وتسلب وتنهب وقامت بقتل عدداً من الذين جاءت أسمائهم في القائمة، والآخرين لم تجدهم حيث اختفوا وفروا من إستانبول، وكان هؤلاء من كبار

(*) للاستزادة عن ثورة قباقبجي أوغلي وعن قتل الإنكشارية للمساندين للإصلاح الرجوع إلى محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٢٠-١٢١.

(١) إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص١٩٥،١٩٦. عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٢١. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٢٨.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٦٠ .

(٣) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٣. بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٤٤٧،٤٤٨. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٢١. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٢٩.

موظفي الدولة، وقيل أنهم قتلوا سبعة عشر رجلاً، ثم أخذوا رؤوسهم ورصوها أمام القزانات ولم يكتفوا بذلك بل ساروا إلى قصر السلطان سليم الثالث وحاصروه.[١]

ثم ضربت الإنكشارية حصاراً حول القصر السلطاني وشددوا الحصار، فلم يملك سليم الثالث إزاء هذه الثورة إلا إلغاء النظام الجديد وتسريح الجنود الذين التحقوا بالجيش الجديد، وأصدر أمره بذلك، وقد حزن حزناً شديداً على ضياع مجهوداته.[٢] فلم يمهله الأجل حتى يرى نتيجة إصلاحاته ويجني ثمرة أعماله.

كما وأن الثوار لم يكتفوا بهذا الإلغاء بل صمموا على عزل السلطان سليم الثالث لعلمهم أنه سيعود إلى تنفيذ مشروعه في وقت لاحق، والانتقام منهم. وتهكموا على السلطان قائلين :

"يا أيها السلطان المغشوش بهذه التقاليد نسيت أنك أمير المؤمنين وعوضاً عن اتكالك على الله القادر العظيم الذي يبدد بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت أن تشبه الإسلام بالكفار وأغضبت الله، فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ومحامياً عن الدين ؟ ! فالعساكر المحافظة على كرسيك لم يبقى لهم ثقة بك، والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفصل على كل شيء شرف الإيمان وسلامة الإسلام.[٣]

---

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٣. إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٦٠. أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص٢٧٦. على سلطان : مرجع سابق، ص٢٦٨. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص١١١.

(٢) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٣. السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص١٧. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص١١١.

(٣) أحمدزي دحلان: مصدر سابق، ص٢٧٦. محمد ضياء الدين الريس: مرجع سابق، ص١١١. محمد عبداللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص١٢٢، ١٢٣.

وفيما يبدو أن الإنكشارية التي ظلت تردد أن السلطان لم يعد أهل للحكم لأنه أراد الاستعانة بنظم الحديثة، يبدو أنهم نسوا قـول الله تعـالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾(*)

إن تفسير هذه الآية الكريمة يتضمن الإعداد والإستعداد لقتال الأعداء بجميع أنواع القوة : المادية، والمعنـوية، كما يـجري، إعداد الخيل التي تربط في سـبيل الله حتى تخيفوا بتلك القوة الكفار أعداء الله وأعداء المسلمين. وهكـذا نـرى أن الله سبحانه يأمر المسلمين المجاهدين في سبيل الله إعـداد القـوة اللازمـة لقتـال الأعداء، وقد جاء التعبير عاماً " من قوة " ليشمل القوة المادية، والقوة الروحية، وجميع أسباب القوة، من أسلحة جديدة وعتاد حربي متطور.(١)

وهذا ما أخذ به السلطان سليم الثالث، حيث أراد مواجهـة العـدو بأسـباب القوة والتي يدخل تحتها إعداد جيش مدرب على أحدث الطرق سواء أوروبية أو عربية، كما أن إعداد القوة يلزم شراء أسلحة جديدة، وإذا كانـت علـى الـنظم الحديثة، فلابد من تدريب جيش لهذا الأمر، وهذا ما حـدث، ولكـن الإنكشـارية أهملت أمر الإعداد للحرب، وأرادت البقاء على حالها فأين هذه الآية من ذهـنهم عندما أرادوا عزل السلطان سليم الثالث. الذي أراد إعداد جيش بأحدث الأسـلحة لمواجهة أوروبا وروسيا والتي كانت قوتها على أحدث طراز. ربما يكـون خطـأ سليم الثالث الوحيد، هو إرغامهم على إرتداء ملابس عسـكرية علـى الطـراز الافرنجي، فلا يضر أن يتركهم على نفس ملابسهم طالما أنهـا ملابسـهم منـذ إنشائهم فلن يتنازلوا عنها. أما مسألة الزي الأوروبي كانت ستأتي مع الوقت.

ونعود للإنكشارية المحاصرة للقصر، والذين بعد تهكمهم على السلطان، قـام

(*) سورة الأنفال، آية ٦.

(١) محمد علي الصابوني : مصدر سابق، ج١، ص٥١١، ٥١٢.

قباقجي وخطب فيهم أن السلطان الذي وضعوا ثقتهم فيه، قد عاملهم بعنف طوال أثنى عشر سنة، وأنه حقر نظمهم وأهمل مشورة علمائهم، وفرض عليهم نظم الكفار التي رفضوها، واسترسل قباقجي في الحديث وأوضح أنه وجب عزل هذا السلطان حتى لا يفكروا في استرداد النظم الأوروبية وينتقم منهم، وهنا يتوجب على الإنكشارية حمل السلاح مرة أخرى للدفاع عن نظامهم الذي وصفه سليم بالنظم الفاسدة وبعد الحديث المثير، طالبت الإنكشارية بعزل السلطان سليم، ولكن قباقجي رفع الأمر للمفتي الذي هو مصدر التشريع وتتصرف الإنكشارية دائماً طبقاً لفتواه.

وأخيراً قرر شيخ الإسلام " عطاالله أفندي " عزل السلطان سليم الثالث في عام ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧م، وجاء في فتواه شيخ الإسلام " إن كل سلطان يدخل نظم الإفرنج وعاداتهم ويجبر الرعية على إتباعها لا يكون صالحاً للملك " (١) وكلفت الإنكشارية شيخ الإسلام بتبليغ السلطان سليم الثالث فتوى عزله، فذهب إليه وطلب المثول أمامه، فدخل عليه متذللاً منخفض الرأس قائلاً : يا مولانا إني قد حضرت برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان وليس خافياً على مسامعكم الشريفة بأن الإنكشارية قد نادوا باسم السلطان " مصطفى الرابع " إبن عمك سلطاناً عليهم، فلم تظهر على السلطان أي كآبة أو حزن وودع الجالسين وخرج من القاعة وعجز عن المقاومة، ولكنه أفرغ خلاصة تجاربه في جعبة ابن أخيه محمود الثاني، الذي بعث حركة الإصلاح بعد سليم الثالث وأخذ عن سليم خلاصة تجاربه وأفكاره.

وتم تنصيب مصطفى الرابع، الذي سارع بإلغاء مشروع تطوير الجيش العثماني على الطريقة الأوروبية لاعتراض الإنكشارية عليه وتم قتل بعض

---

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٣. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٢٩. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٢٤، ١٢٥.

الوزراء المؤيدين للنظام الجديد، بينما اختفى البعض الآخر عن الأنظار. خضوع سليم الثالث لرغبة الإنكشارية لم يعصمه من القتل في العام التالي، حيث قامت ثورة على يد البيرقدار مصطفى باشا لإعادة النظام الجديد وإعادة سليم إلى العرش.(١)

والواقع أن حركة البيرقدار أوضحت للعيان أن النظم العسكرية الحديثة اكتسبت مؤيدين على نطاق واسع خارج هيئتي العلماء والإنكشارية، أي أنها أصبحت حركة شعبية على نطاق معين، رغم النكسة التي تعرضت لها على أيدي الإنكشارية وعزل سليم الثالث، إلا أن هذا يعني نجاح سليم رغم عزله - في إرساء قواعد للنظم الحديثة، ورغم ما ينقصه من رباطة الجأش.(٢) وكان ينقصه أيضاً دعم الهيئة الدينية أي العلماء والمفتي فهؤلاء انضموا إلى الإنكشارية مما أعطاهم القوة والصلاحية في قلب الموازين، كما أن الثورة من الإنكشارية جاءت مبكرة وسريعة في الوقت الذي كانت فيه الفرقة الجديدة في بدايتها، وزاد من حدة الثورة أن التعاليم الإسلامية في نظرهم عدته كفراً مما زاد من هيجان الإنكشارية وهذا أدى إلى عواقب وخيمة.

وهذا يدحض رأي المستشرق الذي قال، أن حركة العصيان هذه غير خطيرة في بدايتها، وعلى الرغم من أنه كان ظاهراً منذ البداية أن الإنكشارية غير راضية تماماً عن النظم الحديثة، وحاولوا القضاء على هذا الكفر حسب إعتقادهم، كما يدحض القول بأن هذا الحدث يعبر عن هشاشة السلطة، ومحدودية أثر الإصلاحات على عدد معين من العناصر الأساسية في الدولة العثمانية، وهذا عكس ما ثبت

---

(١) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٢٩ - ٥٣٠.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٢٩.

في حركة [*]البيرقدار التي اشترك فيها جيش وشعب على حد سواء، وقد تمتـع السلطان سليم بقوة الشخصية حيث وضع أساس الإصلاح واستطاع أن يبذر بذور الإصلاح في نفوس النـاس، وأثر تأثيراً عميقاً بأفكاره الإصلاحية وثباته عليهـا، على الناس، وهذا يتضح في موقفه أثناء تبليغه بخبر العزل، حيث ثبت ولم ينهار وضحى بكل شيء في سبيل إدخال النظم الحديثة علـى الجـيش بصـفة عامـة والإنكشارية بصفة خاصة.

وهذا الحدث في إحدى تفاصيله الصغيرة، وهي إصدار فتوى من شيخ الإسلام لعزل السلطان سليم الثالث، يدل على مدى التزام الإنكشارية بالإسلام وصرامة هذا الأمر في نظرهم، رغم فداحة النتائج إلا أن إسلامهم منعهم من ترك سلطان أدخل أنظمة الفرنجة المنافية للإسلام، على عرش السلطنة. [١]

والواقع أن إصلاحات سليم الثالث كانت بداية عهد جديد من التغيير، لإنقـاذ الدولة من الأطماع الأوروبية، والضغوط الاستعمارية التي تكالبت علـى الدولـة العثمانية من كل جانب.[٢] والواقع أنه بنهاية عهد سليم الثالث أثبتت الإنكشارية أن حركات العصيان وسيلة لتحقيق رغباتهم من ناحية، ومن ناحية أخرى أثبتـوا لسائر أفراد الجيش وكبار رجال الدولة والأهالي أنهم لا يزالون أولي باساً شديد، يستطيعون عزل السلاطين وقد قتل سليم الثالث في العام الذي تلاه ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م[٣]

(*) لمزيد من تفاصيل حركة البيرقدار الرجوع عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٣٠ ـ٥٣٣.

(١) زياد أبو غنيمة : مرجع سابق، ص٢٨-٢٩.

(٢) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٣) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٤٩٩.

وكانت هذه خاتمة آمال سليم الثالث، فقد دفع حياته ثمناً لهذه المحاولة الجريئة الفريدة من نوعها، ولكن جهوده لم تذهب هباءً، فقد ترك مدرسة من الرجال، حملوا لواء الإصلاح بعده، ودل على الطريق الذي يسير عليه من جاء بعده، ولا شك أنه كان الملهم للسلطان محمود الثاني. (*)

قد كانت انقلابات إستانبول هي المدرسة التي تخرج منها السلطان محمود الثاني، حيث شارك في أحداثها ورأى بنفسه الأسباب والنتائج، وأدرك أن مستقبل الدولة بين يديه، وكانت إنقلابات إستانبول المرآة التي عكست الصورة وأوضحت الأمور.(١) للسلطان وأفراد الشعب، فقد رأى محمود الثاني معارضة الإنكشارية للنظم الحديثة، ومدى تشبثهم برأيهم، فوضع نصب عينه أمر الإنكشارية منذ توليه العرش.

السلطان محمود الثاني هو الابن الثاني للسطان عبد الحميد الأول(**) وعندما تولى العرش كان آخر من تبقى من نسل آل عثمان،(٢) كان من أنصار التنظيمات على النمط الغربي، وعلى الرغم من مشاهدته مصير سليم الثالث

(*) هناك رأي يقول أن إصلاحات سليم الثالث هي الملهمة لمحمد علي في مصر. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص١١٢.

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٣١.

(**) هو ابن السلطان عبد الحميد الأول من امرأة فرنسية، اسمها أيمه دي بيك دي ريفرى إبنة عم الإمبراطورة جوزفين، وقد أسرها القراصنة أثناء سفرها الطويل في البحر للالتحاق بوالدها في مزرعته في المارتنيك، وسيقت كأمة إلى باي تونس الذي أذهله جمالها فقدمها هدية إلى السلطان عبد الحميد الأول فولدت له محمود. ويدعي بعض المؤرخين أنها هي من زرعت في إبنها روح إصلاح نظم بلاده. مرجع سابق، ص١٣٢. سعيد أحمد برجاوي: مرجع سابق، ص٢١٠.

(٢) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٣٢.

وأنصاره، إلا أنه ظل يترقب الفرصة المناسبة للبدء في استكمال إدخال النظم الحديثة على الإنكشارية، فقد كان يفهم الحالة المتدنية التي وصلت إليها الدولة (*) من اضطراب شديد وفوضى عارمة على جميع الأصعدة، والعقبة الرئيسية أمامه هي الإنكشارية الفاسدة الرافضة لأي إصلاح، لذلك لم يفصح عن أي قوانين أو تنظيمات جديدة، لذا فقد صبر محمود الثاني ورتب نفسه، وأنتظر أكثر من ثمانية عشر عاماً حتى يحقق مراده. فأقر التنظيمات والقوانين القديمة، وأخفى قوانينه وإصلاحاته خلف الستار. (١)

لقد نظر محمود الثاني إلى حال الدولة عند توليه العرش حيث وجدها تأخرت نحو نصف قرن في مدة حكم مصطفى الرابع التي لم تتجاوز أربعة عشر شهراً.(٢)

لقد تولى محمود الثاني العرش في الوقت الذي كانت تهاجم فيه الدولة من كل جانب مع تراجع الإنكشارية أمام روسيا وعدم إستطاعتها مواجهة الدعوة السلفية(**) في الحجاز، إضافة إلى ثورات وتمردات الإنكشارية المستمرة داخل

(*) كما وأن حكمه كان يتعرض لمضايقات النصارى داخل إستانبول. علي رشاد : تركيا والتنظيمات تاريخ الإصلاح في الدولة العثمانية، د. ط، إستانبول مطبعة عامرة، ١٣٣٢هـ، ص١٢.

(١) علي رشاد : مصدر سابق، ص١٢. عبد اللطيف الحميد : مرجع سابق، ص٢٦. سعيد أحمد برجاوي : مرجع سابق، ص٢١٣. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص١٨٧، ١٨٨. السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص١٧.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٦١.

(**) هي دعوة دينية إصلاحية ظهرت في وسط شبه الجزيرة العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي استهدفت في جوهرها القضاء على البدع والخرافات السائدة ثم تحولت إلى حركة سياسية قامت على أثرها الدولة السعودية الأولى في عام ١١٥٧هـ عبد الله=

العاصمة.[١] وقد اتضح لمحمود الثاني أن العقبة [*]أمام إدخال النظم الحديثة في الإنكشارية، فكان لزاماً أن يعمل على إزالتها، ورأى أن غلطة سليم الثالث أنه سار في طريق الإصلاح، دون أن يعمل على إزالة هذه العقبة، كما وأن اشتداد نفوذ الإنكشارية قد حطم كل مجهودات الإصلاح من قبل السلاطين السابقين، وخطوة مهمة كإدخال النظم الحديثة كانت تحتاج للتأني والحذر الشديد، خاصة وأن عدد الإنكشارية كان قد زاد عن الحد المطلوب فهم مائتين وتسعة وعشرين أورطة سبعة وسبعون منها في العاصمة. [٢]

وكانت فاتحة أعمال محمود الثاني تعيين البيرقدار مصطفى باشا في الصدارة العظمى، وأوكل إليه أمر تنظيم الإنكشارية، وإرغامهم على إتباع نظمهم القديمة منذ عهد السلطان سليمان القانوني، والتي أهملت شيئاً فشيئاً. [٣]

وقد حاول محمود الثاني في البداية التعامل معهم بالحسنى وإقناعهم بالنظم

= صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، الطبعة العاشرة، الرياض: العبيكان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص٨١-٨٥.

(١) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص٢٦٦.

(*) اتضحت ضرورة القضاء على الإنكشارية من رسالة أرسلها سفير إنجلترا لدولته في تاريخ ١٢٢٤هـ/ ٣ يونيه ١٨٠٩م حيث قال " لقد رفض الإنكشارية الاعتراف بالوزير الكبير، وإلى أن يتم الحصول على موافقتهم فقد ظل لا يجرؤ على الظهور في العاصمة وعلى ذلك فلا يمكن القول أنه يحكم الدولة، ولما أمروا بالتوجه للقلاع ... ووصلوا للدانوب كانوا حريصين على قيد أسمائهم في الكشوف بدلاً من حرصهم على التجمع في جيش واحد وتحت قيادة واحدة.. أنهم يعرضون بلادهم لحرب أهلية، مع أنهم على مرأى من خيام الروس "

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٦٩، ١٧٠.

(٣) محمود فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٨. بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥، ص٢٥٢.

الحديثة، والتعليم العسكري على النظام الأوروبي وعرض عليهم معاشاً لكل مـن يرفض منهم الانضمام إلى هذه الفرقة في سبيل اقتناعهم بقبـول إدخـال الـنظم الحديثة إلى فيالق الإنكشارية حتى تكون متمشية في تنظيمها وتسليحها مع سائر فرق الجيش الأخرى، وعلى الرغم من اقتناع السلطان محمود أنهم سوف يرفضوا طلبه، إلا أنه أراد أن يمد لهم حبال الصبر، ويمنحهم فرصة أخرى قبل أن يخوض مواجهة عسكرية سافرة ضدهم. (١)

وعندما لم يجد محمود الثاني نتيجة من الحسنى مع الإنكشـارية قـام فـي مستهل حكمه عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م، مقدم حسن النية، باستدعاء جميع كبار رجال الدولة والوزراء والأمراء وأهل الحل والعقد وشيخ الإسلام وبكلر بك الروم إيلي، وبكلربك الأناضول، وحكام الولايات القريبة من العاصـمة، وعنـدما لبـى الجميع دعوة السلطان قام بعقد اجتماع معهم، شرح (*) فيه مـا آل إليـه حـال الإنكشارية من تدهور وانحطاط بعد أن كانوا أداة بطـش للـدفاع عـن الإسـلام والدولة العثمانية، وأوضح ما يجب. أن تكون عليه من الالتزام الصارم بالانضباط العسكري (**) وعرض حلولاً من شأنها رفع مستوى الإنكشارية أهمها، ضرورة تسليحهم بالأسلحة النارية المخترعة حديثاً، وضرورة إنشاء جيش منظم يعـادل الجيوش الأوروبية، حتى يستطيع العثمانيون مواجهة الأعداء خاصـة روسـيا،

---

(١) السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص١٧. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١،ص٥٣٤.

(*) الحديث الذي دار في الاجتماع، انظر مخطوط السيد أحمد محمد أسعد الإستانبولي، أس ظفر، إستانبول،١٢٤٣هـ، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٦٤ س، ٤٨٣٥، تاريخ تركي ورقة، ١٧-٢١.

(**) لمزيد من تفاصيل الحديث الرجوع إلى إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٦٣.

والتي استخدمت الأسلحة الحديثة، وهكذا تمكن السلطان محمود من إقناع جميع الحضور حتى المفتي نفسه بضرورة الإصلاح، وإن بقيت المعارضة موجودة من البعض، وتم اختتام الحديث بعرض عدة إقتراحات أهمها تسليحهم بأسلحة نارية حديثة.(*) وأكد الصدر الأعظم أن الإنكشارية لو استجابت لهذه الاقتراحات، لعادت الإنكشارية لمجدها القديم، ولاستطاعت التغلب على الجيوش الأوروبية، ولأصبحت الإنكشارية من أقوى الجيوش في العالم. فأقرا الجميع ما جاء من إصلاحات وحرروا محضراً بذلك، ولم يكتف الصدر الأعظم بذلك، بل أستصدر فتوى من شيخ الإسلام، بضرورة تنفيذ هذه المقترحات على الإنكشارية بكل صرامة وحزم، وأصدر الصدر الأعظم أوامره بتنفيذ هذه المقترحات متحصناً بموافقة المجلس وفتوى شيخ الإسلام. (١) وقد أقسم بعض من زعماء الإنكشارية وكبار الشخصيات الدينية على تنفيذ هذه الخطوة الإصلاحية والتي وصفت بأنها تتماشى مع المبادئ الإسلامية. (٢)

(*) أهم القرارات التي جاءت في الاجتماع :-

إلزام الإنكشارية بملازمة ثكناتهم أيام السلم خاصة غير المتزوجين منهم.

وقف صرف مرتبات وبدلات الساكنين خارجها.

ضرورة مواظبتهم على حضور التدريبات العسكرية.

تسليحهم بالأسلحة النارية الحديثة، وتمرينهم على الأسس العسكرية المطبقة في الجيوش الأوروبية.

وقف عادة بيع الوظائف.

انظر محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٣٣٢.

(١) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ١٩. إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦٣. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٨. بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٥١. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٣٥.

(٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص٢٦٧.

ونجد هنا أن خطوة محمود الثاني هذه كانت مشابهة لخطوة سليم الثالث من حيث الاجتماع وأخذ رأي أهل المشورة وكبار رجال الدولة، ولكن محمـود تعلـم درساً من سليم الثالث وهي أهمية شيخ الإسلام، فحرص محمود على عدم ارتكاب نفس خطأ سليم وهو عدم كسب شيخ الإسلام لصفه، وحصل على فتوى رسـمية بضرورة إجراء الإصلاحات وإدخال النظم الحديثة من شيخ الإسلام وبذلك ضـمن ولاء الهيئة الدينية.

وأصدر محمود الثاني قراراً بأن مصاريف هذه الاقتراحات تخرج من خزينـة السلطان الخاصة، وبالرغم من أنه أبقى على فرقة الإنكشارية ولم يقم حتى تلـك اللحظة بإلغائها، إلا أنه قرر اختيار مائة وخمسين شخصاً من كل وحدة عسـكرية للإنكشارية موجودة في إستانبول وذلك حتى يتسنى لـه تشـكيل ذلـك الجـيش الجـديد، وبهذا أظهر محمود الثاني للإنكشارية أنه متمسك بقرارات جده سليمان القانوني وأنه محافظ على القوانين القديمة. كما أنه في نفس الوقت كان للقـرار الجديد الخاص بالتشكيل العسكري الجديد أثره، حيث يقضي بأن يكون جميع أفراد التشكيل من المسلمين وليسوا من النصارى. وسيكون تعليمهم على أيدي ضـباط عرب من الذين قاموا بمناورات حربية مع الجيوش الأوروبية، وبفضل هذا القرار لم يمانع الإنكشارية من تنفيذ التعليمات، وتم تعيين قاضي وإمام لكل فرقـة فـي الإنكشارية. [١] وفي نفس الوقت عمل الصدر الأعظم مصطفى باشا على تنفيـذ القرارات بكل صرامة وشدة، وأدخل أغلب الضباط الجيوش المنتظمة التـي أمـر بإبطالها في جيش الإنكشارية في الوظائف المهمة والحساسة، وهـؤلاء عملـوا

---

(١) علي رشاد: مرجع سابق، ص١٢-١٣. أرشيف رئاسة الوزراء -أستانبول. رقم الوثيقة HAT.H ١٧٣٧٤

على تنفيذ رغباته بكل عناية وشدة. [(١)]

هذه الأعمال وأعمال الصدر الأعظم جعلت الإنكشارية تضمر الثورة والحقد على الصدر الأعظم البيرقدار مصطفى باشا واستغلوا خلوا العاصمة من جيشه المدرب على النظم الحديثة، وقاموا بثورة أضرموا النار في إستانبول وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا على النظم الحديثة، وأحاطوا بقصر الصدر الأعظم، وأحرقوه ودافع الصدر الأعظم عن نفسه بمنتهى البسالة حتى مات، في سبيل مبدأ آمن به، ودارت معارك طاحنة بين السلطان وأنصاره، وبين الإنكشارية، حتى أن قطع من الأسطول العثماني قامت بضرب الإنكشارية من البحر، ومع أن للنظم الحديثة أنصار ومؤيدين كثر مستعدين للتضحية بأنفسهم من أجل إحلال النظم الحديثة وتدريب الإنكشارية، إلا أن النار كادت تلتهم إستانبول، مما حمل السلطان [(*)] على الاستجابة لرغبات الإنكشارية وصرف النظر عن النظم الحديثة. [(٢)]

ومع هذه الأحداث فقد أنقسم الناس بين من يؤيد التعليم الحديث ومن يكرهه،

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٧٠ : ١٧١.

(*) هذه الأحداث أرغمت السلطات محمود الثاني على عقد إتفاقية مع إنجلترا في ربيع الآخر ١٢٢٤هـ /يوليه ١٨٠٩م وقام بالتفاوض مع روسيا التي تجددت معها الحرب. بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٥١.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٦٤. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٣٩٨- ٤٠٠. أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص٢٨٠، ٢٨١. بسام العسلي : مرجع سابق، ص٢٧٥. محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٣٣٢، ٣٣٣ عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق ص٢٦٣. لمزيد من التفاصيل عن الثورة الرجوع عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ٥٣٦ - ٥٣٨. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : رقم الوثيقة ١٧٣٩٣. HATH.

وهذا يدل على أن إدخال النظم الحديثة لم ينته وإنما استمر حيث قام السلطان محمود الثاني بتأجيل تنفيذه وقت ما يتسنى له التخلص من هذه الفئة. والدليل على ذلك أنه قام بإنشاء فرقة إسمها عسكر جديد " سكبان " موالية للسطان احتراساً من تجدد أي فتنة. (١)

ونتج عن هذا التمرد عزل شيخ الإسلام عطاء الله أفندي الذي أصدر الفتوى بضرورة إصلاح الإنشكارية وتم تعيين مكانه علي عرب زاده محمد عراف أفندي، وكان شيخاً ذا عفة ورأي سديد ومن أنصار الإصلاح، وهو أكثر ما احتاج له محمود الثاني في تلك الفترة.(٢)

وإذا ما تحقق النظر في أسباب هذه الثورة، نجد أنه بجانب رفضهم للنظم الحديثة، كانت هناك أسباب مالية، وهي أن الإنكشارية في ذلك الوقت كانت قد فقدت صفتها العسكرية وأصبحت وسيلة للتكسب، مما قلل ارتباطهم بالثكنة العسكرية، فصاروا لا يذهبوا إليها إلا لتسلم الرواتب التي تسمى علوفة، وما يتبع ذلك من بيع هذه العلوفة، والتي بلغت في عهد محمود الثاني مائة وخمسة وثلاثين ألف تذكرة، تصرف بموجبها مرتبات شهرية من خزانة الدولة. ولم يكن من حاملي هذه التذاكر يقوم بعمل الجندية أكثر من خمسة في المائة. وكان طبيعي أن يثور أصحاب هذه المنافع ضد أي إصلاح للإنكشارية يستهدف سحب البساط من تحت أقدامهم ببطء. (٣)

في عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م اندلعت الثورة اليونانية في شبة جزيرة

---

(١) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ٦٦.

(٢) أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص٢٨٠. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٧٢.

(٣) محمد كمال الدسوقي : مرجع سابق، ص١١٢.

المورة، وقد ظفر الثوار بانتصارات سريعة وباهرة على القـوات التـي أرسـلها محمود الثاني بقيادة خورشيد باشا، وفشلت الإنكشارية في صد الثورة وإيقافهـا، التي انتقلت من نـصر إلى آخر (*)، ولم يمر عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢ م حتـى تقلص النفوذ العثماني في شبة جزيرة المورة مما جعل الإنكشارية فـي موضـع تهكم وسخرية الشعب، والتي كانت تعلق آمالاً كبيرة على الإنكشارية، بسبب مـا اشتهرت به من شجاعة وكفاية قتالية. وفي هذا الوقت العصيب استعان السلطان محمود الثاني بوالي مصر محمد علي باشا، لإخماد ثورة اليونان والـذي سـارع بإرسال قوة من الجيش المصري بقيادة ابنه إبراهيم باشا (**)، واستطاعت هـذه الحملة إخضاع بلاد اليونان مثلما أخضعت شبة جزيرة العرب للعثمانيين من قبل. وبذلك قارن الناس ما بين إخفاق الإنكشارية وانتصار الجيش المصري، وهنا عزم محمود الثاني على توجيه ضربة قاضية للإنكشارية إذا أصرت على الرفض.(١)

(*) لقد انتقل انتصار الثوار اليونانيين إلى مقدونيا وستاليا، واستولوا على المدن، والمراكز الحـصينة، مثل تريبولتزا مقر السلطة العثمانية في المنطقة، وقاموا بمذابح رهيبة ضد القوات العثمانية والسكان المسلمين. راجع عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج١، ص٥٣٩.

(**) كان إبراهيم باشا على رأس حملة كبيرة من الجيش المصري تحرسه عدداً من وحدات الأسطول المصري، وأقلعت الحملة من الإسكندرية في عام ١٢٤٠هـ/ و ١٨٢٤م وتمكنت القوات المصرية من النزول في مودن في أقصى الطرف الجنوبي الغربي للمورة، وأخضعتها وفي العام الذي تلاه استطاعت خلاله توجيه ضربات عنيفة للثوار، واستولت على معظم المدن الحصينة مثل مسولنجي، وتريبوليتزا، وأثينا، وبسقوط هذه الأخيرة أصبحت المورة بأكملها في أيدي القوات المصرية راجع عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٤٠.

(١) عبدالعزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص٥٣٨-٥٤٠. محمود السيد : مرجع سابق، ص١٣١، ١٣٢.

يتضح هنا أن الإنكشارية خسرت المناصرة الشعبية وبذلك أصبحت لا تستطيع المقاومة وحدها، خاصة وأن الجميع إلا قلة اقتنعوا بضرورة الإصلاح.

كان السلطان محمود الثاني يتابع الأعمال القتالية في اليونان بمنتهى الاهتمام، حيث أكدت له التجارب أفضلية الأنظمة والأساليب الحديثة والتي سارت عليها جيوش أوروبا وكذلك الجيش المصري، وكان ما أنجزه إبراهيم باشا من انتصارات بجيشه الحديث، مثال حي خير برهان على ضرورة إدخال النظم الحديثة، وأظهرت محاسن العسكر الجديد عند الناس بحيث لم تعد هناك معارضة للإصلاح، وأصبح هذا الأمر ضرورياً.(١)(*)

وهكذا عاد محمود الثاني إلى كيفية إصلاح أمر الإنكشارية وجرت مشاورات ومراسلات بين رجال الدولة، وأخيراً استقر الرأي على التعامل مرة أخرى بالحسنى، لأن محمود رأى أن إعدام أعداد كبيرة منهم أمر مناف للعدل والحق ، ولذلك قرر التفاهم معهم، فإذا وافقوا كان أفضل ويتم كتابة موافقتهم. (٢)

تمكن السلطان محمود الثاني من إقناع العلماء ورؤساء الإنكشارية وشيخ الإسلام بضرورة الإصلاح، وإن بقي البعض معارض لكل تجديد، وتم عقد الاجتماع الثاني في عهده عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م حيث عقد اجتماع لكبار رجال الدولة، حضره رجال الهيئة الدينية الإسلامية، وكبار ضباط فيالق الإنكشارية في عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م وقد ترأس الاجتماع الصدر الأعظم "

---

(١) بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٥. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٧٤.

(*) حيث أنشئ من الفلاحين عام ١٢٣٦هـ ١٨٢٠م ولكن على الأساليب والنظم الحديثة، واستقدم الخبراء العسكريين من دول أوروبا لتدريب أفراده على أحدث النظم الحديثة. عبدالعزيز الشناوي: مرجع سابق، ج١، ص ٥٤٢،٥٤١.

(٢) مرجع سابق، ج١، ص٥٤١، ٥٤٢.

سليم محمد مظهر باشا " الذي قام بشرح وعمل عرض سريع لما وصـلت إليـه الإنكشارية من ضعف وانهيـار. [١]

أساسه عدم انضباط الإنكشارية، وانعدام الطاعة للقادة والرؤساء، وكثـرة تمرداتهم، وتدخلهم في المسائل السياسية العليا، وميلهم للسلب والنهب، وارتكاب المعاصي والآثام في وضح النهار، دون خوف أو رادع، وبهذه الأعمـال غـدت الإنكشارية من أكبر عوامل ضعف الدولة العثمانية بالمقارنة مع ما وصلت إليـه الدول الأوروبية من تقدم وتطور، وأظهر أنه من المحال أن تواجـه الإنكشـارية جيوش أوروبا وهي بهذه الحالة من الضعف، فأقتنع الحضور بضرورة إصـلاح الجيش وإدخال النظم الحديثة عليه للمرة الثانية، ثم تلا المكتوبجي- هـو كـاتم السر في الاجتماع – مشروع الإصلاح والمكون من ست وأربعين مادة.

وتمت الموافقة على هذه البنود وحُررت مضبطة – محضر – حمل تواقيـع وأختام جميع الحضور بما فيهم قادة الإنكشارية، ثم أعيد قراءة المشـروع مـرة أخرى لضباط الإنكشارية مرة أخرى فأقروه، وأفتى شيخ الإسلام بوجوب تنفيـذ هذه التعديلات ومن يعارض تنفيذها يتم معاقبتهُ، فأقر ضباط الإنكشـارية ذلـك. إضافة إلى أن الإنكشارية لن يصبحوا مبعدين عن القوات الجديدة بل سـيزودونها بوحداتهم الأولى وكل أورطة تقدم مائة وخمسين جندياً كما حدث سابقاً. [٢]

والملاحظة المهمة هنا أن السلطان محمود الثاني اختار دار شـيخ الإسـلام

---

(١) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ١٨ – ٢٠. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٧٤.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٧٤، ١٧٦جلال يحيى : مرجع سابق،ص٩٧. بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٥. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص٢٢٨، ٢٢٩. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٤٧ – ٥٤٨. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : رقم الوثيقة ١٧٣٧٤ HAT.H.

مكاناً لعقد هذا المجلس الموسع، بهدف إضفاء الشرعية الدينية على القرارات، مما يجعل الأهالي يتقبلوها ويقتنعون بها دون مناقشة لأنها تمت في دار شيخ الإسلام وفي حضوره وموافقته.(١) وهذا يعني أنها لا تخالف الشريعة الإسلامية مطلقاً، ومن واجب الأهالي مساعدة ولي الأمر لإتمام هذا الأمر.

وفي اليوم التالي للاجتماع، أصدر السلطان محمود الثاني في ضوء القرارات التي صدرت مسبقاً، خط شريف يقضي بإنشاء جيش جديد وفقاً للنظم الأوروبية الحديثة، وأشتمل هذا الخط الشريف على ست وأربعين من المواد التي أقرها الاجتماع الموسع.

وعلى هذا الخط الشريف ثلاث ملاحظات هامة :

أولاً : لم يعمد السلطان محمود إلى إلغاء الإنكشارية، بل أبقى عليها، وقرر أن كل أورطة ستمد الفرق الجديدة بمائة وخمسين جندياً وفي ذلك استمالة للإنكشارية حين يدركون أن السلطان قد أبقى عليهم كعسكريين، وأنهم ليسوا مبعدين عن القوات الجديدة.

ثانياً : قرر السلطان عدم استخدام خبراء أو ضباطاً مسيحيين في تدريب الفرق الجديدة، وقد أراد السلطان بهذا القرار أن يقطع الطريق عليهم فلا يعمدون إلى الإثارة الدينية سواء هم أو العلماء.

ثالثاً : تجنب السلطان ذكر " النظام الجديد " في الخط الشريف "، لأن هذا النظام يقترن في الأذهان بأعمال السلطان سليم الثالث الإصلاحية، وعلى النقيض صور الفرق الجديدة على أنها بعث للنظام العسكري الصارم الذي أرسى قواعده السلطان سليمان القانوني. وقد لقي هذا الخط تأييداً واسعاً. (٢)

---

(١) عبدالعزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٤٨.

(٢) مرجع سابق، ج١، ص٥٤٩، ٥٥٠.

وهكذا نجح محمود الثاني إلى حد ما في تهيئة الجو المناسب للإصلاح، وتكوين رأي عام، وإكساب العلماء إلى جانبه، وبذلك حقق التفرقة بين العلماء والإنكشارية، بعد ما كانوا دائماً مساندين لحركاتهم وتمرداتهم، كما أوجد انقساماً داخل الإنكشارية نفسها مما يمهد السبيل للقضاء عليهم فيما بعد.(١) وهذا ما فشل فيه سليم الثالث، فلم يستطع كسب رأي العلماء مما أفقده السيطرة على الموقف.

لكن موافقة ضباط الإنكشارية لم تكن إلا ظاهرية، من أجل كسب الوقت، والإعداد الجيد للثورة وإحباط الفرق الجديدة، وبذلك أظهروا غير الذي في قلوبهم، فما كاد الضباط يبدأوا في تعليم الفرق الجديدة، حتى تنبه الإنكشارية إلى عواقب الأمر، وعرفوا أن هذا النظام سيكون سبباً في ضياع كافة امتيازاتهم، فرأى أنصار الإصلاح أنه من الضروري بيان أسس فريضة الجهاد التي هي إحدى الدعامات الرئيسية للدولة، وأن يشرحوا أن طاعة ولي الأمر هي الأساس الذي تقوم عليه هذه الفريضة، ومع هذه الأحاديث لم يفد الإنكشارية بشيء بل زاد تمردهم، فلم يكد يبدأ الضباط التدريب والإشراف على تنظيم الجنود، حتى زاد التذمر، على الرغم من أن الضباط الذين يقومون بتدريب الجند كانوا من المسلمين حتى لا تثور الإنكشارية، فقد كان السلطان حريصاً على عدم ظهور الضابط المسيحيين إلا نادراً، وكمدربين ويجوارهم ضباط مسلمون لتقليد حركاتهم فقط، وبدأت الوحدات في التدريب واستلمت كسوتها ومعداتها، وأطلق على هذه الفرقة اسم إشكنجي " الجنود العاملون " وهذه التسمية إحياء لاسم قديم كان يطلق على جنود الإنكشارية أثناء قيامهم بالعمل.

وما أن مضت عشرة أيام على الحفل الرسمي الذي أقيم بمناسبة بدء تكوين الفرق الجديدة، حتى بدأت بوادر التمرد والعصيان. ومما زاد في إشعال نار

---

(١) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٧٦.

التمرد، أن محمود الثاني قد استعان بضباط مصريين لتدريب الإنكشارية وهـؤلاء لا يعرفون معنى للهوادة أو التساهل للوصول إلى أعلى مرحلة ممكنة من الكفاءة في الخدمة، لكن هذه الروح النظامية التي سرت في الجيش المصري لـم تكـن مقبولة لدى الأتراك، كما تعرض الإنكشارية للجنود وقت التـدريب، وأوسـعوهم ضرباً، وقرروا القيام بتمرد وكان ذلك في عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م، وتجمعـوا في آت ميدان، ووضعوا القزانات مقلوبـة أمـامهم، وانطلقـوا بعصـيانهم فـي الـشوارع، يعيثون فساداً، فأمر السلطان محمود بقتل كل من يتعرض للجند، هنا فرغ صبر محمود الثاني وقرر القضاء عليهم والتخلص منهم نهائياً. (١)

وكانت هذه آخر حركة عصيان للإنكشارية في تاريخ الدولة العثمانية، وقـد كان السلطان أكثر استعداداً لمواجهتهم، والجماهير أكثر ميلاً للإسهام في مقاومة الإنكشارية بعد أن لاقوا من جبروتهم وطغيانهم ما لم يكونوا يطيقون. (٢)

وهكذا نجد أن الأحداث التي صنعتها الإنكشارية قادت إلى نهايتهم المحتومة. فمن استعراض المعلومات السابقة يتضح موقف الإنكشارية بجـلاء مـن الـنظم الحديثة، فقد عدوها كفراً ولم يتقبلوها بأي شكل ورفضوها، وقد حـاول محمـود استخدام الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، فتمادوا في طغيانهم وفسادهم ولـم يتوقعوا أن يأتي سلطان ويقضي عليهم نهائياً، على الرغم من خسـرانهم أغلـب المعارك التي دخلوها. لقد تكالبت عليهم عدة عوامل أهمهـا عـدم اسـتطاعتهم

---

(١) بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٥. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص١٨٩. جلال يحيى : مرجع سابق، ص٩٧، ٩٨. الموسوعة العربية : مادة الإنكشارية، ص١١١. محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٣٣٣. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٧٦، ١٧٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ح١، ص٥٥. أرشيف توب قابي سراي : أستانبول : ٥٥٢٨.

الوقوف في وجه الجيوش الأوروبية، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تضغط على الدولة العثمانية من جميع الجهات، إضافة إلى أن الإنكشارية بكثرة ثوراتهم أضعفت الجبهة الداخلية، مما جعل القضاء عليهم الحل الوحيد.

المبحث الثاني

إلغاء فيالق الإنكشارية

بدأت سياسة محمود الثاني الإصلاحية تسير في الطريق المرسوم لها، واطمأنت نفس محمود عندما حصل مشروعهُ الإصلاحي على تأييد الجميع بما فيهم ضابط الإنكشارية، وإن أظهروا التأييد فإنهم لم يستطيعوا الصبر عندما رأوا المشروع يخرج إلى حيز التنفيذ، وشعروا أن هذا النظام سيكون سبباً في ضياع كافة امتيازاتهم، وسلب حريتهم، فقاموا كعادتهم بإعلان الثورة والعصيان كمحاولة لإيقاف تنفيذ المشروع الإصلاحي.

في هذا الوقت لم تفكر الإنكشارية في قتل السلطان محمود الثاني أو حتى عزلهُ، وذلك لأنه كان آخر من بقى من سلالة آل عثمان، (١) وفي الوقت نفسه رسخت فكرة القضاء عليهم في ذهن السلطان محمود الثاني، خاصة وأن الإنكشارية خسرت تأييد الرأي العام بشدة.

وفكرة القضاء على الإنكشارية وإبادتهم لم تكن جديدة فقد دارت في ذهن السلطان عثمان الثاني (*) والذي وضع في رأسه عدداً من الخطط الإصلاحية التي لو كتب لها النجاح لغيرت مسار الإنكشارية كثيراً، ولكن الحاسدين ومن لا يريدون الإصلاح مثل الإنكشارية وقفوا أمامه ولم يساعدوه، كما أنه لم يجد صدراً أعظم قوي يسانده، أو وزير يعاونه في خططهِ الإصلاحية، وكانت النهاية أن قتله

---

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين، ج٣، ص٤٠.

(*) كان شاعراً حساساً، ومن أبياته المشهورة :

كانت نيتي الخدمة لحكومتي ودولتي * وللعجب أن الحسود يعمل لنكبتي

الإنكشارية. (١) أما إبراهيم الأول، فقد كان مصيره لا يختلف كثيراً عن عثمان الثاني نتيجة لميله للإصلاح. أما مراد الرابع لم تخطر هذه الفكرة على باله، على الرغم من امتلاكه القوة اللازمة لذلك. لأن في عهده لم تكن فكرة التخلص من الإنكشارية قد تبلورت في أذهان السلاطين العثمانيين بعد.

والواقع إن القضاء على الإنكشارية لم يتم بطريق الصدفة، وإنما جاء نتيجة خطة مدروسة بدأها السلطان محمود الثاني بسلسلة من التغيرات متفادياً بذلك الأخطاء التي وقع فيها سليم الثالث، وهذه التغيرات تمت بمعاونة مساعدين مخلصين له، الخطوة الأولى إعادة تنظيم الجيش. والخطوة الثانية هي الحصول على تأييد وعطف العلماء وكبار رجال الدولة، أما الخطوة الأخيرة فهي الحصول على تأييد الرأي العام لسياستهُ الإصلاحية، وقد ساعد العلماء في توعية الناس بسياسة السلطان محمود الثاني الإصلاحية. (٢)

كما أنه فيما بين عامي ١٢٣٠هـ، ١٢٣٢هـ / ١٨١٤م، ١٨١٦م استطاع السلطان محمود الثاني التخلص من بعض الجماعات الصغيرة من الإنكشارية سراً. (٣) وذلك تمهيد للتخلص منهم نهائياً.

وقد حققت بعض المؤثرات الخارجية دورها في تنفيذ حركة الإصلاح العثماني في عهد محمود الثاني فكانت أولى هذه المؤثرات، موقف روسيا وضغطها المستمر على الدولة العثمانية والذي كان أشبه بحروب متصلة، أما المؤثر الثاني فتمثل في الأزمات التي نتجت عن سياسة نابليون التوسعية والتي أثارت متاعب

---

(١) عبد القادر دده أوغلو : مرجع سابق، ص٦١.

(٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص٢٢٦، ٢٢٧. محمد كمال الدسوقي : مرجع سابق، ص١١٠.

(٣) السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص١٧، ١٨.

عظيمة للدولة العثمانية، وحرب استقلال اليونان شكلت مؤثراً ثالثاً، وهناك حركة محمد علي التوسعية كمؤثر رابع حيث شكل خطراً كبيراً على وحدة الدولة العثمانية وهدد بانقسامها، وقد صارت مصر مستقلة بزعامة محمد علي في العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كما شكل نفس الخطر علي باشا تبه دلنلي والي يانينا(*) والذي استبد بالسلطة في بلاد ألبانيا حتى تم القضاء عليه عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م فقد قتله جنود السلطان.(١)

وهكذا نجد أن موقف محمود الثاني داخل الدولة العثمانية لا يحسد عليه، فقد أحاطت به الضغوط من الداخل والخارج، وهددت كيان واستقلال الدولة فوجد نفسه مضطر للوقوف موقف المدافع على الجبهتين الداخلية والخارجية، حيث عمت الفوضى الأراضي الشاسعة التي تحكمها الدولة العثمانية.

ومن أجل التغلب على هذه الخصوم العتيدة ومجاوزة هذه الأخطار الشديدة، كان لابد من وجود جيش قوي منظم، وكان لابد أن يحظى بمساندة الأهالي وأعيان الدولة، على الرغم من وجود جيش الإنكشارية إلا أنه، لم يعد مخلصاً في أوقات الحرب، ومشاكساً متمرداً عاصياً في الثكنات أيام السلم. فشرع السلطان محمود الثاني، وهو ذو إرادة حديدية وحذق سياسي عظيم وصبر لا ينفذ، في معالجة هذه العلل، فلم تنضج فكرة القضاء على الإنكشارية إلا بعد مرور عشرين عاماً، تخللتها سلسلة من المحاولات المضنية لإصلاح الإنكشارية.(٢) وقد اقتنع خلالها محمود الثاني أن إزالة معالم القديم جزء من بناء الجديد.

(*) مدينة تركية أوروبية في مركز يانيا، تقع على الضفة الغربية لبحيرة يانيا، إستعادها اليونان من العثمانيين سنة ١٩١٣ م. س. موستراس : مرجع سابق، ص٤٩٥.

(١) حسين لبيب : المسألة الشرقية، ص٦٦.

(٢) حسين لبيب : المسألة الشرقية، ص٦٦، ٦٧، إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٩٠.

ولا شك أن الإصلاحات الواسعة والناجحة التي قام بها محمد علي باشا في مصر، كانت أعمال يود محمود الثاني لو اقتدى بهـا، ولا سـيما وأن العسـاكر المصرية المنظمة والمعروفة باسم " الجهادية " والتي جيء بها إلى المورة أثناء العصيان اليوناني قد حققت نجاحاً خلال فترة قصيرة، وكشفت للعيان حالة الضعف والفساد التي كانت عليها قوات الإنكشارية والقوات الأخرى، فترك ذلك انطباعـاً طيباً لدى الرأي العام اتجاه ضرورة إيجاد جيش مدرب، فانتهز محمـود الثـاني هذه الفرصة وراح يعمل سراً على اتخاذ التدابير اللازمة لإلغاء الإنكشارية. والتي قدمت الفرصة لذلك إذا قامت في ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م بقلب قدور طعامها علامة على الثورة، وهم في غفلة عظيمة. فكانت هذه الحادثة بمثابـة إعـلان لنهايـة الإنكشارية ولا سيما تكايا الطريقة البكتاشيه بعد ذلك. كما كـان بمثابـة بدايـة الانـتقال السلطاني نحو تـشكيل " العساكر المحمدية المنصورة " الجيش الجديد والحديث الذي قـضى على الإنكشارية. (١)

وفي الحقيقة، كانت المصائب عظيمة، بحيث وجد فيها الإنكشارية مـا أرادوا بلا خوف ولا حساب.. ولكن حالت الأيام دون ما يريد السلطان، وأوشك أن يصيبه ما أصاب سلفه، إذا اجتمع الإنكشارية في ميدان " آت ميدان " وتآمروا على قتله، ولكن شاء الله أن يرفع عن السلطان شر المتآمرين وتمكن منهم جميعاً. (٢) ولـم تنجح الإنكشارية في تنفيذ مخططها وبقي السلطان محمود الثاني علـى كرسـي السلطنة وعلى الرغم من أن ضباط الإنكشارية أقروا المشـروع الـذي عرضـه عليهم الصدر الأعظم محمد مظهر باشا في آخر اجتماع عقده السلطان محمود إلا أنهم في أول فرصة سنحت لهم تعرضوا للجند وقت التدريب وأوسعوهم ضـرباً، واستقر رأيهم على التمرد. وجرياً على العـادة اجتمعـت خمسـة فيـالق مـن

---

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج١، ص٩٧، ٩٨.

(٢) أحمد صائب، محمد توفيق : مرجع سابق، ص١٠.

الإنكشارية في " آت ميدان " ووضع أفرادها القزانات أمـــامهم وهـــي مقلوبـــة، وانطلقوا في شوارع إستانبول يشعلون النار في الشوارع، ويهاجمون المنـــازل، ويحطمون الحوانيت، ويسلبون البضائع وكان الســـلطان مســـتعداً لهـــذا التمـــرد والأهالي أكثر ميلاً للإسهام في مقاومة الإنكشارية. وكان محمد علي باشا والـــي مصر قد بعث إليه بالمدربين الذين اقتضاهم إنشـــاء الجـــيش الجديـــد الخـــاص بالإصلاح. وحدد يوماً لعرض الجيش الجديد قرب إستانبول فشق الإنكشارية عصا الطاعة قبل الموعد بثلاثة أيام، وطالبوا في البداية بإلغاء القـــوانين المســـتحدثة للجيش الجديد. (١)

يعتبر السلطان محمود الثاني الذي قام بإلغاء فرقة الإنكشـــارية مـــن أعظـــم الخلفاء وأقواهم وأكثرهم توكلاً على الله سبحانه واعتماداً عليه و إقداماً واجتهاداً. لما قام به من بسط للأمن وتأمين للمســـالك. (٢)

وقد عمل السلطان محمود الثاني منذ بداية حكمه على كسر قوة الإنكشـــارية التي أصبحت تمثل خطراً على الدولة العثمانية، كما قام بتبديل جيش الإنكشـــارية كلياً على ما يتفق مع الأصول والفنون الحربية الحديثة. وكان يأمل في أن يـــدير الحكومة بصفة مطلقة بدون تدخل أحد. وهو الأمل الذي خطط له عمه الســـلطان سليم الثالث على الرغم من مقاومة الإنكشارية. (٣)

---

(١) إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص٢٠٨، ٢٠٩. إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، ج٢، ص٦٧٨، ٦٧٩. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص٢٧٠. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص١٩٠. علي سلطان : مرجع سابق. ص ٢٨٦. حسين لبيب : المسالة الشرقية، ص٦٦، ٦٧.

(٢) أحمد أيوب الأنصاري الطرابلسي : مصدر سابق، ص٣٣٣.

(٣) علي رشاد : مصدر سابق، ص١١.

إلا أن السلطان محمود الثاني، أظهر ثباتاً ومهارة أكثر من عمه سليم الثالث. وكان هدفه أن يعمل الإصلاح على تقوية السلطنة العثمانية. وقد قام على الفور بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على هؤلاء الجند الذين خرجوا على السلطان، وانتهى الأمر بإسقاط كافة حقوقهم، وإلغاء الإنكشارية، وقتل منهم من قتل، وتفرق منهم من تفرق. فوصل عدد ما قتل منهم ما يقرب ستة أو سبعة آلاف جندي، ونفي خمسة عشر أو ستة عشر ألفاً. إذ أن السلطان خطط لإلغاء الإنكشارية بصورة محكمة، صورة كان يتوقع فيها كل الاحتمالات التي ستقوم بها الإنكشارية حتى يتسنى له في نهاية الأمر القيام بإلغاء هذا اللواء.(١)

وفي الحقيقة فإن السلطان محمود كان يدرك مدى الفساد الذي وصل إليه الإنكشاريون، ويعلم مقدار تخلفهم وتعديهم وقتلهم للسلاطين. والتلاعب بالدولة ووظائفها، واعتدائهم على الولاة والناس. كما شهد بأم عينه وهم يقتلون سليم الثالث، وكيف هرب هو ونجا منهم.(٢)

نعود لآخر تمرد قامت به الإنكشارية، وكان بعد آخر اجتماع عقد محمود الثاني لمناقشة أمر الإنكشارية والإصلاحات، وعلى الرغم من موافقة قادة الإنكشارية على تعليم الأصول الأوروبية الحديثة في ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦/٧/١١م وعند البدء في التدريب بعد ثلاثة أيام فقط أي في ١٨٢٦/٧/١٥م، قاموا بثورة، وكان هدفهم من ذلك إظهار عدم موافقتهم بشكل قاطع على التعليم العسكري الحديث. فقد كان من بين الحاضرين في الاجتماع جماعة يميلون إلى الإنكشارية فتعصبوا لهم سراً وأخبروهم بما صار في الاجتماع فهجموا على بيت الصدر الأعظم وبيوت بعض من كبار رجال الدولة، وأخذوا

---

(١) علي رشاد : مصدر سابق، ص١٢، ١٤.

(٢) علي سلطان : مرجع سابق، ص٢٨٤، ٢٨٥.

ينادون في شوارع العاصمة "الموت لكل من كان السبب في وضع النظام الجديد " وأشعلوا النار في البيوت بعد نهبها وقتلوا كل من صادفهم، وفر الصدر الأعظم إلى السلطان وأخبره ما حدث من أمر الإنكشارية. ونتيجة لهذا التمرد الذي يعتبر خروجاً على السلطة وخروجاً على الشرع، قام السلطان محمود الثاني بدعوة كبار رجال الدولة لكي يبحث معهم الأمر، فحضر شيخ الإسلام طاهر أفندي، وعارف أفندي قاضي العسكر الروملي، وصادق أفندي قاضي إستانبول. وقد حضر الأجتماع أشهر علماء ذلك العصر البارزين أمثال عبد اللطيف عبد الرحمن أفندي الكردي، وكذا حضر مشاهير علماء الدين والمتصوفة. (١)

وتم عقد الجلسة في دار الفتوى يوم الأحد الموافق ٢١ ذي القعدة ١٢٤٢هـ وأجتمع السلطان مع الحضور وكان من ضمنهم إغا الإنكشارية وبدأ الحديث شيخ الإسلام المفتي. (*)

كما أن السلطان محمود سأل بعد خطاب شيخ الإسلام ما حكم الشرع في أمر الإنكشارية وأمر تمردهم وخروجهم عن أمر السلطان ؟ وما رأي الشرع في قتالهم ؟ فرد العلماء بإتفاق أن قتالهم مشروع. وبالفعل تمكّن في نفس السلطان أمر قتال الإنكشارية. ورد الصدر الأعظم أن علاج هذا الداء العضال بالإتفاق يكمن في إخراج الدم الفاسد من كيان الدولة عن طريق التدبير الحسن. وبالفعل رأى الحضور توافق الشرع مع حل القضاء على الإنكشارية، ووجوب الانصياع لأمير المؤمنين.

---

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص١٣٦. أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص٢٨٣.
محمد أسعد بن السيد أحمد الإستانبولي : أس ظفر، ورقه ١٥، ١٦.
أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : رقم الوثيقة، HAT.H ١٧٣٩٣.
(*) أنظر الملحق.

لكن السلطان عندما راجع نفسه وجد أن قتالهم يدعو إلى قيام حرب أهلية مجهولة النتيجة. ولكن العزيمة كانت سارت في المجلس فقام عبد الرحمن الكردي معلم القصر، فشرح للحضور وجهة نظره التي يمكن للدولة أن تسير عليها. وبدأ المعلم الكردي كلامه واحتد وأشتد في الكلام وقال " إذا قدر الله البقاء لهذا الدين وهذه الدولة، فلتقضي على تلك الفئة الباغية العصاة وإلا ستغرق الدولة. ونضيع نحن وهذا الدين. فما الذي يمكن حدوثه بعد ذلك"(*) فقام السلطان محمود الثاني على الفور ودخل الحجرة الشريفة الموجود بها الأمانات المقدسة. وأخرج اللواء النبوي الشريف، ليهجموا على العصاة، وسلمه لشيخ الإسلام وقاضي العسكر والعلماء البارزون، والذين بدأوا في التشاور حول ما ستسير عليه الأمور، إذا ما تجرأت الإنكشارية على السلطان، وتم هذا بالفعل فأصدر شيخ الإسلام الفتوى الشرعية (**) بالقضاء على الإنكشارية وإبادتها وحل الطريقة البكتاشية.(١)

وعندما علمت الإنكشارية بذلك قامت بعمل اجتماع وتجمعت في ساحة " آت ميداني "، وفي أثناء تجوالهم في الشوارع استشهد على أيديهم عدد من الناس، وزاد هياجهم، وقد ذهب إليهم العلماء في محاولة منهم لنصح الإنكشارية

(*) ومن فرط الإنفعال القى الشيخ الكردي سبحته الكهرمانية على الأرض بشدة من شدة غضبه، فانفرطت حباتها على الأرضية المرمرية للقصر. وقد أثر هذا الموقف كثيراً في نفوس الجالسين حتى أنهم بكوا من شدة تأثرهم. محمد أسعد : اس ظفر، ورقة ٦٧.

(**) راجع نص الفتوى في الملاحق.

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص١٣٧. أحمد زين دحلان : مصدر سابق، ص٢٨٣. محمد عبداللطيف البحراوي : مرجع سابق، ١٨١. محمد أسعد، ورقة ٦٧. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥١، ٥٥٢. أرشيف توب قابي سراي رقم الوثيقة ٥٥٢٨ E.

وترغيبهم وتشريفهم لبحث أمل التعليم على الأسلحة الحديثة. [١] ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل فقد أصرت الإنكشارية على رأيها وتمسكت بموقفها فحكمت على نفسها بالإعدام.

وفي أثناء ذلك خرج المنادون لدعوة الناس للاجتماع وتحت السنجق الشريف، فأخذ ذوو الغيرة على الدين والدولة يتجمعون حول اللواء الشريف، وفي مقدمتهم طلبة العلوم، وسلم الصدر الأعظم اللواء الشريف لأركان الدولة في الميدان، ونصب اللواء الشريف على مبنى جامع السلطان أحمد، وطلب كبار رجال الدولة من العلماء بيان حكم الشرع مع الطغاة الذين خرجوا على السلطان إمام المسلمين، وأجاب العلماء بأنه يستحسن إرسال من يزيل شبهتهم أولاً، فأعترض بعض القادة على ذلك واعتبره مضيعة للوقت وأن الشبهة لا تزول إلا بالسيف.

فقرر السلطان بدء القتال، وأتجه السلطان مع القوات العسكرية ومع الأهالي الذين تجمعوا تحت العلم النبوي الشريف، واتجهوا جميعاً إلى آت ميدان أي ميدان الخيل، والذي كان يطل على ثكنات الإنكشارية. وقد أحتشدت فيالق الإنكشارية في هذا الميدان ثائرة، وقد قامت بقلب قدور الطعام أمامهم رمزاً على استمرار حركة العصيان العسكري. وكانوا في هرج ومرج شديدين. وأقاموا المتاريس أمام البوابة الكبرى لثكناتهم ولم يمض قليل من الوقت حتى أحاط رجال المدفعية بالميدان، واحتلوا جميع المرتفعات المشرفة عليه.[٢] وقد كانت أعداد الجموع المحيطة بالإنكشارية تزيد على ستين ألفاً على رأسهم السلطان وتبعه الصدر

---

(١) أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص٢٨٣. محمد أسعد، ورقة ٦٥، محمد عبد اللطيف البحراوي، ١٨١.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٩٠. إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص٢٠٨، ٢٠٩ بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٦. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥٠. حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص٣٨، ٣٩.

الأعظم سليم باشا وشيخ الإسلام قاضي زاده طاهر أفندي يتبعهم العلماء والطلبة.[١] وهكذا سلطت فرقة المدفعية مدافعها على الإنكشارية من جميع الجهات، وهجم الإنكشارية على موقع المدافع يبغون الاستيلاء عليها، لكنها صبت حممها فوق رؤوسهم.

وحصدتهم المدفعية ونالت منهم منالاً كبيراً. وأيقنوا أنه لا طاقة لهم على مقاومة المدفعية. والتجأوا إلى ثكناتهم طلباً للنجاة. وفشل مخططهم إذ سلطت المدافع قذائفها على الثكنات وهدمتها واشتعلت فيها النيران حتى دمرتها على رؤوس البقية الباقية منهم، وقام الجنود النظاميون بإلقاء جثث الإنكشارية في البحر. وقدر عدد قتلاهم في ذلك اليوم ستة آلاف إنكشاري.[٢]

كما قام الناس بإلقاء الجثث المتبقية تحت شجرة السرو الكبرى. وقد شاهد هذه النهاية العنيفة جموعاً غفيرة من الأهالي لأخذ العظة والعبرة.[٣] وأطلق العثمانيون على وقعة القضاء على الإنكشارية بـ"وقعة خيرية " لأنهم تفاءلوا بها خيراً.[٤]

وفي اليوم التالي صدر فرمان سلطاني بإبطال فئتهم كلية وإلغاء تنظيم

---

(١) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص٥٤٣.

(٢) محمد أسعد : ورقة ٩٤ - ٩٦. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص٤٢٩، ٤٣٠ عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٤، ٣٣٥. أحمد عبدالرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص١٩٠. حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيون، ج ٣، ص٤٤ - ٤٧. لمزيد من المعلومات مراجعة محمد عبد اللطيف البحراوي : مرجع سابق، ص ١٨١، ١٨٢ وقد تحدث أغلب المؤرخين عن نهاية الإنكشارية فلا يكاد يخلو كتاب عن الدولة العثمانية من قصة الوقعة الخيرية.

(٣) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ٩٨، ٩٩.

(٤) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص٣٣٣.

الإنكشارية، وإزالة أسمائهم وشاراتهم وإبطال ملابسهم واصطلاحاتهم، من جميع أقاليم الدولة العثمانية، وهدم أماكن تجمعهم ونودي بذلك في شوارع إستانبول. وصدرت إلى جميع الولايات الأوامر بالبحث عن كل من بقي من الإنكشارية وإعدامه أو نفيه إلى أطراف البلاد، حتى يتم القضاء عليهم جميعاً.(١) وقد عين السلطان محمود الثاني لجنة من كبار الوزراء لتطبيق الإصلاحات وعين " حسين باشا " قائداً عاماً للجيش، وكانت لهذا الأخير اليد الطولى في القضاء وإبادة البقية المتبقية من الإنكشارية.(٢) كما أرسل السلطان فرمانات إلى ولاته في الولايات يأمرهم بالقضاء على باقي الجنود الإنكشارية في ولايتهم. (٣)

وإذا أخذنا مصر على سبيل المثال وأحوال الإنكشارية بعد الوقعة الخيرية سنجد أنهم ندموا على أفعالهم وعضوا على أناملهم من الغيظ، حيث لا ينفع الندم فقد انتهى أمرهم بالهلاك. (٤)

ويصف أحد جنود الإنكشارية الناجين من الواقعة الخيرية وكان قد فر إلى الأناضول، وعاش بها وعاد إلى إستانبول شيخاً مسناً في عهد السلطان عبد المجيد، يصف ذلك فيقول : " لقد كنت في فرقة المراقبة بالإنكشارية، وكانت نيتها في ذلك التمرد هو الاستيلاء على الراية الشريفة. وكنا نستطيع أن نفعل ذلك لأن جنود حسين باشا وجنود عزّت باشا لم تصل بعد، ولكن خروج الراية الشريفة من

---

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٤٣٠. بسام العسلي : ج٥، مرجع سابق، ص٢٧٦.

(٢) مصدر سابق، ص٤٣٠. علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص٥٤٤. أرشيف رئاسة الوزراء : وثيقة رقم ١٧٣١٥ .HAT.H.

(٣) أرشيف توب قابي : $\frac{٥٢١٦}{٣٩}$ E. ارشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم ١٧٤٦١ .H.H

(٤) عبد الغني النابلسي : ورقة ١٥

مقر الباب العالي وسط آلاف العمائم والتكبيرات جعلنا في دهشة، ولم يعد بمقدورنا فعل أي شيء، واندهشنا، ماذا سنفعل ؟ واضطرب الوضع في صفوف الإنكشارية وظلت هكذا حتى أتتني الفرصة واستطعت الفرار من المكان"(١)

ومن هذه الرواية يتضح لنا أن الإنكشارية تفاجأت من إخراج الراية الشريفة، فعنصر المفاجأة هنا لعب دوراً مهماً في القضاء على الإنكشارية حيث أنهم لم يتوقعوا أن يتم توجيهه أفواه المدافع إلى ثكناتهم، وهكذا سادتهم الفوضى ولم يعرفوا إلى أين المفر، وبذلك سهل القضاء عليهم.

كما بذل والي صيدا جهده في تنفيذ فرمان إلغاء الإنكشارية، حيث قام بإغلاق القلاع وحراستها من الإنكشارية وتسلم جميع قدورهم وأدواتهم الخاصة، وقد رحب أهالي صيدا بهذا القرار لأنهم تخلصوا من هذه الفئة. (٢)

وبهذا الحدث تخلصت الدولة العثمانية من جهاز قوي فاسد، أثر كثيراً على تقدم الدولة وتوسعها في الفتوحات، كما كان سبب في ضعفها، مما نتج عنه ضعف كل الفئات الأخرى التي كانت تعتمد على مناصرة الإنكشارية وفسادها، مما سيجعل إدخال الإصلاحات أمراً ميسراً، ودون مغامرة بالرؤوس هذه المرة مقارنة بما حصل في الماضي القريب. (٣)

لقد تم القضاء على المؤسسة العسكرية العثمانية التقليدية التي كانت محط أنظار العالم كله في أيام مجدها العتيد، فقد وصفها أحد المستشرقين بقوله " هي التي كان مستقبل الدولة العثمانية يعتمد إلى حد كبير عليها ... فقد أحرزت الدولة العثمانية أعظم انتصاراتها بفضل الإنكشارية " ويذكر آخر " يكفي أن توجد فرقة

---

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص١٣٨، ١٣٩.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء وثيقة رقم ١٧٣٧٤ HAT.H.

(٣) علي سلطان : مرجع سابق، ص٢٨٦.

واحدة من الإنكشارية في أي جيش عثماني لكي يستميت هذا الجيش كلـه فـي ميدان القتال " لقد كانت الإنكشارية أول جيش مدرب ومنظم ودائم فـي أوروبـا، وعلى عاتق هذه المؤسسة قامت الفتوحات العثمانية وخاصة في أوروبا.[١] لقـد أسس العثمانيون جيشاً صنف في عام ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م ثاني أقوى جيـش في العالم بعد جيش تيمورلنك وفي عام ٨٥١هـ / ١٤٤٧م صار هو الجـيش الأول في العالم، ثم بدأ الجيش العثماني في الـتراجع عن المركز الأول، حيث فقد هذه الصفة بحلول عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، وفي عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م كـان الجيش الثالث، وفي عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م كان الجيش الرابع في العالم.[٢]

هذا الضعف والتراجع الذي أصاب الجيش العثماني بصفة عامة، كان سـببه تراجع الإنكشارية وضعفها وتناحرها على مصالحها الشخصية دون الالتفات إلـى الفتوحات أو الدفاع عن الدولة العثمانية وهذا يوضح لنا أهمية الإنكشـارية فـي الجيش العثماني، فقد كانت السبب الرئيسي في ضعف الجيش، بعد أن أوصلته إلى قمة الانتصار.

لقد تبع إصدار فرمان إلغاء الإنكشارية إصدار عدة فرمانات وقرارات عامـة لتأمين المجتمع، ففي أعقاب إصدار فرمان إلغاء الإنكشارية وأعلامها وشـاراتها، أصدر السلطان محمود الثاني في اليوم الثاني فرماناً بإنشاء جيش جديـد وفـق النظم الأوروبـية الحديثة، وأطلق عليه اسم " عساكر منصـوري محمـدي " أي العساكر المنصورة المحمدية، وهذا الاسم ذو طـابع إسـلامي، وقـد أسـتهدف السلطان محمود من هذه التسمية الدينية قطع الطريق أمام أي هيئـة أو طائفـة تحاول الإثارة الدينية بين الأهالي، نتيجة إلغاء الإنكشارية، كما أراد السلطان أيضاً من هذه التسمية إحياء الأمل الذي تعلقه الدولة والأهالي على هذا الجيش لتحقيق

---

(١) قيس جواد العزاوي : مرجع سابق، ص٥٢، ٥٣.

(٢) يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج٢،ص٣٧٤.

انتصارات عسكرية باهرة لا تقل روعتها عن انتصارات الإنكشارية في عهدهم الذهبي. (١) ولكي تمسح العار الذي ألحقته الإنكشارية بالدولة العثمانية نتيجة هزائمها المتكررة وصراعاتها الداخلية. كما تم تعيين معلمين للعساكر المحمدية، وكان هذا قرار من علماء الدولة العثمانية.(٢)

كما ألغى السلطان محمود الثاني منصب ينى تشرية أغاسي أي رئيس الإنكشارية، وأنشأ منصباً جديداً مكان المنصب القديم أطلق على شاغله "سرعسكر" (*) وأصبحت له جميع اختصاصات القائد العام للجيش وقد تم تسليح وتدريب عشرين ألف جندي كمرحلة أولى، على أن تكون الحصيلة العامة في نهاية العام التالي مائة وعشرين ألف جندي نظامي.(٣)

الواقع أن إستانبول منحت حياة جديدة بالقضاء على الإنكشارية، وصار مسجد السلطان أحمد مركزاً للجيش الجديد. وأما من تبقى من أفراد الإنكشارية فقد كانوا يرسلون مكبلين بالأغلال من كل مكان إلى إستانبول ليتم إعدامهم،

---

(١) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥١، ٥٥٢. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم ١٧٣٥٤ HAT.H.

(٢) كامل باشا : مصدر سابق، ج٣، ص١٠٨.

(*) مصطلح تاريخي عثماني قديم، استخدم في العهود السابقة وكان يمنح لقادة الجيش، ومعناه رئيس العسكر أو القائد العام. ولكن السلطان محمود الثاني أدخل تعديلات شتى على اختصاصات شاغل هذا المنصب، فأصبح يجمع في يديه اختصاصات وزير الحربية واختصاصات القائد العام للجيش، وأضاف إليه اختصاص ثالث هو مسئولية المحافظة على الأمن العام وواجبات الشرطة في العاصمة، وقد عين السلطان في هذا المنصب حسين باشا أغا وهو أحد كبار ضباط الإنكشارية، وكان قد أنقلب على الإنكشارية من قبل احتجاجاً على تصرفاتهم وأنضم إلى السلطان، وكانت له اليد الطولى في الوقعة الخيرية.

(٣) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥٢.

وأثناء إنتظار هذه اللحظة كان طعامهم بسيط و يعملون في زراعة شجر الـدلب، وقد تم إعدام عدد كبير جداً في أول يوم من أيـام إعـدامهم، يتجـاوز المـائتين شخص، وفي باب الأغا " حسين باشا " تم إعدام ما يقرب من مائـة وعشـرون فرداً. واستمرت هذه الإجراءات كل يوم جمعة وقت الظهر لمدة ليست قصيرة. (١) وقد لقيت هذه الخطوة ترحيب من سفراء الدول الأجنبية داخل إستانبول خاصـة سفير النمسا وإنجـلترا.(٢) وكانت هذه فرصة لتدخل السفراء الأجانب في شؤون الدولة العثمانية، كأصدقاء يريدون مصلحتها وهم في الحقيقة ليسوا سوى أعداء.

على أن أهم خطوة خطاها السلطان محمود الثاني على الإطلاق بعـد إبـادة الإنكشارية، هي حل الطريقة البكتاشية وإلـغاؤها. وهذه الخطوة في حد ذاتها تدل على جرأة السلطان محمود الثاني، فقد استطاع إلغاء إحدى أهم الطرق الصوفية، وهي الطريقة البكتاشية والتي ارتبطت بها الإنكشارية منذ نشـأتها (*) وكانـت الدعامة الأساسية لها، كما يدل على حنكة السلطان محمود السياسية فقد استطاع إقناع العلماء الدينيين بضرورة هذه الخطوة، ويدل أيضاً على بعد نظره السياسي، حيث رأى أن استمرار فرقة البكتاشين قد يؤدي إلى تمرد وعصيان غير محمـود العواقب.

ولم يكن يمر شهر واحد على إلغاء الإنكشارية حتى أصدر السلطان محمـود الثاني فرماناً بحل الطريقة الصوفية البكتاشيه، وهكذا جاء الدور علـى معاقبـة البكتاشين الذين كثيراً ما ساندوا الإنكشارية العصاة، فقد أجتمع العلماء في مسجد القصر السلطاني في ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦/٩/٨م وكان من بين الحاضرين الصدر

---

(١) كامل باشا : مصدر سابق، جع٣، ص١٠٧، ١٠٨.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء : رقم الوثيقة ١٧٣٤٩. HAT.H.

(*) لقد سبق الإشارة إلى قصة الشيخ بكتاش ومباركته لأطفال الدوشرمه منذ بداية تأسيسها.

الأعظم وشيخ الإسلام وقاضي عسكر الأناضول والروملي وبعض مشايخ النقشبندية وحافظ أحمد أفندي، ومصطفى أفندي، والشيخ قدرت الله شيخ الطريقة المولودية في غالاطة إحدى الطرق الصوفية، والشيخ علي أفندي، والشيخ البكتاشي عبد القادر أفندي، والشيخ قوجه مصطفى باشا، وعدد كبير من مشايخ الطرق الصوفية الموجودة حينئذ، كما حضر الاجتماع كبار العلماء، واتفق جميع هؤلاء بعد عرض الأمر على السلطان، وانقضوا على هدم تكايا البكتاشية، وفعلاً تم هدمها، وهدم مدارسهم والمساجد الملحقة بتلك التكايا، [(١)] وإغلاق بقية تكاياهم التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد كما أمر السلطان محمود الثاني بعدم دفع أي إعانات لهم، مستنداً في ذلك إلى أن أصحاب هذه الطريقة كانوا يثيرون القلاقل ويحرضون الشعب ضد السلطان احتجاجاً على الوقعة الخيرية. وقام السلطان محمود الثاني بإصدار فتوى من شيخ الإسلام تفيد بأن البكتاشية خارجون عن القانون وذلك لإضفاء الصفة الشرعية الدينية على قراره، وذلك لمنع الشرور عن المسلمين واستناداً لهذه الفتوى قام السلطان بإعدام ثلاثة منهم علناً أمام الأهالي، من كبار البكتاشية، ونفي الباقون، وعُمل على تشتيت أتباعهم بترحيلهم إلى أطراف الدولة متفرقين، منعاً لأي تجمع يقومون به. وقد جاءت تصرفات السلطان في هذا الشأن بعد إلغاء الإنكشارية [(*)(٢)] وقد تم نفي الشيخ

---

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص١٤٠، ١٤٢. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥٢.

(*) يبدو من ملابسات هذه الفترة العصيبة أن حل الطريقة البكتاشية كان إجراء مكملاً لإلغاء فيالق الإنكشارية، وأن هذا الإجراء كان أمراً لا مفر منه في خلال الأزمة، لأن الطريقة البكتاشية عادت إلى الانتعاش رويداً رويداً، مرة أخرى، ولو أنها لم تعد كسابق عهدها في تاريخ المجتمع العثماني.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥٣.

ملك باشا زاده عبد القادر أفندي إلى مانيسا، وشافي زاده محمد عطاالله أفندي إلى تيره، وفرح أفندي إلى بورصة.[١]

وفي هذا الشأن يأخذ بعض المؤرخين عليه أنه أسرف في الإقتصاص من البكتاشية، فقد ضرب بيد من حديد على كل شخص ثبت أنه كان متصلاً بهم أو حتى متعاطفاً معهم. [(*)(٢)]

وهكذا نرى أن الفتوى الشرعية لم تقتصر على إلغاء الإنكشارية والقضاء عليها، بل شملت أيضاً من تعاطف معهم وشدد وآزر حماسهم من شيوخ البكتاشية، فكانت الفتوى تتضمن القضاء على الطريقة الدينية التي كانت في جانب الإنكشارية ضد السلطان محمود الثاني [**]، ومن سبقوه من السلاطين

---

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص١٤٢.

(*) من الأمثلة التي تساق في هذا الصدد الشيخ عطا الله محمد ويشتهر باسم شاني زاد" ١١٨٣هـ، ١٢٤٢هـ / ١٧٦٩م، ١٨٢٦ م كان أحد أعلام الفكر العثماني، ذو عقلية موسوعية تعلم عدة لغات أوروبية، درس الطب وقد عينه السلطان في ١٢٥٣هـ / ١٨١٩م مدوناً للتاريخ العثماني. قام بترجمة بعض المراجع الطبية إلى اللغة التركية، وقام ببحوث عديدة في التشريع والتطعيم، وأدخل في اللغة التركية لأول مرة مصطلحات لغوية في علم الطب، وقد أخذ السلطان عليه صلته بأتباع الطريقة البكتاشية فقام بعزله ونفيه إلى أطراف نائية على حدود الدولة العثمانية ومات في نفس السنة التي نفي فيها، ولم يشفع له الإثراء العلمي الطبي الذي حفلت به حياة هذا العالم.
مهما بلغت صحة هذه القصة، فإن بها بعض المبالغة، لأن السلطان محمود كان يميل إلى العلم والإصلاح والتجديد، فأرجح أن السلطان لم يقم بهذا العمل وربما تعرض العالم لبعض المسألة ولكن ليس النفي، لأنه عرف عن محمود احترام العلم والعلماء.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥٤.

(**) بعض المصادر ترجع أن محمود الثاني في قضاء على الإنكشارية قد تأثر بما قام به محمد علي باشا ضد الأمراء المماليك في مذبحة القلعة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م، لكن الدراسة ترى=

المصلحين، وضد الإصلاحات التي أرادوا إدخالها. وهكذا ترى أن الفتوى كانت محل إجماع العلماء من مختلف الاتجاهات وجاءت جميعاً تصب في خانة الإصلاحات وتحديث القوة العسكرية للدولة العثمانية.

ومثلما حُلت الطريقة البكتاشية المتصلة بالإنكشارية تم حل فرق الإطفاء والحمالين وهؤلاء على صلة وثيقة بالإنكشارية. والواقع أن الدولة لم تغفل رجال المدفعية وحرس البوسفور الذين تعلقوا بأهداب الولاء على الرغم من أنهم كثيراً ما أيدوا الإنكشارية وتضامنوا معهم، فقضت على كل أمرئ منهم أحست منه أن له ميول للإنشكارية. (١)

ولكن الدول الغربية لم تدع للسلطان وقتاً يجني فيه ثمرات هذا الإصلاح. ففي سنة ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، عقدت إنكلترا وفرنسا وروسيا الحلف الثلاثي، وكانت روسيا هي الأخيرة في الانضمام لهذا الحلف، وكان هذا الحلف مكون من أجل إكراه السلطان محمود الثاني على منح بلاد اليونان استقلالها، بعد حملة إبراهيم باشا المكللة بالنجاح.(٢)

وهكذا نرى أن الدول الأوروبية لم تمهل محمود الثاني الوقت الكافي لإظهار محاسن هذا الإصلاح، وقامت بإعادة الكرة عليه في الوقت الذي لم يكن لديه جيش مجهز للتصدي لأي هجمة.

ومما عطل ظهور النتائج المرجوه من إلغاء الإنكشارية، ازدياد هوة الخلاف

= أن التشابه جاء فقط في الأسلوب لكن ليس في الأسباب للاختلاف الشاسع بينهما.

Dr. Ahmed m. salem : “ ١٧٩٨ – ١٨٤٨ “ Y , Har arasinda , misip ulem asi.

Doktare Te ٢١ , I.U – Ed. Fak. ١٩٩٦ ٤. Dolum.

(١) كارل بروكلمان : مرجع سابق، ص٥٤١.

(٢) مرجع سابق، ص٥٤١.

بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا والي مصر، فنجد أن السلطان محمود الثاني بدأ في إصلاحاته العسكرية ووجهة نظره شطر محمد علي باشا والي مصر وطلب منه إرسال إثنى عشر خبيراً من الخبراء العسكريين لتدريب الجيش العثماني، فأعتذر محمد علي عن عدم إرسال الخبراء بأعذار مخادعة واهية، ولم يستجب لطلب السلطان فاستشعر منه الخوف والريبة. وكان هذا الأمر في سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م. (*)(١)

(*) عندما لم يجد السلطان محمود الثاني رغبة من محمد علي في مساعدته، توجه ناحية أوروبا وقد ترددت فرنسا وبريطانيا، أما بروسيا والنمسا فقد استجابت لرغبته وأرسلت بروسيا في عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥م في زيارة خاصة الضابط البروسي ذو الشهرة العالمية خون مولتكه. وعينه السلطان مستشاراً لشؤون تدريب الجيش، ثم لحق به ١٥ ضابط. وكان استخدام الضباط الألمان في الجيش العثماني خطوة مهمة على أول الطريق نمو النفوذ الألماني في الجيش العثماني نمواً عظيماً. والذي نتج عنه سياسة ألمانيا نحو الدولة العثمانية وفي سياسة الاتجاه نحو الشرق.

مولتكه : أحد أربعة عمالقة قامت على اكتافهم الإمبراطورية الألمانية الحديثة " غليوم الأول، وبسمارك، وخون رون " ولد عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م عين ضابطاً بالجيش البروسي، سافر إلى إستانبول وظفر بتقدير عميق من السلطان محمود الثاني، خدم في الجيش العثماني، شهد موقعة نصيبين عام " ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م " التي هزم فيها الجيش العثماني على يد الجيش المصري وكان هيئة أركان الحرب بالجيش العثماني. ويقال أنه هرب مع سائر الضباط العثمانيين الذين فروا من أرض المعركة، ويقال أنه هرب دون أن يتمكن من أخذ ملابسه وأوراقه الخاصة. وعاد إلى بروسيا وتدرج في الوظائف العسكرية، حتى وصل إلى رئيس لأركان الحرب بالجيش الروسي، وحصل على رتبة مشير وصار في عهده الجيش البروسي أقوى جيش في أوروبا، وكان له الفضل في انتصار بروسيا على النمسا في معركة سادوا، التي يسميها المؤرخين الألمان كونيجراتز في ١٢٨٢هـ / ١٨٦٦م ، وعلى فرنسا في موقعة سيدان ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م أعتزل الخدمة عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م. وتوفي عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١م. انظر عبدالعزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥٤، ٥٥٥.

(١) المرجع السابق، ص٥٥٤، ٥٥٥..

وكانت هذه بداية الأزمة بين الطرفين حيث تصاعد الموقف بعد ذلك، عندما طلب السلطان من محمد علي باشا إرسال عدد من الجنود للاشتراك مع جيوش الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م، فرفض محمد علي طلب السلطان معتذراً بأسباب عادية، منها بعد المسافة عن طريق البر، وعدم وجود سفن تنقل الجنود بطريق البحر، كما تحجج بتفشي وباء الكوليرا في مصر والشام وانتشاره بين جنود الجيش المصري. وقد صدق خوف السلطان منه. فلم تُكد تمر عدة سنوات حتى نشبت بين السلطان ومحمد علي حرب الشام الأولى عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م، وتلتها حرب الشام الثانية عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م.[(١)] وهكذا ساءت العلاقة بين الطرفين حتى غدى من المتعذر اعتماد السلطان محمود الثاني على محمد علي في أي أمر.

وهكذا مد محمود الثاني بإصلاحاته عمر الدولة العثمانية، حيث استطاع أن يكمل المشوار الذي بداءه من سبقه من السلاطين وإصلاحات محمود الثاني بما فيها إلغاء الإنكشارية في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الدولة العثمانية أعطتها مزيداً من القدرة على مواجهة الدول الأوروبية الكبرى ومطامعها تجاه أملاك الدولة.

لم تكن فكرة القضاء على الإنكشارية بالأمر الهين البسيط فالإنكشارية فرقة في الجيش العثماني، لها تاريخ طويل مديد حافل بالبطولات ونكران الذات، وقامت جميع الفتوحات العثمانية على اكتاف هذه الفرقة، ولها من العراقة ما للدولة العثمانية نفسها من العراقة. لذلك كان على السلطان محمود الثاني التريث لحل

---

(١) كارل بروكلمان : مرجع سابق، ص٥٤٥، ٥٤٦.

هذه الأزمة، وقد جاء الحل حاداً وصعباً، ولكنه كان لابد منه، إن بتر العضو الفاسد في الجسم مؤلم ولكنه ضروري لصحة الجسم العامة، وهذا ما حدث للإنكشارية، صحيح أن القضاء على الجيش بالنسبة لدولة كبرى يضعها في موقف محرج جداً، ولكن بالنسبة للإنكشارية كان الأمر مختلف، فقد كانت خطراً داخلياً يهدد كيان الدولة، ولم تعد تفيد الدولة في الحروب بل على العكس تسببت في خسارة الدولة الكثير من المعارك والأراضي. وإذا استمرت الإنكشارية بحالتها الأخيرة، لكانت سبباً مباشراً في التعجيل بنهاية الدولة العثمانية.

إن هذه المرحلة تمثل مرحلة مهمة في تاريخ الدولة العثمانية والأقاليم العربية، لما لها من نتائج جيدة و مهمة. فهي تمثل بداية التحرك والرغبة في التطور بعد الجمود، والتحرك للأمام. إن الإنكشارية كانت من أسباب هذا الجمود والعجز عن المواصلة، انحلالها جعلها منغلقة على نفسها، عاجزة عن تطوير نفسها، فعجزت بالتالي عن القيام بالدور المطلوب منها. (١)

وللأسف فإن الإنكشارية هذه هي التي ألقت الرعب في شعوب أوروبا، وحملت بعض ملوكها على التحالف والتكاتف، لصد هجماتها ووضع حد لفتوحاتها في أوروبا. (٢)

انقسمت آراء المؤرخين حول مدى صحة خطوة محمود الثاني في القضاء على الإنكشارية، فمنهم من أيد الخطوة، ومنهم من عارضها.

وأن السلطان أخطأ في القضاء عليهم قبل تأمين جيش جديد مدرب.

وإذا أردنا تفنيد كل رأي ومدلولاته فإن الرأي الأول القائل بأن السلطان أخطأ

---

(١) حسن الضيقة : الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار المنتخب العربي، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، ص٩٩-١٠١.

(٢) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص٣٩.

بقضائه على الإنكشارية قبل تشكيل " العساكر المنصورة المحمدية " وكقاعدة عامة أن تكوين جيش جديد يحتاج مدة طويلة، كيف والدولة العثمانية كانت مشتبكة في حروب في عدة ميادين. [١] وهذا ما حدث فقد استغلت الدول الأوروبية الفترة الغير قصيرة، والتي أعقبت القضاء على الإنكشارية وقامت بإحراز انتصاراتها، ولم يقتصر الأمر فقط على الدول الأوروبية بل تعداه للولاة العثمانيين، فقد أحرز محمد علي انتصاراته المعروفة في بلاد الشام. [٢]

وأصحاب هذا الرأي يستندون إلى هذه الفترة بالتحديد، التي كانت مفعمة بالأحداث السياسية، فقد نهضت اليونان مسرعة وضربت الأساطيل العثمانية ضربة قاضية سحقت فيها الأسطول العثماني ومهدت لاستقلال اليونان. [٣]

إن القضاء على الإنكشارية أوجد عدة متغيرات سواء في المجتمع أو بنيه الدولة العثمانية، وكان سبباً في ظهور بعض الكوارث التي حدثت خلف بعضها في وقت قصير، كان بقاء الدولة بلا جيش مطمع للأعداء، فقد بدأت الدول الأوروبية في التحرك، فبعد استقلال اليونان، بدأت فرنسا وإنجلترا وروسيا بتتبع خطى أخرى للوصول إلى الهدف، فقد قامت الدول الثلاث بحملة بحرية هزمت الأسطول العثماني هزيمة نكراء في موقعة " نوارين " عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م[٤] ولم تكتف روسيا بذلك بل أرادت تأمين الجبهة الغربية والجنوبية الغربية، وتقدمت الجحافل الروسية الضخمة، وأستأنف القتال عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م، ولم

---

(١) أميرة مداح : مرجع سابق، ص٦٥.

(٢) محمد أنيس : مرجع سابق، ص٢١٥.

(٣) أميرة مداح : مرجع سابق، ص٦٥.

(٤) حيتا نور أقصون : التاريخ العثماني، المجلد الأول، د. ط، إستانبول : دار نشر أوته كن، ١٩٩٤م، ص١٩٣.

تستطيع القوات العثمانية الجديدة القليلة العدد فعل شيء أمام الجحافل الروسية، فقد كان الفوز من نصيبهم، رغم ما أظهره القادة العثمانيون من الكفاءة الفذة في إدارة المعركة، وما أظهره الجيش من الشجاعة والبسالة، فقد تمكنت الجيوش الروسية عبور نهر الدانوب واختراق جبال البلقان بجيش قوامه عشرين ألف جندي، ودمرت في طريقها الحاميات العثمانية، ووصلت أدرنة وأحتلتها عنوة. وهنا تظهر نقطة خطيرة وهي أنه لم يبق إلا القليل للوصول إلى إستانبول واحتلالها، وعلى الرغم من أن محمود الثاني قد أعد جيشاً من أهالي إستانبول يقدر بنحو ثلاثين ألف جندي إلا أنهم لم يستطيعوا صد التقدم الروسي.[١] فإن سياسة إنكترا خاصة ومعها فرنسا وبقية الدول الأوروبية، ترغب في إضعاف الدولة العثمانية ومنعها من التقدم والتطور، ولكن مع بقائها عقبة في مواجهة روسيا، وحاجزاً منيعاً يمنعها من الوصول إلى البحر المتوسط. ولهذا فعندما استولت روسيا على أدرنه، هبت الدول الأوروبية ضد روسيا، وتوسطت في إجراء مباحثات بين الدولتين المتحاربتين بواسطة بروسيا، وأرغم السلطان محمود الثاني على توقيع أسوء معاهدة مهينة في تاريخ الدولة العثمانية "معاهدة أدرنه " في ١٥ /٣/ سنة ١٢٤٥هـ الموافق ١٤ /٩/ ١٧٢٩م، وقد وقعها السلطان والدموع تملأ عينيه،وكانت مهزلة في التاريخ العثماني.[٢]

إضافة إلى أنه في هذه الفترة كان من الضروري أن تصادق الدولة العثمانية على استقلال اليونان. [٣]

---

(١) حيتا نور أقصون : مرجع سابق، ج١، ص١٩٣. بسام العسلي: مرجع سابق، ج٥،ص٢٧٨.

(٢) أميرة مداح : مرجع سابق، ص٦٥. بسام العسلي : مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٨.

(٣) حيتا نور أقصون : مرجع سابق، ج ١، ١٩٠٣.

وبالطبع استفادت فرنسا من هذه الأوضاع الداخلية للدولة العثمانيـة التـي صارت بلا جيش ولا أسطول، وقامت بإنزال جيشـها علـى سـواحل الجزائـر واحتلالها عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م ثم اعترفت الدولة العثمانية باسـتقلال بـلاد العرب. أما بالنسبة لمحمد علي باشا والي مصر فقد تقدم بجيشه حتى وصل إلـى كوتاهية ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م، في الوقت الذي كان فيه السلطان محمود الثـاني منشغل بحرب روسيا، مما أضطره لعقد اتفاقيـة مينـاء خنكـار ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م. حتى يمنع تقدم محمد علي باشا، كما أن بريطانيا تدخلت في التجـارة، مما جعل السلطان يشعر بضرورة توقيع اتفاقية تقضي بحرية التجارة [*] للأجانب في الدولة العـثمانية.[١]

من المعلومات السابقة نكتشف أن جميع هذه الأحداث لم تكن جديـدة علـى الساحة السياسية، فهي عوامل خارجية ومخاطر واجهها محمود الثاني منذ بداية حكمه، ولم تظهر بعد القضاء على الإنكشارية مباشرة. لقد كانت بلاد اليونان في حالة ثورة دائمة لنيل الاستقلال، والجزيرة العربية ظهرت فيها الدعوة السـلفية كما أن الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا كانت مستمرة وتعتبر حرب تقليديـة. وهكذا نرى أن جميع هذه المشاكل السياسية كانت موجـودة، أمـا عـن فرنسـا واحتلالها للجزائر، نجد أن فرنسا كانت قد طمعت فـي الجزائـر حتـى بوجـود الإنكشارية، فإن وجودها لم يكن ليمنعها من القيام بالاحتلال، لأن الإنكشارية كانت

(*) وكان هذا موجهاً ضد محمد علي باشا والي مصر والذي إزدادت كراهية السلطان له بسبب الإدارة المطلقة التي كان يطبقها في مصر. وكان هذا الوضع له نتائجه الخطيرة على اقتصاد الدولة العثمانية. ويقول جودت " أن الدولة فتحت مصراعيها للصادرات، وانحطت الصناعات الداخلية بشكل ملحوظ عام ١٨٣٨م. حينا نور أقصون : مرجع سابق، ج١، ص١٩٣، ١٩٤.

(١) مرجع سابق، ج١، ص١٩٤. عبد اللطيف محمد الحميد، مرجع سابق، ص٢٦، ٢٧.

أصغر من أن تتصدى للجيوش الفرنسية. وهذا لم يكن جديدا على الدولة العثمانية فإنها كانت تعاني من تكالب الأعداء عليها قبل القضاء على الإنكشارية بأكثر من مائة وخمسين عام.

وهذه جميعاً عوامل خارجية خنقت نتائج القضاء على الإنكشارية، ولم تمهل محمود الثاني [*] وقتاً يتمم فيه مشروعه العسكري كما أن محمد علي استغل ضعف الدولة العثمانية قبل القضاء على الإنكشارية، فقد أظهر بوادر الاستقلال والقوة في أعقاب إخماده حركة التمرد في بلاد اليونان، ورفض مساعدة محمود الثاني في إرسال خبراء عسكريين لتدريب الجنود الجدد مكشراً بذلك عن أنياب الاستقلال بحكم مصر والشام إضافة إلى الحجاز.

أما كون الدولة أصبحت عارية تماماً دون الإنكشارية، [١] فهل كانت الإنكشارية تحميها حقاً وتستر عريها ؟ لم تكن الإنكشارية قادرة مطلقاً على الدفاع عن الدولة العثمانية، كانوا يدخلوا المعركة من أجل خسرانها، وأعدادهم كثيرة، ولكن عدداً قليلاً من الإنكشارية يخرج إلى الحرب، وهؤلاء يهربوا من ساحة المعركة، فالإنكشارية جيش داخل العاصمة وضد السلطان، ولم يكن جيش يحمي الدولة.

وإذا صارت عارية كما يقال، لأن العساكر المنصورة المحمدية ما زالت في دور الإنشاء فالإنكشارية لم تكن لتسمح أبداً بإنشاء فرقة صغيرة في وجودها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فلم يكن ممكناً عمل ذلك إلا بالقضاء على الإنكشارية.

(*) لقد توفي محمود الثاني عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م. بداء السل الذي أصيب به نتيجة حزنه على فشل إصلاحاته بسبب كثرة الضغوط الأوروبية، عبد القادر ده ده أوغلو : مرجع سابق، ص٧٧.

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص١٤٩.

أما المؤرخ الذي قال أن الجيش لم يكن له جذور وهو الذي جعل السلاطين العثمانيين دمى في أيدي أوروبا، لأنه كان على القواعد الأوروبية كيف ذلك ؟ (١) و جذورهم التاريخية وماضيهم العريق هو الذي صلب عقول الإنكشارية وجعلها ترفض كل إصلاح أو تطوير. فإذا كان الجيش الجديد جعل السلاطين دمى في أيدي أوروبا، فالإنكشارية جعلت السلاطين دمى في أيديها على المسرح السياسي الذي يراه كل العالم، كما وأن الدولة كانت آخذة في الضعف والانهيار نتيجة لعدة عوامل أخرى مما ساعد على زيادة سلطة أوروبا على السلاطين العثمانيين، ليس ضعفاً من السلاطين، ولكن للحفاظ على ما تبقى من أراضي الدولة العثمانية، فالقواعد الأوروبية التي بني عليها الجيش الجديد لم تمس الشرع الإسلامي وهذا هو المهم.

أما الرأي الثاني فهو أن السلطان محمود الثاني أصاب في عمله، ويستدلون على رأيهم هذا بما حققه من إصلاحات، لم يكن لينطلق فيها بوجود الإنكشارية.(٢)

لقد تخلص محمود الثاني من العائق الأول ضد الإصلاح، ثم انطلقت عجلة الإصلاح بعد ذلك، وكان أهم الأعمال ما تناول الناحية العسكرية، فقد شرع في تكوين الجيش الجديد على الطراز الأوروبي الحديث(٣)، كما كان القضاء على الإنكشارية تحطيم للأغلال التي قيدت محمود الثاني والسلاطين من قبله عن المضي في إصلاح الدولة وخاصة الناحية العسكرية، فقد أنطلق في الخطط

---

(١) حيتا نور أقصون : مرجع سابق، ج١، ص١٩٤.

(٢) أميرة مداح : مرجع سابق، ص٦٦.

(٣) سليمان الخراشي : كيف سقطت الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار القاسم للنشر، ١٤٢٠هـ، ص١٥.

الإصلاحية التي ظلت كامنة في ذهنه لمدة ثمانية عشر عاماً[١]، والحق أن السلطان محمود الثاني بذل جهوداً مضاعفة[*] في تأسيس " العساكر المنصورة المحمدية " فقد أدرك أنه إذا كان الحصول على الجنود أمراً سهلاً فإن الحصول على ضباط أكفاء ليس بالأمر اليسير، فقد أرسل ضباط جيشه في عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م إلى مختلف المدارس الأوروبية ليتدربوا بها.[٢] كما قام باستدعاء ضباطاً ومهندسين فرنسيين وألمان لتدريب الجند، وقد أسس أكاديمية عسكرية في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م وأرسل خريجيها إلى العواصم الأوروبية لاستكمال دراساتهم العليا.[٣]كما أهتم بالتنظيم المالي لهذا الجيش فخصص له خزانة عرفت باسم "خزانة المنصورة " للصرف على الجنود ودفع رواتبهم بانتظام. فقد كانت لهم رواتب شهرية، وزياً خاص، وغطاء للرأس من الجوج مستدير العمة، ثم تحول إلى نوع من الطربوش، وبمرور الوقت عززت قوات الجيش الجديد بوحدات احتياطية في الأقاليم المختلفة.[٤]وقد تمكن محمود الثاني في خلال سنتين من وضع نواة الجيش الجديدة فقد قضى هذه الفترة في غرفة حجرية في إحدى الثكنات، كان يخرج للتدريب في برد الشتاء أمام الجيش كأي زعيم عسكري، أختلط بالطين أثناء التدريب، كان لا ينام في الليل ويدقق في

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : مرجع سابق، ص٢٣٩.

(*) للاستزادة الرجوع عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص ٨٤.
أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج١، ص٤٠٨ – ٤١١.

(٢) عبد العزيز عوض :التنظيمات العثمانية في الولايات المتحدة العربية، ص٨٤.

(٣) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص٣٣٤.

(٤) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج١، ص٤٠٧، ٤٠٩.

الكتب الواردة، مرن عساكره بنفسه، وارتدى ملابس الجند،[(١)] وأخيراً فقد قام بكافة الأعمال لتأسيس جيش قوي مدرب تعتمد عليه الدولة العثمانية في حروبها.

ونتيجة لجهود السلطان محمود الثاني اللامحدودة في إعادة تنظيم الجيش، وصف أحد المؤرخين الجيش الجديد بأنه صار في عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م أحد جيوش العالم الذي يعمل له حساب.[(*)] [(٢)]

كما أن معركة نافارين لم تثن السلطان عن عزمه، فقد استعد لتأسيس أسطول جديد. وفي هذه الفترة اشترى أول سفينة حربية بخارية عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، وأسمها " سرعت " أي سرعة. [(٣)]

وقد ظهرت نتائج بناء الجيش الجديد في صورة الهزائم التي منيت بها كل من مدينتي فلافير وتشرتش في ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م في اليونان، كما وأن القائد المحنك هاستنجز لقي الهزيمة على يد النظام الجديد، كما أنه في أثناء الحرب مع روسيا في بلاد القرم أبدت القلاع التركية مقاومة شديدة مما جعل القيصر ينسحب من الميدان مجروح الكبرياء تاركاً القيادة إلى " دبيتش " القائد العام وفي أثناء حصار شوملة أضطر القيصر إلى رفع الحصار لما لاقاه من مقاومة وانتظام الجيوش الجديدة، وقد اكتشفت روسيا مدى تطور وانتظام الجيوش الجديدة على عكس الإنكشارية، فحار رجال أوروبا في ما أبداه الجيش من شجاعة وثبات، فقد

---

(١) يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج٢، ص١١. حسين لبيب : تاريخ المسألة الشرقية، ص٦٨.

(*) لمزيد من الملعومات مراجعة يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج٢، ص٣١٢، ٣١٣.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤١٢.

(٣) يلمازا وزوتونا : المصدر السابق، ج٢، ص٤١١.

شاهدوا تراجع الجيوش الروسية في شوملة، على الرغم من استعدادها وكثرة عددها، مع تكبدها خسائر فادحة، كما شبه وزير النمسا " مترنخ " تقهقر الروس في هذه الحروب بتقهقر نابليون في عام ١٨١٢م. (١)

هذه النجاحات شجعت محمود الثاني على الاستمرار في الإصلاحات، خاصة وأن المدن العثمانية سكنت إلى الراحة والهدوء واطمأن الناس خاصة الأجانب على أنفسهم وأموالهم، ظهر هذا بوضوح في أعقاب معركة نافارين لأنه لو وقعت أثناء وجود الإنكشارية لقامت مذابح دامية ضحاياها من اليونانيين والأجانب على أيدي الإنكشارية. (٢)

ولكن للأسف فبالرغم من كل هذا النجاح فإن بقاء الدولة فترة غير قصيرة قبل أن يتم إعداد الجيش الجديد، جعلها مطمع للأعداء(٣) فقد جاءت معركة نافارين حادث مكمل لانهيار القوة الحربية، كما أن روسيا استغلت هذا الوضع تماماً وفرنسا كذلك.(٤) ولكن إذا ما دققنا النظر في هذه النتائج سنجد أنها ليست بسبب سوء تنظيم الجيش وإن وجدت فيه بعض العيوب (*)، فهي ليست مجال الدراسة، وإنما كانت هذه النتائج بسبب ضغط الدول الأوروبية باستمرار على الدولة العثمانية،هذا الأمر لم يظهر في عهد محمود الثاني فجأة، ولكن ظهر في عهد السلاطين السابقين له كما أن الإنكشارية لم تكن لتسد هذه العيوب.

فإذا أخذنا عهد سليم الثالث على سبيل المثال، فإن روسيا والدول الأوروبية

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٢٤٠، ٢٤١.

(٢) مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٣) عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص٨٤.

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٢٤٢.

(*) لمزيد من المعلومات مراجعة محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٢٤٣، ٢٤٤.

كانوا قد وضعوا أعينهم على أراضي الدولة العثمانية منذ زمن، فلم تشأ هذه الدول الصلاح للدولة العثمانية وعودتها إلى سابق عهدها في القوة والمنفعة، قاموا بتحريض الإنكشارية مع الضغط على الدولة العثمانية في الجبهات الحربية أدى إلى إلغاء النظام الجديد في عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٨م. (١) مع مساعدة الإنكشارية لهم، فقد كانوا يتشاجرون على العلوفة في ميدان القتال بدلاً من الثبات أمام العدو.(٢)

إن إعادة تنظيم جيش في إثناء الحرب، هو أمراً صعب، فمن طبيعة الحرب سواء كانت ناجحة أم فاشلة استنزاف قدرة الجيش وإظهار عيوبه ونقاط الضعف في تسلحيه وتنظيمه، لأنه يكون من الصعب معرفة هذا الأمر أثناء السلم، نار الحرب كانت تصهر الدولة العثمانية وإمكانياتها بصفة مستمرة، مظهرة في ذات الوقت الحاجة إلى الإصلاح، فإذا كان الجيش الجديد قد فشل إلى حد ما في الحروب التي خاضها، فهذا لم يكن عيباً به، وإنما لأن آثار الإنكشارية باقية رغم القضاء عليها، إن الشرخ الذي أحدثته انحرافات الإنكشارية، لم يستطع أحداً في الدولة العثمانية رأبه، لأن الأوان قد فات.

لقد احتملت الدولة العثمانية كثير من انحرافات الإنكشارية وحاولت إصلاحها وتقويمها ولكنها لم تستطع، وآخر دليل على ذلك أنه عندما قام السلطان محمود الثاني بمحاولاته في ترميم القوات المحاربة، أحرزت انتصارات في حروب ١٢٢٤هـ، ١٢٢٥هـ / ١٨٠٩م، ١٨١٠م أثارت إعجاب أوروبا، وجعلتها في شك من قوة الدولة الحقيقية، وفي هذه الحرب لم يحظ العثمانيون بمساعدة خارجية أبداً، فقد قاسى منهم الروس وفروا حتى أن الأتراك قرروا عبور الدانوب

---

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج١، ص٤٠٨.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٢٣٥.

وتعقب أعدائهم إلا أن هذا النجاح لم يدعم سلوكهم الحضاري، فعندما سلمت " بلغراد " للأتراك عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م أعلن المنتصرون المبادئ الجديدة في معاملة الأسرى، إلا أنه في اليوم التالي قاموا بإعدام أكثر الأسرى أمام قلعة بلغراد ولم يهتموا بالوعود التي قطعوها. على أي حال إن القضاء على الإنكشارية، لا يدل على القسوة، وإنما على الحزم والصبر والخبرة وضبط النفس والشجاعة، فقد رأى السلطان محمود بعينيه سليم الثالث ومصطفى الرابع، وهما يذبحان أمامه، وهذا بلا شك أثر في محمود الثاني ضد الإنكشارية.(١)

هناك شبه إجماع من المؤرخين والباحثين على الإشادة بعمل السلطان محمود الثاني، وتخليص الدولة والمجتمع العثماني من شرور أفعالهم، والحق أن الباحث المحايد لا يستطيع أن يقلل من أهمية النجاح الذي أصابه السلطان محمود الثاني، بعد أن تفاقمت خطورتها وجبروتها. (٢)

وهنا تجد الدراسة أن هناك سؤالاً يطرح نفسه عن مدى صحة عمل محمود الثاني ؟ و للإجابة على ذلك نجد أن هذا العمل نسبة الصح فيه أعلى من الخطأ بمراحل، فمحمود الثاني أصاب بالقضاء على الإنكشارية فهي فئة فاسدة، فإذا لم يتمكن السلطان محمود الثاني من القضاء عليها لكانت قضت هي عليه وعلى الدولة العثمانية، ولسقطت الدولة بعد محمود الثاني، لأنه لم يكن بالمستطاع منع روسيا من دخول إستانبول، أو نزول القوات الفرنسية في الجزائر، أو استقلال اليونان، وما إلى ذلك، لأن فرنسا كانت قد خططت لاحتلال المغرب العربي دون خوف من الإنكشارية وبلاد اليونان قد قامت بثورة أخمدها جيش محمد علي باشا في وجود الإنكشارية وفشلها في هذا الأمر، وطالما قامت ثورة أولى حتى ولوا

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٢٣٨، ٢٧٣.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج١، ص٥٥٥، ٥٥٦.

أخمدت فإن طريق الاستقلال في اليونان كان قد بدأ. أما روسيا وهي العدو المتربص بالدولة العثمانية دائماً فلم يكن وجود الإنكشارية يردعها عن الحرب، وإن كان الجيش الجديد قد فشل نوعاً ما في مواجهة هذه الأمور، فهذا ليس عيباً في إلغاء الإنكشارية أو تدريب الجيش الجديد، وإنما لأن الدول الأوروبية لم تكن تردعها الإنكشارية وبالمثل الجيش الجديد.

وخطأ محمود الثاني هو انه لم يضمن ولاء الأقاليم العثمانية، بمعنى أنه لم يتفق مع الولاة العثمانيين على إمداده بجيوش تدافع عن الدولة العثمانية في الوقت الذي يتم فيه تدريب الجيش الجديد، فقد كان حوله ولاة أقوياء مثل والي البوسنة وبعض ولاة شرق أوروبا و محمد علي باشا والي مصر والشام، إلا أن هذا الأخير عليه ملاحظات في أنه أصلاً يرفض مساعدة الدولة العثمانية، إضافة إلا أنه يريد الاستقلال، وترى الدراسة أن هذا هو الخطأ الذي وقع فيه محمود الثاني، إذ أنه لم يضمن مساعدة جيوش من الأقاليم العثمانية قبل إلغاء فيالق الإنكشارية.

أما أن محمود قد حرر أوروبا من رهبة سيطرت على نفوس الشعب والحكام، بسبب الإنكشارية، [١] فإن الإنكشارية نفسها هي من حرر الدول الأوروبية من هذا الإحساس فقد قدمت أراضي الدولة لقمة سهلة للأعداء في الوقت الذي كانت تتخاذل في أرض المعركة، وتتصارع داخل القصر السلطاني على الأعطيات.

وعلى أي حال فإن الخطأ الآخر هو توقيت إتخاذ هذه الخطوة لأن فكرة القضاء على الإنكشارية جاءت متأخرة أكثر من قرن من الزمان، فلو حدثت قبل وقت وقوعها، لكانت أثمرت الثمار المرجوة منها، ولكن تخوف السلاطين من هذا الأمر وتباطأهم في القضاء عليهم، وقوة الإنكشارية اللامحدودة في نفس الوقت

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص٢٤٢.

عطلت القضاء عليهم، مما عطل بالتالي ظهـور النتـائج، وذلـك لأن الأخطـار الخارجية كان قد استفحل أمرها، ولم يعد من المفيد إجراء الإصلاحات التي قـام بها محمود الثاني، وعلى هذا فإن إلغاء الإنكشارية لم يكن خطأ وإنما متأخراً.

حقاً أن محمود الثاني قد أنقذ الدولة العثمانية من شرورهم، و قام بعمل لـم يستطع غيره القيام به، كما أنه مهد الطريق لمن جاء بعده، وخلصهم من خـراب داخل الدولة، إلا أن " الترياق لم يأت من العراق إلا بعد أن شارف المريض علـى الهلاك "(١)

(١) محمود جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني، ص١٣٧.



الخاتمة

من خلال هذه الدراسة عن دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية تمكنت بفضل الله تعالى أن أجمع ما استطعت من المعلومات من واقع المصادر والمراجع المتخصصة من أجل إعطاء صوره واضحة للدور الذي قامت به الإنكشارية لإضعاف الدولة.

١) بادئ ذي بدء عالجت في التمهيد مصطلح "الإنكشارية" وأظهرت الدراسة أن كلمة الإنكشارية هي كلمة عربية، وأنها حرفت عن "يكي جري" عندما ترجمت عن التركية، وبالتالي يتضح أن هناك اختلاف من حيث نطق وكتابة الكلمة.

٢) ويعود هذا الاختلاف والتحريف إلى اختلاف في نطق الحروف العربية عن مثيلاتها في اللغة التركية.

٣) أما عن مصطلح الدوشرمة، فقد أطلقه المستشرقون على الأطفال المسيحيين الذين يجمعوا من البلاد المفتوحة أو من القرى المسيحية، وذلك بهدف إلصاق تهمة انتزاع الأطفال من أحضان أسرهم بالدولة العثمانية، على الرغم أن لفظ دوشرمة أخذ من كلمة عربية وهي داشر والتي تعني المتشرد أو الذي لا يلتزم بالعادات والتقاليد، فالأولى إذن أن تطلق على الأطفال المشردين في الطرقات، وليس لمن ينعموا بحياة هانئة في أحضان ذويهم.

وبهذا تسقط دعواهم بوجود ضريبة الغلمان في الفترة المبكرة من تأسيس الإنكشارية.

وعالج الفصل الأول موضوع نشأة الإنكشارية حيث أفردت الدراسة ثلاث موضوعات بهذا الفصل والفقرة الأولى تتعلق بالأوضاع العسكرية في

بداية العهد العثماني.

٤) أتضح من خلال العرض أن أول شكل للجيش العثماني كان من المتطوعين من البدو الرحل. ولم يأخذ صفة الجيش النظامي، وإنما اعتمد على المناده بين قوات العشائر لتجميع المجاهدين، وأطلق عليهم "مجاهدي النفير" ثم ظهرت قوة المشاة "البياده" والتي اعتمدت على الجنود المدربين، لكن هذه القوة لم تستمر طويلاً إذ أن قلة خبرة العثمانيين العسكرية ساعدت على فشل تحويل الفارس التركي إلى جندي مشاة.

جاءت الفقرة الثانية خاصة بتأسيس الإنكشارية وكانت تنظيماتها لا نظير لها في التاريخ.

٥) وأتضح من خلال الدراسة أن أساس فكرة جيش الإنكشارية من كتاب الوزير السلجوقي نظام الملك وهذا يعني وجود فكرة تدريب الأطفال على القتال ليصبحوا جنوداً أشداء، منذ زمن بعيد، ومتبعه في كثير من الدول عبر التاريخ فرأى أورخان الاستفادة من الأطفال الأيتام نتيجة الحروب الدائرة على حدود العالم المسيحي.

٦) كما يظهر ارتباط الإنكشارية منذ نشأتها بالطريقة البكتاشية الصوفية، والذي كان عاملاً مهماً في تقدم الفتوحات العثمانية، وكما كان هذا الارتباط محركاً للنجاح، فقد تحول مع الزمن وصار محركاً على التمردات وثورات الإنكشارية لأن شيوخ البكتاشية لم يتراجعوا يوماً عن مد يد العون للإنكشارية.

٧) وتظهر قوة أنظمة وقوانين الإنكشارية التي كانت متبعه في شئون حياتهم، فهي لم تترك أي جانب إلا وأحكمت تنظيمه وعندما التزمت الإنكشارية بهذه القوانين قامت بأعظم الانتصارات الإسلامية.

٨) وضحت أهمية منصب الأغا وكيف أنه كان يعتبر شخصية بارزة في الدولة

العثمانية، فقد نال بعض الأغوات منصب الوزارة ومن خلال أهمية منصبه جاءت سيطرته على الإنكشارية وثوراتها.

٩) وظهر أن عدم السماح للإنكشارية بالزواج أحد أهم الأسباب في عصر ضعفهم إلى انتهاكهم لحرمات الأهالي في المدن المفتوحة حديثاً.

١٠) يتضح من أنظمتهم أن عقوبة الإعدام لا تنفذ على جندي الإنكشارية إلا في الضرورة، وبأمر مباشر من السلطان وبسرية داخل إحدى القلاع، وهذا يثبت عدم صدق ادعاء بعض المؤرخين والمستشرقين بأن عقوبة الإعدام كانت لأتفه الأسباب ويقوم بها قائد الأورطة وأمام زملاءه من الجنود.

١١) أما المبحث الثالث فقد تعرض إلى أهم أراء المستشرقين، ومن خلال البحث والتدقيق ظهر أن فكرة تجميع الأطفال لتكوين قوة محاربة لم تكن فكرة جديدة على الشعوب بل كانت متواجدة منذ القدم عند كثير من الشعوب في ذات الوقت لم تكن لدى أوربا جيوش متفرغة ومتهيئة دائماً للقتال وبالتالي لم يبتدع هذه الفكرة العثمانيين، وإنما مارستها أغلب شعوب العالم القديم والحديث.

١٢) جاءت فكرة جمع الغلمان النصارى بالقوة من أسرهم المسيحية بنص يكاد يكون واحداً عند كل المستشرقين مع اختلافات بسيطة ولكن تركز في جوهرها على استثارة المشاعر الإنسانية بتصوير معاناة وآلام ودموع الأم والأب على فقيداهما الغالي.

١٣) ترديد المؤرخين العرب والمسلمين دون تمحيص للحقيقة أو اكتشاف مدى صحة ما جاء في روايات المستشرقين.

١٤) تشويه المستشرقين للإنكشارية إنما هو تشويه للإسلام لأن هؤلاء هم الذين حملوا راية الجهاد الإسلامي ونشر الإسلام في أواسط أوربا.

١٥) أوضحوا أن الإنكشارية من أفضل أبناء الأسر المسيحية وأعـرقها، وبالتالي هم يرجعون الفضل في هذه الانتصارات التي حققها الإنكشارية والشجاعة والقوة التي تمتع بها هؤلاء إلى أبناء جلدتهم محاولين بذلك التهوين من شأن العثمانيين كقوة إسلامية.

١٦) لم يورد أحد المستشرقين مصدراً موثوقاً اعتمد عليه في هذه الفرضية سواء وثيقة أو مخطوط أو حتى كتابات مؤرخين، واعتمد بعضهم على كتابات رحالة أوروبيين، أو وثائق عن التجنيد الإجباري، وساقوها على أنها وثائق عن ضريبة الغلمان.

١٧) اتضحت عدة أمور من عرض أراء المستشرقين وهي:

- اختلاف واضح حول سبب تكوين الإنكشارية.
- اختلاف أقوال المؤرخين حول كيفية تربية هؤلاء الأبناء.
- الإختلاف حول صاحب هذه الفكرة.
- موقف الأسر المسيحية من هذه الضريبة.

١٨) ترسخ الإسلام في نفوس العثمانيين بدرجة كبيرة، ولذا من غير المعقول أن يخالف العثمانيون الشريعة الإسلامية في أول عهدهم، إذ أنه في الشريعة الإسلامية تقع الجزية في المال وليس في الأبناء.

١٩) اعتمدت الدولة العثمانية في جيش الإنكشارية على ثلاث مصادر أولهما الأطفال الأيتام المشردين في شوارع المدن المفتوحة حديثاً، ثانياً على ما تقدمه الأسر المسيحية طواعية دون ضغوط، ثالثاً على أسرى الحروب، وهذا الأخير شكل أضعف مورد للأطفال.

٢٠) من غير المعقول أن يؤخذ أطفالاً دون سن العاشرة وينتظرهم السلطان حتى يكبرون ويتعلمون فنون القتال، ويصبحوا جاهزين لدخول أي معركة، فهذا

يثبت أنهم كانوا يجمعون في سن الخامسة عشرة وما فوق والأطفال الصغار هؤلاء هم فقط الرعيل الأول والثاني على الأكثر.

٢١) ثبوت القاعدة الشرعية بأنه لا إكراه في الدين وهي من مبادئ الإسلام والتي سار عليها العثمانيون ولم يحيدوا عنها مطلقاً.

٢٢) الطفل المشرد اليتيم الأب والأم، تصبح تبعيته لصاحب الدار أي الحاكم وإذا كان مسلم فإن الطفل يصبح مسلم بالتبعية.

٢٣) ليس بالضرورة أن يكون خمس الغنائم أطفال فمن الممكن أن يكون أموال أو متاع.

٢٤) أثبتت بعض الوثائق أن الأطفال كانوا في سن الشباب، وبالتالي هذا يطبق عليه مفهوم التجنيد الإجباري، والذي مارسته الدول قديماً، ولا تزال تمارسه حتى اليوم.

٢٥) وهذه الوثائق التي أوردها أحد المؤرخين جاءت مركزه على فترة ضعف وانحلال في قوة الدولة العثمانية العسكرية.

٢٦) مقاومة بعض الأهالي لهذه الضريبة على حد زعمهم جاءت من العبء الاقتصادي الذي يقع على عاتق الأهالي نتيجة مبيت قافلة الشباب في قريتها.

٢٧) ساعد على تضخم فكرة جمع الشبان، أن من يقوم بهذه المهمة جنود ومندوبين من جنسية مختلفة عن جنسية الشبان، وبالتالي أعطى ذلك الإحساس بأنهم يجمعوهم بشدة وقهر وأنها ضريبة تجمع وليس تجنيد إجباري.

٢٨) يرفض بعض أصحاب التيمارات والإقطاعيات الزراعية تسليم الغلمان، وهذا يعني ضياع الأيدي العاملة مما يقودنا إلى أن أعمارهم في سن الشباب.

٢٩) الوثائق التي وردت في هذا الصدد تركزت على بلاد البلقان، مما يعني أنه من الجائز أنه مورس جمع الشباب في هذه المنطقة ولكن ليس على صورة شكل ضريبة غلمان، وإنما تجنيد إجباري.

٣٠) أغلب الشباب الذين جمعوا كانوا يدينون بالإسلام والدليل أنهم حملوا السلاح لحماية الإسلام.

٣١) لم يكن الإنكشارية يشكلون معظم الجيش العثماني، وإنما هم فرقة في جيش يتكون من عشرات الفرق.

٣٢) إذا افترضنا جدلاً أن الدولة العثمانية مارست هذه الضريبة، فهذا لا يرتقي إلى أعمال المسيحيين في مسلمي الأندلس وبلاد المجر، وأوروبا بالزنوج والبلاد العربية التي احتلتها وما تفعله إسرائيل في فلسطين، فهذا يأتي قطره في بحر الدماء التي أغرق الغرب المسيحي فيه الشرق الإسلامي.

ثم تعرضت الدراسة في الفصل الثاني إلى تسلط الإنكشارية وجبروتهم، حيث أفرد للفصل الثاني ثلاثة موضوعات، واختص الأول منها بأسباب تمردات الإنكشارية حيث أوضحت الدراسة أن تمردات الإنكشارية انقسمت إلى أربعة أسباب:

٣٣) الأول منها يتعلق بالسياسة العليا وانحصر في الآتي:

أ- تقاعس السلاطين عن الخروج للحرب وإرسال الصدر الأعظم لقيادة الجيوش بدلاً من السلطان مما أدى إلى انخفاض الروح المعنوية للجيش العثماني، وخاصة الإنكشارية.

ب- عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين عرش الدولة العثمانية، فقد أخذوا بمبدأ الاستخلاف، وبالتالي فمن الممكن أن يأتي الحكم في الأبناء أو الإخوة، مما أوجد بين هذه الأطراف خلاف وصراح، تدخلت فيه الإنكشارية بصورة

حادة لترجيح كفة من تريد حسب رغبتها.

ج- سيادة نظام الأعطيات والهبات على أفكارهم وأعمالهم، في أنه إذا حدث ولم يصرف أحد السلاطين هذه الأعطيات، صار عرضه للتمرد والثورة وصارت هذه الأعطيات بمرور الوقت فريضة على السلاطين.

د- أسهموا في خلق روح الكراهية عند الأهالي في الولايات العربية العثمانية والأوربية على حدٍ سواء لحكم الدولة العثمانية، فقد كثرت تعدياتهم على الأهالي من نهب الأموال وهتك الأعراض.

هـ- تزايد أعداد الإنكشارية بشكل كبير شكل عجزاً واضحاً في أدائهم، بالإضافة إلى أن بعضاً من هؤلاء اندرجوا في الإنكشارية ليس بسبب الحصول على الرواتب والأعطيات، وإنما ليشكلوا جواسيس للدول الأجنبية خاصة روسيا، فعملوا على بث روح الفتنة والفساد بين صفوف الإنكشارية. كما أدى تزايدهم إلى عجز الخزينة عن دفع رواتبهم والقيام بتوفير مستلزماتهم الضرورية، وكان إنضمام أفراد إلى الإنكشارية أكبر من السن المطلوب، سبب عدم خضوعهم للتدريبات العسكرية لوقتٍ كافٍ.

هذا الخليط غير المتجانس جعل الإنكشارية تظهر بصورة مشوهة، وأوجد انقساماً بين جيلين منفصلين تماماً، تميز الجيل الأول بقوته وسعيه في الفتوحات إما للنصر أو لطلب الشهادة في سبيل نشر الإسلام، أما الجيل الثاني فهو جيل يرفض الخروج للحرب، وإذا خرج يثور في ساحة المعركة لأتفه الأسباب.

٣٤) أما عن السبب الثاني وهو السبب الاقتصادي فقد تركز في الآتي:

أ- انخفاض قيمة العملة التي كانت تصرف بها رواتب الإنكشارية، حيث كانت العملات مغشوشة بمعادن بخسة الثمن، وبالتالي لا تقبل في الأسواق والحوانيت، مما يؤدي إلى ثورتهم، كما أنه في بعض الأحيان نتيجة لعدم

وجود عملات صحيحة في دار سك العملة يضطر السلطان إلى إخراج رواتبهم من خزينته الخاصة، تسكيناً لعصيانهم، أو تحرم الإنكشارية من رواتبها لبعض الوقت.

ب- والسبب الرئيسي في هذه المسألة اليهود، حيث سيطروا بشكل كبير على الاقتصاد العثماني، ولأن اليهود دائماً يعملوا وفق مخططهم الصهيوني، فقد تمكنوا من سك عملة رواتب الإنكشارية بمعادن مغشوشة حتى يدفعوهم إلى الثورة والتمرد وبالتالي ينخفض مستواهم القتالي وتضعف الدولة العثمانية، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإن الدولة العثمانية كانت تحظر استخدام العملات المغشوشة وبالتالي تتمرد الإنكشارية عند رغبتها في شراء أي سلعة مما يؤدي إلى نهب الإنكشارية لبيوت الأهالي والمزارعين الفقراء، مما يولد حقد وكراهية للحكم العثماني في الأقاليم العربية والأوربية، وهذا ما أرادته الصهيونية.

٣٥) والسبب الثالث فقد كان اجتماعي، حيث أن إلغاء الحظر المفروض عليهم بمنع الزواج، أدى إلى ارتباطهم بأسرهم، وتربية الأبناء، وتعودهم على حياة الاستقرار والراحة والرفاهية مما أفقدهم الهمة في القتال.

٣٦) أما عن السبب الرابع فقد تركز في نفسية الإنكشارية حيث أصيبوا بالغرور والكبرياء نتيجة لأعمالهم البطولية السابقة التي أعطتهم إحساس بأن جميع مطالبهم مجابة معتمدين على دعاء الحاج بكتاش فقط، رافضين أي محاولة للإصلاح.

٣٧) هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى صراع داخلي في كيان الدولة العثمانية، بين السلاطين والإنكشارية نتج عنه مؤسسة عسكرية بائره تعاني الهزائم المتلاحقة وتسهم في إضعاف كيان دولة إسلامية عريقة.

تناول الموضوع الثاني نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني، والذي لم

يظهر إلا في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، وأتضح في هذا الصدد أن تركزت تدخلاتهم على من سيتولى العرش، فمثلاً نجدهم أرغموا مراد الثاني على الاستمرار في الحكم، كما ساعدوا بايزيد ابن محمد الثاني على تولي السلطة ورجحوا كفة سليم الأول على إخوته.

٣٨) لم يكن لهم أي ضلع أو تدخل في مقتل أبناء سليمان القانوني، والمؤامرة التي حيكت من قبل زوجته روكسلانه مع بعض أعوانها.

٣٩) تولى الحكم سلاطين ضعاف الشخصية ساعد على زيادة نفوذ الإنكشارية وتعديهم على الشخصيات المهمة في القصر السلطاني من صدور عظام ووزراء وانتهاك لحرمات منازلهم.

٤٠) في عهد محمد الثالث ظهرت نتيجة مهمة لتدخلاتهم في القصر السلطاني، هي تدخل الحريم في سياسة القصر بالتعاون مع الإنكشارية، وصار الطرفان يحيكان المؤامرات والدسائس ضد السلاطين والصدور العظام.

٤١) صار السلاطين ألعوبة بيد الإنكشارية تولي وتعزل من تريد، فقد ركزت الإنكشارية على تولية سلاطين ضعاف الشخصية، قليلي الخبرة في الشئون السياسية والعسكرية لكنها لم تولِ قط سلطاناً مصاب بمرض التخلف العقلي أو الجنون كما ردد بعض المستشرقون.

٤٢) لم يقدموا على أي عمل من شأنه عزل سلطان أو تولية أخر إلا بناء على فتوى من شيخ الإسلام إذ كانوا يجبروا المفتي على إصدار الفتوى كما وأن هيئة العلماء قد تطرق إليها الخلل وبالتالي كانوا يفتوا بما لا يعلموا.

٤٣) أكبر جريمة ارتكبتها الإنكشارية وتعتبر نقطة سوداء في تاريخها، هي قتل السلطان عثمان الثاني بمنتهى البشاعة لما فيها من استهانة بشخصية السلطان وهيبته وكانت هذه الجريمة بداية لجرائم كثيرة ارتكبتها الإنكشارية بعد ذلك.

٤٤) تنوعت بعد مقتل السلطان عثمان الثاني أسباب ثـوراتهم بالإضـافة إلـى الأسباب السابقة الذكر، كانت أيضاً بسبب منع الخمر والتبغ الذي أقبلت عليه الإنكشارية بشدة.

٤٥) عصر مراد الرابع تميز بالقوة، واستطاع أن يحد مـن تمـرد و تصـرفات الإنكشارية الرعناء لفترة من الزمن، ولو قدر له أن يقضي علي الإنكشارية لتغير تاريخ الدولة العثمانية.

وأفردت الدراسة الموضوع الثالث لتدخلات الإنكشارية في السياسة العليـا، حيث شكل أكبر خطر علـي سـير الفتوحـات والمعـارك إذ أدى ضـعف الإنكشارية إلى ضعف واضمحلال المركز العسكري للدولة العثمانيـة أمـام أعداءها وتعرضها لهزات عنيفة وخسائر جسيمة.

٤٦) كانوا يثورون على السلطان إذ بقوا دون حرب لمدة طويلة، مثلما حدث في عهد السلطان بايزيد الثاني.

٤٧) كانوا أحد أهم الأسباب التي أدت إلى توقف الفتوحات في بلاد فارس، حيـث ثارت الإنكشارية على السلطان سليم الأول، بحجة البـرد القـارس وقلـة المؤن.

٤٨) لم تعد أخلاقهم، أخلاق المحارب المسلم إذ أنهم أخفقوا في الالتزام بوعـود السلطان في معاهدات التسليم فعندما يدخلون أي مدينة أو قرية يمارسـون سلب ونهب أموال الأهالي وانتهاك حرماتهم، مثلما حدث أثناء فتح جزيـرة رودس في عهد سليمان القانوني، ومثل الخراب الذي ألحقوه ببلاد المجـر، كما تكررت نفس المأساة في أثناء فتح جزيرة قبرص في عهد سليم الثاني.

٤٩) اتخذ سليمان القانوني إجراءات ضدهم حيث فرق بعضهم في الأقاليم، وقتل البعض الأخر.

٥٠) كانت معركة ليبانتو البحرية المحك الأول الذي فضح تعفن وفساد نظام الإنكشارية المختل.

٥١) من أساليبهم الجديدة في عهد مراد الثالث، اتخاذهم الحرب وسيلة للنهب والسلب، حتى أنهم أرغموه على دخول حرب طاحنة في بلاد المجر على الرغم من ضعف استعدادهم العسكري، وهذه الحرب زلزلت كيان الدولة العثمانية.

٥٢) كانوا سبباً مباشراً في إرغام السلطان عثمان الثاني على عقد معاهدة الصلح مع بولونيا، بحجة طلبهم للراحة.

٥٣) مهدوا بتمرداتهم لضياع بغداد من حوزة الدولة العثمانية، وعندما أراد خسرو باشا استردادها لم تطيعه الإنكشارية وثارت عليه، فعزم السلطان مراد الرابع على التخلص منهم فأباد رؤوس الإنكشارية، وأستطاع أن يفرض سيطرته عليهم لفترة من الزمن.

٥٤) سيطرت الإنكشارية على القرارات السياسية في عهد محمد الرابع، مما شجع الطامعين في السلطة على الثورة والتمرد.

٥٥) نتج عن فسادهم وتمردهم، انتقال العدوى إلى البحرية العثمانية، حيث استفاد أسطول البنادقة من عدم الانضباط في البحرية العثمانية وانتصر على الأسطول العثماني عام ١٠٦٠ هـ/ ١٦٥٠م مما نتج عنه ضياع بعض ممتلكات الدولة العثمانية عند مدخل الدردنيل.

٥٦) كانوا أحد أهم الأسباب في ضياع فتح أبواب فينا أمام الإسلام، نتيجة لسوء أخلاقهم في التعامل مع المسيحيين في القرى المحيطة بفيينا. كما خاف القائد العام للجيش من نهب الإنكشارية للمدينة إذا ما سلمت طوعاً، فطال أمد الحصار حتى تكالبت أوروبا على الدولة العثمانية ومنيت الدولة العثمانية بهزيمة أمام أبواب فيينا عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م.

٥٧) توالت الهزائم على الدولة العثمانية وبدأت تفقد أجزاء من أراضيها تدريجياً، الأراضي التي رواها الجيل الأول من الإنكشارية بدمائهم.

٥٨) في عهد سليمان الثاني هاجم أعداء الدولة العثمانية ممتلكاتها في اليونـــان كما أخذت النمسا البوسنة والهرسك واستولت على قلاع المسلمين هنـــاك، ووقع المسلمون في يد الأعداء. وضاعت أجزاء من الصرب وبلاد المجر.

٥٩) أسهم ضعف وتمردات الإنكشارية في عقد معاهدة كارلوفتس(*) فـــي عـــام ١١٠٩ هـــ/ ١٦٩٩م وفيها تنازلت الدولة العثمانية عن ولاية بأكملها وهي بلاد المجر وترانسلفانيا للنمسا وعن آق لروسيا. ولبولونيـــا عـــن مدينـــة كاميليك، وتنازلت للبندقية عن إقليم دلماسيا وترك المسلمين تحـــت رحمـــة عدو مسيحي لا يعرف الشفقة. وكانت هذه أول معاهدة خاسرة توقعها الدولة العثمانية، ولم يكن الأمر خسارة لأقاليم فقـــط، وإنما تحطيماً لأمال الدولـــة العثمانية وتفوقها العسكري.

٦٠) أرغموا السلطان أحمد الثالث على التنازل عن العرش وعزلوه لأنه أوقـــف الحرب مع الدولة الصفوية وعقد صلح معها، مما يعني منعهم مـــن نهـــب البلاد والحصول على الغنائم وكانت هذه وسيلتهم الجديدة للحصـــول علـــى الأموال.

٦١) في عهد السلطان عبد الحميد الأول، هزمت الدولة العثمانية أمـــام روســـيا واضطرت سنة ١١٨٨هـــ/ ١٧٧٤م إلى عقد معاهـــدة كوتشـــك قينارجـــة المجحفة في حق الدولة العثمانية، بسبب تمردات الإنكشارية، حيث تنازلـــت الدولة العثمانية بموجب هذه المعاهدة عن القرم وأعلنت اســـتقلالها التـــام،

(*) كارلوفتس: بلدة يوغسلافية على نهر الدانوب تقع في الجنوب الغربي من زغريب. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٠

وإعطاء روسيا الحق في حماية المسيحيين التابعين للمذهب الأرثوذكسي، وهذا يعني التدخل في شئون الدولة العثمانية، الداخلية كما تضمنت المعاهدة أن تتعهد الدولة العثمانية بدفع أربعة ملايين روبل لروسيا خلال ثلاث سنوات.

٦٢) أساءوا إلى سمعة الدولة العثمانية في بلاد الصرب حيث اعتدوا على الأهالي بوحشية سواء بالقتل أو بنهب أموال الأهالي بعد انتهاء حرب الدولة العثمانية مع النمسا، بحجة أن الأهالي اشتركوا مع النمسا ضد الدولة العثمانية في الحرب مما سبب للدولة العثمانية الحرج خاصة بعد توقيع معاهدة الصلح. ولم يقتصر هذا الأمر على بلاد الصرب فقط بل شمل الأفلاق والبغدان والبوسنة والجبل الأسود.

٦٣) زاد ضغط الإنكشارية على الأهالي في الصرب مما أدى إلى قيام ثورة ضدهم اتسمت بالدموية وتخللتها مذابح عنيفة حتى خرجت عن حكم الدولة العثمانية عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م وكان أول شعب سعى للخروج عن السلطة العثمانية، على الرغم من أنه كان أكثر شعوب البلقان خضوعاً للعثمانيين.

٦٤) تباطأ السلاطين العثمانيون في معاقبة الإنكشارية في بلاد الصرب، مما شجّع شعوب البلقان الأخرى على التخلص من الوجود العثماني المتمثل في نظرهم في وجود الإنكشارية الظالمة.

٦٥) جعلوا الدولة العثمانية في حالة ترقب مستمر، مما جعلها مشغولة بأمورها الداخلية، وخلق فرصة للأعداء للانقضاض على ممتلكات الدولة العثمانية.

أما الموضوع الثالث فقد أختص بموقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة، حيث أن الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الدولة العثمانية في أوائل القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي أظهرت ضرورة الإصلاح

العسكري خاصة مع تنامي قوة أوربا الاقتصادية وبالتالي العسكرية.

٦٦) عندما قررت الدولة العثمانية إصلاح الجيش زادت مشكلة الإنكشارية تفاقماً إذ لم يكن الأمر سهلاً أبداً حيث قوبل بمعارضة شديدة واستهلك قوة رجال الدولة لمدة تزيد عن نصف قرن من الزمان ظهر خلالها مدى تخلف وعجز الإنكشارية عن درء الخطر عن الدولة العثمانية، ومع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي أصبح لدى السلاطين فكرة راسخة عن ضرورة إصلاح الإنكشارية خاصة بعد تخاذلهم في صد خطر الأعداء.

٦٧) محاولات إصلاح فرقة الإنكشارية بدأت مع بداية القرن الثاني عشر الهجري الموافق القرن السابع عشر الميلادي إلا أنها مع الأسف لم تكن محاولات مؤثرة أو لها أصداء بعيدة، وغالباً ما كانت تنتهي في بعض الأحيان بالفشل أو بقتل السلطان مثل عثمان الثاني أو خلعة مثل مصطفى الثاني وأحمد الثالث.

٦٨) إن عدم تقبل ما هو جديد ومواجهته بثورة عارمة لهو من طبيعة البشر والحياة، فإن كل جديد يواجه بالحذر حتى التعرف عليه، وبالتالي تقبله، خاصة إذا لم يمس الشريعة الإسلامية. وجزء من هذا حدث مع الإنكشارية لم تتقبل الإصلاح في البداية ثم تمادت في غيها حتى حقرت الإصلاح وعدته كفراً وكانت هذه الركيزة الأساسية في كل ثوراتهم.

٦٩) في عهد سليم الثالث كانت الإصلاحات التي نفذها بداية عهد وطور جديد لإنقاذ الدولة من الأطماع الأوربية والضغط الاستعماري.

٧٠) أسس قوة جديدة على الطراز الأوربي أسماها "النظام الجديد" ولم يستغنى عن الإنكشارية وإنما كانت بجانبهم، ثم ثارت عليه وألغيت هذه الفرقة، على الرغم من نجاحها في المهمة الموكلة لها، حيث تصدت لحملة نابليون بونابرت أمام عكا، والقضاء على فساد عصابات بلاد الروملي المسلحة،

وخلع السلطان سليم الثالث ودفع حياته ثمناً لهذا الإصلاح، فقد كونوا جبهة معارضة مع العلماء.

٧١) تأثرت الولايات العثمانية بمعارضة الإنكشارية للنظم الحديثة، حيث تمردت الإنكشارية في بلغراد وأمسكت بزمام الأمور فيها.

٧٢) على الرغم من مقتل سليم الثالث إلا أن النظام الجديد كان قد أكتسب كثير من المؤيدين بين الأهالي والوزراء، ولم يمت النظام الجديد بل دبت فيه الروح والحياة من جديد مع تولي محمود الثاني الحكم.

٧٣) استصدر محمود الثاني فتوى من شيخ الإسلام بضرورة استخدام الإنكشارية للأسلحة الحديثة، وهذا ما اختلف فيه محمود الثاني مع سليم الثالث، وهي كسب ولاء ومساعدة الهيئة الدينية حيث حرص محمود الثاني على موافقة شيخ الإسلام بوجوب إصلاح الإنكشارية، ولم يتبع منهج سليم الثالث الذي فقد حياته لأنه لم يضمن ولاء شيخ الإسلام.

٧٤) حرص السلطان محمود الثاني على إضفاء الصبغة الشرعية على قرارات محاضر اجتماعاته، لكن ذلك أيضاً لم يفيد، إذ صنعت الإنكشارية الأحداث بنفسها التي قادت إلى التخلص منها.

المبحث الثاني والأخير خاص بالقضاء على الإنكشارية ومناقشة وجهات النظر حول إلغاء الإنكشارية، لم تكن فكرة القضاء على الإنكشارية وأبادتها وليدة ذهن محمود الثاني، وإنما جاءت في ذهن عثمان الثاني، ولكنه فشل في ذلك ودفع حياته ثمناً لهذه الفكرة، كما فشل في إنجازها إبراهيم الأول.

٧٥) جاءت خطوة القضاء على الإنكشارية نتيجة خطة مدروسة وخطوات محسوبة، ونتيجة حتمية للأحداث التي صنعتها الإنكشارية بنفسها.

٧٦) لقد أحاطت بمحمود الثاني أخطار كثيرة، فكان لا بد لمواجهة هذه الأخطار من وجود جيش منظم وقوي يعتمد عليه.

٧٧) أخذ السلطان محمود الثاني موافقة شيخ الإسلام لشروع قتالهم عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م.

٧٨) تبع القضاء عليهم إصدار فرمان سلطاني جاء فيه إلغاء شاراتهم وأبطلت ملابسهم واصطلاحاتهم وتم إرسال فرمانات بذلك إلى جميع الولايات العثمانية للقضاء عليهم.

٧٩) أنشأ فرقة "عساكر منصوري محمدي" أي العساكر المنصورة المحمدية. تبع ذلك إلغاء منصب أغا الإنكشارية واستبداله بمنصب "سر عسكر" الذي له جميع اختصاصات القائد العام للجيش.

٨٠) أجرأ خطوة قام بها محمود الثاني بعد القضاء على الإنكشارية إصدار فرمان بحل الطريقة البكتاشية وإلغاءها.

٨١) تعطل ظهور نتائج إلغاء الإنكشارية بسبب رفض محمد علي باشا مساعدة محمود الثاني إرسال خبراء عسكريين لتدريب الفرقة الجديدة.

٨٢) مثلت حركة القضاء على الإنكشارية بداية التطور والرغبة في التحرك إلى الأمام وأمدت في عمر الدولة العثمانية، وأعطتها مزيداً من القدرة على مواجهة الدول الأوربية.

٨٣) لم يكن القضاء على الإنكشارية سبباً في تكالب الأعداء حولها، بل وقعت الدولة العثمانية فريسة للأعداء قبل القضاء على الإنكشارية بزمن بعيد.

٨٤) صارت الدولة العثمانية عاريه دون جيش ومطمعاً للأعداء، منذ أن تحول الجندي الإنكشاري إلى شخص ثوري ومتمرد. وبالتالي أصبح عاجزا عن مواجهة الأعداء.

٨٥) لم يأخذ السلطان محمود الثاني الوقت الكافي ليحقق النتائج المطلوبة، إذ بذل السلطان محمود الثاني جهوداً مضاعفة لتدريب العساكر المنصورة

المحمدية على أحدث الطرز العسكرية الأوربية، ولم يحل عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٩٣م إلا و أصبحوا من أهم جيوش العالم الذي يعمل لها حساب.

٨٦) ظهرت كفاءة العساكر المنصورة المحمدية في الحرب مع روسيا التي اكتشفت مدى تقدم وتطور جيش الدولة العثمانية الجديد، بينما حدث تراجع لجنودها.

٨٧) خطوة محمود الثاني صحيحة من أوجه كثيرة، ولكن الخطأ كمن في أنه لم يضمن ولاء الأقاليم العثمانية التي حوله، حتى تمده بجيوش مؤقتة تدافع عن ممتلكات الدولة العثمانية، خاصة موقف محمد علي باشا والي مصر. وهو بذلك لم يجد جيش يعتمد عليه في الوقت الذي يقوم فيه بتدريب فرقته الجديدة.

٨٨) التوقيت الذي تم فيه القضاء على الإنكشارية، كان خاطئ، إذ وجب القضاء على هذه الفرقة قبل أكثر من مائه وخمسين عام، أي في عهد مراد الرابع، الذي أظهر من الكفاءة ما يقدره الإقدام على مثل هذه الخطوة في وقت كانت فيه أوربا تشمر عن ساعديها لابتلاع ممتلكات الدولة العثمانية.

٨٩) لم تكن أوربا تسمح بأي إصلاح في الدولة العثمانية خاصة روسيا، التي سعت لإفساد هذا النجاح وإخماد أنفاسه وهو في المهد.

وهكذا ذكرت أهم النتائج التي تضمنتها موضوعات الرسالة والتي في مجملها تعكس دور الإنكشارية كأحد أسباب سقوط الدولة العثمانية.

أرجو أن أكون قد وفقت فيما قدمت من عمل وبالله التوفيق والسداد.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة آل عمران آية ٢٦)



الملاحـــق



تعداد الإنكشارية على مر السنين

م	السلطان	تاريخ الإحصاء	عدد الإنكشارية
١	سليمان القانوني	٩٣٠هـ	١٢,٠٠٠
٢	مراد الثالث	٩٨٢هـ	١٣,٦٠٠
٣	مراد الثالث	٩٨٢هـ	٢٧,٠٠٠
٤	مراد الثالث	١٠٠٢هـ	٤٨,٠٠٠
٥	محمد الثالث	١٠٠٤هـ	٤٥,٠٠٠
٦	أحمد الأول	١٠١٨هـ	٤٧,٠٠٠
٧	مراد الرابع	١٠٤١هـ	٤٦,١١٣
٨	مراد الرابع	١٠٣٣هـ	٤٤,٨٠٠
٩	مصطفى الثاني	١١١٠هـ	٧٠,٠٠٠
١٠	أحمد الثالث	١١٤٠هـ	٨١,٠٠٠
١١	سليم الثالث	١٢٢٠ هـ	١١٠,٠٠٠
١٢	محمود الثاني	١٢٤٠هـ	١٤٠,٠٠٠ (١)

(١) أحمد جودت: تاريخ جودت، بيروت، ١٣٠٨ هـ، الجزء الأول، ورقة ١١٠. جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، مجلة الهلال، الجزء الثامن، السنة السابعة عشر، ١٣٢٦ هـ ١٩٠٩ م ص٤٦٢.

العريضة التي قدمها أغا الإنكشارية للسلطان سليم الأول

ورد بعد تهنئة السلطان بالنصر على عدوه ما يلي:

(.... لقد أعدم غدراً وظلماً قرابة خمسة وأربعين ألف شخص في بلدنا، وحوالي عشرين ألفاً في فارس " بلاد العجم " بتهمة الرفض والإلحاد. ومع تمسكنا الشديد بالدين الحنيف، وتعصبنا الشديد له، وغيرتنا عليه لم نحصل على فتوى صحيحة ومقنعة عن معنى الرفض والإلحاد. كذلك أغفل عنا جلالة السلطان سبب سفك كل هذه الدماء، والدافع الشرعي لقتل كل هؤلاء بغير ذنب إنهم كانوا يؤذنون في أوقات الصلوات الخمسة مثل أهل السنة تماماً، ويتوضأون ويصلون ويصومون، ويتلون القرآن، وعلى لسانهم دائماً الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله. محمد رسول الله " بأي سند شرعي يجوز قتلهم ؟!! فهل هم ممتنعون عن أداء الصلاة ؟ وإن كانوا يرددون في الآذان وإقامة الشعائر " أشهد أن محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله " و" حي على خير العمل " ونعتبره نحن أهل السنة والجماعة مخالفاً للشرع الحنيف، فإن الشافعية يصلون وأيديهم مبسوطة أحياناً، وعلى صدورهم أحياناً أخرى. وإن كانوا يرددون في الآذان " أشهد أن علياً ولي الله " ونعتبره بدعة ، فهذا مثل بناء المئذنة في المسجد الذي نعتبره بدعة حسنة. وكلنا مقر ومعترف بأن علي ولي الله " فلن نحارب العجم " أي الفرس " بعد الآن، حتى ولو صدرت الأوامر السلطانية بالقتال. لقد خربت دولتهم مع أن ما سفك من دماء لا يساوي كل هذا .... " (١)

---

(١) محمود حسن الصراف: معركة جالديران سنة ٩٢٠هـ ١٥١٤م، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١ م، ص١١٨-١١٩.

رد المفتي على العريضة التي قدمتها الإنكشارية

" قد ثبت لدينا في حضرة علماء أهل السنة والجماعة أهل المذهب الحق، أن هذا المذهب مخالف للقرآن والسنة والجماعة. لذا فهو باطل ومنحرف عن الإسلام. وكل شخص من المسلمين يقبل هذا المذهب ويتبعه فهو مرتد، ويجب على ملك الإسلام إنزال العقاب على المرتدين، ولا يسمح بتواجد هذا المذهب الباطل الذي يجد الشيوع والانتشار في الدول الإسلامية لأنهم يعرفون القرآن، الذي هو كلام الله، حادث ومخلوق، ويؤولون معانيه الشريفة، ولا يقبلون القياس في كل مسألة شرعية، والتي لا تكون محكمة، ويقومون بالعمل ضد آراء أهل السنة، وهي مخالفة يقرون واجبها، وإجماع الأمة لا يعرفون مشروعها، ويقرون أن الشيخين ذي النورين غاضبان للخلافة ومرتدان ويسبونهما. أما في حق أم المؤمنين عائشة فإنهم ينعتونها بالإفتراء والبهتان، بل يتهمونها بتهم غاية في الشناعة، ويلعنونها، ويكفرون أغلب كبار الصحابة، ومن بينهم أغلب العشرة المبشرين وأصحاب الصفة وبدر وتحت الشجرة ويسبونهم، ويصفون أهل السنة بأنهم أسوأ من الكفار. ويحلون أموال المسلمين وأرواحهم وأغراضهم، وأغلب الأفعال الحرام هي حلال عندهم، والحلال عندهم حرام، ويغيرون في أحكام القرآن.... " (١)

---

(١) محمود حسن الصراف: معركة جالديران سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١ م، ص١١٩، ١٢٠.

شجرة سلاطين آل عثمان

كوندوز آلب

ارطغرل غازي

1- عثمان غازي (ت ١٣٢٤م)

2- اورخان غازي (١٣٢٤-١٣٦٢م)

3- مراد الأول (١٣٦٢-١٣٨٩م)

4- بايزيد الأول (الصاعقة) (١٣٨٩-١٤٠٢م)

سليمان چلبي (١٤٠٢-١٤١١م) — موسى چلبي (١٤١١-١٤١٣م) — مصطفى "دوزمجه" (١٤٢١-١٤٢٢م) — 5- محمد الأول (١٤١٣-١٤٢١م) — عيسى چلبي (١٤٠٣-١٤٠٤م)

6- مراد الثاني (١٤٢١-١٤٤٤، ١٤٤٦-١٤٥١م)
7- محمد الثاني (الفاتح) (١٤٤٤-١٤٤٦، ١٤٥١-١٤٨١م)
8- بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م)
9- سليم الأول (ياوز) (١٥١٢-١٥٢٠م)
10- سليمان الأول (القانوني) (١٥٢٠-١٥٦٦م)
11- سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م)
12- مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م)
13- محمد الثالث (١٥٩٥-١٦٠٣م)

15- مصطفى الأول (١٦١٧-١٦١٨، ١٦٢٢-١٦٢٣م) — 14- احمد الأول (١٦٠٣-١٦١٧م)

17- مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) — 16- عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٢م) — 18- ابراهيم (١٦٤٠-١٦٤٨م)

20- سليمان الثاني (١٦٨٧-١٦٩١م) — 19- محمد الرابع (أوجي) (١٦٤٨-١٦٨٧م) — 21- احمد الثاني (١٦٩١-١٦٩٥م)

23- احمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠م) — 22- مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣م)

26- مصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٤م) — 27- عبد الحميد الأول (١٧٧٤-١٧٨٩م) — 24- محمود الأول (١٧٣٠-١٧٥٤م) — 25- عثمان الثالث (١٧٥٤-١٧٥٧م)

28- سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م)

29- مصطفى الرابع (١٨٠٧-١٨٠٨م) — 30- محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)

31- عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) — 32- عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م)

33- مراد الخامس (١٨٧٦م) — 34- عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٨٠٩م) — 35- محمد الخامس (١٩٠٩-١٩١٨م) — 36- محمد السادس (١٩١٨-١٩٢٢م)

عبد المجيد (خليفة) (١٨٢٢-١٨٢٤م)

أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول بد.ط، إستانبول، ١٩٩٩ م.

الفتوى الشرعية

تبارك الله ما أحسنه القادر المطلق الذي له الحق في معاقبة القوم وإلقاء اللوم المتعلق بإرادته القاطعة لكل من يتجبر مثل فرعون أو يكون كالبراهمة أو الهنود الذين يشعلون نار الفساد في معابد المجوس وهو الذي أطفأ نار النمرود وهو القاهر لا تأخذه سنة ولا نوم بطرفة عين قادر على جبروت كل جبار وهو يعطي المال لمن يريد ثرائه وهو السلطان الأعلى لديه كل شيء يطلبه العبادة وهو يصيب العالم بالألم إذا أراد فتعالي الله ما أحسنه مالك الملك بحق إذا أراد الهلاك للمفسدين فيكون وهو يقطع دابر الكافرين الأفاكين الذين كانوا كالباحثين عن حتفهم وإذا لم يكون العون من الله لأمراء فأول ما يجني عليه استعادة وعلى سبيل المثال فإن الإنكشارية الذين أضروا بمصلحة البلاد وأصابوها بالخلل والفساد هكذا ستكون نهايتهم وعبرتنا عن ذلك صحف وتواريخ العالم،

فهذه الفرقة تم جلب أفرادها في البداية من الأسراك في عهد حضرة السلطان اورخان خان غفر الله له، أحد أجداده العثمانيين أصحاب المعالي ولكن بعد ذلك وبناء على إخفاقهم في هذا العمل فقد تم اختيار أفراد هذه الفرقة من الأسرى الكفار الذين تم تركهم امتثالاً وطواعية للأتراك العثمانيين.

وتم تنصيب ضابط عليهم بملابس وكسوة خفيفة خاصة ولقد كانوا يتميزن عن باقي طبقات الناس الأخرى وإن كان قد حدث شقاق كبير بتقسيمه هذه الفرقة في أول عهدها وهؤلاء الشباب أصحاب الدين الجديد والذين طغت سيئاتهم على حسناتهم قد سلبوا من الدولة فكرها الصائب. إن السلطان سليم أسكن الله تعالى روحه في دار النعيم صاحب الحضور العالي قام بالقضاء على الجماعة والزمرة الفاسدة من الإيرانيين ووحد رئيسها الشاه إسماعيل الصفوي ولذلك فإن السلطان سليم أسد عظيم، وبعد أن تمزق جيش هذا الشاه في صحراء جالديران قال الشاه

يا علي مدد حتى آثار لدم الحسين، وقد صدر فرمان عالي الشأن في حق تحـرك الموكب الهمايوني إلى حلب الشهباء لاستكمال القتال الذي أراده بغيـرة تطهيـر الديار الشرقية من أهل الإلحاد الكثيرين وتدمير السلالة المفسدة المضرة وأبادها بالكامل في شهر ربيع الأول ومن ثم فإن القضاء على الجماعة المفسدة تسبب في عودة الآستانة إلى باب السعادة وهكذا فإن المفسدون كانوا يحولون دون تحقيـق المصلحة التي هي خير محض.

إن السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان السلطان سليمان خان طيـب الله تعالى ثراه خرج مرات عديدة عند بداية عهده ليباشر أحوال البلاد بانتظام ووجـد أن الذين قاموا بتخريب بيوت المسلمين وسلبها ونهبها من علماء ورجال صـغار وكبار بسبب فساد وخراب ما قام به أربع سلاطين قد فزعوا إلـى الراحـة فـي توليتهم الأمور فإنهم قد اقترفوا ذنب مفاده إثـارة القلاقـل والاضـطرابات فـي السلطنة ومنصب السلطان لأنهم تراخوا في بعض الأمور وإن العمل العظيم الأخير الذي رأيناه رأي العين وشهد لنا يوم بعد يوم هو ظهـور صـلاح الأحـوال إزاء الكافرين عند الله ولي نعمتنا ونعمة العلماء وقاطع جذور أربـاب الظلـم وأهـل البدعة ومطلع جميع كيان الدولة مثل الدم القذر الذي يسري بجميع عروق الجسد وهذا بلاء مضاعف على مدى خمسمائة عام فأجناسـهم قلبـت علـى أنجـاس وأقوالهم أقوال أوباش فهم لا يحبون على الإطلاق الخير للسلطنة العلية المؤيـدة بالظل الإلهي وإمحائهم متعلق بالإرادة الأزلية لله تعالى، إنهم أعداء لأسباب الخير بلا شك وطبقًا لمفهوم أن الباطل لا يمكن أن يستمر فإنه خلال ساعات من تحرك هؤلاء قضى الأمر أستعيذ بالله «اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض وبما كنتم تفسقون أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون، وسيعلم الـذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» وهذا الكلام الكريم مصداقا لوعيـد المـولى سـبحانه وتعالى لمن طغوا واستفحل فسادهم وأمرهم.

قائمة المصادر والمراجع



أولاً: الوثائق:

أرشيف توب قابي سراي إستانبول:

تصنيف فرمان لر

١- رقم $\frac{٩٢٨٧}{٢٦}$ E

أواسط ربيع الآخر ١٠١٧هـ .

٢- تصنيف فرمان لر

رقم الوثيقة $\frac{٩٢٩٦}{٢٩}$ E

٩ ربيع الآخر ١٢٦٢هـ

٣- ٥٥٢٨ E

١١ ذو القعدة ١٢٤١هـ

٤- $\frac{٥٨١٤}{٢}$ E

أواسط ٩١٨هـ

٥- $\frac{٩٢٩٧}{٦}$ E

أواسط جماد الآخر ٩٨٨هـ

٦- تصنيف ١١٤٥٧ E

السنة الأولى من تولي سليم الأول السلامنة

السنة الأخيرة من حكم بايزيد الثاني.

٧- ٩٢٩٨ / ١٣ E

٢٨ صفر ١٠٣٤هـ

٨- ٩٢٨٤ / ٢ E

١٨ ذو الحجة ١٠٥٥هـ

٩- ٥٢١٦ / ٣٩ E

أواسط ذو القعدة ١٤٢١هـ

١٠- ١١٨٨٧ E

٢٢ صفر ١١٨٤هـ

أرشيف رئاسة الوزراء إستانبول:

١١- دفاتر مهمة

دفتر ١١١

ص ٦١٧

١٧٠١م

١٢- دفاتر مهمة

دفتر ١١٤

ص ١٧٢

حركة إصلاح في بداية القرن ١٨م.

١٣- BOA

تصنيف دفاتر مهمة

دفتر رقم ٧

دفتر رقم ٢٦

١٤- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٦٦٧٣

سنة ١٢٣٥هـ

١٥- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٩٣٧١

١٦- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٥٨٣٧

١٧- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٢٧٢

١٨- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ٢١٢٦٥

١٩- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٧٤٦١

٢٠- خط همايوني HAT.H

رقم الوثيقة ١٧١٠٧

١٢٣٧هـ

محمود الثاني

٢١- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ٨٢٦٥

١٢٠٣هـ

عبد الحميد الأول – سليم الثالث

٢٢- خط همايوني H.H

وثيقة رقم ٢١٤

مصطفى الثالث

عبد الحميد الأول

٢٣- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٩٣٠٤

٢٤- HAT.H

رقم الوثيقة ١٧٣٩٣

٢٥ جماد الأولى١٢٤١هـ

٢٥- HAT.H

رقم الوثيقة ٦٦٣٣

سليم الثالث

تمردات مصر

٢٦- HAT.H.

رقم الوثيقة ١٧١٠٧

محمود الثاني ١٢٣٧هـ

بلاغ من نائب سلوري

٢٧- HAT.H

وثيقة رقم ١٦١٢٢

رواتب الإنكشارية.

٢٨- HAT.H

رقم الوثيقة ٣٦٦٤

سنة ١١٧٧هـ

٢٩- HAT. H

رقم الوثيقة ١٧٢٣٧

٣٠- HAT. H

رقم الوثيقة ١٧٣٥٧

٣١- HAT. H

رقم الوثيقة

٤٢٣٨

٣٢- HAT.H

رقم الوثيقة

٧٩١٧

عثمان الثاني

١٠١٣هـ - ١٠٣١هـ

١٦٠٤م – ١٦٢١م

٣٣- HAT. H

رقم الوثيقة ١٧٣٤٩

٣٤- HAT. H

رقم الوثيقة ٣٩٤٦

سليم الثالث

١٢١٦هـ ٢٧ ربيع الثاني

٣٥- H.H

رقم الوثيقة ١٦٤٠٤

٣٦- HAT.H

رقم الوثيقة ١٧٣٥٤

محمود الثاني

٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٤١هـ

٣٧- HAT.H.

رقم الوثيقة ٢١٨١٣

محمود الثاني

٣٨- HAT.H

رقم الوثيقة

١٧٣٧٤

محمود الثاني

ثانياً: المخطوطات:

١- أحمد جودت إسماعيل علي

تاريخ جودت، بيروت، ١٣٠٨هـ، الجزء الأول. ترجمة. عبد القادر مصطفى الدنا البيروني، بيروت، سنة ١٣٠٨هـ.

٢- أحمد عرابي

تاريخ الملوك العثمانية والوزراء والصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات

تاريخ النسخ ١٣٧١هـ، محفوظة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٤١ تاريخ.

٣- أوك سوزي يازان

مبدأ قانون بكيجري أوجاغي تاريخي متن باضيه فرليان

موسقوا ١٩٨٧م

دوغو يازيلي أكيتلري

سرسي ٧٩

٤ - حسين ابن كمال البغدادي القادري

الدر المصان في أيام دولة آل عثمان

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية قسم المخطوطات محفوظة تحت رقم ٠٤٤١٦٧ .

٥ - عبد الغني النابلسي

الكشف الشافي والبيان الوافي في معرفة حوادث الزمان في دولة آل

عثمان.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية قسم المحفوظات محفوظة تحت رقم ٢٠٦٦٦.

٦- علي إبراهيم البويتجي الشافعي

سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد يشتمل على تاريخ سلاطين آل عثمان.

محفوظة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٥ تاريخ.

٧- محمد الزنبلي الرمال

سيرة الجراكسة وما وقع بينهم مع السلطان سليم بن بايزيد بن السلطان محمد فاتح القسطنطينية من الحروب والقتال.

محفوظ في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٣٢ تاريخ.

٨- محمد أسعد السيد أحمد الإستانبولي القاضي المعروف بصحافلر شيخي زاده. المتوفي سنة ١٢٦٤هـ

أ س ظفر

إستانبول - ١٢٤٣هـ

المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم"٥١٦٤ س،٤٨٣٥"تاريخ تركي.

٩- مؤلف مجهول

تاريخ آل عثمان

الناسخ: جذا ويردي

تاريخ النسخ: ٩٥٨/٣/١٠هـ

محفوظة بمركز الملك فيصل الإسلامي تحت رقم ٣٦٦٦.

ثالثاً: المصادر العثمانية:

١) أبو الفاروق: تاريخ أبو الفاروق، تاريخ عثمانيده، الطبعة الأولى، مطبعة أمدي، ١٣٢٩هـ.

٢) أحمد راسم: عثمانلي تاريخي، إستانبول، ١٣٢٨هـ، الجزء الأول.

٣) شمس الدين سامي: قاموس تركي، إستانبول: مطبعة سي، ١٣١٧هـ.

٤) عاشق باشازاده: تواريخ آل عثمان، إستانبول، ١٣٣٢هـ.

٥) عاصم: عاصم تاريخي، مطبعة سنده أولنمشدر.

٦) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانية، الطبعة الأولى، إستانبول: معارف نظارات جليلة سنك، ١٣٠٩هـ.

٧) علي رشاد: تركيا والتنظيمات: تاريخ الإصلاح في الدولة العثمانية، د. ط، إستانبول: مطبعة عامره، ١٣٣٢هـ.

٨) كامل باشا: التاريخ السياسي للدولة العلية العثمانية منذ تأسيسها وحتى الفترة الأخيرة للسلطان عبد الحميد، الجزء الأول، د.ط، إستانبول: مطبعة أحمد إحسان، د. ت.

رابعاً: المصادر العربية والمعربة:

١) القرآن الكريم.

٢) إبراهيم حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٣) أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، د.ط، ليبيا: طرابلس، مكتبة الفرجاني.

٤) أحمد جودت علي: تاريخ جودت، تحقيق: عبد اللطيف محمد الحميد، الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

٥) أحمد زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، الطبعة الأولى، لبنان: دار صادر، ١٩٩٧م / ١٤١٧هـ.

٦) أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، تحقيق محسن محمد حسن سليم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٧) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى، مصر: المطبعة الأميرية، ١٣١٢هـ.

تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الزين، لبنان: دار الفكر الحديث، د. ط، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٨) خليفة محمود: تاريخ ملوك الألبا، د. ط، د.م، د. ت.

٩) سليمان خليل بطرس جاويش: التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، د. ط، بيروت: مطبعة المعارف، ١٨٧٣م.

١٠) شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي سويدان،

الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ.

١١) الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ.

١٢) محمد أحمد إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية، مصر: مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م / ١٤٠٢هـ.

١٣) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، الطبعة الثانية، لبنان: دار القرآن الكريم، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

١٤) محمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة السابعة، لبنان: دار النفائس ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

١٥) محمد كرد علي: خطط الشام، د.ط، د.م، د. ت.

١٦) محمد مختار: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

١٧) الموفق ابن قدامة: المغني – الكافي، د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت. الجزء العاشر.

١٨) يلمازا وزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة: محمود الأنصاري، إستانبول: مؤسسة فيصل للتمويل، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م / ١٤٠٨هـ.

خامساً: المراجع التركية الحديثة:

١) إحسان ثريا صرما: مساوئ التنظيمات، د. ط، د. م، ١٩٨٨م.

٢) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: التاريخ العثماني – لواء القابي قولي " من تشكيلات الدولة العثمانية " لواء الإنكشارية ولواء الأعجمي أوغلان، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، أنقرة: نشر مجمع التاريخ التركي – اتحاد المؤرخين الأتراك، ١٩٨٤م.

٣) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: من تاريخ اعتلاء السلطان سليم الثاني العرش من معاهدة قارلوقجه عام ١٦٩٩م، المجلد الثالث، القسم الأول، الطبعة الرابعة، أنقرة: مجمع التاريخ التركي، ١٩٨٨م.

٤) ألبرت هويرليبر: إدارة الإمبراطورية العثمانية في عهد القانوني، الطبعة الأولى، إستانبول: دار نشر سورج ١٩٨٧م.

٥) حيتا نور أقصون: التاريخ العثماني، المجلد الأول، د.ط، إستانبول: دار نشر أوته كن، ١٩٩٤م.

٦) جوزيف فون هامر: التاريخ العثماني الكبير، المجلد الأول، د.ط، إستانبول: دار نشر روج دال، ١٩٨٩م. المجلد الرابع، ١٩٩٥م.

٧) رشاد أكرم قوجسي: الإنكشارية، د. ط، إستانبول، ١٩٦٤م.

٨) ستانفرد شو: الدولة العثمانية وتركيا الحديثة، د. ط، إستانبول، ١٩٨٢م.

٩) سليمان قوجسه باشي: التدخل الأجنبي في الثورات العثمانية، د.ط، إستانبول، ١٩٩٣م.

١٠) عرفان كوندوز: الدولة العثمانية والتصوف، د. ط، إستانبول، ١٩٨٤م.

11) Mebmet Zeki Pakalin: Osmanli Deyimleri Ve Terimlevi 50 zlugu istanbul 1977. Cilt III.

12) Eyyub Efendi: Kanunnamesi , I U. Ktp Ty 734.

13) Mbdulkadir Ozcan: Fatin ‘ in Teskilat Kanunnamesi Ve Nizam Alem icir Kardes Katli. Meselesi , Istanbul 1973.

14) Dr. Dhmed m. Salem (1798 – 1848) Yillar Arasinda , misip ulemasi Doktora Tezi , I. V Ed fak 1996. 4 bolum.

سادساً: المراجع العربية:

١) أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري: نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تحقيق: يوسف علي الثقفي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، الطبعة الثامنة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٠م.

٣) أحمد صائب، محمد توفيق جانا: وقعة السلطان عبد العزيز، د.ط، مصر: مطبعة هندية، د. ت.

٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٥) أحمد نوري النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٦) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧) أميرة علي مداح: نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف: دار الحارثي ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٨) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني، الجزء الخامس، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.

٩) حبيب السيوفي: الإنكشارية في الدولة العثمانية، د. ط، لبنان: مطبعة الرحبانية المخلصية، ١٩٤٠م.

١٠) جلال يحيى: العالم العربي الحديث، الجزء الأول، د. ط، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨م.

١١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، الجزء الثاني، بيـــروت: دار إحيـــاء التراث العربي، الطبعة السادسة، ١٩٦٤م.

١٢) حسن الضيقه: الدولة العثمانية الثقافة، المجتمع والسلطة، الطبعة الأولـــى، لبنان: دار المنتحب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٣) حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٨م.

١٤) حسين لبيب: تاريخ المسألة الشـرقية، د. ط، القـاهرة: مطبعـة الهـلال، ١٩٢١م.

١٥) خلف دبلان خضر الوذيناني: الدولة العثمانية والغزو الفكـري حتـى عـام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، د. ط، مـكة الـمكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٦) زياد أبو غنيمه: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، الطبعة الثانية، إستانبول: دار الفرقان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٧) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيـروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠م.

١٨) سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسـكري، د. ط، بيروت: الأهلية للتوزيع والنشر، ١٩٩٣م.

١٩) سليمان صالح الخراشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، الطبعة الأولـى، دار القاسم للنشر، ١٤٢٠هـ.

٢٠) سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخيـة، د. ط، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنـيـة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٢١) السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العـرب، د.ط، القـاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٧٠م.

٢٢) سيد مصطفى: الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية ١٨٠٣هـ، تحقيق خالد زيادة، الطبعة الأولى، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م.

٢٣) الصفصافي أحمد المرسي: إستانبول عبق التاريخ روعة الحضارة، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٤) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، الطبعة العاشرة، الرياض: العبيكان، ١٤٣١هـ / ٢٠٠١م.

٢٥) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ٨٣٣هـ - ٨٨٦هـ/ ١٤٢٩م-١٤٨١م الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٢٦) عبدالعزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، د. ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م.

٢٧) عبد العزيز محمد عوض: بحوث في تاريخ العرب الحديث، الطبعة الأولى، عمان: مكتبة المحتسب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢٨) عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث، د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٢٩) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون ١٥١٦م – ١٩١٦م، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٧٤م.

٣٠) عبد اللطيف عبد الله دهيش: قيام الدولة العثمانية،الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٣١) عبد اللطيف محمد الحميد: سقوط الدولة العثمانية دراسة تاريخية في العوامل والأسباب، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان ن ١٤١٦هـ /

١٩٩٦م.

٣٢) عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن ١٨م، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

٣٣) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٣٤) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ١٩٩١م.

٣٥) علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، دار البيارق، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣٦) عمر الإسكندري وسليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة: أ. ج. سفدج، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٣٧) عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦م – ١٩٢٢م د. ط، د. ت، القاهرة: دار النهضة العربية.

٣٨) محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، د.ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٣٩) فايقه محمد عبد الصمد بحري: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة ماجستير لم تطبع، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٤٠) قيس جواد العزواي: الدولة العثمانية – قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط، الطبعة الأولى، لبنان: الدار العربية للعلوم، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٤١) محمد الأرناؤوط: دراسات ووثائق حول الدفشرمة، الطبعة الأولى، الأردن: دار قدسية، ١٩٩١م.

٤٢) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.

٤٣) محمد جميل بيهم: أوليات سلاطين تركيا المدنية والاجتماعية والسياسية، د.ط، صيدا: مطبعة الفرقان، ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.

٤٤) فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، د. ط، د. م، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

٤٥) محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ٦٩٨هـ - ١٣٤٣هـ/ ١٢٩٩م - ١٩٢٤م. الطبعة الأولى، لبنان: بيروت المحروسة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٤٦) محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي المعهد الإسلامي الجزء الثامن، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٤٧) محمد ضياء الدين الريس: تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير للخلافة ١٧٧٤م - ١٩٢٤م، الجزء الأول، د. ط، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠م.

٤٨) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني في عصر محمود الثاني ١٨٠٨م - ١٨٢٩م، الطبعة الأولى، القاهرة: دار التراث، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٤٩) محمد كامل عياد: تاريخ اليونان، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دمشق: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٥٠) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، د.ط، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ.

٥١) محمد موفاكو: تاريخ بلغراد الإسلامية، الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة دار

العروبة. المكتبة البلقانية، ١٩٨٧م / ١٤٠٧هـ.

٥٢) محمود حسن عبد العزيز الصراف: معركة جالدران ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م أولى صفحات الصراع العثماني الفارسي الأسباب والنتائج، د.ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م.

٥٣) محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٩م.

٥٤) المعتصم بالله إبراهيم شعوط: جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية، رسالة ماجستير لم تطبع، جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٥٥) نوفان رجا الحمود: العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، د. ط، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

٥٦) ياسين سويد: التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارة المعنيه ١٥١٦م – ١٦٩٧م، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠م.

٥٧) يوسف اصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد عرب، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥٨) يوسف علي رابع الثقفي: موقف أوروبا من الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف: دار الحارثي، ١٤١٧هـ.

سابعاً: الكتب المترجمة

١) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح السعداوي، د. ط، إستانبول: مركز الأبحاث والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، ١٩٩٩م.

٢) برنارد لويس: إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة سيد رضوان علي، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٣) بول كولنز: العثمانيون في أوروبا، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، د. ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٤) بيري أندرسون: دولة الشرق الإستبدادية، ترجمة: بديع عمر نظمي، الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣م.

٥) جورجي زيدان: مصر العثمانية، ترجمة و تحقيق: محمد حرب، الطبعة الثانية، مصر: دار الهلال، ١٩٩٧م.

٦) خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، الطبعة الأولى، لبنان: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م.

٧) روبيرمانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

٨) س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورة العثمانية، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٩) عبد القادر د ده أغلو: ألبوم العثمانيين، ترجمة محمد جان، د.ط، إستانبول: الدار العثمانية للنشر، د. ت.

١٠) فليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة: أنيس فريجه، د.ط، لبنان: دار الثقافة، ١٩٦٥م.

١١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نبيه أمين فارس – منير البعلبكي، الطبعة الثانية عشر، لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.

١٢) محمد فؤاد كويريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، د. ط، القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت.

١٣) محمود رئيف أفندي: التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ترجمة: خالد زيادة، د. ط، جروس، د. ت.

١٤) محمود شوكت: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، ترجمة: يوسف نعيسه – محمود عامر، الطبعة الأولى، لبنان: دار طلاس، ١٩٨٨م.

١٥) هـ. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة: محمد زيادة – السيد العريني، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧م.

١٦) هارولد لامب: سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم، ترجمة: شكري محمود نديم، د. ط، بغداد: شركة نبراس، ١٩٦١م.

١٧) هاملتون جب – هارولدبوين: المجتمع الإسلامي والغربي وأثر الحضارة العربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، القسم الأول، الطبعة الأولى، دمشق:دار المدى، ١٩٩٧م.

١٨) مؤلف مجهول: تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة: حسين لبيب، ثلاثة أجزاء، د. ط، القاهرة: مطبعة الواعظ، د. ت.

ثامناً: الموسوعات العربية والتركية:

أولاً الموسوعات العربية:

١) دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم زكي خورشيد - أحمد الشنتناوي، المجلد الخامس - المجلد السابع، د. ط، د. ت.

٢) الموسوعة العربية الميسرة: إشراف محمد شفيق غربـال، المجلـد الأول، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٣) الموسوعة العربية العالمية: الجزء الثالث، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

ثانياً: الموسوعات التركية الحديثة:

١) دائرة المعارف الإسلامية التركية: مـادة ينـي تشـري، إسـتانبول، د.ط، ١٩٨٦م.

٢) الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني بتركيا، فرقة الدوشيرمة الإنكشـارية، إستانبول، ١٩٩٤م.

1) Islam Ansiklopesi cilt 14 , Ankara 1990 Yeni Ceri Maddesi Osmanli " Tarin"

2) Ve Medeniyet cilt 1 1rcica, Istanbul 1999.

تاسعاً: الدوريات:

١) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، مجلة الهلال، الجزء الثامن، ١٩٠٩م / ١٣٢٦هـ.

٢) زين العابدين شمس الدين نجم: الوظائف العسكرية والتشكيلات القتالية في العهد المملوكي، مجلة كلية الملك فهد العسكرية، العدد ٣٩، ١٤١٣هـ.

٣) الصفصافي أحمد المرسي: الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدارة، العدد الرابع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٤) عبد العزيز محمد عوض: التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، مجلة الدارة، العدد الأول، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٥) محمد عبد اللطيف البحراوي: من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة، العدد الرابع، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.



الوثائق واللوحات



وثيقة (1)

بلغراد محافظی فضلی حضرتلری محمد پاشا ... شقه سی

مرحمتكاوا ولی النعما افندم سلطانم حضرتلری

دروں قلعه ده بقاء چاقشكار وخولدنده قلعه قپودانی وسرطوب صالح اغای یکعیرد قتل واعدام وایکی کوت

مرووزنه دیوان کاتبی وعبد الاّی لوای سمندره قولدیمی وحی سوجه قتل ایدیکلدیده وبقالرده بکری اوچ نفری

وتوعیولان محاوده تلف واعدام ایدنکلرنلو موجب وهمکتی مازانیاں ودوف کساں مذکور بکری اوچ نفرماسیانی

اوقلی ابنه بالانفاق والاتفاق مغزای وحی ودیده شللو ایملو ضیدلری اولدقلری جهتله مقتولدی ومحاوده تلف

وهذاللو اولند برمواده مبنی ابدکلو وکایه هابونه برقطعه معروضات ولی النعم بدروم قرنداشکدری وبقالرطرقندن وکایه

سلطانلری جسلت قراده نفذیم اولنمش اولوب وجفلکدنلو وحی مسند عالرته جانب ولی النعمدن وبقالرده طرفندن

عرض وانها قندیلی محافظعلم واوراق لرکه بیودلطعه بانده اشعاره احتساه فلمنده امروفرمان مرحمتکاولی النعما افندمکدر

٢٧٦



٣٩٤٦ HAT·H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

شكوى للسلطان من تمرد الإنكشارية في قلعة بلغراد .

وثيقة (٢)

١٧١٠٧ HAT·H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

شكوى أعيان وأصحاب المزارع في قصبة سلوري من تعديات الإنكشارية على المزارع والأهالي .

وثيقة (٣)

[illegible]

١٢٧٢ HAT٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

خبر هروب ٢٢ جندي إنكشاري من المعسكر وإلقاء القبض عليهم .

وثيقة (٤)

[illegible]

أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول. HAT.H ١٦٦٧٣

قيام الإنكشارية بتمرد وفتنة عظيمة في محافظة خربروت .

وثيقة (٥)

٦٦٣٣ HAT・H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

شكوى للسلطان من محافظ دمياط بخصوص مطالبة الإنكشارية المستمرة للمال وغبتهم في السفر دون إذن .

وثيقة (٦)
أ

١٩٣٧١ **خط همايوني H・H** أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

قيام الإنكشارية بتمرد وثورة أثناء آداء التمارين العسكرية .

وثيقة (٦)

ب

مرعندالله باشمزه بربلا كلوب دولت سلطنتی بیه جكمزه شبهه قالمدیغندن جمله مره اجبا...

ایچمزده اومقوله اولنلر وارایدی كلیا دفع وازاله ایدوب بوندن بویله پادشاهمزك ودولتك رضاسندن خارج حركت بولنمالقله

ودولتك هر امر وارادهسنه اطاعت وانقیاد ایتمكله بالاتفاق عهد ومیثاق ایدوك بوكونه تیزالرین ترتیب وجهله قول قول چیقوب

مناسبتسز محللرده اولونه فتنالری شكست وبولیغز ارازلی اخذ وكرفت ایله اغالقیسنه كوندریرز وبومقوله‌ره فیمابعد هیچ بردرلو

بریز صحابت ایچیوب توجیه تأدیب اولنورلرسه اولنسونلر دیو سویلدكلرنده اغای موما الیه قوللری دخی تكرار تأكید تعهدلریچون تعدادینه

بونلك اوزرینه تأسیقدم وتأدیبا ... بخل متحد اولقله جمیعه ایدیلمش دیمش وانلر دخی براغوردن بوعهدك اوزرینه

ایمان غلاظ ایرادیله تعهدلرینه شوكتماب افندم وحبابچلیانك واغالك رضاسنده خارج برحركتی تجویزایتمیه جكلری ورضاك

پادشاهیری تحصیل ایچون جانله وباشلرینی فدا واغای موما الیهك اغوررنه دخی كذلك اجرای فریضه صداقت واستقامت اغتنا

ابلیه جكلری افاده وتعهد ایلمش اولدقلرندن صكره طبعه معاهده لری اووزده ورجال اوجاق قول اولدرده مجموع ضابطانه یعنی قطع

اوسته لر واده باشیلر وماتی قره قوللقچیلر وسائر قره قوللقچی طاقمی واوده باشیلریله برقول بربر دائره اغالری دخی رفاقت برله

صفه اوغراقلری محللرده مناسبتسزلره اصیلان نشانه تختلری قوپاروب حماللر ایله پول بوك اغالقیسنه كوندریلكه باشلادی

... اولمه اووزه بش نفری كند وضابطانی طولوب اغاقیسنه

... اقدای بیانی

وثيقة (٦)

جـ

. . [illegible] مشهور [illegible]

اولدقلرینی وارارلدن دخی دفعه بیول اورطه‌لرك [illegible]

ارسال ایله اغادخی رجال مخوفا جزالری ترتیب ایتدرمش اولدیغی والاوه بوجهله قول قول كزوب دیوشیرملری [illegible]

ایمشی وبقدرة الله تعالی بونلرك بوجهله دفعه انتباهه كلملرینك سببی دخی كندولرینك حسه اعتصار ایلدكلری برمجذوب ذات

تجه كونه بونلره برمجلده خطاب ایدوب ماهوشزنیا یورسز ادبسزلكمز ارتقه باشدن آیشدی بوكا الدن وپادشاهك رضاسی یوقدر

وینیچری اوجاغنك اركاننه اویارشی دكلدر عقلكزی باشكزه جابعه دیوشیرلر بك جله قرینا برقره سلهكی بیه حكلره بشه فالمدی ولو

بعض كلمات سویلیج اولدیغندن بوسوزلر كندولرینه عظیم تأثیر ایدرك اغابه اولوده افاده لرینه بوینده بوبیچه سویلدكلری والحاله هذه

كندولری بوجهله تأدیب ارازله قیام ایتملرینده میدانده اولوله ارازلك حلیه ینیچری طاقمی اولمیه رده شلدبوشنایچی الكمه برابطه‌نی

چیفاروب وطوبجی وعربه‌جی نفراتنه الكه یوشیدنی براغوب ورتباتها وجبه‌جی نفراتی دخی هیئتلرینی دكشدیروب جمله‌سی باشلرینه شال

صاره‌رق ینیچریلك هیئتیله دیلودرلو شنا عنره جبادق ایتمكده اولدقلرندن لعدازینه هر صنف كندو قیافتلریله كزملری برلكره اجاقلرینه

تنبیه ایتدیرلدوب آنذنه صكره اول قیافتده بولنان ارازل هر قنغی اجاقدن اولورایسه اولسون اغاقپوسنه ارسال وتأدیب اولنمی خصوصی دخی

. . افاده ایتمش اولدقلرینه بنی اغای موصی الیه قوللری دخی لعدازینه اولوجه اقتضاسنه باقه جقنی ایتمش یازیجی موصی الیه تفصیلا افاده المیج

. . واستقاره اقتصا اولدیغی [illegible] وساتر اجاقلر نفراتی حقنده سویلنلانه صورت وقعا [illegible] وتأدیب اولنه جقلری خصوصی

وثيقة (٦)

د

اوسته قرالی ... عرض و ... الجزایر ...

اولمغله درحال خاکپای کیمیاسای شاهانه لرینه عرض وتبقه هنیله بولنوب اله ... ترسانه ضابطانه نسقه مشقه بیه

بولنوب اولدیغندن بعدازین هر برصنف کندو قپو قوللریله کرملری وترسانه اغالر طرفنه

دخی طرف چاکریدن بوستانجی باشی اغا وطوپجی باشی وجبه جی باشی وعربه جی باشی وخمبره جی باشی ... رأفتلو قدرتلو کرامتلو شوکتلو ولی نعمتم افندم پادشاهم

وتاکید اولنه جغی محاط علم عالیلری بیورلدقده امر وفرمان

حضرتلرینکدر

وثيقة (٧)

أ

٢١٨١٣ HAT٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

تعدي الإنكشارية على مصطفى باشا والي البوسنة بكثير من الإفتراء

الإعتداء .

وثيقة (٧)

ب

وثيقة (٧)

جـ

...لدوقعه طرفه بلطا...
...اولدقلری جمله‌یه اعلان و محضرلری تقدیم قاکبا
...قوپوب شقاوتلرینی اظهار ایله قوه...
...خانه لرینده تقدیم ایلدیکلری محضرو اعلا...
...حال بو نیه ایکن ولی النعم افندمزدن انواع...
...ظلم و تعدی ایدییم حسبنا الله و نعم الوکیل
...تغلبلرینه کرفتار و بر طرفدن مدافعه
...کم و مشقت باعث سعادت دنیا و آ...
...دی باطنیه لرینه مخالفت اولندقده هو...
...موزی و کلی عقلی باشیندن آلدی مورو...
...تدبیر و حس برکسنه دن کچیم و تغریم الماسی هو...
...برکون اقشام معدنیه سواریه اولان مشور...
...رینی قیادوجه جامع کبیر جمعیت ایلیو...
...قاضیسندن اعلام المغه تدبیر ایلدیکلری
...ه ایکن قاضی موسی الیه عیالیله محکمه‌دا...
...تاجموع و کاه قوللرینی تراوتیکده اخراج
...رواسی علمالرین محکمه‌یه دعوت ایلدیلر ایسه ده
...قوبه جمله‌سی مسلح و بکجی سوارلری کوند...
...نقیا ایدیکوجولات و بوصورتله شقا...
...بی و تقدیمدن مرام و مقصود فاسده...
...سرایت ایتدرملک ایدوکی افاده‌سی
...لیدی ان شاء الله تعالی بالسلامه جاکیبا
...ملادج رحیمانه لری حاصل اولوقده او
...محبیابوا قلو ابهلو ولی النعم و کیفالکرم او

فتراء

...تعطیفا و تخمیرلری [illegible]
اعلان اسلام و علما [illegible]
موجب اولوجه [illegible]
اشقیا فنیسی
[illegible]

وثيقة (٧)

د

ی ولی النعمانه لری قلندیغی بندنلری ... باشی اسکیلیه بشارتنامه

ن تحریری صورتنده ترتیب وصبت بندکانه مه

ایجابی خاکپای ولی النعمانه لرینه تقدیم قلندی

ملرینه منظور رهیمانه لری بیورلدقده ... انکی افترا ایده جکلری صورتده

نیات وتوصیه ولی النعمانه لری وارایکن ... اشقیای مرقومه نک

ل ایالت مذکوره ده ... وخیولی کدنده الی یومنا هذا ... شاهانه ده ظهور ایدن

رینه غوغا ومدارا اولیوب اغورمیانه موفور ... ایکن اشقیای مرقومه

خوف ایدوکنی ... خلقی قوللرینه بندونصایحت اوزره ایکن ... صالدق

بندکانه ایده جکلری افکار افترالری قوللرینی کلیا ودنیای ... تیغی

پاره ایجون باب مرحمت رهیمانه لرنده قالدی علم الله ... بندکانه دن

تعالی حمدی شمشیر شاهانه ایله تدمیرا بیه ایچون تاریخ عریضه بندکانه دن

... عودت ایدن ... بوسنه دفتردارنیک اتفاقیه تراونیک چارشو

جمله سی محکمه ده جمع ... تراونیکده ترتیب ایلدکلری محضرلری موجبجه تراونیک

نی برکسنه قاضی ... واعیانینه اخبار اتمکله اهالی مرقوم جامع مذکوره

... فراد وطرفه بندکانه کلدیکی اهالی مرقومیه اخبار اولندقده کاه پاشا قپوسنی

... اتمک کبی ... قال وقیل ... هربرلری برلو برلرینه کیدوب قاضی معنی المراد

خوفندن پاشا قپوسندن برخطوه حرکته جسارت ایده مدیکی والیوم اهالی

... یوزلرده ... یوز وایکیوز وبعضا اوچ ودرت یوز نفر

... قوللری ... رضای تاجداری محضرلر واعلاملر

وتلیفی اطلاقه اعتلا اتمکده اولدقلری وخلاف رضای ...

لری عصیان وشقا وتلفی دوم ایلیه ... اللرندن کلور ایسه استانه علیه یه

... عرضحال برملول بندکانه لحریر وخاکپای رهیمانه لرینه ... قوللریه ...

ی رهیمانه لرینه واصل ... بندکانه ظهوری اولاجق افکار افترای اشقیایه

... امر وفرمان مرحمت وشفقت بیپایان دولتلو عنایتلو عاطفتلو

... فی سنه ... تحریر ...

الحاج مصطفی والی بوسنه

وثيقة (٨)

أ

١٩٣٠٤ خط همايوني H٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

قيام الفرقة الرابعة عشر من الإنكشارية بتمرد وثورة نتج عنه إعدام أكثر من إنكشاري دون إذن رسمي من السلطان ، مما نتج عنه عزل المحافظ لسوء تصرفه .

وثيقة (٨)

ب

وثيقة (٨)

جـ

[illegible]

وثيقة (٨)

د

شارالیه ... [illegible] ... اقتضاسنه كوره ... [illegible]

حاصلی بو خصوصی بجه لسانه الوب باب عالیه افاده ایتیم ویوقسه ... بونلرك مادیدنی اقتضاسنه كوره ... مذكوری اطلاقه ... ازالتی اورطهٔ مذكور طاقمنك

اولباده برفاج نفری بازتردد ایتمشلر ایسه چونكه دولت علیه مغایر رضا حركتده ومحافظ شارالیهك مبادا مذكوری ... ذكر اولنان اورطه‌لك اغالرینی

اظهار رضا ومطاوعت ایله بو ماده یه دائر جانبلرنده قطعا قیل وقال قالماسی اولدیغنی تحقیق ایتمش اولدیغنده ذكر اولنان اورطه‌لك اغالرینی بالكلیه

بكرمی بش بیك غروش وعد اولندیغنه مبنی اولوب شارالیهك اوجاغ عامره حضوره سوق نظری اولدیغی تنبیه افاده ایتمش اولدقلرینی وذكر اولنان اورطه فیما بعد اغالرینی

اطلاقنی اسنه من طرف دولت علیه‌دن هر وقت اطلاقنه مساعده بیورلمسی منظور رأی عالی ایدوكی ... اورطهٔ مذكورك مقدم تعیینی باوامر عالی اولندیغنده مكتوباتیله تبدیل

دیكر اورطه‌لرك مناوبه تعیینیچون اوجاغ عامره طرفنده مكتوب یازلسی صورتی اتخاذ اولنمش ایسه ... قدیم یكیچری اغاسنك كندویه كلادن مكتوبی

شارالیهك ازالتی باعث استغراب اولدیغنی اغای موسی الیه قوللری اشعار وخصوص مذكورك اولوجهله وقوعی كیفیتی سببیله ... اعدام ایلمش اولدیغنی مذكور مكتوب

اعدام ایتمش اولدیغی اومدی اول امرده بدلرندن امانلری نزع ایله قلعه‌یه قالدیروب بش التی كون مروروندن كندونك ضبری ... باب عالیه اول واخر بركونه دیه جكلری اولدیغنی بعد التأكید تسمیه

اعطا واوجاقلونك بدء مشروع مركز انقیاد واطاعتده اولدقلری وخصوص مذكورده طولولی ... شارالیهك اخر منصبه نقلی موافق اصول

بو كادار اوجاقلو جیننده بركونه سوزلر بلماش ایسه شارالیه قدیم اوجاقلو جیننده مباینت حاصل اولمش اولدیغنده ایكی كون مروروندن اخر بروسیله ایله محافظ شارالیهك

اولدیغنده غیری شورا ... كمال انقیاد واطاعتلرینه مكافاة وكندونك اثره وقوع اولدیه افاده سنی تصدیقا ... شارالیهك دنیا افاده اولنه

تبدیل خصوصنه مساعده سنیه شاهانه بیورلمسی ... وقدیم یكیچری اغاسی بتقریب شارالیهك استیصال تقریبیله ... وبعده قدیم یكیچری اغاسی

وبو ماده دخی انلك تحریك واغفالندن نشأت ایلدیكی دركار ایدوكندن اول امرده انلك برمحله نفی واجلاسی باب عالیه تقریر ایده جكنی ایما ایتمش ... وتحریرات وارده منظور معالی موفور شاهانه‌لری بیورلمق ایچون

مرقومك نفی ضمننده باب عالیلرینه برقطعه تقریر كوندروب موجبجه اقتضا ایدن امری اصدار واعطا قلنمش اولدیغی

عرض وتقدیم قلندیغی وهر حالده علم عالیلری جوق قدر امر وفرمان

حضرت من له الامرك در

قدرناو

مطلناو

كراملو

شوكتلو

وثيقة (٩)

٣٦٦٤ HAT٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

بيان بأعمال البناء التي تمت في تكنات الإنكشارية .

وثيقة (١٠)

پادشاهم

[illegible]

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم

مجلس مشورتده قرار كير اولديغي اوزره اردوي همايونه سوق عسكر ايچون ادرنه بوستانجي باشيسي ونفير عام عسكرين

[illegible]

قدرتلو ولي نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرينك

كرامتلو مهابتلو

٨٢٦٥ خط همايوني H٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

أمر بجمع الجنود وإرسالهم إلى أدرنة للإنخراط في سلك الإنكشارية ، وليس إنتزاع الأبناء المسيحيين من أسرهم .

وثيقة (١١)

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم

صدر سابق يوسف پاشا قوللری موفق اوله مديغندن وكالت مطلقه‌لری خدمت جليله‌سی ودیوب جانب عسكری حسن پاشا بنده‌لرینه احاله بیورلمقدن ناشی چاوشباشی كنج عثمان اغا چاكرلری مهر همايونی اخذ وحسن پاشا بنده‌لرينه تسليم واوردوی همايونه كتورمش وعبد مملوكلری دخی صدر اعظملری مشار اليه چاكرلرينك وصولنه دك قائمقام نصب اولندیغمی مشعر بياض اوزرینه شرفيافته صدور اولان الكی قطعه خط همايون كرامت مشحونلری تبدیل خاصكيسی امين خاصكی قوللريله اشبو ماه رمضانك اون ایكنجی بازار كونی واصل ووردمال چاوشباشی اغا مقتضای مأموريتی اوزره مهر شريفی يوسف پاشادن الوب بو قوللرينه قائمقاملق خلعتی البس ایلدكدن صكره يوم مذكورده ودیو طرفنه منزل ايله عزيمت وصدر اعظملری مشار اليه استجلابه مسارعت ايلديكی وصدر سابق مشار اليه يوسف پاشا اراده شاهانه‌لری موجبنجه باب عالی وشتوی يه انتقالات اولنمغله صدر اعظملری وروده دك نه محله مأموريتی تنظيم ايدرلر ايسه رابطه‌سنی ويره جكلری وقوللری قائمقاملق امورلیه اشتغال ايلديكم بنا ینیچری اوردوسنك ضبط وربطی قول كتخداسی ايرانلدح اولمغله زغرجی باشی قوللرینه تنبيه وتأكيد اولنديغی محاط علم عالیلری بیورلدقده او وقوفه شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرينكدر

٧٩١٧ HAT·H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

تدريب جند الإنكشارية في عهد السلطان عثمان الثاني على يد كتخدا الإنكشارية إيرائيل والذي يدل غسمه على أنه يهودي.

وثيقة (١٢)

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم

بمنه تعالى توجيهات همايونلرينه ابقا وتوجيه اولنه جق مناصب ديوانيه نك معروض حضور معالي موفور شاهانه لري قلنان دفتري مبارك قلم عنايت رقم ملوكانه لريله تصحيح بيورلديغي وجهله تبييض وبر معتاد بالاسي خط همايون مكارم مقرون پادشاهانه لريله توشيح بيورلمق ايچون تقديم قلنمغله دفتر مذكورك بالاده موجبنجه ابقا وتوجيهاتلرينه اون همايون المشيد ديو خط شريف شوكت رديف واوراقلريله تزيين بيورلمق بابنده امر وفرمان شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرينكدر

ثاني
اولمقده

دفتر مصححه مذكوره يكيچري كتابتي اوزرينه جوقه دن منصب اولماش بر مستحقه ويرلسي بابنده خط همايون شاهانه لري شرف صدور اولمقده ملاحظه اولندقده [illegible] محمد افندي وخالوا اسبانلر امني يوسف آغاه افندي وارپه امني سابق [illegible] افندي قوللري خاطره كلوب لكن كتابت مذكوره يه كيده مقدورلك تعيينه مدار اولور قيلدن اولمديغندن بثقه يكيچري قلمنوسي هفته ده ايكي كون كاتب قوناغنه كلوب قلم اوطه سي ترتيب ايلدكلري برمعتاد قديم جاري اولديغنه بناء يكيچري كاتبي اولنلر صاحب دائره وسكنا اولمق لازمه دن ايدوكي معلوم اولدن حالاتدن وموما اليهدن يوسف آغاه افندي بنده لري صاحب دائره اولديغي واضحاتدن اولمغله بو صورتده كتابت مرقومه كرك موما اليهدن وكرك سائرده قنغي قوللرينه توجيهنه اراده سنيه لري متعلق اولور ايسه دفتر معروض مذكورده احق براغيلوب كتابت مذكوره اولوجهله طولدرلمق اقتضا ايدرجكي قرينه علم عاليلري بيورلدقده امر وفرمان حضرت من له الامرككدر

٤٢٣٨ HAT • H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

تعيين أحد جنود الإنكشارية في منصب كاتب الإنكشارية .

وثيقة (١٣)

ه

پادشاهم

بنم وزیرم
شبو تقریرك ویچه منظور همایونم اولمشدر همان نفاذ جمله سنه توفیقه اهتمامك ایلیه سین

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم

ینیچری اغاسی قولری بو كره الباس خلعتیله بر معتاد اغا قپوسنه داوری متعاقبا سلسله اولنجه دائره اغواتی برقطعه ایچه سیلابات عابدینه
ارسال اتمك اولدیغنده اقتضا ایدن خلعتری الباس و اجرا اولنمق ویچه مذكور منظور معالیموفور شاهانه لری بیورلمق ایچون عرض
و تقدیم قلنمق ایدوكه واغای موما الیه بزلره سلفك كلیبولی ونكفورطاغنده نفسنه ارسالی تقریرلرینی باش بازیجی وساطتیله استشهاد
ایتمك اولدیغنه بنا كلیبولیه اوطه ده تقریرلری سیادتی اولنمغله تقریری كلدیكی اقتضا ایدن امر شریفی اصدار و اعطا اولنمق وهبه
علم عالم شمول شهریاریلری بیورلدقده امر و فرمان شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم
پادشاهم حضرتلرینكدر

١٧٢٣٧ **HAT • H** أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

قرار سلطاني بتعيين أغا الإنكشارية .

وثيقة (١٤)

ه

پادشاهم

بنم وزیرم
مقتضای ارادهٔ شاهانهمز اوزره اجرا اولنمق معه دتا هر حالده میمنت و مسعود و توفیقات علیه سه ده هدایه ایله امامی بندقاینده گور
جریدهٔ تشریفاتدن مخرج یعنی نزد همایونمده توقیف قلنمشدر بر موجب یعنی قدیما وقوعبولدوغی اسلمه تطبیقاً اجرا اولنه

ولی نعمتم افندم
شوکتلو کرامتلو مرحمتلو قدرتلو
مقتضای ارادهٔ سنیهٔ شاهانه لری اوزره بکیچری اغاسی قوللری بوکون باب عالیلرینه دعوت برله اختیار اوقات وقت محادده هو
عواطف علیهٔ ملوکانه لرندن کندوسنه رتبهٔ والای وزارت توجیه اولنه رق سراسره دوخته سمور کورك الباس و مغفار اولنه رق
هیئت وزارت و طاقم ایله اغاقپوسنه استقلتی ایدلکی محاط علم عالم شمول شهریاریلری بیورلدقده امر و فرمان شوکتلو
کرامتلو مرحمتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرینکدر

مشارالیه آغا پاشا قوللرینك بوندن بویله سلاملق و باب عالی و معایده و دیوان همایونده ایاب و ذهابنده نه صورتله حرکت و نجه
اجرای رسوم ایده جکی مبهم ذیمده وقوع و اجراسنه تطبیقاً جریدهٔ تشریفاتدن برقطعه یعنی صورتی اخراج ایتدیرلکله مشمول لحاظهٔ
معالی افاضهٔ شاهانه لری بیورلمق ایچون عرض و تقدیمنه ابتدار قلندیغی رهین علم عالیلری بیورلدقده امر و فرمان حضرت من له الامرکدر

١٦٤٠٤ أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

منح أغا الإنكشارية رتبة الوزارة .

وثيقة (١٥)



١٥٨٣٧ خط همايوني H٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

أمر سلطاني بعزل ونفي اغا الإنكشارية لتعاطيه الرشوة وتعيين أغا الكتخدا مكانه .

وثيقة (١٦)
أ

اذن همايونم اولمشدر

عرض بندهٔ بی‌مقدارلریدرکه شوکتلو کرامتلو مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم

جناب مفیض الجود والاحسان وبخشاینده رواتب انس وجان جلت خزاین لطفه عن النفاد والنقصان استان شامخ الارکان پادشاهانه‌لرین

الی غایة الزیاده مقسم وظائف بندگان وملجأ حاجتمندان دوران ایلیوب کیسهٔ آمالی وهمیان مقاصد جیبله چاکرانی زرخالص العیار وسیم مسکوک بخشباد عنایتلری

وکرملریله ملامال ایلیه آمین بحرمة سید المرسلین شوکتلو کرامتلو مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم پادشاهم منقاعدلریله معاً دیرگاه عالی ینکیچریلری وسپاه

وسلحدار وجبه‌جی وطوپجی وعربه‌جی وجبه‌جی ولغمجی وسائر راتبه خوران دربار عوارف قرارلرینک بودفعه سنوی اوچلری برقسط مواجبلری غیراز عن خزینه‌هـ

١٦١٢٢ HAT·H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

بيان برواتب الإنكشارية .

وثيقة (١٦)
ب

... جمع وتعداد اولنمله مواجب مذكوره نك اجاقنه

مقارنت توفيق رباني ومعاضدت يمن همت جهانبانيلريله تهيه واعداد وپيشكاه ديوان معدلت بنياد شاهانه لرنده جمع وتعداد اولنمله مواجب مذكوره نك اجاقنه

واقع اولان كدكلو ونفرى وجبه سنك خلاصه لرى مرفوع عتبه علياى خسروانه لرى قلنمشدر منظور همايونلرى بيورلدقده عواطف عليه شاهانه ديو اقتضا

بهيه تاجدارانه لريله توزيع وتقسيمنه وخدمت ديوان همايونلرى خاتمه رسم ديرينه سلطنت سنيه لرى اوزره عبد علاقت انجالرينك چهره سائى زمين خلافت مكين

خسروانه لريله احراز وسعايه مفاخرت ايلام خصوصنه مساعده عليه ملوكانه لرى بيورلوراسه اشبو تلخيص چاكرانه م بالاسى

اذن همايونم الحشدر

ديو مبارك خط همايون شوكتمقرونلريله توشيح وتزيين بيورلمق بابنده امر وفرمان شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرينكدر

وثيقة (١٧)
أ

معروض قولری اولدر که ارسال واصدار بوداتك برقطعه

معروضنات چاکرانه جواب اولنق اوزره بو دفعه نامدار حلم على قولرينه لطفا وعروة ارسال واصدار بوداتك نظام واستحکامی و بوندن

قائمه مفصله علیه نك خلاصه مفهوم عنایت مرسومنده بهتوسرحد عظیمك تحصیل اسباب نظام واستحکامی و بوندن دنقیباتی وترتیب

تقویت بارزوی اقدار عاجزانه ملهم دنت ولی النعمالریا ولعذرن ناشی محال متعدده معاونه دن

بهودلیدن عساکر ودخائر ومهمات ولوازم سائره نك بالدفعات استعجال لری ایله اصداد بوداتش اولدن اوامر

علیه دن عبری بودفعه دخی اقتضا ایدن محالره مجددا اوامر موکده اصدار بوداتش اوج قطعه بنا عسکرك بر اوجی شهدی به

مادیدن وموصل حوالیلرینه وصولری وسبابات مذکوره نك الی آلتون تجهیز اولمق اولمغله بیر چكك انشا اولنه حق

سفاینك برمقداری تکمیل وقصوری دخی قریبا فرین ختام اولنق اوزره اوجی یغی وجانبدن کله جك مهمات جبه خانه

ولوجانه وخیام مهمات تخفیفا انشا اولنه حق اوتوز قطعه سفاینه تحمیل و تنبیه اولنق اوزره اید وکی اطراودن اعلام اولنمغی

وبغداد محافظه سنده اولدن دو کافه عالیجنابی نفراتك سکسان بش سنه سی مواجبلری وطقسان برسنه سی کوشت بهاکر

وجبه جی وطوبجی نفراتنك سکسان دوت مواجبلرینك برمقداری قصوریله سکسان بش مواجبلری تنظیم بیورلمغی

تحصیل اسباب یسار قصدیله عساکر ومهمات صرفا ایجون خزینه همایوندن شهدیلك بمش بیك غروش اوارزو احسان

بیورلمغی امر وفرمان بیورلمشی امر وفرمان اوچاقنم افندیمز فکر اولدقده قاعلی مطبوعه ملکذاری وقوانین محروسه که هدایا

حضورلرینه عندالله وعند الناس شایان مشکور دیشاولدن حسن مساعی وعزیز مساعی ولی النعمالریا خاصه بك

زوجه لرینه مستغرق عزیز محفوظ صنوف احسان ومرحمت ایتمکله دعای بقای عمر ودولتلری تکرار دینه بادی

اولمشدر حق تعالی حضرتلری وجود مسعود ولی النعمالرینی افات روزگاردن مأمون وسایه شفقت ومرحمتلری

بوقولری اوزرندن ابدمرهون ایلیه آمین کرك دخایر وعساکرك استعجالری وکرك سائر مهمات سفریه نك

استکمالری بابنده افندیمز طرفندن حاشا ذره قدر قصور وتهاونه تجویز بیورلمدیغی جزما وتقینا معلوم عاجزانه م

اولمغله بضاعه لیاقت

٢١٤ خط همايوني H٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

بيان برواتب جنود الإنكشارية وكميات الذخيرة والطعام الذي صرف لهم .

وثيقة (١٧)

ب

... وتخشيتا مور ومأموره لريزه ...
اولوب لكن اطرافك خلاف واقع تحرير وانهما عقلت تعطيل وتعويق اوزنجى
وبعضا غرض وطمع ودكر اسباب ايله واجب الاهتمام اولون عظايم امور افاده عقلت تعطيل وتعويق اوزنجى
اولوب لكن اطرافك خلاف واقع تحرير وانهما انشا سفاينه وتخصيص وخيام ومهمات تسبيلرينه حقور اولون نعيم وقوجى
وبعضا غرض وطمع ودكر اسباب ايله واجب الاهتمام اولون عظايم امور افاده عقلت تعطيل وتعويق اوزنجى
وبعضا غرض وطمع ودكر اسباب ايله واجب الاهتمام اولون عظايم امور افاده حقور اولون نعيم وقوجى
مأمورلرك وضع ودوشلريزن ازجمله سفاين انشاسنه وخيام ومهمات تسبيلرينه حقور اولون نعيم وقوجى
باشى اغاوللرينك بوانشاده بامادمرايله جانب بهنه كجه مرسول كاغذلرنده سنبان اولمغله منظور ومعلوم ولى
التفاتلرى بيودلمق ايچون خاكپاى اوشلرينه تقديم اولوب ماماده مرقومك ودخى اهاليسندن بوجانبه مأمورا اوردو
ايرن بعض صادقا القول كمسنه لرك تقريرلرينه كوره اولحواليده متعدد محللردن ترتيب بيورلمش مبايعاتدن
شمديه دك جمع وقريب وجود وحصول اولدن شى اقل قليل ومهمات ايچون انشاسى فرمان بيورلمش اوتوز سفينه
وغاول ايچون انشاسى امر بيورلدن بوذالى قطعه سفينه نك مجموعلرنده بوانه دك فقط بكرمى قطعه سفينه حاصل
وحاضر اولوب اليوم فرات صوينك طغيانى موسمى كچمكله بونرن بويله كرك سفاين وكرك ذخاير حاضر اولنلر
بيله دخى اجرالرى عديم الامكان اولمغله محصل كلام مبايعات مرتبه دن موصل مبايعه سندن غير سنك كلاهيت
بهاده دك بوجانبه كلمك احتمالى برطرف اولوب بودفعه خاكپاى ولى النعميه مرسول حوادث غايبه سنك
ذكراولنديغى اوزره عسكرلرى حدوده تقرب ايتمكله الآن حدوده مقابله اعداده يا فشاد ثبات اولنمق
عساكر منصوره نك على بركة الله مستعد امن انفاس رسول الله ممالك اعداية انهاض وادخاللرى ايجاب ايدوب
واولامرون باخصوص ماه ذى الحجه اوايلندن بوتاريخه كلنجه عسكرك حدوده اقامتلرى ايامندن زاده خزينه
وعليعلرينك بوطرفدن تداركى وارسالنده دوچار اولنديغى مصارفات كثيره ودمانه عسكريسنك مشاهدات
ومدادلرى معلوم حذيواه لرى اولمغله وسنه ازو استغنالرندن تحمل اوضاعى تكاليف مالايطاق واوضاع تحمل
... المدد ودودفعه اوطرفى محلدن انهاض ونحريك وطاقتا باغينه طوغرى عاسر ابدرلنجكه اظاده امولك تفصيلى

وثيقة (١٧)

جـ

سوز قابل تحرير ...

جمادی الاولینك اوزینه دك وبری تعینات وعلیفلرینك ونقدو جنس امدیرینه ... معلوم شبرلری ...

بوخصوصلی عریضه ده مرسول دفترده وداڤیه مزعسکرینك مصارفلری دخی مقایسه معلوم ...

عنایتكار ایلیله زاد وذخیره لری ... ایله ... نه ایصال اولنمدیغی تقدیرده خدا ...

ایچون مسافه متباعد ... اعدا ... زاد وذخیره لری ...

ارتکاب ایتمدکلری ملفت ... بیان اولنیور وفی الحقیقه بوقدر عساکر کثیره مجتمعه نك دفاعلرینه زاد

وذخیره وعلیق وانقال ... اردو ... نزل امینی ... اوزاع ...

مقتضای ... وبوجانبك ...

فساد ... ادارهلرینه ... وعراقمك ...

نزع ... بعوت الله تعالی ...

کشاد ... ساعت مسافه ... ایصال

ایتمه ... وزاد وذخیره لری ... جناب سهل الامور حضرتلرینك

واسکان ... لطف الهی ... عساکرك

... عباد اللهك اموال ... استدانه ... اصلاد

جمادی الثانی ... ایتمام ... وبلغ السیل الزبی ... مفهومها ... استدانه ... ذکر اولنان ...

امکانم ... عساکریه مجدداً

کله جك ... جمادی الاخری ... طوایف عسکریه ...

زاد وذخیره وتعینات وعلیق ... فکر واندیشه لر ... وشب ...

عزیمتجه ... واضطراب ... الله ایچون ورسول الله ایچون اولسون ... عباد اللهك اموالنه

... اولسون بوقطره ... حفظ

وثيقة (١٧)

د

مهمات کلری حمده چون د ...

فرصت والحال مقابله ومدافعهٔ اعداده اولدون اشبو عساکر منصوره‌نك بو مادن وجه بیکانه صلاحت

نظام جمعیتلرینه ذریعهٔ امکان ومکنت اولمق ایچون بو قوللرینك دستمایهٔ وسع واستطاعت عاجزانه‌می توسیعه

مساعده وعنایت ودفتر مذکورده‌کی ماش محاسبه دفترلرینه قید وبقیهٔ مطالباتی اولان طقوز یوك التمش بیك

سکز یوز طقسان التی غروش احسان ومقدما نیازمند اولدیغم اوزره بو قدر عساکر منصوره‌نك دفاتدرینی کلیتله خرابی ایله

بر اردو دفترداری ونزل امینی بولنمق لابد اولدیغندن ناشی مقدار وافی مبالغ ایله اردو دفترداری ونزل امینی تعیین

واوتوز قرق کون ظرفنده منزل ایله علی جناح الطیر بو جانبه لحوق ووصوله مسارعتلری تنبیه وتأکید ومهمات

جبه‌خانه‌نك فیما بعد قرین شطیله کلمسی ممکن اولمیوب واینده بهاره تأخیری موجب تعطیل امور واوجاقی حسبله

قره‌دن ایصالنه مساعده ومروت ودیاربکردن موصله تحویل اولنان مبایعه شعیرینك دخی بر ساعت اقدم جر وتسییر

تسییر وایصالی موصل متسلمنه تنبیه بیورلمغله طوائف عسکریه‌یه افاضهٔ رفاهیت وبو سرحد عظیم صیانت ووقایت

بیورلمق بابنده امر وفرمان من له الامر افندیمز حضرتلرینکدر

وثيقة (١٨)

پادشاهم

بنم وزیرم

ارشادی اوجاغی شرطیله تقریری موجبنجه بارینه کرکدیه یکریبشر اقچه یومیه تقاعد ایله

شوکتلو کرامتلو مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم

شیخ الاسلام اسبق محمد عارف افندی داعیلرینک باش چوقداری حاجی حسین نام کمسنه بو دفعه وفات ایدوب یکیچری اوجاغنده متصرف

اولدیغی ایکیوز قرق طقوز اقچه یومیه‌سی محلول اولمغله ومتوفای مرقومک امنه وکیمخانه وام کلثوم وحسیبه نام دورت نفر کریمه‌سی قالمش

افندی مشار الیه داعیلری مخصوص اولان وظیفه احسانیه بیورلمسنی ایدوکی بیانیله محلولات مرقومه مقابلی مزبوره‌لره کرکدیه مناسب مقداری

سنداتی بیوریلوب قلمه کوندرلمش محلولات مرقومه تماما خزینه‌مانده اولنمق اوزره مقابلی اولمدیغندن یکیچری اسامیسنک والحاله هذه

اسقاط اولوب مشیخت معزولی اولوب افندی مشار الیه داعیلری دخی مرقومه‌لرک احتیاجیندن ازمانه نظرا افندی مشار الیهک انجق اولوب

توقف اولنان شاهانه‌لری صدوریله خط همایونلری واولدقچه محتاج توجیهی وظیفه مجددا کرکدیه اولدرق ملوکانه‌لرندن علیه شرعیه نفقای

قریه مساعده شاهانه سکسان اقچه وظیفه تعیینی یکرمیشر اقچه‌دن بهرینه مرقومه‌لرک کرکدیه شرطیله ایتامک مراتب سائره موادده اولنمق لازمه‌سیله

شوکتلو کرامتلو امر وفرمان بیورلدقده محاط علم عالیلری ایدوکی جراید افاده مرام واراده متوقفات تاجداریلری اولوبدر

مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرینکدر

۲۱۲٦٥ خط همايوني H٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

أمر بصرف رواتب جندي إنكشاري متوفي لورثته الأربع بنات ، وتسجيل أسمائهن في سجلات الإنكشارية .

وثيقة (١٩)

١٥٢٣٦ خط همايوني H٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

تنفيذ الأمر السلطاني بإغلاق محلات الخمور ، لأن جنود الإنكشارية صرفوا كل رواتبهم على هذه المحلات .

وثيقة (٢٠)

پادشاهم

بنم وزیرم

ارضرومده دخی کرك انقره و کنغری سنجقلرینه

مشهور تقریرك و تاتار مرقومك خلعه الدریلوب تقریری قنطور و معلوم همایونم اولمشدر بو صورتده کرك ارضرومده و کرك [illegible] سنز مقدم

قیافتلرینی تبدیل و نشان تحفه‌لرینی دخی شکست ایتدکلری [illegible] الحمد کرك بو محلده و کرك ممالك محروسه‌مك شهرلردن بعضه محلدر برقاچ [illegible] الله الحمد فتح

نوبتلری [illegible] سعادتله کلدکلری [illegible] سکر دمدکوندرلرندی الکرمه اوجاقلری عودت [illegible] الغا و تحفه و بو جهتله نفرات [illegible] ترتیب و اجرا ایله

اولنمق ایستر بونلرك ایجادینه خیلی مفسده‌لری اولمسی شبهه محلی اولمدیغندن سرعسکر پاشا ایله بالمذاکره اولورقلری محلده [illegible]

یا قیجیلر قاندیرن غلها اولمقله [illegible] اجراسنه دقت و اهتمام ایده‌سکه

ولی نعمتم افندم

شوکتلو کرامتلو مهابتلو قدرتلو

شیخ اشارتلرینه مرفوع عتبه علیای [illegible] مصرفی نور الله پاشا قوللرینك [illegible] و کنغری تجارلری [illegible] انقره [illegible]

اوجاق سابقك محو والغاسی امر شریفنك انفاذینه [illegible] کرك تحفه مذکوره‌ده و کرك

ملوکانه‌لری خطوطه منفذه شاهانه‌لری [illegible] خط همایونه شوکتمقرونلرینه شرف‌افزای صدور اولدیغنده تصحیح بادینه کلدکده

ارضروم والیسی غالب پاشا بنده‌لرینك تقدیم خاکپای همایونلری قلنان تحریرات [illegible] تحفه‌لری شکسته [illegible] برشی یازلمش اولدیغنده

تاتارلرینك بوکاره معلوماتلری سؤال اولنمش ایسه‌ده [illegible] الحاصل منطوقه منفیدر اوزره مشارالیهما قوللرینك تاتاری لدی الاستنطاق ذکر اولنمش و لدی التفتیش

مرسلاتینك مضمونی صورتی مشارالیه نوری پاشا قولری طرفنه ایسال اولنمش اولدیغنده

مرشریفنک مقدمجه [illegible] ایاصوفیه صدارت [illegible] مشارالیهك تاتاری شفاهاً افاده و اخبار ایتدیکی

وصولی کونی اوجاق سابق تحفه نشانلرینی شکست و قیافتلرینی تبدیل ایتمش اولدقلرینی مشارالیهك تاتارینك قلمه الدیرلدیکی اوراده تقریری

وارضرومده دخی [illegible] و محال سائره‌ده دخی [illegible] رفع اولندیغنده غالب پاشا قوللرینك

منظور همایون ملوکانه‌لری بیورلمق ایچون عرض و تقدیم قلنمش و ذکری رهین علم عالیلری بیورلدقده امر و فرمان

حضرت ولی نعمتم افندم پادشاهم

شوکتلو کرامتلو

قدرتلو

مهابتلو

١٧٤٦١ **خط همايوني H٠H** أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

أمر شريف إلى والي أرضروم بشأن إلغاء أوجاق الإنكشارية وتبديل الملابس الرسمية للجنود .

وثيقة (٢١)

أ

١٧٣٩٢ HAT٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

أمر بإلغاء الإنكشارية ، وإحلال العساكر المنصورة المحمدية مكانهم .

وثيقة (٢١)

ب

بعضیسه واختیارلری تزدبندکجیه کتوردیلوب برزمانده برو دشمنانه دینه محمدینک غلبه‌سنده
وبالخصوص بواثناده روسیه‌لونک ودیکر عریضهٔ چاکریده مبین اولدیغی اوزره ایرانلونک
بعضه هرکاننده اقتضاسنه کوره بحث وجهاده مقابلهٔ بالمثله متعلق قرآن کریمده منصوص
آیت کریمه تذکاریله بوصورتده دولت علیه‌یه دشمنه جواب ویرملک ایجون ایشبار معلم عسکر
لزوم وعبرتدومی سؤال اولندقده الزم ایدوکنی اعترافلرنده صکره مواجهه‌لرنده امرنامهٔ سامیلری
قرائت وتفهیم مآل شریفیله شمدیه دک اوجاغک رفع وتغییرینه دائر شوکتمآب مرام نصاب
افندمزک وسائرک هیچ برکونه تصور ونیتلری اولمدیغنه وقوف تام اولوب حقلرنده حرمت ووافقات
شیمهٔ سابقه‌لرنده صرف انظار ایله اطاعت ورودلیجه الزم اولاله عسکرک رابطهٔ اصلیه‌سی انحلاله
هت بورلفده ایکه وبشقه اوجاقه نامی اولیه‌رق کندو ایجادلرنده نفرات تحریر وتعلیمه شروع اولنشکه
بوکا دخی ممانعتله معاذالله تعالی انجامی ملاحظه ایتمیه‌رک دشمنلره یابانجه صورتلره
جبارنلری من طرف الله حقلرنده اشبو نتیجه‌یی انتاج ایتمشدر الحاصل یکیچری اوجاغی مرفوع
ایدی بوطرفده وسائر محالده اهل عرضه ومطیع اولنلره برکونه تعرضه ارادهسی اولیوب وهرکسک
متصرف اولدقلری معاشنه مداخله یوقدر وسفرلرده املاک ویرمش اغالر وسائر اوقاف ایدنلرک
سایهٔ جهت پادشاهیده اخرینه‌لر ایله تطبیق ممکندر یوللو عوام بینده اولدیغندن بعضه کلمات دخی
طرف چاکریدن بیانه ونصح وپنده مبادرت اولنغله جمله‌سی اظهار اطاعت وانقیاد ایله بلا تردد
وقیل وقال ارادهٔ بهیه‌یی ازدل وجانه قبول ایتمش وبعده سائر سرونجدیاله وعلمدار ایله دخی اعیان کوی
جلب ایدیلرک بنده مع نائب ومفتی جمله علما ومشایخ مملکت مجتمع اولدیغی حالده سالف الذکر فرمانلری
جلب ایدیلرک بنده مع نائب ومفتی جمله علما ومشایخ مملکت مجتمع اولدیغی حالده سالف الذکر
کوندریلوب تکرار قرائت وبیانه ایتدرلدکده اولدیغی روزمه سمع وطاعتی صحیحی بکرباده اولدرقه کوباله
الحمدلله کلمتینیه شهادتینی تذکاره دوام اولنغله شرع شریفه واولی الامر امروارادسنه انقیاد
مسافر شرع شریف
ینه

وثيقة (٢١)

جـ

الزمدبي ... صرف وقته رواجنه ومقنداري عسكر نظيه همت وجه

آليه رده فقط كندوكار ومقدلري دونجه معلم عسكر نظيه مقابلة غاية خصوصت سائره دول

ونظريله سلطنت سنيه نك عنداولجالنا هويدا اولفله الامور مرهونة باوقاتها

حيلي وقتدنبرو فرصه عيبه مرتبه سنه وارمش ايدوكي انوار توفيقه ماننده ماه تابان

بوكره الطاف وعنايت حضرت باري همم عليه جناب خلافتپناهي يه توافقله زمرهٔ باغيه نك تنكيل ودفع ورفعي

دولت عليه وجميع امت محمد اوزرلرنه لمعه فشان اولرده نسبتله عسكر نظامي

وخصوصا جانب رسالت مناب حضرت پيغمبري عليه وآله اعلى الصلوة والسلام اوزره محمد الله بيجاغ

تفال بالخير والبعه اولرده الدثالله المتعال محضا فيضه ونصرت الهيه دال اولمغله همان حضرت خير الحافظين

فوق مستورة ديه دولت عليه ابدقرينه بوحوبله مجددا فوزانه اولمغله وكاملا افندمز حضرتلرى

روح عالم اولدقده شوكتمآب كرامتصاب ايده الله تعالى بالفوز والنصرة دائما

وجود مرحمت آلود ملوكانه لرينه جميع كدورتلردن مصونه واياما عمر ودنيه ودولت عليه لرينه روزافزون

وكافه مرام سنيه لرينه توفيقات صمدانيه سنه مقرونه ودشمنان دين ودولت عليه بي منهزم ومنكوب

ابدرك ذات ولي النعمتلريني دخي باتوفيق الهي رونق بخش مسند عليا اولقدده خالي البيه آمپهاولت عليه

ابدي الدوامك كرك عسكر تحريروتعليمي وكرك بوانه قدر بونجه خزانه اندوقي مثلو تكلفي مجرد امت محمد

ورعايا وبرايانك كمال آسايش واستراحتلري اسبابي استحصالدن عبارت برمعنا ايدوكي ارباب عقول

عندنده ظاهر واشكار اولوب بالف الذكر امرنامه ولي النعمتلري لدى المطالعه فرمانه عالي ورودينه قدر

مصلحت اظهار اولنمه آمدشدده كيفيت اهاليك مسموعلري اولرده واطرافيله آگاه لروشايد

افكاره تبعيت وسكوندده غرضه سرعسكر پاشا عسكر جمع ايده جكدر بزم حقمزه دخي امروار در مثلو

قيل وقاله مبادرت وقوعي ملحوظ اولديغنه بنقه ارضروم وجوه واهاليسنك تجربه جي قوي بيجريبله

عبارت ايرحم اكثر اهالي عرضه ومطيع وپادشاه توقلغي التزام ايتمش اولدقلري بالتجارب معلوم جاكرلري

ابدوكنده رأس سرحدات اولده اشبو ارضروم مده باعونه حضرت خدا بنزالدله ربط شيرازه انتظام سنيه

قلنمي محال سائره يه دخي وسيله وقياس اولمه نيت خيريه سيله مستعينا بالله تعالى اظهار واجرايه

تشبث برله يوم مذكورده اقرولناب ومفتي واعيانه وسائر برفاج منبجي جلب وكيفيت افاده

واستشاره دنه صكره مدرسيه وعلما ومشايخ بلده واوجاقلو اغوات وسرونكجري بقيراو قالمديه

وثيقة (٢١)

د

اولقدر شقه بزلر اهل ايمانه ... مطيع دولت عليه نك ... والبزلر ابرياء شاهر في عباد

اولادلر حضرت پادشاه عاليجاهه ... راضي يز واليوم طرف سلطنت سنيه دن ... والبزلر

الحاصل صورت ونه كونه اتخام بورايسي ... اعيانه ممالككلوب جاكرلرينه لدى الافاده مجموعي ...

رام ايزديو بلوتلمغ رضا داده اولدقلري جمله طرفندن ... سرزغري بابه سنده اولوله ... اولنوب ... اولندقده امتثالوا طرف

تلطيف وارضروم قلعه سي مفتاحلري سرزغري بابه سنده ... مقداروافي نفرات ايله قبوبك باشي قوللري

چاكرلري تسليم ايجابريله اخذ اولنوب طرف بندگيدن قلعه يه ... سينه دكرك بو طرفك قوللري شمديدن معلوم ...

تقييد اولنمق وارضروم باش ... اوليه جغيله كرك كيفيت ارادة ... اخراج برله ... وقارص ووان ...

تنفيذ امر عالي ... تنشيت اولنمق اوزره ... امرنامه وكالتپناهيلري بر صورتي ... سايه معدلتوابه حضرت جهاندارى فوق

بين ارينه تسيير وطرف چاكريدن دخي ... وجلب قلوب ... واطاعت حاصل اولمش وقبولي حاوي اعلام

... وحسن ... ورسكونلي ... سرزغري واضروم اغواتك اكثري ... وخدمات سنيه ده بولنه رق

ومحضر دخي اعطا ايتدكلرندن تقديم ... اولدقلري ... ووارندقدر ... وخدمات سنيه ده بولنه رق

ريه لرنده اولدقلرندن ... واجلرنده اكثري مسدد واختيار ... ارادة سنيه لي تعليق كرده عبوديت ايلدكلرنده

عنايه شاياله ايدكلرندن ... نتيجه تلطيف ... اوطه لري استرحامنده اولدقلرينه مبني

غيري سايه عاليده ... ايله ... بعضينه قوجي باشيلق وبعضينه ...

رخصت سنيه به اغنراز ... ودرسعادتن ... مرفوع پيشگاه ولي النعيمي ... اولنور

وكذلك اولان ... جاكرانه م اولوب ... كفتكويه مفطور اولوب ارضروم

ذاتنده نفوس ... تميز وافتخاره مائل ومجبور ... صورتي ... استانه سعادت اغواتنه شبيه

سائر محلده ... اولميه رق ... بلاده ... اعتبار ... مملكتلرين ... بلا اعتبار سائر ناس ايله ...

وكثير اولدرده بولنان ... وتمييزلري ... اهل عرضه ... ذهنده جلب لطف ومرحمة شاهانه

اولملري اقتضاي نفوس بشريه دن بعيد ... الحال امثال اوليه جغي ... واغوات ...

ومزاوار ... صيره ... ساير ... حسب الموقع والحال ... ابدوكي ... بويابده ساعت سنيه ولي النعيمي

ايجابنده ... انتخاب اولنانلر ... مذكوره ... كرك فرح وحصر ... اقتدارلري اولمديغي

بيان عظيم ... مذكوره ... متمناي عاجزانه م اولديغي بياني وسيله

عفو وانعاميله كرك الحاقه مضاعفه ... وكالتپناهيلري دخي ... دولتلو عنايتلو عاطفتلو

ابرانه اختصاص اولمشدر ان شاء الله تعالى لدى اشرف الوصول ... امر وفرمان دولتلو عنايتلو عاطفتلو

رأفتلو مروتلو ولي النعم كريم الشيم افندم سلطانم حضرتلرينكدر ...

[illegible]

وثيقة (٢٢)

أ

روضلو عنايتلو عاطفتلو رأفتلو مروتلو ولي نعمم كريم الشيم افندم سلطانم حضرتلري

وافر مدتدنبرو دولت عليه ابد مدت شمنده دينيه وشرعيه خيانت وكفران نعمت وانجوف تمرد

وتغلب وخيانت قصديله تدابير خيريه يه مخالفت وهربار رفع لواى منحوس شقاوت ايدن طائفه

باغيه كثيرة الملعنتك بحمد الله تعالى تأثير نظر اكسير نظير حضرت خلافتپناهيله قلع بيخ مفسدت

واعداى نام ونشانه عتو ونخوتلري محلنده ومعلم عساكر منصوره محمديه نام خيرانسانيله نفرات لازمه

ترتيب بيورلدقلرينه بونلرده اقدم سرفيس ورود اولونده تبشيرنامه سامیلری مقتضاسنجه ارضرومده

باعونه حضرت خدا بالوعد والوعيد محضا سايه جلادتوايه جهانداريلري بيمنه هم علي الرابطه

قبول وامثال ايدرلر ايدوب ديارده اعلام ومحضرلري تقديم وامرنامه ولي النعمالريلك ورجال رجوع

اخراج ووصاياى لازمه تحريريله جلدر وقارص ووانه والي ومحافظلري حضراتي بندگانلرينه تبليغ

خاكپاى عاليلرينه ترقيم قلنوب بعده قارصده عطوفتلو صالح پاشا حضرتلرينك تحريراتيله قارص سرحدي

امثالي حاوي واردا اولونه اعلام ومحضرلري دخي متعاقبا ارسال اولنمغين وجلدر والیسی سعادتلو ... پاشا

بنظرلري وارقسرنيه اجنحه ممالكه بعضا نزاع تكونه ايمكين ودفع اولنمش اولدقلري مسموع جاكري اولوب

بونلك اوزرينه مصلحت خيريه خبرينك دخي ارشمنده شايد بعضا قيل وقال اولور ملاحظه سنه

وشارا اليهك دخي استفسارينه مبني رأس سرحد اولان ارضروم وجوهنده اجنحه اغالرينه اطرافلي

بركاغد يازدرلوب مشار اليه كوندرلمش ايدي بو وقعه وانه محافظي بندهلرينك طرف عاجزانه مه

بونلك اوزرينه مصلحت خيريه خبرينك دخي ارشمنده شايد بعضا

بونلك اوزرينه مصلحت خيريه خبرينك دخي ارشمنده ... اجنحه اغالرينه اطرافلي

وشارا اليهك دخي استفسارينه مبني رأس سرحد اولان ارضروم وجوهنده ... طرف عاجزانه مه

بركاغد يازدرلوب مشار اليه كوندرلمش ايدي بو وقعه ... انقيادي متضمن برقطعه وسرحد مذكوره

مكتوبيله وانه سرحدينك سابق يكيچرى اوجاقلو سندنده ... وتعقيبا والي مشار اليهك تحريراتنه

بميه وبيان اوجاقلوسي وسائرنده ديگر برقطعه محضر وارد ... جملهسي فرستاده بندگاه ...

... واصل اولدقنده ناشي ... ومحضري ... مفتاح قلعه نك

١٧٣٥٤ HAT·H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

القضاء على الإنكشارية وإحلال العساكر المنصورة المحمدية مكانها.

وثيقة (٢٢)

ب

الزم اولدیغندن انلره دخی بولنان جبه‌ستان ورودینه جمله‌سی دفترلر درسعادته ارسال اولندیغی
وارضروم بولنلردن غیری اوردوی مالی وسائرلرینه بولنمیوب بکچی ضابطی ونفراتی واوجاغلک
مجموع متفرعاتی حکم فروع اولنرده مملکتده قول کرمه وامثالی اولدیغی امور طرف چاکرانمدن تفنکچی باشی
وسائر مأمورلر تعیینیله رؤیت اولنمقده اولوب فقط دعاوی ضمننده اهل اسلامک اخذ وحبسی
ماده‌سی اکثر ممالکده اوته‌دنبرو اوجاقدن خارج اعیان وویوده‌لر معرفت ووسائطیله اولنه کلدیکندن
بو خصوص طرف بندکانمدن مأمور اولنه اولندن شمدیلک ارضروم اعیانی وسائر محللرک دخی
متسلم وویوده‌لرینه احاله اولندیغی وقپوجی باشی موما الیه مأمور اولدیغی دیکر اوامر جلیله ایله اوده
افندیلره وبعده قارص وروانه وارمه اولنده وصایای مقتضیه ایله بعد العید اعزام قلنمغله بورده عسکر دخی
ترتیب عسکره دائر وسائر ذکر اولنه اوامرسینه ظهور ایدرسه انشاالله علیه سایه رأفتوایه عالیه‌ده
انفاذینه مسارعت قلنه‌جغی بیانی وسیله ابراز اختصاص اولنشدر انشاالله تعالی لدی اشرف الوصول
وبابده وهر حالده امر وفرمان حضرت عنایتلو عاطفتلو رأفتلو مروتلو ولی النعم کریم الشیم
افندم سلطانم حضرتلرینکدر

حضرتلری
دولتلو عنایتلو عاطفتلو رأفتلو مروتلو ولی النعم کریم الشیم افندم سلطانم
درون قلعه‌ده دزدار قوناغیله قلعه نفراتک خانه‌لری اولوب طرف چاکریدن وضع اولنان نفراته
شمدی صیفده لازم دکل ایسه‌ده شتاده اوطه‌لر یاپدرلمق اقتضا ایتمکه وذکر اولنان خانه‌لرده اولنان
... امر اولندیغنده بالرضا خانه مذکورلرک جمله‌سی اشترا ودزدار
... اقامه اولنمش ایدوکی

وثيقة (٢٢)

جـ

جبخانه‌نك دخی اطاعتی ... ارضرومده قرات واعلاوب ورتبه
قلدیغی وسالف البیانه امرنامه‌ء و التعهدنامه‌نك مخصوص هیئتك جمله‌سی درآنه اخراج
اخذی وطرف چاکریدن تقرات وضمنده بشقه یکیچری اوجاغنه عرف بلده دخی دفع اولنوب اشقیای عنایت
وتبدیل ودکانلردن نشانه رفع واوجاغ مزبوره متعلق ... قپوجی باشی محمد آغا بن ... ایله یوم عروض فرسان
بیوریلدی امر عالی‌ده ترتیب اولندقده مأمور اولدیغی ... دیوانه وبای وکلا اجتماعیله جمله مواجهه‌سنده
اولمقدن ناشی عبد شریف جهتیله برکونه عسکر ثانی عبد ترتیب ... بیان نتیجه بشقه مقدمه
قرات واعلاوب ومجموعنه خطاباً دیلم دوندیکی قدر بعضاً کلمات مؤثره ... محمدیه اولنوب جنس آخری
بعضاً اسافل طرفندن عساکر مرتبه یه محمدی نامی تسمیه بویلرح برمقدم ... مجلس مذکوره عیناً بودخی درمیانه
ایلك دیو بعضاً ترهات سامعه رس بندکی اولمح اولدیغنه بناء نامنك تسمیه‌سی حضرت سید صلی الله تعالی
سویله برشی البتدم عساکر مرتبه به معلم عساکر منصوره محمدیه ... انجق تفالاً وتبرکاً واقع اولمشدر
علیه وسلم افندمزه نسبت واسناد ایله خیر ویمنی منتج اولمق اوزره ... اول آخر امت محمد ونز دیو بوکا دار
بوخصوصه اولنکیلر محمدی دکل ایدی دیمك دکلدر جمله‌مز لله الحمد ... نسمعه دیو اعتبار والطاف
اقوال متمره بیانه قلنمغله وجوه بلده اشخاص وکندولری سوزیدر ... جمله‌سی بکنباله اولمروه اغای یوجه
چاکریده دخی تهدیدات اشعار برله حصلی تکرار مراسم اطاعت وتسلیمتی ... اوجاغ مزبوره متعلق قرغاله وسائر اشیا
مواجه سنده کوریاله اولدقاری وبرمنظومه فرمان عالیشانه ... سفره خلیفه دورا ولنه کلوب
واورطه مالی تحری اولندقده زمانه عتیقدن دزدار قلعه بینده بولنوب وضع اولنوب برقطعه محضی وقنج
چند عدد قرغاله وتمامی اخراج وارضروم قلعه‌سی جبه‌خانه سنه ... چقاردلمح اولدقده جبرا ستلر ایله
تقدیم قلندیغی وارضرومده بولناله چندنفر اوسطه لروده اوجه ... هاوی اولدیغی فضائلرده
بعضاً سقالرده بولنانه جبرا ستلر دخی النوب حفظ وارضروم ایالتنك ... عیانکار عباشرلرم قوللرلرفش
جمله‌سنه دخی امر جلیل الشانه صورسنه سیله مؤکد بیوریلدیلر مقدم وحدانیکار

وثيقة (٢٢)

د

وضباطه دخی بولندرده اقامتلری ... نفرات مرقومه خانه مذکوره ... سنده بشقه احتجه

وسائرلری جبلة خارج قلعه‌یه نقل وایوا برله نفرات وسرکردکانه تهیه ... ارضروم ومدینه مرود

ومعلم عساکر منصوره جهادیه‌یه تحریر ایجون ارضروم ومدینه نفرات ... قصبه‌یه متوطنًا

ووانه دخی مناسب سرکرده‌لر حاضرلنمش وقارص طرفی بو دفعه ... اراده سنیه ظهور ایتدکلرنده

ایله عطوفتلو صالح پاشا حضرتلریله دخی مذاکره اولنمش اولدیغی ایلچی ... امر وفرمان حضرت ولی‌نعمت

ترتیب قلنمقده اولدیغی برآداقتلو صورتده ترتیبات اشعاریله احسانلری بابنده ... افندمزکدر

(خاتم)

وثيقة (٢٣)

٩

پادشاهم

بنم وزیرم
همشبو تقریرك و نمچه و انكلتره ایلچیلرینك تقریرلری ترجمه سیله دیكر دفعه نظر اولندی معلوم همایونم اولمشدر ذكر اولنان ایلچیلرك بو خصوصده بیهوده یره طولوب واقعده بونلره نوجهله
جواب ویرلمك لازم كلدیكنی دخی بیلورسن اكاكوره هر برینه اقتضاسنه كوره جواب ویرلسون

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم

ارباب فسادك تأدیب وگوشمالاری خصوصنده ورود وبولوكه دیاردن اوروپه دول سفرا وصلحكذارلری ترجمانلری خدمت ریاسته كوندرورك
وخدمت ریاسنده دخی اقتضاسنه كوره هر برلری اظهار خلوص ومخالطت ایتمكله تبریك ایله فوز ونصرت دولتعلیه ایله موفق اولدیغی حق تعالی
ایچون نمچه ایلچیسی بر قطعه تقریر تقدیم ایدوب ومخلوطیتی حاوی خدمت ریاسنه بخصوص تبریك ونمچه ایلچیسی مخصوصا تبریك اولنمقلغه
عرض ابتدیكینه ملوكانه بیورلمق مظهر همایون اولوب اچلمش وغسلوب ولی نعمتی اعلی مقابله اجوبه
و انكلتره ایلچیسی دخی سركاتبنی ارسال ایله وقوع اولان اراده سی بكاغد مضبط اولنمش ایله ابدولرلسه كرك اوله دكرك
وقوتنامه درجه سنه كوره محظوظیتلرینك ایلدكلری محبتلرینه دائر كلام برله اولوجه كاتب ترجمانلری نكاره انكلتره ایلچیلریك ونمچه ورسومات وتقدیم قلندیغی
بوندن بویله سائر اظهار مخطوطیت ایدن دول مامورلری طرفلرینه خدمت ریاسنده اولان اظهار ایتدیكلری
جواب اعطا اولنمسی خصوصنده عالیدیر بیورلدقده امر وفرمان
ولی نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرینكدر

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو

١٧٣٤٩ HAT・H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

إعراب سفيري النمسا وإنجلترا عن سعادتهما بتأديب الدولة العثمانية

وثيقة (٢٤)

أ

١٧٣٧٤ HAT٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

معروض مرسل من والي صيدا إلى السلطان محمود الثاني يبلغه فيه بتنفيذ الأمر السلطاني بالقضاء على الإنكشارية وإحلال العساكر المنصورة المحمدية مكانها.

وثيقة (٢٤)

ب

اولوب ... یکیچری عسکری واوجاقلری جهاد و غزاده ... فرار و عدم الحفظ معتادلری اولوب اوجاقلری بیده ...

اوجاقی تنظیم اولنوب ازمان سالفه ده یکیچری عسکری اطاعتلری اطاعتسزلکه مبدل اولوب واوجاقلری سفرلرده فرار و عدم ... بتون بتون عجز و تشتت حاصل ایله معاذ الله تعالی

فتوحات ظهوره کلمش ایسه ده کیت رك اطاعتلری ... ملت اسلامیه نك بتون بتون ... معلم عساکر اعدا الدین ... ایلدیکی

ممالك وقلاع ... کفاره ووجهاد ... سبب اولدقلری واعدای دین دخی ... عساکر ... غلبه صورتی ... استغنا ایله ... قوی

بیضهٔ اسلامیه یی کلیاً شکست ایتمك داعیه فاسده سنه اولدیغی وکفارك ... جمله یه بیان وابنا ... شرع شریفدن ... جهاد و صنایع

بیان ایتمش اولدیغنه بناءً بو کیفیت باب شیخ الاسلامیده عقد اولنان مجلس شوراده جمله یه بیاف ... مقابل عساکر اسلامیه دخی فن ... بو

شریفه منبجه مجدد اعلاء کلمة الله العلیا نیت خالصه سیله کفارك مدار غلبه سی اولان حیل و خدعه سنه ... اجماع امت وجمله یکیچری اوجاغلری ... فایده

حربیه یی تعلیم ایله کسب مهارت دن غیری چاره اولمدیغی ظاهر اولمغله واقع اولان اتفاق و ... نفراتی ... و سایر ... اولدقلری فضیحه سنه ابتدا ایتمش

معلم اشکنجی نفراتی تحریر ... تعلیم و تعلمه بدأ ایله یازیلان نفرات اسلحه ... اظهار بغی و عصیان ایدرك خروج علی السلطان ... قدرت

اولمیه رق بغتةً ایاقلنمش ... وفضاحتی ... تعلیم وتعلمی اسنه ... هدرا ... اوزره ... و سرایا ... احراق

اولدقلرینه مبنی بونلرك ... دین و مذهبدن خارج بر کیفیت اولدیغی ... مقتضای شرع شریف ... اشقیا تفریق و تدمیر ... اشلق

فاهرهٔ ... نفس ... توجه ... آثار ... اشقیا ... ملکیه ... عساکر منصوره

اوضدق ... باهره ... ندامت و خاسق کندولر جمع ایله جزای عملاری ... برایه ... غزا و جهاده ... عامه ایله هر

عنوانی بتون بتون ... افعال شنیعه نك ... عساکر منصوره محمدیه عنوانیله دین ودولت ... امر ... اتفاق ... حرکته

تحریر و ترتیب ... اوزره ... وجمله یه فرض شرعی اولان اعلاء کلمة الله العلیا واحیای دین و شریعت ... هیچ بر فرد خلاف ... اقتضای

اختیار و تثبیت اوضاع ... خیریه ده کافهٔ اهل ایمان الی ماشاء الله تعالی بو ... متفق ومتحد اولوب ... اتفاق عامه ایله ... هر

سویلکه جرأت ایتمامك ... سیف شریعتله حقلرندن کلنمك اوزره ... ایله ... بونلرك ... ملکیه ... عساکر

... بعونه ... عموماً اعلان ... قدرت کیفیتی ... بونلرك ... عسکری

... ...

وثيقة (٢٤)

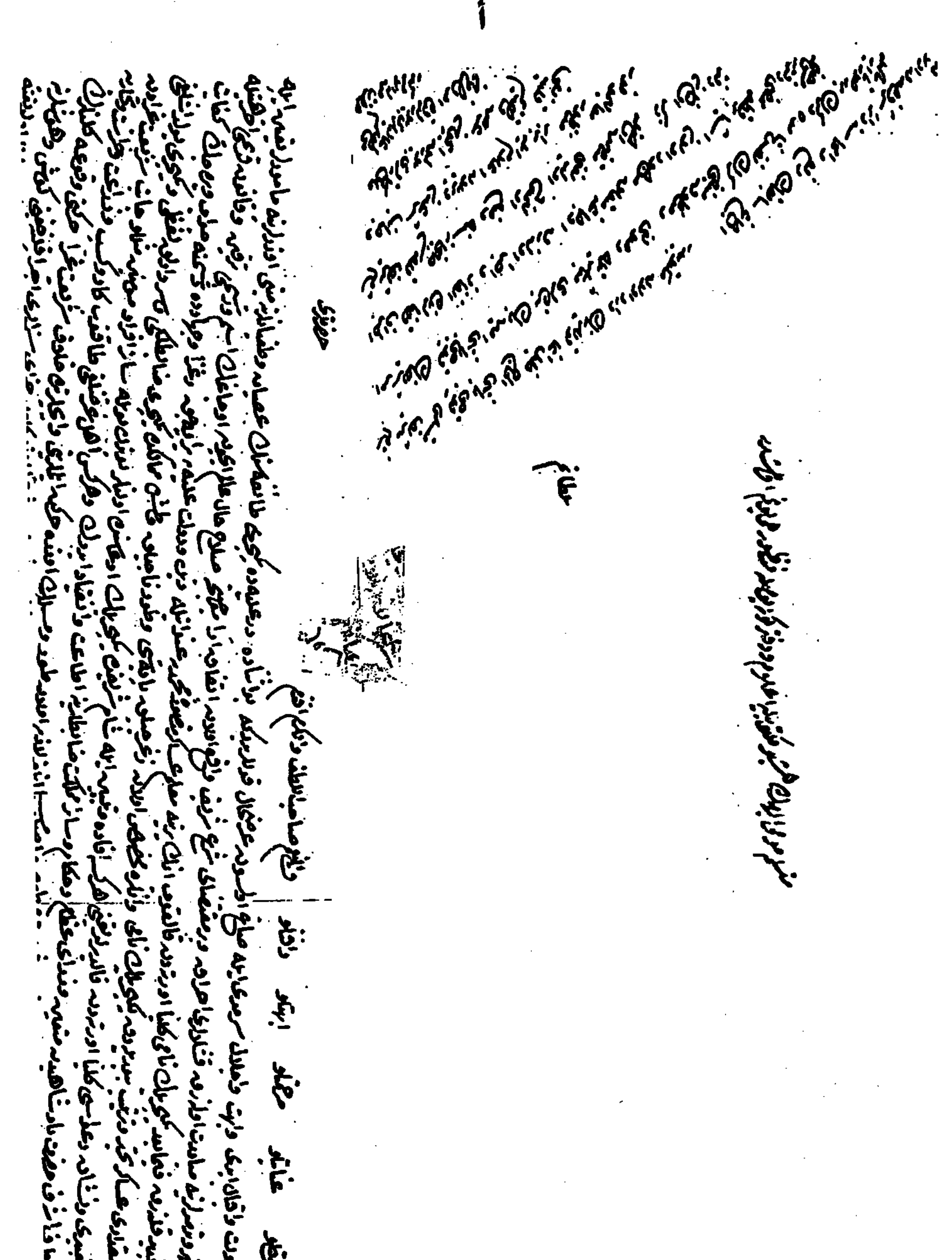
جـ

وثيقة (٢٤)

د

وثيقة (٢٥)

أ



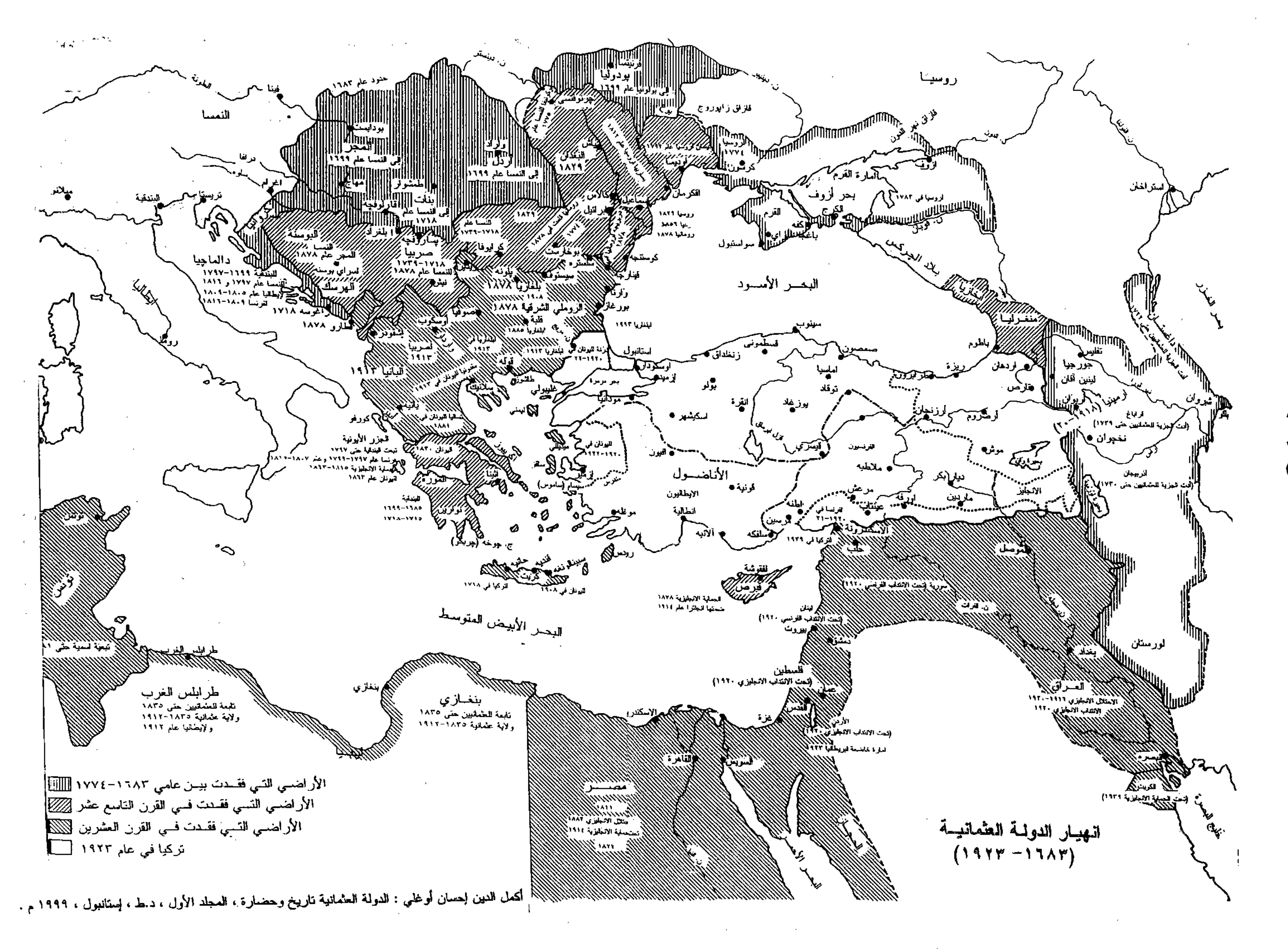
١٧٣١٥ HAT٠H أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.

معروض مرسل من مستلم الشام الشريف إلى السلطان محمود الثاني يبلغه فيه بتنفيذ الأمر السلطاني بالقضاء على الإنكشارية .

وثيقة (٢٥)
ب

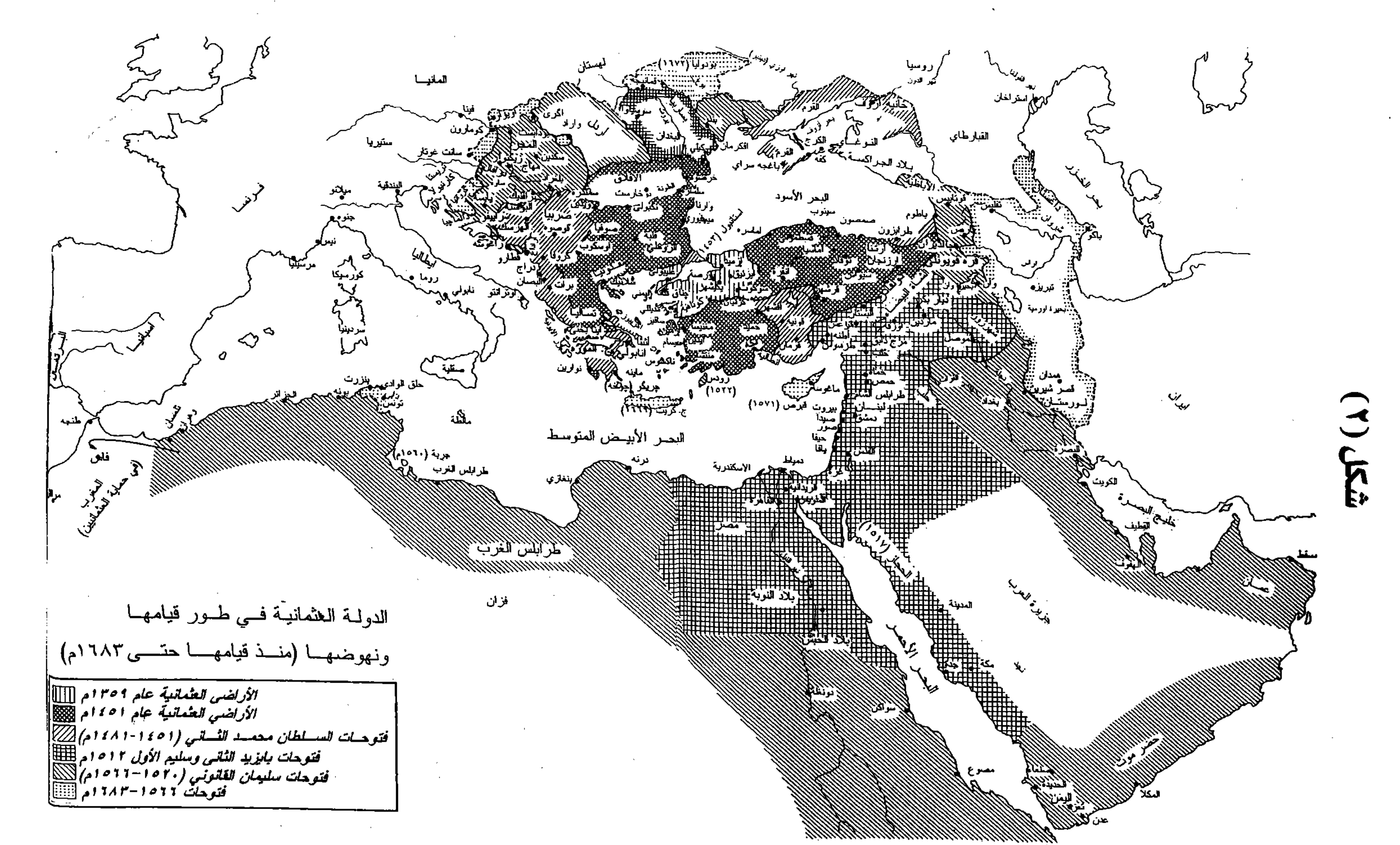
[illegible]

شكل (١)



أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول ، د.ط ، إستانبول ، ١٩٩٩ م.

شكل (٢)



أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، إستانبول، ١٩٩٩م.

شكل (٣)



قول أوغلي باش جاويش
باش شاويش عبيد السلطان الذين هم في الأصل من أبناء الأعاجم وكان

تكه لي
من ضباط الأوجاق كان يعمل في دائرة شيخ الإسلام .

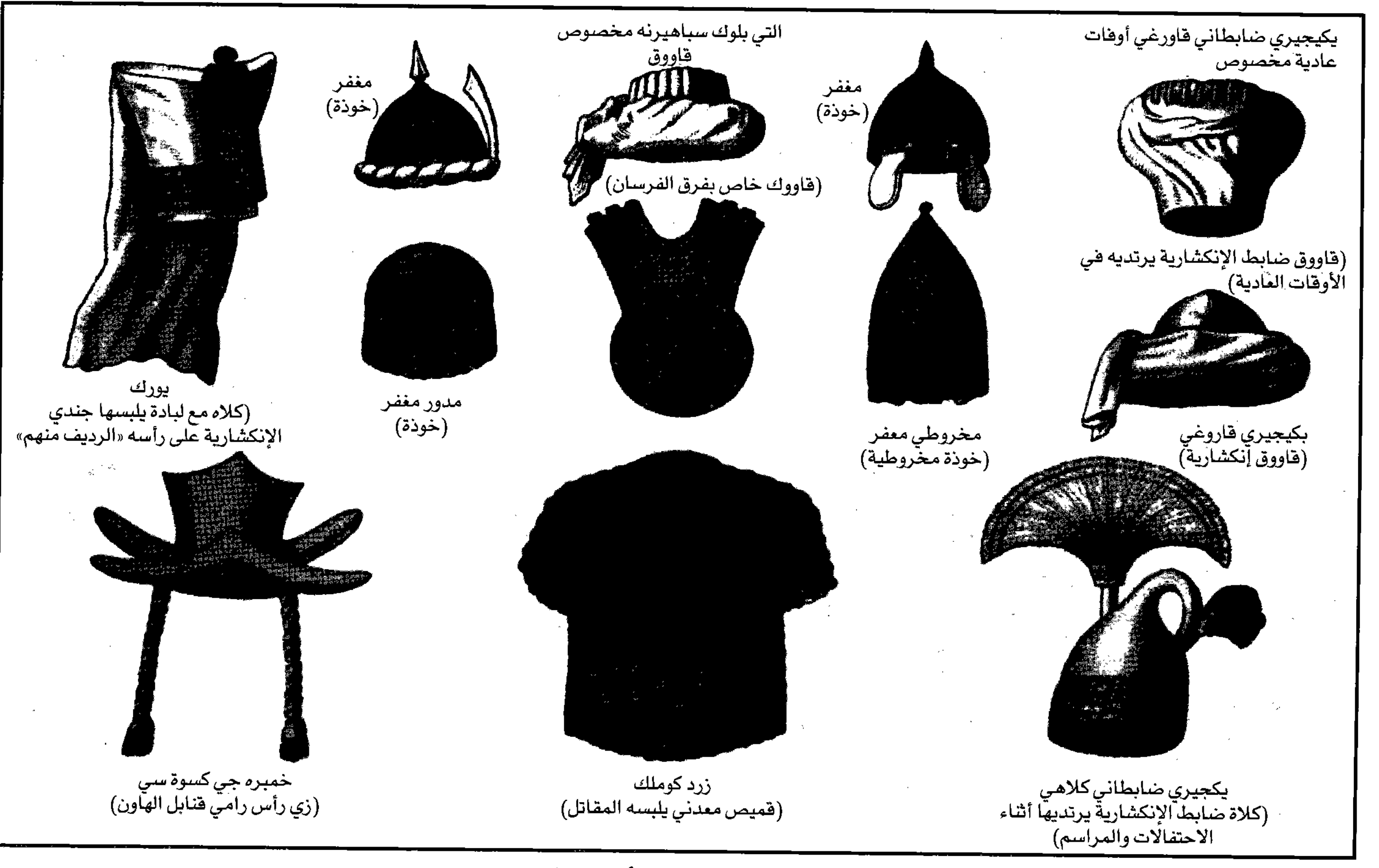
باش جاويش
هو أحد ضباط الإنكشارية وتحت إمرة الآغا ويشرف على المراسم في

يكيجري آغاسي
آغا الإنكشارية .

آغايماغي
تابع لآغا الإنكشارية ويترأس عدداً من الشواش .

فلقه جي باشي
رئيس مفرزة ترافق الصدر الأعظم وتحرسه وتنزل العقوبة بمن .

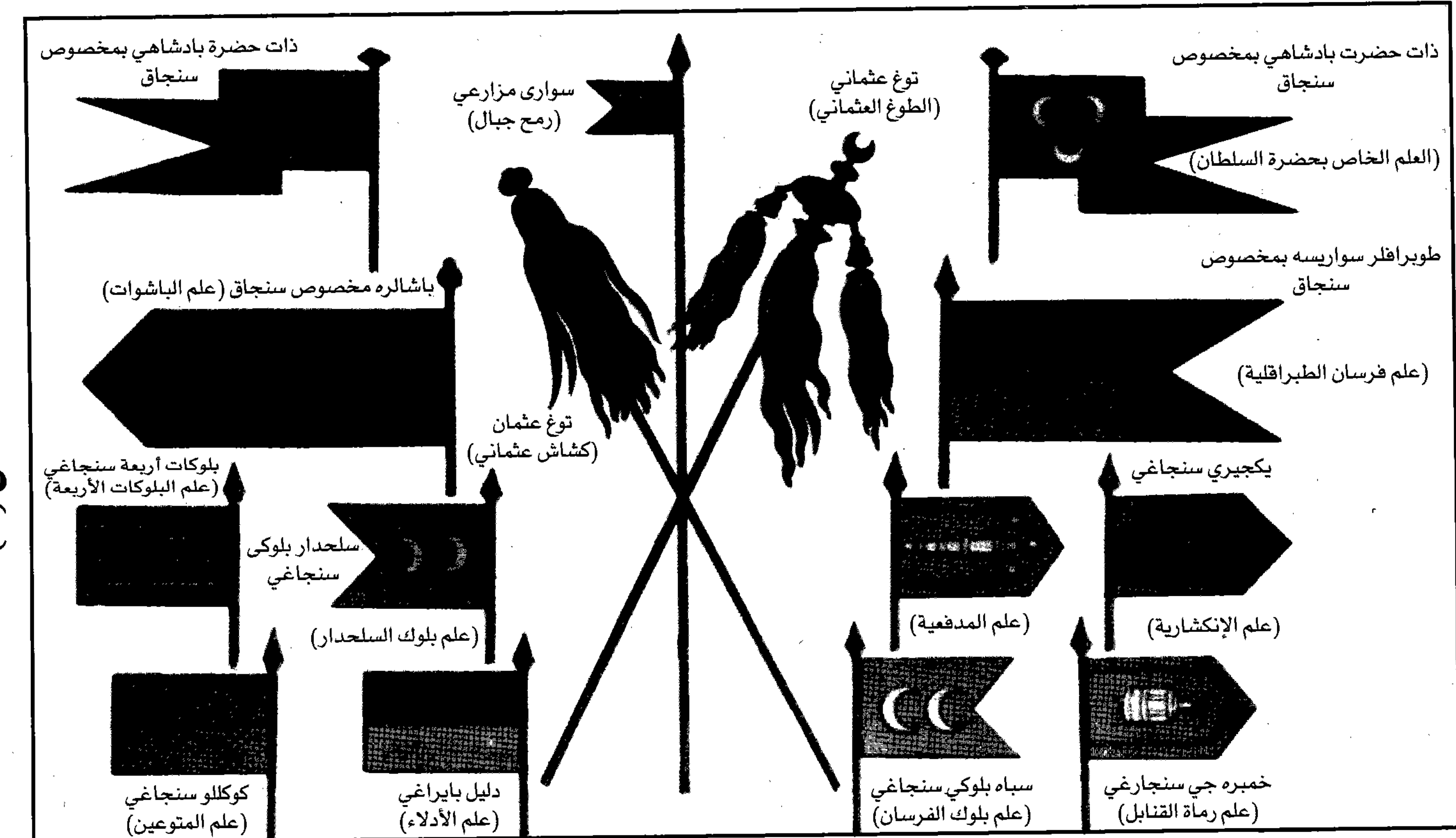
شكل (٤)



أزياء مختلفة للرأس والصدر

محمود شوكت : التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م.

شكل (٥)



أعلام ورايات مختلفة

محمود شوكت : التشكيلات العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م .

شكل (٦)



علوفة كتوون يكجيري
هو فرد مهمته تأمين متطلبات الجيش من المال وتوزيع الرواتب على الجند .

صولاق
هو فرد من المشاة من حرس السلطان الشخصي الذين كانوا يرافقونه أثناء السلم والحرب .

كيجه لي يكجيري
(سلاملق البسي)
فرد من وحدة التشريفات السلطانية .

سلام دبرن يكجيري
جند من الإنكشارية مهمتهم تقديم التحية والتعظيم للسلطان ووزراءه ولهم تقاليدهم الخاصة .

حربة جي
فرد من بلوكات الإنكشارية رافق الآغا وحرس الصدر الأعظم وكلف بمهام خاصة .

أزياء عسكرية

أزيامحمود شوكت : التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م .

شكل (٧)

أزياء قادة إحدى وحدات الإنكشارية (الاورطة)



آشجي أوستة سي
هو معلم العشية وكان للعشية زي موحد إلا أن زيهم يختلف عن زي عشية الأورطة رقم (٣٢) .

قره قوللقجي

أوتوز ايكينك آشجي أوسنة سي
هو رئيس عشية الأورطة رقم (٣٢) وهو من ضباط الإنكشارية، لهم زي مميز عن بقية العشية .

قره قوللقجي

برنجي أورنة لك آشجي أوستة سي
هم عناصر عشية الأورطة الأولى في أوجاق الإنكشارية وكان يرأسهم (أسطة العشية) .

أزياء رسمية

محمود شوكت : التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م .

شكل (٨)



صالمة جوقداري
هو بمثابة قائد الشرطة العسكرية يسهر على الضباط الجدد ليل نهار في الشوارع والمحلات العامة .

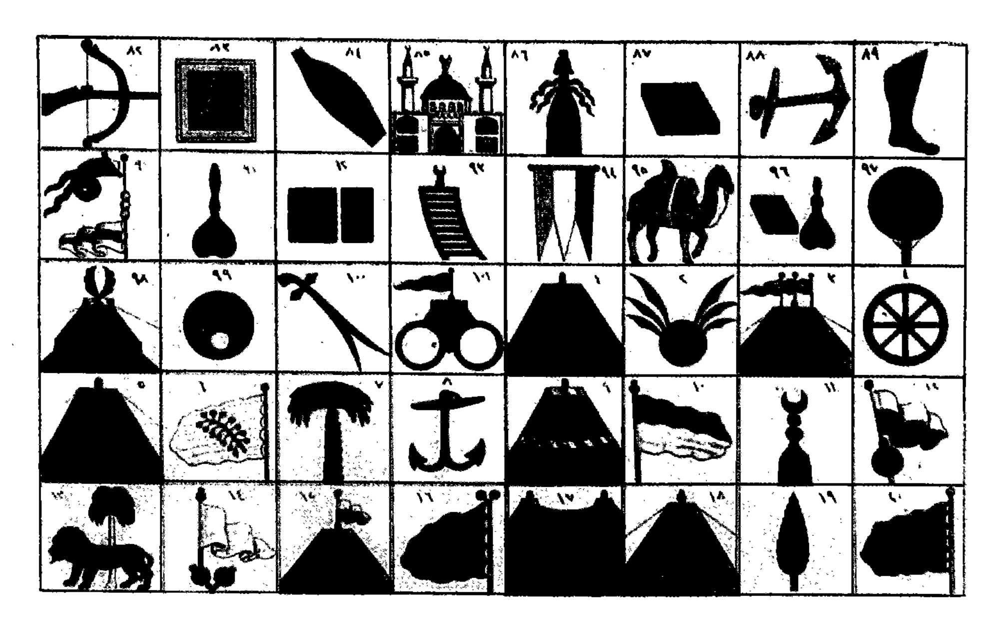
أورله جاويش
هو ضابط من ضباط الإنكشارية مسؤول على تنفيذ الأوامر وتأديب جند الإنكشارية وتطبيق النظام .

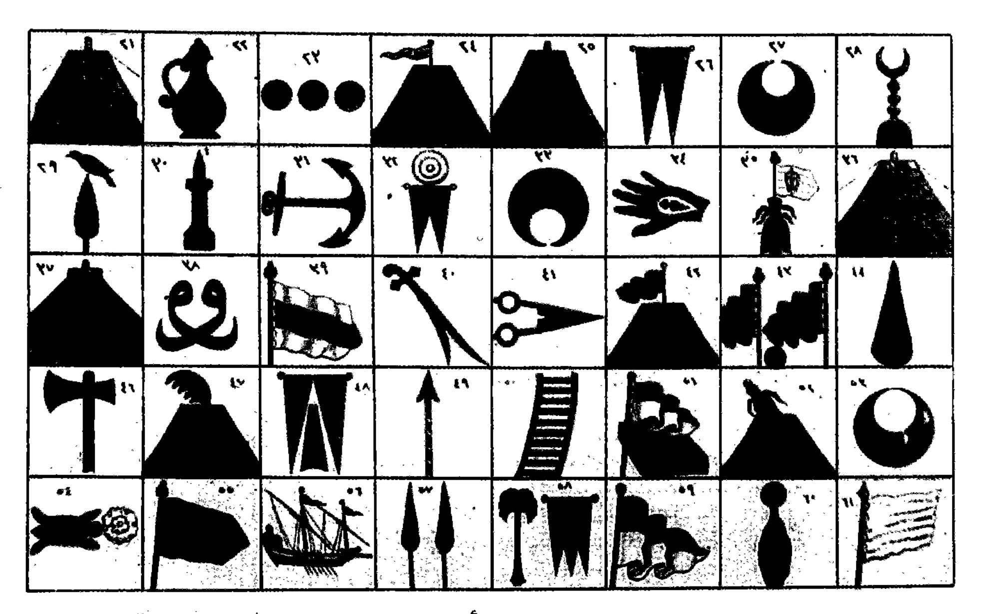
كنخدار بك أو كنخدارسي
هو المعاون الأول لآغا الإنكشارية

أوطة باشي
هو مساعد الجوروجي يعمل على ضبط الأورطة وتأمين طعامهما وكسائهما وينام معها في الغرفة .

محمود شوكت : التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م .

شكل (٩)

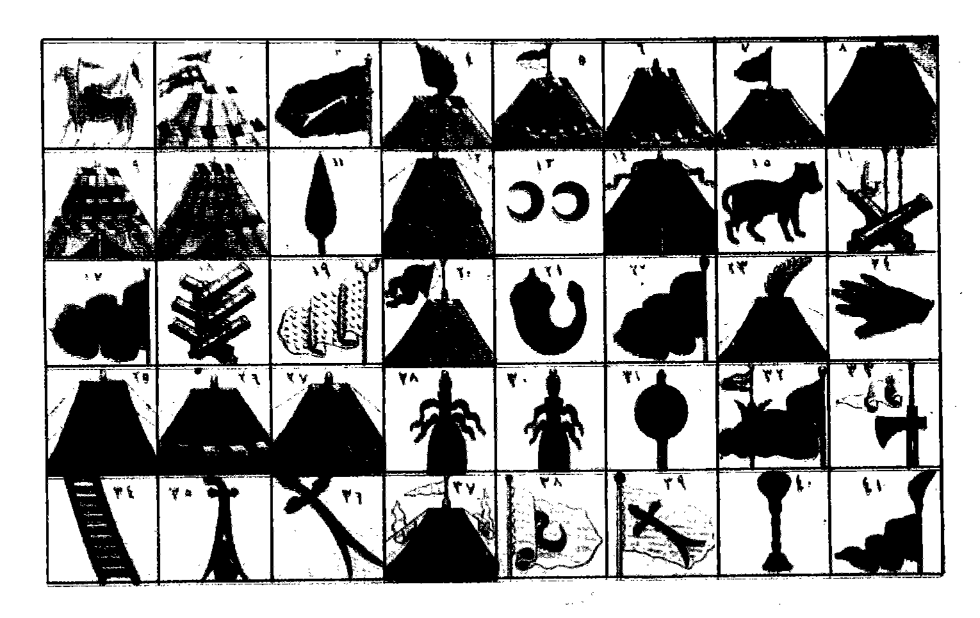


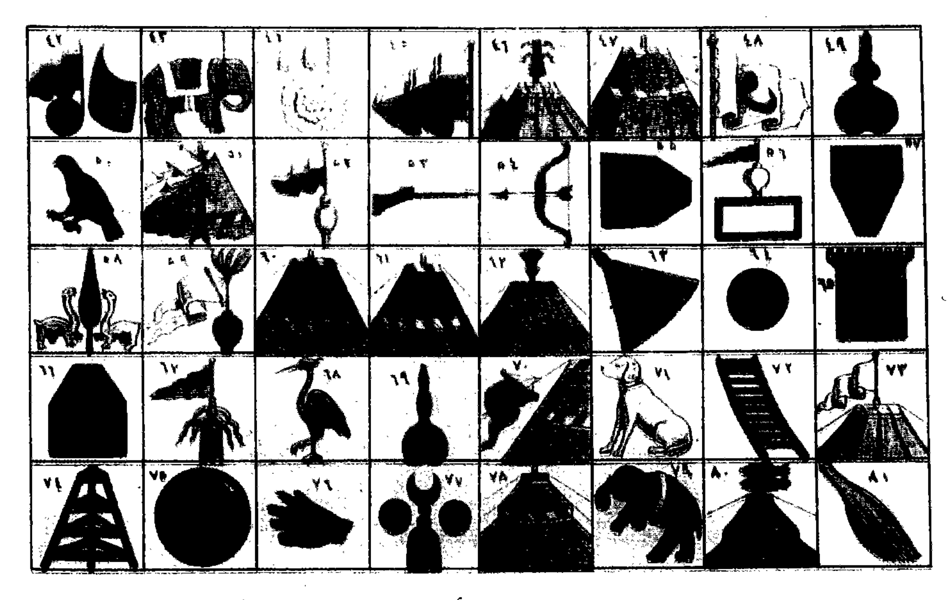


الشارات والنياشين الخاصة بأورطات وبلوكات الإنكشارية

أكمل الدين إحسان أو غلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، استانبول، ١٩٩٩م .

شكل (١٠)





الشارات والنياشين الخاصة بأورطات وبلوكات الإنكشارية

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، استانبول، ١٩٩٩م .

شكل (١١)



شيخ الإسلام   يني جري أغاسي

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د.ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .

شكل (١٢)

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د.ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .

شكل (١٣)



صولاق

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د.ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .

شكل (١٤)



من جنود الإنكشارية، المترجلة (يايا)، والركبة (صولاق)



السباهية المسلحة

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.دط، إستانبول، ١٩٩٩م .

شكل (١٥)



من ضباط الإنكشارية



من ضباط الإنكشارية في عرض رسمي

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، إستانبول، ١٩٩٩م .

شكل (١٦)



بعض الأسلحة المستخدمة
في الجيش العثماني .

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.دط، إستانبول، ١٩٩٩م .

شكل (١٧)



كجلي نفر : جندي من الجيش الإنكشاري .
نظام جديد بين باشي : قائد الجيش المستحدث في عهد السلطان سليم الثالث .
بين باشي : قائد الطابور في العساكر المنصورة المحمدية .
طوبجو باشي : جندي من الجيش الإنكشاري .

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د.ن، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .

شكل (١٨)



١ - نوبتجي : جندي من حراس الجيش الإنكشارية .
٢ - صالما نفراري : إنضباطيون يراقبون حركات جنود الإنكشارية .

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د.ن، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .



شكل (١٩)

أورتا ساقالي : المسئول عن تأمين الماء للإنكشارية
قرة للوفجو : صغار الجاوشات من جنود الإنكشارية
باش قرة قوللوقجو : رئيس قرة قوللوقجوين

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د.ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .



شكل (٢٠)

جنود النظام الجديد الذي أوجده السلطان سليم الثالث

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د.ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .

شكل (٢١)



من جنود جيش «النظام الجديد»



من جنود جيش «العساكر المنصورة المحمدية» ايان تشكيله

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.دط، إستانبول، ١٩٩٩م .

شكل (٢٢)



من جنود جيش «العساكر المنصورة المحمدية» ابان تشكيلة

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، إستانبول، ١٩٩٩م .

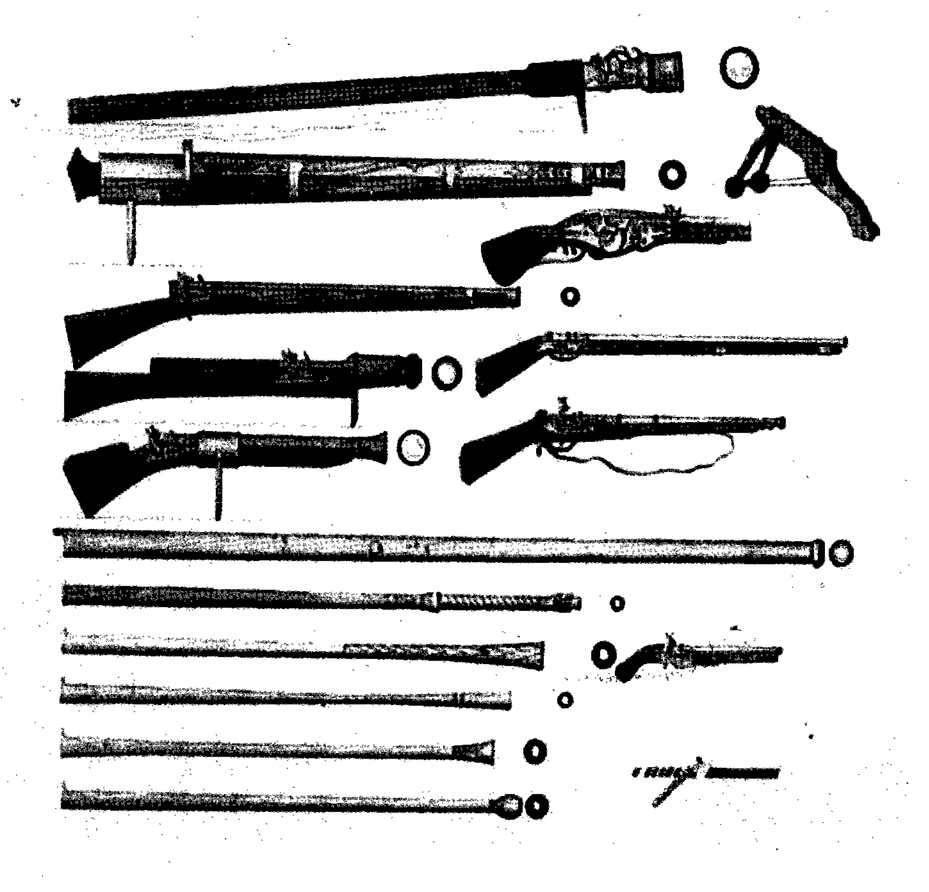
شكل (٢٣)



العساكر المنصورة المحمدية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.دط، إستانبول، ١٩٩٩م .

شكل (٢٤)



بعض الأسلحة النارية التي استخدمها الجيش العثماني .

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، إستانبول، ١٩٩٩م .

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة